١٧١

الجزء الثامن

من

الجواهر

فى تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكوّنات وغرائب الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا. متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

رجب سنة ١٣٤٦ هـ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر مكية وهي تسعة وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ * رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ
الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
* كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَلَوْ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ
قَوْمٌ مَسْحُورُونَ * وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا
فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ

بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ *
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ
مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ
حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ
رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *
قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ
الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
جُزْءٌ مَقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي
صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ
* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَنَبِّئْهُمْ عَنْ
ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا
خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ
أَجْمَعِينَ * إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ * فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ
قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

* فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ *

(تفسير الكلمات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) تقدم الكلام على حروف أوائل السور اجمالا فى أول سورة آل عمران وفى أول سورة هود ولكن تفصيل الكلام على ــ الر ــ فى أول سورة يونس وهود ويوسف وابراهيم والحجر هنا وعلى ــ المر ــ فى أول سورة الرعد يعوزه تفصيل أتم هنا فأقول

إن سورة يونس لعلم ما فى السموات والأرض ولانذار من لا يؤمنون من الأمم وهذا كله تضمنه قوله تعالى فيها ــ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ــ فهذه الآية ملخص السورة فالآيات مذكورة فى عوالم السموات والأرض الموضحة فى أول السورة والنذر فى قصص الأمم كقوم

نوح وقوم فرعون وهكذا وهذا كله يشار اليــه بلفظ النذر أوّلهـا (ال) وآخرها (راء) وانما جاءت هــذه الاشارة وأظهرها الله فى هذا التفسير لأن المسلمين لايقرؤن إلا الأحكام الشرعيــة ولا يبالون بعوالم السموات والأرض ولا بتاريخ الأمم المحيطة بهــم فذكر (ال ر) فى أوّل السورة ليبين لهــم بعد اضمحلالهم أن الآيات المذكورة والنذر كلها أهمّ أسرار القرآن وأما الاكتفاء بالمذاهب الشائعة فى الاسلام فى الأحكام الشرعيــة فانما هوالغرور وهوالجهالة وهذا انذار من الله للمسلمين بل هو آخر انذار . وأما (ال ر) فى أوّل سورة هود فان هذه السورة جاء فيها ﴿ أمران ﴾ الأمر الأوّل تدبير الامور فى هذا العالم الذى جاء عاما لكل شئ فى قوله تعالى ــ وكان عرشه على المــاء ــ ومن له العرش هوالذى يدبر الأمر ومن ذلك آية آخذه بناصية كل دابة وهــذا السرّ قد سرى فى غضون قصص الأنبياء فى تلك السورة فارجع اليه هناك ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن فيها قصص الأنبياء كنوح مفصلة وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وموسى وختم ذلك بأن ــ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك ــ الخ

هذان هما الأمران اللذان تضمنتهما السورة ويجمعهــما آيتان فى آخرهــا وهما ــ ولله غيب السموات والأرض واليــه يرجع الأمر كله ــ الخ وقوله ــ وكلا نقص عليك من أنباء الرســل ما نثبت به فؤادك ــ فأنباء الرسل وذكر الأمم لتثبيت فؤاده ورجوع الأمر لله يستلزم العبادة والتوكل . إذن فى السورة تثبيت القلوب بالتاريخ ومعرفة العوالم العلوية والسفلية لحب الله ولعبادته والتوكل عليه وللأوّل الاشارة بذكر (الرسل) فيها (ال ر) متصلة وللثانى الاشارة بلفظ (الأمر) ولم يذكر فى أوّل هذه السورة (ال م ر) كما ذكره فى سورة الرعد فيما يأتى لأن هذه السورة ليست خاصة بالعوالم الالهية فحسب بل فيها ذكر الأمم ورسلهم لجمع بين الأمرين بما تقدّم وذكر (ال م ر) فى سورة الرعد التى هى حروف الأمر لأن المدار هناك على نظام العوالم وتدبير أمورها كما ستراه وهذا كله متروك عند الأمم الاسلامية الآن فلذلك ذكرنا بهذه الحروف اليوم وظهر فى هذا التفسير . وأما (الر) فى أوّل سورة يوسف فذلك لأن هــذه السورة اختصت بقصــة يوسف وقد جرى له ماجرى للأنبياء وهو العسر أوّلا واليسر آخرا كما تقدّم فى قصص الأنبياء فى سورة هود قبلها وهذا جاء فى قوله ــ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا الخ ــ وفى الرسل (الر) كما فى السورة قبلها . إذن يوسف لايضاح أحــد الأمرين فى هود فقط لا لهما معا إذ ليس فيها إلا قصص يوسف وفيه تبيان أن المصلحين فى آخر الأمر فائزون فاذن كل مصلح فى الاسلام أحسّ فى قلبــه بحب النفع العام ينبغى له أن يطرد اليأس فانه فى آخر أمره فائز لامحالة كما ان الرسل نصروا بعــد اليأس . فأما سورة الرعد فهى موضحة للقسم الثانى فى سورة هود وهو تدبير الأمر فى السموات والأرض الذى يلزم من العلم به التوكل على الله وعبادته وهاك تفصيله فى سورة الرعد التى جاء فى أوّلهـا (ال م ر)

اعلم أن سورة الرعد موجــه أكثر العناية فيها الى تدبير الأمر الذى ذكره بقوله ــ يدبر الأمر الخ ــ بعد ذكر العرش فالمقام مقام تدبير ونظام العالم مثل

(١) مدّ الأرض

(٢ و٣ و٤ و٥) وجعل الجبال فيها والأنهار والثمرات من كل زوجين بتدبير محكم

(٦) والليل والنهار

(٧) والقطع المتجاورات (٨) والحدائق

(٩) وان مافى الأرحام بمقدار

(١٠) والسر والجهر معلوم عنده

(١١) وخلق الحفظة للانسان (١٢) ونظام البرق (١٣) والسحاب (١٤) والرعد

(١٥) وسجود الظلال بنظام سير الشمس
(١٦) وانزال الماء فى الأودية كل بقدره
(١٧) والمحو والاثبات بمقدار

هذه مجامع النظام العام والتدبير المحكم . كل هذا رمز له بهذه الحروف وهى (ا ل م ر) وهذه مجموعة فى لفظ ــ الأمر ــ من ــ يدبر الأمر ــ والهمزة مكررة . فلخص السورة يرجع للفت المسلمين لمعرفة نظام ربهم فى هذه المذكورات وأنا أحمد الله إذ استبان فى هذا التفسير جل لفهم هذه المذكورات كتبتها وأنا أشهد الله على الأمم الاسلامية أنى قد فتح هــذا الباب على يدى وكل من قرأ هذا مسؤل عن هــذه الأسرار التى ظهرت فى هذا الزمان حتى يأخذ المسلمون حقهم فى هذه الحياة و يتبوؤن مكانتهم تحت الشمس

وأما (ا ل ر) فى سورة ابراهيم فقد قدّمت الكلام عليها فى غضون تفسيرها إذ استبان أن هذه السورة اتجهت العناية فيها الى التــذكير بأيام الله والتــذكير بأيام الله قد تقدّم موضحا بقدر الامكان هناك فى التفسير. وهناك قوله تعالى ــ ألم تر الى الذين بدّلوا نعــمة الله كفرا الخ ــ والألف واللام والراء قد جاءت على هــذا الترتيب مع الفصل فى سبع كلمات فى غضون الكلام على النعم مثل البحر والقمر والأنهار والنهار فكأنه قيل ليفكر المسلمون فى هذه النعم فان لم يعرفوها أصابتهم النار وحلّ بهم البوار وهذان اللفظان من تلك الألفاظ السبعة . ولقد جاء هناك ذكر البحر الميت الذى لم يعرف المسلمون النعم التى فيــه إلا فى زماننا فارجع اليه هناك أما (ا ل ر) فى هذه السورة فهو موجه الى لفظ ــ الذكر ــ فى قوله تعالى ــ إنا نحن نزلنا الذكر ــ وقوله ــ يا أيها الذى نزّل عليــه الذكر ــ (ا ل) فى أوّلها (والراء) فى آخرها وهــذه السورة فيها ذكر آدم والملائكة وابليس وابراهيم وضيفه ولوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر وكل ذلك ذكر وانذار فى لفظ النــذير التى فى أوّلها (ال) وآخرها (راء) إذن الذكر هنا لتوجيــه العقول الى الاعتبار بالأمم والانذار أن يصــيبنا ما أصابهم . إذن هذه السور الثلاث كل منها لثمرة خاصة وعلى المسلمين أن ينهجوا مناهجها فالرعد معرفة النظم العامّة ولابراهيم التذكير بأيام الله وأن يعرف كل قوم ماجاء فى تاريخهم وتاريخ من حولهم كما تقدّم هناك من علم وتاريخ وهنا فى هذه السورة حال أخرى فاذن يجب على أبناء العرب من سكان شمال أفريقيا والسودان ومصر وسوريا وفلسطين و بلاد العرب والعراق . وهكذا الفرس وأهل الهند وأبناء جزيرة جاوه وسومطره والجزائر حولهما وأبناء بلاد الملايو والترك . أقول على هؤلاء جميعا أن يقوم فيهم رجال يؤلفون كتبا جليلة ذات رسوم جغرافية وأخرى سياسية يذكرون فيها مامرّ ببلادهم من أوّل ظهور تاريخها مع ذكر ارتباطها بالأمم الأخرى اسلامية وغير اسلامية و يبينون ماحلّ بها من شقاء وما أوتيت من نعم ويحذرون أبناءهم مما وقع فيه آباؤهم فيقرؤه الشبان ويكونون حذرين ناظرين لمستقبل بلادهم . و بغير هذا لا يكون لأمم الاسلام وجود . هذا كله يؤخذ من سورة ابراهيم وذكر (الر) فى أوّلها ويؤلفون كتبا أخرى جميــلة نفيسة بهجة شيقة تفرح الشبان وتوقظ الوسنان يذكرون فيها بهجة الطبيعة وجمالها وحسنها و يعشقون الناس فيها ويخصون بالذكر أعجب مايرون وهذا اجابة لنداء الله تعالى فى سورة الرعد إذ يقول (المر) المشيرة لتدبير الأمر ويؤلفون كتبا أخرى فى التاريخ العام لبعض الأمم قديمها وحــديثها بشرط أن تؤثر فى العقول إجابة لقوله تعالى هنا فى سورة الحجر (الر) إذ ذلك من جهة ذكر ومن جهة انذار . وهذه الكتب الثلاثة لظهور بعض السرّ فى هذه الحروف التى خزنها الله فى القرآن للأجيال الحاضرة والمستقبلة ــ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم ــ . انتهى الكلام على (الر) فلنشرع فى تفسير كلمات السورة فنقول (تلك) أى ماتضمنته هــذه السورة من الآيات (آيات القرآن وكتاب مبين) أى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا أوفى كونه قرآنا (ربما) بالتخفيف والتشديد وما كافة وقوله (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم (ذرهم) أمر

للاهانة

للاهانة (الذكر) القرآن (لمجنون) يعنون النبي ﷺ (لوما) هلا (إلا بالحق) إلا تنزيلا ملتبسا بالحق (وما كانوا إذن منظرين) أى ولونزل لنا الملائكة ماكانوا منظرين إذن ولم يؤخر عذابهم (شيع الأولين) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا فى الفرق الأولين والشيعة الفرقة المتفقة على مذهب وطريقة (كذلك نسلكه) سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها (خلت سنة الأولين) مضت طريقهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا رسلهم (ولوفتحنا عليهم بابا من السماء) ولوأظهرنا لهم أوضح آية وهوفتح باب من السماء (يعرجون) يصعدون (سكرت أبصارنا) سدت أبصارنا أوغشيت أوسكرت من سكر الشراب ففسد نظرها مثل مايقع للرجل السكران (مسحورون) أى سحرنا محمد وعمل فينا سحره (بروجا) هى النجوم العظام ومنها نجوم البروج المعروفة فى علم الفلك التى هى (١٢) برجا (وزيناها) أى بالأشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين (رجيم) مرجوم فعيل بمعنى مفعول أوملعون مطرود من رحمة الله (إلا من استرق السمع) أى لكن من استرق السمع أى اختلس خلسة (فأتبعه شهاب مبين) أى يلحقه نجم مضيء حار متوقد (مددناها) بسطناها (رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها) فى الأرض . ومعلوم أن الجبال منها ففيها النبات أيضا كما تقدم فى سورة الرعد (موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه المصلحة (معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش (خزائنه) الخزائن تمثيل أى ومامن شئ ينتفع به العباد إلاونحن قادرون على إيجاده وتكوينه (وماننزله إلا بقدر معلوم) وقوله (لواقح) يعنى للشجر

* يقال لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فهى بمعنى ملقحات ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات (بخازنين) أى بحافظين فى الغدران والعيون والآبار (الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق وقوله (المستقدمين منكم والمستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر (الانسان) آدم (صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حمأ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمأ أى طين أسود متغير (مسنون) أى منتن أومصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منه تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر عليه صلصل ثم غير طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه (والجان) المراد به الجنس كما هو الأظهر فى الانسان أنه الجنس . واذا أريد آدم فى الثانى يراد أبا الجن فى الأول (من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام (واذ قال ربك) أى واذكر وقت قوله (سويته) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحى) لانفخ هناك وانما المعنى وجعلت فيه الروح وأحييته فهو للتمثيل (إلا ابليس) الاستثناء منقطع (أبى) امتنع وهو استئناف أى لكن ابليس أبى (مالك ألا تكون مع الساجدين) أى أى غرض لك فى أن لاتكون مع الساجدين (لم أكن لأسجد) اللام لام الجحود مؤكدة للنفى أن لايصح منى أن أسجد (فاخرج منها) من السماء أومن الجنة أومن جملة الملائكة (رجيم) مطرود ملعون واللعنة هى الطرد من الرحمة والابعاد عنها (بما أغويتنى) أى أقسم باغوائك إياى (لأزينن لهم) المعاصى (فى الأرض) فى الدنيا وهى دار الغرور (هذا صراط على مستقيم) هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته (لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) أى طبقات ينزلونها (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى لكل دركة قوم يسكنونها فيجزى الله أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار (إن المتقين) أى الذين اتقوا الكبائر (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أومسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهذه حال أخرى (من غل) حقد كامن فى القلب وطهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ووضع الله فى قلوبهم التواد والتحاب (إخوانا) حال (متقابلين) تدور بهم أسرتهم حيثما داروا فهم فى جميع أحوالهم متقابلون (لايمسهم فيها نصب)

حال من الضمير فى متقابلين النصب التعب (ونبئهم) أى ونبئ عبادى وأخبرأمتك ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها بسخط الله تعالى وانتقامه من المجرمين (ضيف ابراهيم) أضيافه وهوجبريل مع أحد عشرملكا والضيف للواحد وللجمع (سلاما) نسلم سلاما أوسلمنا سلاما (وجلون) خائفون (إنا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل (بغلام) هواسحق عليه السلام (عليم) اذا بلغ (على أن مسنى الكبر) تعجب من أن يولدله مع مس الكبر إياه (فبم تبشرون) فبأى أعجوبة تبشرون فان البشارة بما لايتصور وقوعه عادة بشارة بغيرشئ (بالحق) أى باليقين الذى لا لبس فيه (القانطين) الآيسين من ذلك (إلاالضالون) المخطؤن طريق المعرفة فلايعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته (فما خطبكم) فما شأنكم الذى أرسلتم لأجله سوى البشارة (الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (إلا آل لوط) أى أهل لوط المؤمنين والاستثناء منقطع (لمنجوهم أجمعين) مما يعذب به القوم (إلاامرأته) استثناء من آل لوط (الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم (منكرون) تنكركم نفسى وتنفرعنكم مخافة أن تطرقونى بشر (بما كانوا فيه يمترون) بما كانوا يشكون فيه وهو العذاب الذى توعدتهم به (بالحق) باليقين وهو عذابهم (لصادقون) فيما أخبرناك به (فأسر بأهلك) فاذهب بهم فى الليل (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل آخره (واتبع أدبارهم) وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولايلتفت منكم أحد) لينظرماوراءه فيرى من الهول مالايطيقه (حيث تؤمرون) حيث أمركم الله (وقضينا اليه ذلك الأمر) أى أوحينا الى لوط ذلك الأمر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه وهو مبهم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أى آخر قوم لوط مستأصل فى الصباح والمعنى أنهم يستأصلون من آخرهم فى ذلك الوقت (المدينة) مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط (يستبشرون) أى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور (قال) أى لوط لقومه (فلاتفضحون) يعنى فيهم * يقال فضحه اذا أظهر من أمره مايلزمه العار بسببه (واتقوا الله) خافوا الله فى أمرهم (ولاتخزون) ولاتخجلون (قالوا) أى قوم لوط (أولم ننهك عن العالمين) أى أولم ننهك أن تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد أن نركب منهم الفاحشة (بناتى) أى نساء قومه لأن الأنبياء آباء والأمة أبناؤه وبناته (فاعلين) ما أمرتكم به (لعمرك) وحياتك يامحمد * والعمر مدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته أى لعمرك قسمى (سكرتهم) حيرتهم وضلالهم وغفلتهم (يعمهون) يترددون متحيرين (الصيحة مشرقين) صيحة جبريل حال كونهم داخلين فى وقت الشروق وهو بزوغ الشمس (عاليها سافلها) عالى المدينة أوقراهم سافلها فصارت منقلبة عليهم (سجيل) طين متحجر (للمتوسمين) للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون بنظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء (وانها) أى المدينة أوالقرى (لبسبيل مقيم) طريق واضح معلم ليس بخفى ولازائل فآثار هذه القرى من عذابه وغضبه بطريق ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجازالى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (إن فى ذلك) أى ماذكرمن عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (لآية للمؤمنين) أى المصدقين (الأيكة) وهى الشجروتسمى الغيضة وأصحابها هم قوم شعيب (لظالمين) لمشركين (فانتقمنا منهم) فى الدنيا بالعذاب (وانهما) أى مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة (لبإمام مبين) طريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمى به الطريق واللوح ومطمرالبناء (أصحاب الحجر) يعنى ثمود كذبوا صالحا فكأنهم كذبوا الرسل كلهم لأن الدعوة واحدة والحجر واد بين المدينة والشام (آياتنا) آيات الكتاب المنزل على نبيهم ومعجزاته كالناقة وشربها ودرها ومانصبنا لهم من الأدلة (آمنين) أى من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد (وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق) إلا خلقا ملتبسا بالحق فليس يناسب استمرار الفساد فلذلك أهلكنا أمثال هؤلاء (وأن الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها ممن كذبك يامحمد

فاصفح

(فاصفح الصفح الجميل) فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء (هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم و بيده أمركم جميعا (العليم) بحالك وحالهم (سبعا من المثانى) سبع آيات وهى الفاتحة التى تثنى وتكرر فى كل صلاة أو يثنى على الله فيها وهى جمع مثناة أومثنية (والقرآن العظيم) من عطف الكل على الجزء أى أكرمناك بالفاتحة و بالقرآن كله (لاتمدن عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (أزواجا) أصنافا من الكفار كالمشركين واليهود والنصارى والمجوس فأنت أوتيت النعمة العظمى وهى الفاتحة والقرآن فكل نعمة فى جنبها صغيرة (ولاتحزن عليهم) أى ولاتحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام والمسلمون وقوله (واخفض جناحك للمؤمنين) تواضع لهم وارفق بهم (أنا النذيرالمبين) أنذركم ببيان و برهان أن عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المقتسمين) أى مثل العذاب الذى أنزلنا على الاثنى عشرالذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضا الشاة اذا جعلها أعضاء أى قالوا فى القرآن أقاويل مختلفة لمن يلاقونه من القادمين الى الموسم فبعضهم يقول هو شعر و بعضهم كهانة و بعضهم أساطير الأولين و بعضهم كذب يختلقه من تلقاء نفسه (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أى فاجهر بما تؤمر به (وأعرض عن المشركين) فلاتلتفت الى مايقولون (إنا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم وأهمهم خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبدالمطلب وهم كانوا يبالغون فى إيذائه ﷺ والاستهزاء به فمات الوليد بأهون سبب إذ مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فتكبر أن يبعده عن ثوبه فأصاب عرقا فى عقبه فمات ومات العاص بشوكة فى أخمص قدمه وأصاب عدى بن قيس مرض فى أنفه فامتخط قيحا فمات وأصيب الاسود بن عبد يغوث بداء وهوقاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة و يضرب وجهه بالشوك حتى مات وعمى الأسود ابن عبد المطلب (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم فى الدارين (بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك (الساجدين) من المصلين * وكان ﷺ اذا أهمه أمر بادرالى الصلاة (اليقين) الموت فانه موقن به لايشك فيه أحد فهو مأمور بعبادة ربه فى جميع اوقاته مدة حياته حتى يأتيه الموت . انتهى تفسير الكلمات

التفسير

وهو ينقسم الى قسمين ﴿الأول﴾ فى بدء الخلق ومقدماته من أولها الى قوله ـ وماهم منها بمخرجين ـ ﴿القسم الثانى﴾ فى القصص ونتائج مافى السورة والارشاد والانذار وتسليته ﷺ من قوله ـ نبئ عبادى ـ الى آخر السورة

﴿القسم الأول﴾

كأن الله يقول مافى هذه السورة من الآيات آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى ـ ربما يود الذين كفروا الخ ـ قد يتمنى الذين كفروا لو أنهم كانوا مسلمين حينما يعاينون نعم الله تترى على المسلمين فى الدارالدنيا وقد نصرهم الله وخذل الكافرين وعند معاينة العذاب وقت الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون وفى الموقف حينما يرون هول العذاب وانصرف المسلمون الى الجنة وسيقوا هم الى النار وفى جهنم والمسلمون المذنبون معهم قد عذبوا بذنوبهم ثم يخرجون منها و يبقى الكافرون فى جهنم . فى هذه الأحوال الأربعة ربما ودوا أن يكونوا مسلمين وهذا التعبير بالتقليل على مذهب العرب فى قولهم ستندم على فعلك وليسوا يقصدون التقليل ولكن أرادوا لوكان الندم مشكوكا فيه أوقليلا لحق عليك أن لاتفعل هذا الفعل لأن العاقل يتحرز من التعرض للشر المظنون كما يتحرز من المتيقن

ومن القليل كما يتحرز من الكثير فهؤلاء يا محمد قوم غافلون ذرهـم فى غفلاتهـم يأكلون كما تأكل الأنعام ويتمتعون بلذات الدنيا وشهواتها وتلهيهم الآمال عن الآجال فيقول الرجل غدا أنال الثروة وأحظى بما أشتهى ويلوذ كرى ويكثر ولدى وأبنى القصور وأكثر الدور وأقهر الأعداء ويزول الداء وأفاخر الأنداد ويكثر العدد والمدد والكراع والسلاح وهو غارق فى بحار الأمانى ولجج الخيال يطلب المحال ويرقب السراب وما مثلهم إلا كما قال طرفة

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد
متى مايشا يوما يقده لحتفه * ومن كان فى حبل المنية ينقد

الطول بكسر ففتح كعنب الحبل فهؤلاء فى حبلنا مأسورون وفى قبضتنا مقهورون فتى شئنا جلبناهم وفى الأموات سلكناهم فسوف يعلمون ولوشئنا لعجلنا العذاب فآبوا بالتباب ولكن لكل أجل كتاب فكل قرية لها كتاب معلوم فشاننا الامهال لا الاهمال وسدل الأستار على هؤلاء الكفار فغرّهم ذلك الامهال وأخذوا يناضلون عبدنا ويستهزؤن بنبينا وقالوا يا أيها الذى نزّل عليه الذكر إن ماتقوله أملاه عليك الجنون فليس له معنى معقول وأنه مخالف لآرائنا بعيد عن معتقداتنا فكيف نقبل مالاتقبله العقول ولاترضاه الفحول من رجالاتنا الفخام وعشائرنا العظام وان كان ماتدّعيه حقا مقبولا وقد أيدك الله وأرسلك فامنعك أن تسأله أن ينزل معك ملائكة من السماء يشهدون بنبوّتك فمن يخالف آراءنا إما مجنون واما له سلطان عظيم من ربه فيقوّيه بالملائكة . حينئذ أجاب الله أن الملائكة لاينزلون إلا بالحق أى إلا بالحكمة وليس فى حضور الملائكة من السماء تشاهدونها لكم فائدة تفيدكم لأنكم اذا رأيتموهم قلتم انهم بشر لأنكم لاتطيقون رؤية الملائكة إلا على الصورة البشرية وكيف تشاهدون ما لا يكون من عالمكم ومتى قالوا نحن ملائكة كذبتموهم لأنهم على صورتكم واذا أرسلناهم لغير ذلك فليكن لهلاككم فأى حكمة فى زيادة الالباس فى الأوّل وتعجيل الهلاك لكم فى الثانى . ولوأنا أنزلناهم لهلاككم ماتأخر العذاب عنكم ساعة ـ إنا نحن نزّلنا الذكر الخ ـ انما أنتم قوم مكذّبون ضالون مستهزؤن بنبينا فليس استهزاؤكم بضارّه لأنا نحن نزّلنا القرآن ونحن حافظوه فقولوا إنه مجنون ونقول إنا نحفظ الكتاب الذى أنزلناه عليه من الزيادة والنقص والتغيير والتبديل والتحريف والمعارضة وابطاله وافساده وسنقيض له علماء فى الأجيال المقبلة يتولون حفظه ويذبون عنه ويدعون الناس اليه وسيخرجون للناس ماكمن فيه من العلوم ليناسب العصر الذى هم فيه ليقبل عليه المشوّرون ويقرأه الجهلاء والمتعلمون فما قيمة نسبتكم إياه للجنون فلاتبتئس يا محمد بما يقولون . ولئن بشرناك بحفظ القرآن فى سائر الأزمان والامم والأجيال لنقصنّ عليك نبأ الأمم السالفة فلقد أصاب أنبياءهم ما أصابك به قومك فاستهزؤا بهم كما استهزأ قومك بك فنصرنا الأنبياء وكبتنا الأعداء . هكذا نفعل باللاحقين كما فعلنا بالسابقين ويستهزئ بك المجرمون ثم ننصرك عليهم اقتفاء لسنتنا واتباعا لطريقتنا فهؤلاء لايؤمنون وسيحلّ بهم ماحلّ بالأوّلين وننصرك بعد حين ـ ولوفتحنا عليهم الخ ـ . وكيف يقترح هؤلاء عليك الآيات ويغرمون بما يخرق العادات من ملائكة يرونها وعجائب ينتظرونها وهل تغنى الآيات ومافائدة تلك المعجزات وهل هم بذلك يؤمنون وهل النوع الانسانى يكفيه مايبهر الألباب ويخالف العادات . كلا ثم كلا وأىّ مناسبة بين الخوارق والعلوم . إن الناس لم يخلقوا فى الأرض سدى . إنهم خلقوا ليعلموا وأىّ علم فى تلك المقترحات لا لا فكم من نبىّ أيدناه بتلك الآيات فلم يؤمن قومه إلا قليلا وما الآيات إلا ماتفهمه العقول وتفحصه درسا وتنقيحا . أما مايشتبه على الناس بأفعال السحرة والمشعوذين فذلك موقع للبس . فالعامة وان كانت تبهرهم تلك الخوارق فايمانهم طائح وأمرهم ضائع وليس للناس إلا التفكير فى عجائب الأرض والسموات . فهب أنا فتحنا عليهم من السماء بابا وقلنا اعرجوا فيه وعرجوا أفواجا أفلايقولون فى أنفسهم

ويقول

ويقول بعضهم لبعض — انما نحن قوم مسحورون — فلعل محمدا سحرنا كما يفعل علماء السيمياء إذ يفعلون أفعالا تخيل للانسان أنه طائر وليس بطائر وكما يفعل علماء التنويم المغناطيسي في هذه الأيام فلقد رأيناه بأعيننا . وأن المنوّم يقول للمنوّم (بفتح الواو) أنت ملك أنت امرأة أنت راقص أنت كذا أنت كذا فنراه يفعل ويصدق كل ماقيل له والنوع البشرى فى كل جيل فيه من لهم قدرة على استهواء العقول فيتخيل الانسان مالا حقيقة له وهذا أصبح فى هذه الأيام علما يدرس ويقال فى المراسح العامّة وهو فى أوروبا وأمريكا وقد جاء الى مصر فكيف يكون مثل ذلك صالحا للدليل أوموجبا للتصديق . كلا فأمثال هذا لايقوم بهداية نوع الانسان . واذا كان موسى وعيسى اتبعهم قومهم فلأنهم رأوا بعد ذلك آيات البصائر وحكمة التشريع ولو وقف الحدّ عند العجائب المذكورة لم تستقم الديانات ولم تثبت عليها الجماعات فثبت من هذا أن أمثال ذلك لاتقوم به أمّة ولاتحيا به سنة

﴿ فصل فى قوله — ولقد جعلنا فى السماء بروجا — الخ ﴾

وانما الذى تقوم به الجماعات وتثبت به الأمم النظر الصحيح والفكر الحق . وكيف يريدون ماهو خارج عن عاداتهم ونحن جعلنا فى السماء النجوم الباهرة والبروج العالية والشموس الساطعة والأقمار النيرة والسيارات الدائرة والثوابت السامية وهم عن آياتها معرضون . وكيف يعرضون عما زيناه ويذرون ما نظمناه ويطلبون مالانفع فيه من المقترحات . فهلا نظروا فى الكواكب وحسابها ونظامها ومداراتها وكيف كانت بها الفصول والسنون وكيف كان ذلك بمقادير محدودة وأوقات معلومة لاتبديل ولا تغيير . بأمثال هذا يكون اليقين وبه يكون الدين . وهذه العوالم الجميلة وآياتها البديعة التى زيناها فهى بهجة الناظرين وسعادة المفكرين . يراها البارّ والفاجر والبادى والحاضر ولكن ما كل مكشوف القناع ينال ولا كل مارآه المرء بعينه له يحتال . كلا فالحسان يراهنّ الناظرون ولاينال وصلهنّ إلا المقرّبون فالسماء وان كانت مبذولة لكل ناظر معروضة لكل حىّ فهى محجوبة المعانى عن الغافلين — وانها لكبيرة إلا على الخاشعين — إن العامّة والجهلاء من كل أمّة لايؤمنون إلا بما يروعهم ولايخضعون إلا لما يدهشهم . أما العقول فهم عنها نازحون . وكما لايخضع الجهال إلا للسيف والعصا والنبل وللملوك القاهرين والحكام المسيطرين . هكذا لايفرحون من العلم إلا بما كان غريبا بعيدا خارقا للعادات وماهو إلا كبرق من خلب ثم يزول الأثر ويرجعون كما كانوا كافرين كمثل أولئك الذين يتبعون الشيوخ الناقصين فى الأمة الاسلامية إذ يخبرونهم بالعجائب ويرونهم أنهم أصحاب خرق العادات ثم لايلبثون أن يروهم كاذبين فيزول الأثر ويعظم الخطر فالناس فى العلم ونوع الحكومات على طريقة واحدة . واذا كانت الحكومات مستبدّة والهيئة العلمية نازحة عن المقصود الى غيره دالت دولة الأمم ولم يكن لأهلها همم . فلو أن دين الاسلام بنى على أمثال ذلك لم يخرج فيه قادة حكماء ولا علماء عظماء بل كان يسود فيه الماكرون ويغلب أهله الدجالون وهؤلاء يسودون فى كل أمّة غلب جهلها وغفل اهلها ونام عقلاؤها وذهبت ريحها وغاب مجدها وسعدها . فهل أمثال هؤلاء الدجالين ومن تبعهم من العامّة أهل أن نكشف لهم عن عجائب السموات أو أن نريهم مالدينا من حساب واتقان . كلا فلقد حفظناها منهم ومنعناها عنهم شأن الذليل لا يكترث بما قرب اليه ولايسعى إلا لما منع عنه وهذه السماء مزينة لمن له عقل به يفكر وذهن به يتدبر فنحن طردنا هؤلاء أن يلجوا أقطار السماء بالرأى والعقل فلقد حفظناها من كل شيطان رجيم من شياطين الانسان وشياطين الجنّ فان الأرواح التى فارقت العوالم الجسمية اذا كانت فى برازخها لم تترك آراءها ولم تبعد عن اعتقاداتها فهؤلاء وهؤلاء محبوسون فى فهم مالايفيد وهم عن آيات السماء معرضون

﴿ تحقيق فى قوله تعالى — إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين — ﴾

اعلم أن الناس ﴿ أقسام ثلاثة ﴾ قوم هم المفكرون وهؤلاء هم الذين يدركون سرّ هـذا الوجود على قدر الطاقة البشرية . وقوم هـم الجاهلون فلا يدركون له سرّا إلا ما تمليه عليهم قواهـم الحسية من الملاذ والمطاعم . وقوم بين هؤلاء وهؤلاء وهم الذين يتطلعون الى ماوراء الحسّ بأن يسلكوا طريق الرياضة والجوع أياما وشهورا ويدخلون الخلوة أوبأن يحضروا الأرواح بالطرق الستة التى ذكرناها فى كتاب الأرواح وإما بطرق أخرى غير ذلك وهى كثيرة وهذه الطائفة بأنواعها لايخلو أصحابها من أحد خصلتين إما أن يريدوا خلوص النفس حقا واما أن يريدوا الاستعلاء على الناس للشهوات الدنيوية فان أرادوا بذلك ارتقاء عقولهم وخلوص نفوسهم ومعرفة الحقائق فهم قد يصلون على مقدار هممهم بشرائط مخصوصة . وان أرادوا بالذكر والخلوة أو استحضار الأرواح الامور الدنيوية والحياة الفانية . كأن أرادوا الاستحواذ على الناس والعلوّ عليهم لينالوا نصيبا من مالهم فهؤلاء يذوقون الكمال ولايسمع مستحضر الأرواح منهم إلا أضاليل وأكاذيب كما هو واضح فى الكتاب المذكور وتجيء لتلك النفوس أرواح وعلى قـدر هممهم من الأرواح البرزخيـة فتلقى اليهم الأوهام والأكاذيب . أما أصحاب الهمم العالية الذين قصدوا ارتقاء نفوسهم فانها توافيهم الأرواح العالية وتلقى اليهم مايناسب حالهم وهكذا المصفون نفوسهم بالصيام والذين يجلسون فى الخلوة بشروطها فهؤلاء ان صحت عزائمهم يلقى اليهم فى أنفسهم مايرقى نفوسهم . ومع ذلك كل هذا يحتاج الى التفكر والتعقل

فهذه هى الخطفات التى يخطفها الناس من عالم الأرواح والعالم الأعلى الذى هو غير عالم الحسّ . فخطفة تعطينا علما وخطفة تكون سببا للضلال لأنها من شياطين مناسبين لمن كلموهم . فقوله تعالى فى سورة أخرى — إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب — ذلك فى القسم الثالث فان كانوا من المخلصين فالشهاب الثاقب يعطيهم نورا وعلما وان كانوا يريدون الحياة الدنيا كان لهم عذابا فانهم اذا تمادوا فى ذلك ذلوا فى الدنيا وخاب فألهم لأنهم وضعوا الشئ فى غير موضعه . واعلم أن هذا مشاهد معروف ولكن الناس عنه غافلون

واذا عممنا القول فلنقل ان العلوم التى عرفها الناس قديما وحديثا تراد ﴿ لأمرين ﴾ معرفة الحقائق لا كمال العقول ونظام المعايش والصناعات لتربية الأجسام والى الاولى الاشارة بقوله تعالى — ولقد جعلنا فى السماء بروجا — والى الثانى بقوله — وجعلنا لكم فيها معايش — الخ هذان هما المقصودان من العلوم فكل من خالف هاتين القاعدتين فهو على إحدى ﴿حالين﴾ إما أن يريد ابتزاز المال من الامة بالاستعلاء بلافائدة واما أن يريد الذكر والصيت والشهرة لذاتها واعتقاد الناس فيـه وذكر التاريخ له وكلاهما لانفع فى علمه ولافضـل له فمن أكثر الذكر لهذه المقاصد أودخل الخلوة لأجلها أوقرأ العلوم ولم ينفع الأمة وهو عالة عليها فهؤلاء داخلون فى نوع الشيطان الرجيم فمن يخبر ببعض مافى نفوس الناس من الافكار بما يسمى الكشف والذين يقرؤن العلوم لغاية الشهرة كل هؤلاء مرجومون مبعدون عن ادراك حقائق الكائنات وبعضهم يعذب فى الدنيا بالذلة والاهانة والمرض وغير ذلك وهذه الآية كآية الصافات — إنا زينا السماء بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لايسمعون الى الملأ الأعلى — فلايعرفون حقائق الأشياء — ويقذفون من كل جانب دحورا — بما ركب فيهم من الشهوات وما ابتلوا به من العادات وما أحاط بهم فى هذه الدنيا من أنواع البلايا فى المال والولد والأهل والأصحاب والأقران وذلك كله بتدبير الله فى العالم العلوى المشرف على الأرض المخرج النبات بنور الشمس والقمر والكواكب والحرارة المنبعثة من تلك العلويات فهذه نجم منها هذه العوالم الأرضية فكانت سببا لدحرهم وغمهم وهمهم وهم فى كرب من الحياة وأثقالها وكيف يفرون من عذاب الحياة بالمال والولد والأعـداء إلا بأن تكون نفوسهم راغبـة فى الحقائق لذاتها فيتسلون بذلك عما يصيبهم ويرضون بما قدّر لهم ولكن هؤلاء غارقون فى بحار الآمال فتنتابهم الآلام وهم يتخبطون وفى ديجور

الظلام

الظلام حائرون وفى حالك الدهر عاشون . هذا قوله تعالى ـ ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ـ كما قدمنا فاما أن يكون الشهاب لهداه واما أن يكون لرداه . وظاهر الآية يشير للثانى . ذلك هو شأن من علـى الأرض فاما مهديون هادون واما أشقياء معذبون والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اهـ

﴿ تنبيه فى تفسير الآية السابقة المناسبة لما نحن فيه وهى من سورة الصافات ﴾

قال تعالى ـ إنا زينا السماء الدنيا ـ أى القربى منكم ـ بزينة الكواكب ـ بالاضافة أو بالتنوين مع جعل الكواكب بدلا ـ وحفظا ـ أى وحفظناها حفظا ـ من كل شيطان مارد ـ خارج عن الطاعة برمى الشهب ثم استأنف فقال ـ لايسمعون إلى الملأ الأعلى ـ وهو من التسمع وهو طلب السماع . والملأ الأعلى الملائكة أوأشرافهم ـ ويقذفون ـ ويرمون ـ من كل جانب ـ من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده ـ دحورا ـ أى للدحور ـ ولهم عذاب ـ أى عذاب آخر ـ واصب ـ دائم أوشديد وهو عذاب الآخرة ـ إلا من خطف الخطفة ـ استثناء من واو يسمعون أى اختلس من كلام الملائكة مسارقة ـ فأتبعه شهاب ـ أى تبعه شهاب وهو مايرى كأن كوكبا انقض ـ ثاقب ـ مضىء كأنه يثقب الجو بضوئه

(١) فاذا سمعت هذه الآية الشريفة

(٢) أوسمعت آية ـ تبارك الذى بيده الملك ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ـ بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ـ وجعلناها رجوما للشياطين ـ أى شياطين الجن أوجعلناها ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون أو بسببها يتكون على الأرض مابه عذابهم النفسى ـ وأعتدنا لهم عذاب السعير ـ فى الآخرة بعد احراقهم بالشهب

وإذا سمعت حديث البخارى أن النبى ﷺ قال ﴿ اذا قضى الله أمرا فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ﴾ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أوالكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قدقال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

فاذا سمعت هذه الآيات وهذا الحديث وأمثاله فاعلم أن ذلك داخل فيما حققناه أن الأرواح فى البرزخ تحن الى أرواح بنى آدم ومتى كانت متشاكلة و بينها مناسبة وأمكن الالقاء والتفاهم بالطرق المعروفة إما باحضار الأرواح واما بالجوع واما بأشياء أخرى كبعض الأسماء وتلاقت روح الحى وروح الشيطان أو بعض الأرواح فى البرزخ وسألت الحية الروح الميتة عن أمر فان الروح البرزخية تخبرها بالحق و بالباطل لأنها من الملأ الذى يسمى أعلى فقوله تعالى ـ لايسمعون الى الملأ الأعلى ـ ظاهر واضح كما هو مقرر فى علم الأرواح ولكنهم يسمعون الى الملأ الأدنى وهم ممنوعون عن العالم الأعلى كما يمنع السمك فى الدنيا أن يجرى على وجه الأرض وكما منع الحصان والجمل أن يطيرا فى الهواء . فهكذا هذه الأرواح الميتة وهى منحطة المنزلة لاتستطيع الصعود الى أعلى من منازلها و باتصالها بالأرواح الحية تلقى اليها ماعن لها حقا أو باطلا وقد ثبت فى علم الأرواح أن هذه الطبقة تتلمس المعارف الضئيلة بطرق تعرفها ولاتنال إلا ماينا سبها ولها هناك عقاب على بعض ماتلقيه الى اخوانها من الانس كما قال تعالى ـ يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض و بلغنا أجلنا الذى أجلت لنا الخ ـ

﴿ لطيفة فى أن القرآن أقرب للعلم الحديث جدًّا من العلم القديم و به وحده تعرف معجزاته ﴾

اعلم أن القدماء من حكماء الاسلام الذين نقلوا الفلسفة عن اليونان كانوا قرّروا أن هذه الشهب التي تنزل من السماء فى ليال مختلفة ليست من كواكب السماء وإنما هى دخان خارج من الأرض ارتقى الى الطبقات العليا فى الجوّ ثم قرب من كرة النار فاحترق وضربوا لذلك الأمثال كما سيأتى واضطروا لهذا الرأى لأن السماء عندهم لايمكن التئامها ولا خرقها فهى دائمة أبد الآباد ودهر الداهرين فكانوا مضطرين حين يسمعون مثل هذه الآيات أن يقولوا هذه ظنون كما فعل الامام البيضاوى . وقد أظهر العلم الحديث بطلان هذا الرأى وأصبح العلماء فى أوروبا يرون أن الشهب انما هى قطع كوكبية سماوية كما سيأتى شرحه وليس للأرض فيها من سبيل فانظر كيف ظهر أن لفظ القرآن جاء بالحقيقة وكان الملاسفة يرون أنه مستحيل فاذن لم يبق إلا مسألة حرق الشياطين فاذا قال البيضاوى انه رجوم للمنجمين وقلنا نحن ورجوم لمن نحا نحوهم من كل من سار على هذا السرب فذلك للفرار من أن الشيطان يحترق بالكوكب . ولكن لانقدر أن نجزم بامتناع هذا بل نقول اذا كان آباؤنا وحكماؤنا كبر عليهم أن يخالف القرآن علم الفلك فى زمانهم ولم يرض المفسرون منهم أن يبقوا على مذاهبهم الفلسفية بل مشوا مع القرآن ثم ظهر بطلان المذهب القديم فهل هناك من مانع يمنع أن تكون الكواكب محرقة أومخبلة أومؤذية لتلك الأرواح . ذلك نسلم به حتى ننظر المستقبل

﴿ تحقيق الكلام على الشهب عند القدماء وعلماء أوروبا فى علم الآثار العلوية من علم الحكمة ﴾

(نقلا من كتابى فى علم الفلسفة العربية)

الشهب جمع شهاب وهو مايرى كأنه كوكب انقضّ والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية ومعناه الرمح القصير ويطلق على الشهاب تشبيها * ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لأنه يثقب الظلام

إن مايرى فى الليالى قد انقضّ من السماء ليس كوكبا وانما هى أجسام صغيرة لاتزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الأجسام كثيرة جدًّا ومنها مجموعة تسمى الاسدية وهى تتمّ دورتها حول الشمس فى شكل اهليلجى فى ٣٣ سنة ولايحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٫٠٠٠ ميل أو أكثر والأرض لاتخترق فى سيرها هذه الاسديات إلا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة (١٨٦٦) وفى كل مرة تضيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أوالنيازك مما ينزل على سطحها . وما النورالذى ينزل من تلك الشهب إلا من سرعتها واحتكاكها بمادّة الجوّ كما يقدح الزناد وهى أكثر سقوطا فى ليال معلومة فهى تزيد فى (١٠) أغسطس و١٣ نوفمبر وتقلّ فى (٢٠) ابريل و٢٧ نوفمبر و١٨ اكتوبر و٦ و٩ و١٣ ديسمبر . ويقال ان عدد الشهب التى نراها نحو ١٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

﴿ الكرات النارية ﴾

هى أيضا أجسام مضيئة تظهر وتختفى مسرعة كالشهب لكنها أبطأ منها وتتمزق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقعة وقد يكون منها اهتزازات ومايقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوّية ويدخل فى تركيبها الحديد والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من (٨) كيلومتر الى ٦٠ و١٠٠ و٢٠٠ كيلومترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها . ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادّة قطعها صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فتسقط على الأرض وتشتعل فى الجوّ على هيئة شهب وتسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوّية .

فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين أن الأوّلين يزعمون أن تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضى قابل النار فاحترق وعلماء العصر الحاضر يقولون سلمنا بالاحتراق من الاحتكاك لامن كرة الاثير فنحن لانقربها ولكن لانسلم أن المحترق هو البخار بل هو أجسام صغيرة دائرة حول الشمس

تخطفها

تتخطفها أرضنا كأنه تتغذى بها بعد أن تطبخها فى جوّها بالحرارة ثم تزدردها كما نزدرد نحن الحيوانات وهذه الإجسام الصغيرة الدائرة حول الشمس تسقط على الأرض دائما ولكن لها أيام خاصة يكثر سقوطها فيها الى آخر ماتقدم وهذا آخر الكلام فى تفسير آية — ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها — الى قوله — فأتبعه شهاب مبين —

﴿ الكلام على تفسير — والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى الخ — ﴾

بعد أن وصف الله بهجة السماء وزينتها وأنها ازينت للناظرين المفكرين واحتجبت عن الغافلين أخذ يشرح جمال الأرض وبهجتها فذكر كيف مدها وثبت فيها جبالها وأنبت فيها من كل نبات موزون فعناصره موزونة وأغصانه وأوراقه وأزهاره وأثماره ألاترى الى ما ذكرناه فى سورة البقرة من أن كل نبات قد وزنت عناصره وقدّرت تقديرا . ولقد ذكرت لك هناك أن الذرة مثلا فيها البوتاسا الداخلة فى الحب الذى نأكله ٣٢ فى المائة وهى داخلة فى الفول بنسبة ٤٢ ونصف فى المائة وفى القصب ٣٤٫٣٠ فى المائة وهى فى البطاطس ٦١٫٥ فى المائة وفى البرسيم ٣٤٫٢٦ فى المائة . هذا عنصر واحد دخل فى البرسيم وفى البطاطس وفى القصب وفى الذرة وفى الفول فكان متراوحا مابين ٣٢ و٦١ وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرا والبرسيم لأن يكون قوت البهائم والفول لأن يكون مشتركا والبطاطس لأن نأكله والذرة لأن نقتات بها ولواختلفت تلك المقادير لاختل البرسيم والذرة والقصب الخ فهذا اختلاف جزء واحد من الأجزاء الداخلة فى تراكيب هذه النباتات وهى البوتاسا والصودا والجير والمغنيسيا وحمض الفوسفوريك وحمض الكبريتيك والسلكا والكلور فهذه الأجزاء داخلة فى هذه النباتات بنسب مختلفة والنبات المركب منها يمتص بعروقه من الأرض الأغذية المناسبة لها

﴿ الجذور وامتصاصها ﴾

تأمل رعاك الله . تأمل وقل لى كيف يستخرج النبات غذاءه من الأرض . إنه لايمتصه إلا بعروقه الضاربة فيها . يمصه ويرفعه الى الساق والأغصان والأوراق والأزهار . كل ذلك بعد الامتصاص . فياليت شعرى ما الذى جعل هذا برسيما وهذا قمحا وهذا بطيخا . أليست الأرض واحدة والنبات يمتص فلماذا دخل فى الذرة من البوتاسا مثلا مالم يدخل البرسيم وما الذى وزن تلك المقادير التى رأيتها حتى أخذها النبات ولم يزد عليها ولم ينقص وأين الميزان وكيف كان الوزن . ياعجبا ما الذى حدّد المقادير وجعل لكل نبات مقدارا ولماذا لم تخطئ الجذور الضاربة فى الأرض . ولماذا نجد جميع الجذور تأخذ بمقدار محدّد نوع البوتاسا مثلا فنرى أنها فى حب الذرة ٣٢ فى المائة ﴿ الجواب ﴾ أن الذى حدّد ذلك هو تلك الفتحات الشعرية التى فى ظواهر الجذور . وكما أن للانسان مسام يتنفس بها هكذا للزرع ثقوب دقيقة بها تمتص تلك الاصول من الأرض وههنا محل العجب فنقول بأى وضع صنعت تلك الثقوب . إن أنواع النبات تقدر بما يزيد عن مائتى ألف نوع ولكل نوع أصناف فكيف اختلفت تلك الثقوب اختلافا دقيقا حتى ان ثقوب كل نبات لاتسع إلا المقدار اللازم لها من العناصر وتطرد سواه لأنه لايلائمها وهذا محل العجب أن يكون ثقوب النبات وفتحاته كوّنت على هيئة بحيث لاتبتلع ولاتسع إلا تلك المقادير بعينها . ذلك هو العجب ومن هذه المسألة الجزئية تفهم قوله تعالى — وأنبتنا فيها من كل شئ موزون —

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — وأنبتنا فيها من كل شئ موزون — ﴾

هذه الآية بديعة من بدائع القرآن ومعجزة من معجزات العلم وحكمة باهرة وعجيبة ظاهرة

إن هذا التفسير قد تجلى فيه نظام هذا العالم وأصبح الوزن والميزان والحساب وحسن النسق من أخص أوصاف هذه الدنيا وهذا الوجود فى كتاب الله تعالى . وحسبك ماتقرؤه فى سورة الرحمن من قوله تعالى

ـ ووضع الميزان ان لاتطغوا فى الميزان ـ وزن الله الكواكب فى سيرها وفى وضعها وفى حركاتها وفى أضوائها ووزن العناصر بمقادير مع مناسبة بعضها لبعض كانها صفوف منظمة كما ستراه فى سورة العنكبوت . وهاهوذا يقول هنا ـ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ـ

اللهم إنك أنت الذى أنزلت الكتاب وأنت الذى نظمت وأحكمت ودبرت هذه الدنيا وأنت القائل فى المعنى ان كل شئ موزون وأنت القائل ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ وهـذا النبات الموزون مما فى السموات والأرض ولقد خصصته بالبيان لتنير لنا الطريق التى نسلكها حتى نعرف نهج ميزانك فى العوالم من نظام النبات وأوراقه وأزهاره وثماره . إنّ الله أنزل القرآن وجعل فيه جمال البلاغة وحسن الالقاء كما خلق الحدائق والجنات فى الدنيا وجعـل فيها الفواكه الحسنة اللذيذة للآكلين . فههنا لذة الذوق للآكلين وهناك لذّة السمع للسامعين . وما أجهـل الانسان اذا وقف عند لذّة السمع أواكتفى بحاسة الذوق . إن لذة القراءة بلاغة أوحسن إلقاء يجتزئ بها الغافلون والوقوف عند لذة الفاكهة والجهل بحقائقها شأن العاجزين والله يقول فى الأوّلين ـ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ـ كما يقول ـ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ ـ ويقول فى الآخرين ـ ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ـ

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صديق ذكىّ صالح فقرأ ماسطرته الآن فقال

(س) نحن نعرف أن النبات خلق الله وهو حسن ومنظم وماذا نبتغى فوق ذلك

(ج) ليس يغنى هذا . واذا سمع الناس قوله تعالى ـ أقيموا الصلاة ـ فهل يكفى فى ذلك أن يكرروا اللفظ وهم لايصلون . أم الصلاة شئ ولفظها شئ آخر ولفظ الصلاة يدل على أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم . إذن ليس يكفى فى هذا المقام أن يقرأ القارئ ـ وان من شئ إلا عندنا خزائنه ومانزله إلا بقدر معلوم ـ ولا أن يردّدها بصوت حسن ولا أن يعرف أن موزون فى الصرف اسم مفعول وفى النحو صفة لشئ ولا أن يعرف أن فى الآية من البلاغة حسن الانسجام وموافقة اللفظ للمعنى وما أشبه ذلك كما لم يكف أمثال ذلك فى قوله ـ أقيموا الصلاة ـ ولافرق بين قارئ القرآن العارف بتلك العلوم المطبق لها على القرآن من بلاغة وصرف ونحوو بين آكل التفاح المتلذذبه . كلاهما واقف عند الظواهر جاهل بالبواطن

(س) ماهى هذه البواطن التى نسمع الصوفية يكرّرونها كثيرا فلعلّ هذا من تعبير الصوفية الذى يذكرونه ولايدرى الناس مامغزاه

(ج) كلا اننى اليوم أريد أن أقرّر حقيقة عجيبة ظهرت فى القرآن فى هذه الآية وهى أن كل نبات لاينبت ورقه على أغصانه إلا بنظام حسابى أوشكل هندسى وأكثر الناس يأكلون ولايحسبون ويقرؤن القرآن وهم لايعقلون

(س) صف لى هذا الحساب وصف لى هذه الهندسة

(ج) قبل أن أدخل معك فى هذا الموضوع أحدثك حديثا عن نفسى أيام الشباب وأنا منقطع عن الأزهر وأتوق الى الرجوع اليه أيام كنت أشكّ فى أمر هذا الوجود ﴿ ذلك ﴾ اننى كنت أجلس على شاطئ نهر أبى الأخضر بجوار قريتنا المسماة (كفرعوض الله حجازى) وأنا حائر فى هذه الدنيا وأنظر الى الأوراق على أشجارها وأقول ياليت شعرى ألهذا الورق نظام هندسى أوحساب ومن ذا يوقفنى على سرائره أم من ذا الذى يعرفنى حقائقه ومن أىّ شئ ركب ولعله ركب بحساب الخ مما تراه مسطورا فى كتابى ﴿ التاج المرصع ﴾ الذى انتشر وترجم قبل نحو عشرين سنة . فانظر ماذا جرى اليوم . أكتب هذا اليك وأنا حامد لموجد هذا العالم شاكر لنعمه فقد عرفت اليوم مالم يكن ليخطر لى على بال . عرفت أن الورق منظم وضعه على

الأغصان . أتدرى من أين عرفته بها . عرفته من هذا الكتاب الذى أمامى الآن المسمى ﴿علوم الجميع﴾ بلغة الانجليز وأحسن من هذا أن يقال ﴿موسوعات العلوم﴾ هاهوذا الكتاب أمامى لمؤلفه الاستاذ (روبرت براون)

إن الله منزل القرآن خالق النبات بميزان هوالذى ألهم قلوبا فأبرزت ذلك الميزان فهو الذى أنزل القرآن بالعربية وسخر قلوبا فى بلاد الفرنجة لابراز حقائقه وان كان المسلمون والفرنجة لايعلمون أنه معنى القرآن . ولقد وفق الله اليوم واطلعت على هذه الحكم فى ذلك الكتاب وها أناذا أذكرها تبصرة للمسلمين وتذكرة للنابهين لعلهم يتعلمون حتى يعلم الأذكياء مصداق قوله تعالى ـ خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ـ وقوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ وقوله ـ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنّ علينا بيانه ـ

الله أنزل القرآن وهوالذى أبرز معناه على قلوب قوم آخرين لأنه خلق نوع الانسان للتعارف إذ يقول ـ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ـ

سيدهش المسلمون حين يعلمون أن هذا المؤلف فى صفحة (٧) من المجلد الثانى من كتابه قد أتى بمعنى هذه الآية وهو لايعلم وسيدهش أهل أوروبا حينما يرون أن خلاصة هذا العلم داخلة فى مضمون هذه الآية . هذا هو سرّ التعارف . يتعارف الشرقيون والغربيون بالعلوم والمعارف ويتناكرون بالجهل وهم صاغرون

(س) قد عرفت مقدّمتك فهات المقصود من حساب النبات وهندسته على شريطة أن أراه مرسوما أمامى ليكون تذكرة وتبصرة للمفكرين

(ج) خذ غصنا من نبات بعض الحشائش أوشجر الدردار المسمى بالفرنجية (إلم) بسكون اللام وغصنا من ضرب من (الزنبق) يسمى بالفرنجية (تيولب) وغصنا من السنديان أومن التفاح أومن (الكرز) وغصنا من الكتان وغصنا من أغصان نوع من الصنوبر وغصنا من نوع يسمى بالفرنجية (لرش) فهذه ستة أغصان من أشجار مختلفة كالحشائش والزنبق والتفاح والكتان والصنوبر (ولرش)

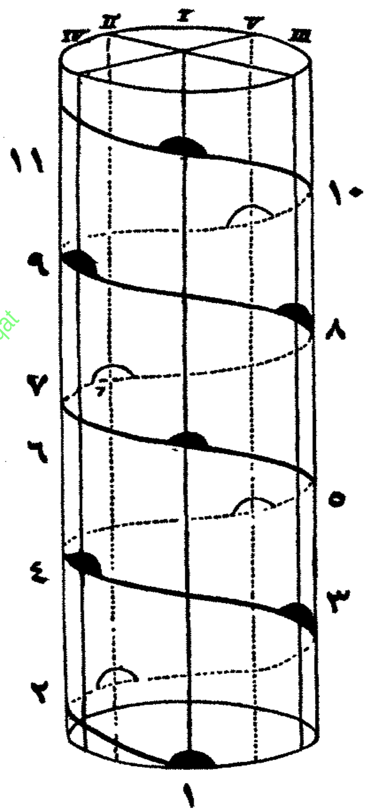
ضع هذه الأغصان أمامك . ضعها وانظر فسترى عجبا . ترى أوراق الغصن الأوّل منتظمة عليه بحيث تكون كل ورقتين متناظرتين على الجانبين لكل منهما نصف الدائرة على الغصن والدائرة (٣٦٠) درجة والنصف (١٨٠) وهذا الكسر يبين ذلك وهو ½ فالبسط يبين أن لدائرة واحدة والمقام يبين عدد الورقات التى قسمت الدائرة بينها . والغصن الثانى ترى فيه أوراقا ثلاثة على الغصن متحاذيات الوضع وقد قسمت الدائرة بينها ﴿ثلاثة أقسام﴾ كل قسم منها (١٢٠) درجة . والغصن الثالث من نحو التفاح والسنديان ترى عليه أوراقا مبتدئة بأولاها من الأسفل وتليها خمس ورقات قد كوّنت دائرة تامّة مشتملة على دورتين حلزونيتين فتكون كل خمس ورقات لهاهاتان الدورتان الحلزونيتان حول الغصن والورقة السادسة قد جاءت محاذية للورقة الأولى وهذه السادسة مبدأ دائرة ثانية تشتمل أيضا على دورتين حلزونيتين وهكذا دائرة فوق دائرة كل منها تشتمل على هاتين الحلزونيتين فتكون تلك الأوراق فى الدوائر أشبه بسلالم المنارة فانها حلزونية الشكل والكسر الذى يبين هذا هو ⅖ فالبسط لعدد الدورات الحلزونية والمقام لعدد الورقات

وعلى هذا القياس تعرف الغصن الرابع كغصن الكتان فدوراته الحلزونية (٣) وأوراقه فى الدائرة التامّة على الغصن (٨) فبسط كسره ٣ ومقامه ٨ والغصن الخامس كغصن الصنوبر دوراته الحلزونية خمس وأوراقه فى تلك الدوائر (١٣) وبها تكون دائرة تامة والغصن السادس دوراته الحلزونية (٨) وأوراقه ٢١ وبهذه الأوراق والدورات تتم الدائرة الواحدة وهكذا ما بعدها . ها أناذا أيها الذكى ذكرت لك هذه الدوائر على تلك الأنواع الستة من الأشجار وقد آن أن أضعها لك صفا واحدا كما جاء فى ذلك الكتاب

١/٢ ، ١/٣ — ٢/٥ ، ٣/٨ ، ٥/١٣ ، ٨/٢١

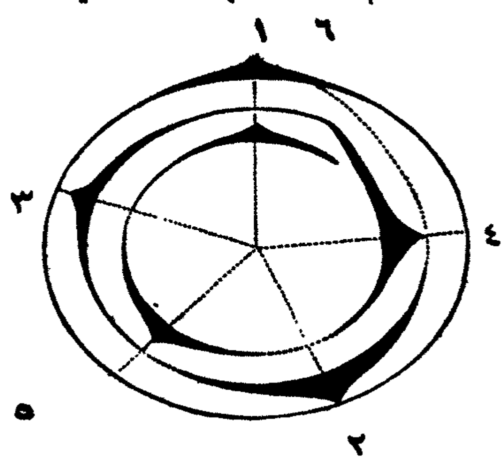
أنظر أيها الذكى لهذا العجب وتأمّل فى هــذا الجدول الذى نقلته من ذلك الكتاب فلأبين لك بعض ما عرفه العقلاء . الله أكبر جلّ العلم وجلت الحكمة التى تناءت عن بلاد الشرق حينا وهاهى ذه أيامها قد أقبلت فانظر وتأمّل فانك تجد الكسر الثالث وهو الممثل لغصن التفاح أوالسنديان بسطه بمجموع البسطين قبله فانه ٢ وهما مجموع البسطين قبله وهكذا مقامه وهو (٥) فهو مجموع (٢ و٣) وهكذا الكسر الرابع الممثل به للكتان فان بسطه (٣) مجموع البسطين قبله (١ و٢) ومقامه مجموع المقامين قبله وهما (٥ و٣) وهكذا قل فى بقية الكسور . ثم انظر نظرة أخرى فانك تجد ببسط الكسر الثالث هى عين مقام الكسر الأوّل و بسط الكسر الرابع هو عين مقام الكسر الثانى و بسط الكسر الخامس هو عين مقام الكسر الثالث . إذن كل بسط لكسر من هذه هوعين مقام الكسر الذى قبله بواحد وهذه قاعدة مطردة . هذا هو الذى قرأته فى هذا الكتاب واردت ايضاحه هنا . وهذه صورة الكسر الثالث الذى يكون فى التفاح والبلوط

هاتان الصورتان المرسومتان ﴿ أولاهما ﴾ صورة لغصن التفاح أو البلوط وقد دارت الأوراق عليــه مبتدئه من الأسفل دائرة حول الغصن فالورقة الأولى المعنون عنها بعــدد واحد تتلوها خمس قد صنعت دورتين حلزونيتين كما قدّمنا والخامسة منها التى هى السادسة فى العدد تراها أمامك فى الرسم فوق الأولى على خط مستقيم وهى تمام الدائرة الأولى وتليها الدائرة الثانية ونهايتها ومبدأ الدائرة الثالثة عدد ١١ وهكذا هذا واضح فى الشكل الأوّل ولكن لما كان هذا لا يظهر منــه أن كل خمس ورقات دائرة تامّة وجب رسم الشكل الثانى الذى يمثل الدائرة التلمّــة من. هذه الدوائر بورقاتها الخمس بوضعها الأفقى لتظهر للناس فيعلمون أن هذه الأوراق الموضوعة وضعا رأسيا هى دائرة تامّة منظمة مقسمة خمسة أقسام بخمس ورقات كل قسم منها (٧٢) درجة تقسيما عادلا



(شكل ١)

فانظر فى الشكل الثانى فانك تجد الورقات الخمس الــتى صنعت دورتين حلزونيتين قد ظهرت واضحة جلية فالورقة الأولى عدد (١) والثانية عدد (٢) والثالثة عدد (ثلاثة) وهكذا الى السادسة التى جاءت فى مقابلة الاولى على خط مستقيم فهذان الشكلان قد أوضحا الكسر الثالث واياك أن تغفل عن أن هذا الكسر له علاقة بالكسرين قبله و بما بعده .



(شكل ٢)

فياليت شعرى أين المسلمون وأين هذه العلوم . قرآن يقول الله فيه ــ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ــ ونبات ترسم عليــه الأشكال الحلزونية والدوائر التامّة النظامية المدهشة والناس يقرؤن ولا يعقلون و يأ كلون ولا يفهمون ان القوم لا يعلمون

انظروا أيها المسلمون . أليس هذا كلام ربكم . انظروا أليس يوجب أن تعم الهندسة و يعم الحساب و يعم علم النبات و يعم و يعم حتى يدرك الناس سرّ هذه الدنيا . اللهم إن صــنعك لعجب . نبات ونبات ونبات بين أوراقها حساب وحساب انتظمت أوراق شجرة التفاح مثلا وكوّنت حلزونيات ودوائر منتظمات

وكان

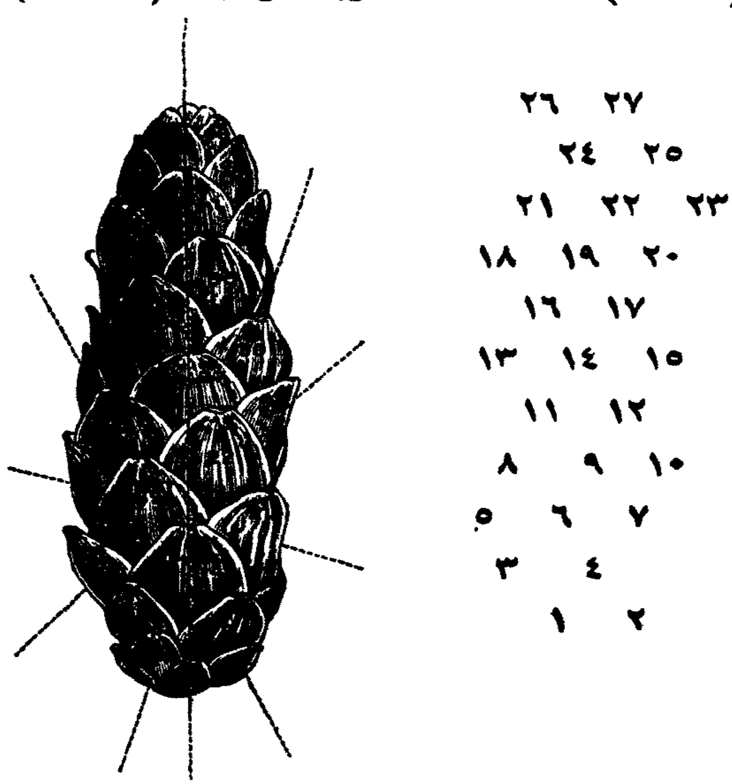
وكان بين هذه الدوائر ونظائرها فى نباتات أخرى مناسبات . اللهم إن أهل الأرض ماداموا غافلين عن هذا فهم بنعمتك كافرون . اللهم إن أهـل الأرض انما تنافروا لجهلهم بصنعك ولوأنهـم كانوا مفـكرين حق التفـكر (١) لـكانوا أمّة واحدة لأنهم اذا رأوا أن أوراق الاشجار بينها هذه النسب يعرفون من باب القياس التمثيلى ومن باب الوجدان أن العوالم كلها وضعت بحساب ونظمت واذا نظم ورق النبات وجعل بينه نسب مقدّرة فى النباتات المختلفة كما نظمت الـكواكب وحركاتها فهل هـذا كله ينظم وتبقى عقول الناس فى الأرض بلا رابطة و بلا حساب . هذا غير معقول فالمعقول أن عقول الناس فى الأرض قد وضعت بحساب بحيث يكون فى كل أمّة من يكفون لعلومها ولصناعاتها و بحيث يكون لـكل امّة من أمم الأرض خواص بها تنفع الباقين

إن الناس قد أمكنهم درس النبات واستعماله فى حاجاتهـم وهو مسخر لهـم . أما العقول الانسانية وقواها فهم عن دراستها واستخدامها فى المنافع العامّة عاجزون . ومادام اهل الأرض لايعرف بعضهم بعضا ولايدرسون أحوالهم وخواصهم فانهم حقا أذلاء فأهل هذه الـكرة الأرضـية لايزالون فى حرب وضرب حتى يقوم فيهـم علماء يدرسون عقول الأمم وخواصها و يتحد الجميع طوعا أوكرها وحينئذ تـكون الانسانية كلها امّة واحدة كما أن أوراق النبات بينها نسبة جامعة . أنظر كـتابى ﴿ أين الانسان ﴾ وسترى ملخصه فى سورة الحجرات ان شاء الله وهذا نهاية الأمر الأوّل (٢) ولـكان المسلمون منهم أعلم الناس بجمال الحساب والهندسة وعجائب الدنيا لأن العلوم كلها هى نفس دين الاسلام كما أوضحناه فى هذا التفسير فى هذا المقام وغيره (٣) ولعلم الانسان انه لاسعادة له إلا اذا كان نظامه فى نومه و يقظته وجميع أعمـاله بحسبان كـنظام هذه الأوراق ونظام الـكواكب فى السماء ﴿فلما سمع صاحبى ذلك﴾ قال إنى أريد مثالا آخر مصوّرا بالتصوير الشمسى فقلت هاك ﴿ صورتين ﴾ إحداهمـا صورة نبات يسمى باللسان الافرنجى (هوس ليك) وهو نوع من الـكرات وترجمته الـكرات المنزلى ونظيره فى هذا الترتيب الخرشوف المسمى بالافرنجية (أرتشوك) وأصـله بالعربية فى بلاد الأندلس (أرض شوك) (شـكل ٣)

﴿ والثانية ﴾ صورة زهرة الصنوبر وهو مخروط (شـكل ٤)



(شـكل ٣)



(شـكل ٤)

وهذه الصورة الرابعة انما هي للزهرة الأنثى فى الباوط • أما الزهرة الذكر فهو أصغر . هذان الشكلان وهما الثالث والرابع يمثلان الكسر الخامس وهو ٥/١٣ فعدد خمسة هو عدد الدورات الحلزونية التى تشاهدها أمامك وعدد ١٣ يبين عدد الورقات فى الدائرة التامة ولذلك تجد عدد ١٤ هو نهاية الدورات الخمس لدائرة الأولى وهو مبدأ الدائرة الثانية ومبدأ الثالثة ٢٧ ومن عجب أن عدد ٥ وعدد ١٣ المذكورين يؤخذان أيضا مما يأتى وهو أن عدد ٥ ظاهر فى الصف الذى فوق الواحد وهو ٦ و١١ و١٦ فهذه أعداد يزيد كل واحد منها عما قبله بعدد (٥) وترى أمامك صفوفا أخرى فوق الواحد أيضا فانك ترى عدد ٩ وعدد ١٧ وعدد ٢٥ كل واحد يزيد عما قبله بعدد ٨ فتراهم يقولون اجمع ٥ و٨ يكون عدد ١٣ الذى هو المقام • هذا ما قالوه • والمقصود من هذا أن فى الأوراق نظاما ومن شدة احكامه أن عدد ٥ فى البسط وجد فى صف من الصفوف وعدد ١٣ أمكن أخذه من الأعداد المكررة فى صفين وهذا حقا من العجب • فمن ذا الذى كان يظن أن هذه الأوراق منظمة ولها جداول ومن ذا الذى كان يظن أنها دوائر وأن هذه الدوائر لها نسبة الى دوائر أخرى فى أشجار أخرى • بل إن الانسان اذا عرف جميع أوراق النبات وعرف أوائل كل سلسلة منها أمكنه أن يعرف جميع السلسلة بدون أن يحفظ أعدادها والدليل على ذلك أنك تقدر أن تعرف سلسلة الكسر المتقدمة بمجرد معرفة الكسرين الأولين فما عليك إلا أن تجمع البسطين والمقامين وتأتى بالثالث ثم تفعل هكذا مع كل كسرين

إن هذه النبذة التى ذكرتها هنا تبين أن نظام هذا العالم عبارة عن نظام واحد وأن للعلم مفاتيح ومتى عرفت المفاتيح فتحت بها العلوم فههنا مفتاح السلاسل الكسرية فى النبات وهما الكسران الأولان وبهما يعرف الجميع بالتدريج وهذا مثل ماذكرناه فى قوله تعالى ــ وكل شئ عنده بمقدار ــ فانك تجد هناك أن الكواكب السيارة تعرف أبعادها عن الشمس بمضاعفة بعد كل واحد عما قبله فارجع اليه هناك بالمضاعفات وهنا بجمع الكسرين السابقين بسطا ومقاما • ومثل هذا يرى من السنين الكبيسة والبسيطة كما رأيته فى آخر سورة آل عمران فمتى عرف الانسان منها (٢١٠) من السنين عرف جميع السنين آلافا وآلافا الى ما لانهاية له ولولا هذا ما أمكن الناس أن يضعوا جداول لحساب الأوقات • فحساب الأوراق ونظامها وحساب أبعاد الأفلاك وحساب دورات الأرض حول الشمس كلها ذات مفاتيح والمفاتيح بها تعرف العلوم فأما الغيب فمفاتيحه عند الله قال تعالى ــ وعنده مفاتح الغيب ــ

فلما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن لم نعرف إلا سلسلة واحدة وما عرفنا منها إلا ستة نباتات . فقلت لايصح اطالة الكلام وقد جعلنا هذا رمزا للسلسلة كلها ونظمها فنحن الآن فى مقام التفسير والتفسير علم عال والعلم العالى يختصر فى العلوم الجزئية ولانطيل فيها فكفى الانسان علما أن يتقن ماذكرناه هنا فأما اذا أردت سلاسل أخرى وجداول فهاك ماجاء فى هذا الكتاب بايضاح هنا

الجدول الأول	١/٢	١/٣	٢/٥	٣/٨	٥/١٣	٨/٢١	١٣/٣٤
الجدول الثانى	١/٣	١/٤	٢/٧	٣/١١	٥/١٨	٨/٢٩	١٣/٤٧
الجدول الثالث	١/٤	١/٥	٢/٩	٣/١٤	٥/٢٣	٨/٣٧	١٣/٦٠

فانظر الى هذه الجداول بعد أن عرفت الجدول الأول وقد زدنا فيه واحدا فصار سبعة كأخويه فاعجب لذلك وانظر فانك ترى الثالث من كل جدول منها مقامه عبارة عن مجموع البسط والمقام لنظيره فما فوقه فان ٢ و٥ عبارة عن ٧ وهو مقام الكسر الثالث فى الجدول الثانى ومثله عدد ٩ وهو المقام للكسر الثالث فى

الجدول

الجدول الثالث وهو مجموع ٢ و٧ وهما البسط والمقام لما فوقه وهكذا فى جميع الأعداد كل مقام لكسر يساوى مجموع البسط والمقام لما فوقه وهكذا كل بسط فى أىّ جدول وكل مقام هما مجموع مافى الكسرين قبله مثل ما جاء فى الجدول الأوّل . ألاترى انك ترى أن عدد ٢ فى الكسر الثالث فى الجدول الثالث هو مجموع البسطين قبله وأن عدد ٩ وهو المقام فى هذا الكسر هو عين المقامين قبله وهما ٥ و٤ انتهى

﴿ ـ الله نور السموات والأرض ـ ﴾

ههنا تبين جمال العلم بل تبين جمال الله بل ههنا ظهر نور الله ـ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب ـ هذه هى الأرض وهذا هو النور . النور على ﴿ قسمين ﴾ نور يعرفه الحيوان والانسان ونور يختصّ بالانسان فنور الحيوان والانسان هو نور الكواكب والشمس ونور الانسان هو نور العلم ونور الحكمة . فهذا من أبدع أنواع الحكمة وأجلها وأبهرها . اللهم إنا نحمدك على العلم ونحمدك على الحكمة التى تجلت فى هذه الدنيا . نظر فترى أنواعا من النبات جعل العلماء لها جداول منظمة كجداول الميقات فى حساب سير الكواكب ثم نرى النسب بين أوراقه ودورات كل صف من النبات بينه و بين دورات وأوراق الصف الآخر مناسبة ثم نرى أن هذه الجداول بينها مناسبات حتى ان كل جدول منها يمكن استنتاج الجدول الآخر منه . فما أبهج العلم . إننى وأنا أسطر هذه الجداول ناقلا من الكتاب الفرنجى المتقدّم ذكره كنت أكتب الكسرين الأوّلين من الكتاب ثم أكتب بقية تلك الكسور بطريق الجمع المتقدم بدون نظر للكتاب و بعد اتمام الكتابة أراجعه على مافى الكتاب فأجده لاخطأ فيه

﴿ أوراق الأشجار أصبحت ذات نظام به يعرف مجهولها من معلومها وغائبها من حاضرها ﴾

هذا هو قوله تعالى ـ إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والأرض ـ فالذكر باللسان ثم بالقلب ثم يعقبهما التفكر فالتفكر هو المقصود وهذا من أبهج أنواع التفكر

الله خلق هذا الانسان ونظم له هذا الوجود وشوّق خواصه للبحث . إن الخواص فى كل أمّة هم المسؤلون عن نظام هذه الأعراس

فلما سمع صاحبى ذلك قال أعراس أين هى الأعراس . فقلت هل أحدّثك عما سمعته فى علم الخيال من عالم يحدّثنى . قال عالم الخيال . نحن نبحث عن الحقائق ومالنا وللخيال . فقلت إن الخيال جمال للحقيقة وما الخيال إلا زينة لعرائس الحقائق والحقيقة مختالة متكبرة فلا تظهر غالبا إلا فى أثوابها القشب وزينتها وجمالها لتبهر الأبصار بمظهرها . فقال نعم أحبّ ذلك . فقلت أنشدنى حىّ بن يقظان بيتا من الشعر فقال

النّاس فى ماتم والكون فى عرس * يختال بالحسن فى الاشراق والغلس

فلما سمعته قلت مامعنى هذا البيت . أين المأتم وأين العرس . فقال اعلم رعاك الله أن هذا النوع الانسانى الذى أنت أحد أفراده قوم حبسوا فى هذه الأرض وهم أشبه بأناس قد سجنوا فى قصر الملك والملك زين القصر بأنواع الزينة ورقشه وزوّقه وعلق فيه القناديل المضيئة المتلألئة البهجة المشرقة التى يكاد سناها يذهب بالأبصار وقد حضرت الوفود من سادات الأمم وأشرافها فأنزلهم فى دار ضيافته يتمتعون بما لذ وطاب من أنواع الاكرام وأطايب الطعام والفاكهة والشراب وهم على سرر متقابلين لايسمعون هناك لغوا ولاتأثيما إلا قيلا سلاما سلاما هذا ما كان من أمر الاشراف أما أولئك الذين حبسوا فهم مقيدون فى سلاسلهم مكبلون فى قيودهم قد جعلت الأغلال فى أعناقهم فأنى لهم أن يروا جمال العرس وأن يتمتعوا باطايب الطعام و لشراب والفاكهة والاكرام فهذا العالم الذى تعيشون فيه أشبه بهذا العرس والوفود المقبلون وأهل الأرض الذين معك أشبه بالمحبوسين . فقلت له

لم يتضح لى القول فقال إنى أبين لك هذا من نفسك . فقلت أريد ذلك . فقال ألست تحس فى نفسك بهزة طرب وانتعاش وسعادة لانهاية لها أثناء النظر فى أمثال هذه الجداول النباتية والعجائب الحسابية فى الأرض وفى السماء . أليس هذا هو الحسن الذى تعشقه عقول العلماء والحكماء والأنبياء . ألست ترى أن الشكل الأول من الأشكال الأربعة المرسومة فى هذا المقام أشبه بعمود قد علقت فيه قناديل مضيئة فى عرس عام وهذه القناديل منظمة بحيث نرى أن كل خمسة منها تكون دائرة تامة وهى قد دارت دورتين كوكبيتين كما تقدم فى كلامك ومع ذلك ترى أنها قد كونت صفوفا منظمة مستقيمة من أسفل الى أعلى فتجد عدد (١) فوقه (٦) و (١١) وعدد (٣) فوقه عدد (٨) وهما صف آخر على اليمين وعدد (٢) فوقه عدد (٧) وهما صف واحد منظم ثم عدد (٤) فوقه عدد (٩) وهما صف واحد فالجمال مضاعف جمال فى الشكل الكوكبى وهو الحلزونى وجمال فى الدوائر التامة وجمال فى الصفوف المنظمة من أسفل الى أعلى وهى هنا خمسة وجمال فى نظام الأعداد فى الصف الواحد فان كل واحد هو خامس ماقبله بحيث لا يكون فى ذلك خطأ فهذا النظام يراه الحكماء نورا يبهرهم و يزدرون بالأنوار الحسية فان ذوى البصائر اذا أدركوا أمثال هذا فى نبات أو حيوان أو كوكب ذهلوا عما حولهم واستغرقوا فى ذلك الجمال وطربوا طربا لايحس به الناس حولهم فالناس الذين يعيشون على هذه الأرض أكثرهم لايدركون هذا الجمال و يكتفون منه بالمآكل والمشارب والملابس فهم محبوسون مقيدون بسلاسل الحواس والحكماء والمستبصرون هم الذين يعقلون فالعامة هم المحبوسون والحكماء هم الذين يرون هذا الجمال و يفرحون به والله هو الذى مد لهم المائدة التى طلبوها وجعلها عيدا لأولهم وآخرهم وجعلها آية منه ورزقهم . فقلت فبين لى معنى هذا المأتم . فقال ان دول الأرض كلهم فى جلتهم لايعقلون من العلم إلا ظواهره . فقلت إن هذا القول نقلته أنا من كتب الفرنجة فكيف تقول انهم يقفون على الظواهر . فقال إن الفرنجة الذين كتبوا هذا هم علماء النبات وعلماء النبات من شأنهم أنهم مختصون بعلم واحد ولكن ليس من شأن علماء النبات المباحث العامة التى تشمل نظام الوجود كله . إن أهل الأرض لايزالون فى حرب وضرب حتى يرشدوا ولايرشدون إلا اذا ارتقى التعليم فى الأرض وارتقاء التعليم فى الأرض أن تكون هناك صبغة عامة وهى ــ صبغة الله ــ وصبغة الله هى الصبغة التى تصبغ بها قلوب كبار الأمم جميعها من عرب وعجم وشرق وغرب فيتفننون فى كل العلوم و ينشرون فى المدارس الجمال العام مثل الذى تذكره أنت الآن لكل أمة على حسب ما يناسبها وتكون الأمم كلها مشتركة فى نظام التعليم العام مع مميزات كل أمة و يعلم الصغار فى المكاتب شرقا وغربا نظام الله العام وصبغته والفطرة العامة والميزان المنصوب و يعلمون أيضا أن الناس كلهم فوق الأرض متضامنون متناسبون كهذه النسبة المنظمة فى الكسور المتقدمة فى كلامك هذا وحينئذ يصبح نوع الانسان كله فى عرس ونور مبين ويحب الناس بعضهم بعضا أجمعين فهم كلهم كرجل واحد . فقلت له ولكن ديننا فيه أن نغزو الكفار ونحاربهم . فقال أنسيت قوله تعالى ــ حتى تضع الحرب أوزارها ــ وهل نسيت قول العلماء ان هذه الحال حينما لايبقى فى الأرض إلا مسلم أومسالم . إذن دين الاسلام الذى تحتج به هو الذى يبحث عن السلم العام وعلى أهله أن يكونوا قادة للأمم فى سبيل السلام العام حتى يصبح أهل الأرض كلهم كأسرة واحدة وهذا هو الزمان الذى جاء فى الحديث أن الانسان يريد أن يعطى الصدقة لأحد فلايجد فقيرا

إن الشرائع سواء أكانت بالوحى أم بالوضع لاسلطان لها إلا على المتنافرين فأما الصالحون الذين هم متحابون فهؤلاء لاسلطان للشرائع عليهم . قوم لايقتل بعضهم بعضا ولايسرق بعضهم بعضا فكيف يسطو القانون عليهم وقد نقلت أنت فى هذا التفسير أن أهل سويسرا ربما لا يكون للقاضى إلا ثلاثة أيام يقوم فيها بالقضاء لقلة الشكاوى وفى بقية الشهر يبحث عن قوته بعمله . واذا صح هذا فى سويسرا فهو ممكن أيضا فى جميع الممالك شرقا وغربا والمسلمون هم أحق الأمم بذلك لأنهم جاؤا رحمة للعالمين وهم اليوم فى دور الجمود

وسيقومون

وسيقومون بدورهم الموعود وإذن يكون الناس كلهم فى عرس مثل هذا الوجود . فقلت هذا هو الذى جاء فى كتابى ﴿أين الانسان﴾

فلما سمع ذلك صاحبى قال هذا حسن ولكن كيف تقيس الانسان على النبات وهل علم الحقائق يكون بالقياس والقياس علم ظنى . فقلت و بالنص أيضا . فقال وكيف ذلك . فقلت قال الله تعالى ــ والله أنبتكم من الأرض نباتا ــ فجعل الناس نباتا والنبات كله موزون فالوزن فى الانسان كالوزن فى النبات والنبات وزنه فى أمور كثيرة أهمها أربعة

(١) نظام الاجزاء الداخلة فيه بحساب كما قدمنا فى سورة البقرة عند قوله تعالى ــ ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ــ

(٢) ونظام توزيعه على المناطق الحارّة والمعتدلة والباردة

(٣) ونظام توزيعه على مايحتاج اليه الانسان والحيوان من غذاء وكساء ودواء وفاكهة

(٤) ونظام أوراقه من حيث أوضاعها الذى كلامنا فيه

ولاريب أن الانسان قد وزعت على أفراده وأممه القوى كلها توزيعا كما قررناه فى كتاب ﴿أين الانسان﴾ بحيث يحتاج أعلاه الى أدناه وشرقيه الى غربيه و بالعكس . فقال ماتقول فى حديث ﴿بنى الاسلام على خمس﴾ فالشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج من أركان الاسلام ولم يرد ما قلته فى تلك الأركان . فقلت له انما مثل الاسلام كمثل الانسان . ان الانسان مركب من هيكل عظمى مشتمل على (٢٤٨) عضوا ومن عضلات وعروق وأحشاء ودماغ وحواس ظاهرة و باطنة . فالقسم الأول وهو هيكل العظام وهو أس هذا الانسان اذا عطل لم يكن له وجود فهو أشبه بأركان الاسلام الخمسة . والقسم الثانى من اللحم والشحم والعروق الخ هو المتمم للأول فالأول كالأعمى والثانى كالمقعد والاعمى يحمل المقعد والمقعد يريه مواقع المنافع . هكذا دين الاسلام فهيكله الذى لاوجود له إلا به هو هذه الاركان الخمسة ولحمه ودمه ومخه وحواسه وعقله الخ هو هذه العلوم والصناعات التى بعضها فرض عين و بعضها فرض كفاية

وانى أحمد الله إذ أعاننى فقررت ذلك فى هذا الكتاب وشرح الله صدرى لذلك وسيكون هذا إن شاء الله موردا يرد اليه الأذكياء ويصدرون عنه حكماء . فاذا اكتفى المسلمون بما هم عليه اليوم من اقامة شعائر الاسلام فهم كهيكل منصوب بدون مخ ولاعروق ولالحم ولادم فتتخطفهم الأمم من حولهم وهم نائمون وتكون بلاد الاسلام أشبه ببيت بنيت فيه خمسة أعمدة مرفوعة ليس عليها سقف فينصب عليهم المطر والحر والبرد وتسطو عليهم الوحوش الكواسر وهم فى ذلّ عظيم فهم اليوم عرضة للأمم من كل جانب ذلك لأنهم ظنوا أن الاسلام خاص بالأركان الخمسة وماهى إلا حافظة لشكله ولولاها لم يبق هذا الدين والشكل والهيئة لا يكفيان وكما أن الانسان لايتمّ وجوده إلا بهيكل و بلحم وشحم ومخ وحواس الخ هكذا لايتم دين الاسلام إلا بجميع العلوم والصناعات التى أوضحناها فى هذا التفسير والله ولىّ الصالحين ــ إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ــ والله خير الناصرين . فقال لقد أحسنت وأجدت . فقلت الحمد لله ربّ العالمين

بعد أن كتبت ماتقدم حضرلى كرة أخرى ذلك الصديق الصالح العالم وقال لقد عنّ لى أمر فأرجو السؤال عنه . فقلت سل . فقال أريد ايضاح الكلام على قوله تعالى ــ والله أنبتكم من الأرض نباتا ــ التى جاءت فى الكلام عرضا فى تفسير قوله تعالى ــ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ــ . فقلت لقد ذكرت لك هناك مشابهة الانسان للنبات من وجوه كثيرة فماذا تريد إذن . قال ان الكلام فى حاجة الى ايضاح فقلت إذن ايضاحها فى سورة الفتح . قال وما مناسبة سورة الفتح لماهنا . قلت إنّ الله عزّوجل ضرب ﴿مثلين﴾ للأمم الاسلامية ﴿المثل الأول﴾ مثلهم فى التوراة أنهم أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم

ركعا سجدا الخ ﴿ المثل الثانى ﴾ مثلهم فى الانجيل فشبههم بزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع • ولقد شبه الله الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة فى سورة ابراهيم فقال ـ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ـ فالمثلان اللذان فى سورة الفتح أولهما أنهم يقهرون الأمم و يعبدون لله وسيماهم فى وجوههم من أثر السجود وهذا هو الحاصل الآن لأن أسلافنا نشروا الاسلام فى آسيا وأفريقيا و بعض أقطار أوروبا وفى الاوقيانوسية و بعض أهل أمريكا مسلمون

واليهود أصحاب التوراة قوم كانوا مغرمين بالحرب والضرب ولكنهم من جهة أخرى لم يريدوا أن يكون دينهم عاما فلذلك قهرتهم الأمم وشتتوا فى البلاد الى الآن وهم الآن (١٦) مليونا وكثير من ممالك أوروبا مكونة من أقل من عشرة ملايين ولكن القوم عندهم كتاب سماوى و به حاربوا ولكن الله لم يسلطهم على الناس بالقتال لعلمه أنهم لاينشرون دينهم وانما يريدون مجرد السلطان والقهر لأن عقيدتهم أنهم سادات الناس وأن الناس كالحيوانات وهم سادتهم فمن هذه الوجهة سلط الله عليهم الرومان فأجلوهم الجلاوة الكبرى بعد رفع المسيح عليه السلام الى الآن

أما الاسلام فان الله أنزله دينا عاما وجاء فيه ـ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ـ الى قوله ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ ولكن اليهودى يقول ان الاكرام خاص ببنى اسرائيل • إذن ضرب المثل للمسلمين فى التوراة بأنهم أقوياء أشداء على الكفار رحماء بينهم مناسب لبنى اسرائيل من وجهة واحدة

أما الوجهة الأخرى فالمسلمون انتشروا فى الأرض ونشروا دينهم والمشبه بهم انتشروا فى الأرض ولم ينشروا دينهم لأنهم جعلوه دينا قوميا

المثل الثانى هو تشبيههم فى الانجيل بالزرع والزرع له نمو وله ثمر ونمو الزرع يحصل منه ﴿أمران﴾ قوة النبات وانتاج الثمر والأمران هنا أولهما قوة الامة وانتشارها وثانيهما قوة العلم والحكمة اللذين هما نتيجة الايمان والدليل على ذلك ماذكرناه من تشبيه حكمة الايمان بالشجرة الطيبة فى سورة ابراهيم وحديث الاسراء من قول ابراهيم عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ أخبر أمتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبحان الله والحمد لله الخ فاذن تحصل من هذا أن المثل الثانى فيه معنى الرقى العلمى والأخلاق بعد انتشار الدين والعبادة فى المثل الأول ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ امتلاء القلوب بخشية الله وحبه بجمال العلم إذ لايخشى الله إلا العالمون بصنعته كما قال تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ بعد ذكر الثمرات المختلف ألوانها وهكذا الجبال والدواب الخ • إذن أمة الاسلام لها دوران ﴿ الدور الأول ﴾ دور فتح البلدان وهذا الدور قد كمل لأن المقصود دخول طوائف من الناس فى أقطار الكرة الأرضية فى دين الاسلام طوعا أوكرها

أما الدور الثانى فهو المقصود من الدور الاول وهو الفتح العلمى ونشر حب الله بالعلوم والمعارف وادراك نظام هذا الوجود وهو المثل الانجيلى لأن الانجيل انما جاء لحب الله تعالى والغرام به ولم يؤمر المسيح بحرب ولاضرب بل أصل الدين يرجع للامور الروحانية • فهذا المثل ينطبق على الأمم الاسلامية فى المستقبل بعض الانطباق • إن الأمم الاسلامية المنتشرة اليوم فى أنحاء المعمورة الذين أدخلهم الله فى الاسلام (لعلمه أن هذا الدين عام ليس كدين اليهود) أصبحوا اليوم أجهل الأمم بهذا الوجود وليس لهم غالبا حظ من العلم إلا ظواهر الشريعة وقشورها • أما حقائق الأشياء فهم عنها غافلون

إن الاسلام يشتمل على ﴿ قسمين ﴾ القسم الأول ظواهر العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج وهكذا السمعيات كالحشر والنشر والحساب والعقاب والنار والجنة فهذا هو القسم الأول ﴿ القسم الثانى ﴾ هى حقائق الوجود التى ملئ بها هذا القرآن وأكثرها الله فيه وصرف عنها أكثر عقول المسلمين قديما وها هو ذا أخذ يفتح لهم باب فهمها والوقوف على حقائقها من الآن • فالقسم الأول أوشك أن ينتهى دوره والقسم

الثانى

الثانى هاهوذا قد أقبل زمانه وجاء ابانه وحضر موسمه وأشرقت شمسه وفاح عبيره وآنس أنسه وأبهج محضره وسرّ مخبره وابتهجت حدائقه وأزهرت أشجاره وأينعت أثماره كما ترى فى هذا التفسير وفى هذه الآية التى نحن بصدد الكلام عليها وهى قوله تعالى ــ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ــ

إذن عرفت أيها الذكى قولى لك ان تفسير قوله تعالى ــ والله أنبتكم من الأرض نباتا ــ يظهر سرّه فى سورة الفتح . إن سورة الفتح قد ختمت بالمثلين المذكورين ﴿ أوّلهما ﴾ لنشر الأمم الاسلامية على وجه الارض وقد تمّ ﴿ وثانيهما ﴾ لرقى العلوم والاخلاق وأوانه يبتدئ من زماننا هذا

إن الملك اذا أراد أن يزور قرية أرسل الى أهلها فأعدّوا له العدّة وفرشوا الاماكن والطرق واحتشدوا هكذا الله عزّوجل أراد ولاراد لقضائه أن يعم الارض بنعمه و يغمرها باحسانه والمسلمون وهم سيكونون صفوتها خير من ينعم عليهم بالعلم والحكمة فهو أوّلا بشرهم بالفتح الظاهرى وثانيا ملأ أوروبا وأمريكا واليابان والصين بالعلوم التى كلها هى معانى آيات القرآن كما اتضح فى هذا التفسير فهذه كلها نشرها الله فى الارض وقال اليوم للمسلمين ها أنتم أولاء قد انتشرتم فى الارض شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وها هى ذه العلوم تحيط بكم من كل جانب وكتابى يطلبها كلها وليس طلبه ذلك لآيات قليلة بل مئات من الآيات فلم يبق إلا أن تترجوا تلك العلوم كما هى وتدرسوها جميعها و يكفيكم فى ذلك (٢٠) سنة لاغير ثم بعد ذلك ادرسوا هذا الوجود بعقولكم دراسة أتمّ لأن القسم الأوّل من الدين تقليدى يؤخذ بالتسليم فتصلون وتصومون وليس لكم حق أن تقولوا لم كان كذا ولم كان كذا وهكذا تؤمنون بالبعث والحشر الخ وتسلمون بذلك تسليما

أما القسم الثانى فهو لبّ اللباب وهو الجوهر المكنون وهو المقصود الأتمّ من دينكم المجيد فاذا قرأتم ــ قل انظروا ماذا فى السموات والارض ــ نظرتم بعقولكم أحرارا كما نظر أهل أوروبا واليابان وأمريكا وأهل الصين . تنظرون بعقولكم أحرارا إذ ليس ذلك مناقضا للقسم الأوّل بوجه من الوجوه . فاذا قصرت أكثر الأمم الاسلامية فى هذا القسم فى العصور المتأخرة فانى أيها المسلمون لم أتركـكم تتخبطون فى ديجور الظلام بل ألهمت الأمم فأبرزت العلوم وأمرتها فقاتلتكم ونشرت لغاتها فى بلادكم وذلك لاوقظكم الى علومى ومعارفى التى أنا الصانع لموضوعاتها وأنا الشارح لصدور الناس ليدرسوها . فهاأناذا سهلت لكم السبل وذللتها فالظلم الأمم طوعا أوكرها وهم يحملون علوم مخلوقاتى التى أمرتكم بها فى كتابى . تلك العلوم التى لاسبيل لمعرفتها إلا بالعقل المحض بخلاف القسم الأوّل الذى لاسبيل الى تغييره ولاتبديله والاقتصار على القسم الأوّل من قسمى الدين مؤذن بالخراب مؤدّ الى الجود مهلك الأمم . أما القسم الثانى فهو المقصود الأعظم من هذا الوجود وهو المقصود من مثلكم فى الانجيل وانكم كزرع أخرج شطأه الخ

فتبين من هذا أيها الفاضل الذكى هنا أن الفتح فتحان . فتح البلدان وفتح العلوم وكلاهما جاء فى آخر سورة الفتح وفتح العلوم هو المقصود الأتم وهو المناسب لتفسير آية ــ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ــ فان المعانى المدرجة فيها فتح علمى لافتح البلدان . إن فتح البلدان قد خاف منه النبى ﷺ إذ قال ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ﴾ الحديث وقد تقدّم عن الشيخين فى سورة الأنفال فالنبى ﷺ يقول ان هذا أخوف مايخاف علينا والمخوف منه قد تحقق فعلا فليس فى قدرته ﷺ ردّ قضاء الله وقدره وقد قضى الله بأن ماخاف منه النبى ﷺ قد كمل وتمّ وذلك أن فتح البلدان يورث التنازع على الملك وعلى الغنائم وعلى المال وعلى اللذات والشهوات و ينتهى ذلك بزوال الملك وقد حصل هذا كله أيام بنى أمية و بنى العباس وانتهى الأمر بضعف المسلمين وانحلال العزائم ومن أعظم ما خافه ﷺ ما جاء فى البخارى ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ وسيأتى ايضاح هذا المقام فى آخر سورة الكهف عند ذكر يأجوج ومأجوج إذ ترى هناك أن الأمم الاسلامية فوجئت بالتتار الذين دخلوا بلاد الاسلام

فى نحو القرن السابع الهجرى وأهلكوا الحرث والنسل . هذا هو الفتح الأوّل من الفتحين وهو الفتح الذى خافه ﷺ الذى جعل مقدمة للفتح العلمى الذى سيكون بعد انتشار هـذا التفسير وأمثاله إذ ستطلق العقول من عقالها و ينطلق المسلمون الى شرق البـلاد وغربها لدراسـة الأرض والسماء كما انطلق آباؤنا فى شرق البلاد وغربها لفتحها . فها أنا ذا أدعو المسلمين لجنى ثمار الفتح الأوّل وذلك بالفتح الثانى

نحن الآن جئنا فى زمان وجـدنا الامور ممهدة لنا والسبل مذللة . واذا ذلل الله للنمل سـبلها وهى حشرات فهاهوذا سهل لنا سبلنا ونحن من نوع الانسان . سهل الله لنا السبل فلسنا نحتاج الى حرب ولا ضرب وهذا التفسير مثلا ينتشر فى بلاد أفريقيا وآسيا وغيرهمـا لأن الطرق مذللة والفتح الاسـلامى الأوّل مهد لهذا التفسير ولأمثاله أن يقرأ فالعلوم ونشرها اليوم فتح علمى بعـد الفتح الأوّل للبلدان . وعلى كل من قرأ هذا التفسير أن يكون أمّة وحده يهدى الناس الى العلوم ومعرفتها ونشرها . ومن فهم ما كتبته فى هذا التفسير فقد شاركنى فى الرأى والفهم فوجب عليه ما وجب علىّ بل عليه أن يفعل كل ما فى طاقته . أما أنا فليس فى طاقتى إلا ما صنعته ـ لا تـكلف نفس إلا وسعها ـ فربما كلف غيرى بما لم أكلف به اذا كان على استعداد أتمّ فى مال أوجاه أوعلم والله هو الولىّ الحميد

فلما سمع صاحبى ذلك قال لقد أجـدت افادة تامّة ولـكنى أرجو أن تزيد القول ايضاحا . أما أنا فقد اكتفيت ولـكن كلما تضافرت الأدلة على المدلول ازداد المعنى ايضاحا وأرى أن هـذا المقام شائق والله واسع العلم فاطلب من الله يزدك علما فيزيد النور . فقلت قال الله تعالى ـ اذا جاء نصرالله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ـ

إن هذه السورة هى ملخص ما تقدّم . ألم ترأنه أمره بعد النصر والفتح ودخول الناس أفواجا فى الدين أن يسبح بحمد الله و يستغفره . فياليت شعرى ما التسبيح والتحميد . أليس الأوّل تنزيه الله عن الشريك والثانى اختصاصه بالحمد وقد عرفت أن الحمد يرجع لسائر العلوم إذ لا حمـد إلا على نعم والنعمة المجهولة يكون الحمد عليها نفاقا وكذبا وزورا

ومن حمد أحدا بلا نعـمة يعلمها فهو منافق أومستهزئ ورجل زور . ولقد كان ﷺ بعد فتح مكة يكثر من التسبيح والتحميد . ياليت شعرى . أليس معنى هذا أنه يعلمنا وهل هذه السورة جاءت لنقرأها نحن مجرّد قراءة أم جاءت لنقتدى بنبينا ﷺ ونبينا ﷺ بعد الفتح كان يحمد الله وهوقد أفرغت عليه سائر العلوم . أما نحن فلم تفرغ علينا العلوم وانما نحن مأمورون بالاجتهاد فى العلم كما قال تعالى لنبيه ﷺ ـ نحن على أثره ـ وقل ربّ زدنى علما ـ فنحن اليوم مأمورون بالعـلوم لنحمد الله بحق بعـد انتشار الاسلام فى الأقطار . الأمم الاسلامية اليوم يجب عليها حمد الله ولا معنى لحمد الله بغير علم بالمحمود عليه وهى سائر المخلوقات التى اذا جهلت كان الحمد عليها رياء وكذبا . فهذه السورة يؤخذ منها بطريق الاشارة والرمز أن الأمم الاسلامية تجدّ فى آخر الزمان فى العلم والحكمة وتعرف العلوم ولذلك كثر الحمد فى القرآن وتسمع المسلم فى صلاته يقرأ ـ الحمد لله ـ فى كل ركعة والحمد جاء فى أوّل سورة من القرآن من حيث ترتيب القرآن فى السور والمسلمون يسمون (الحـادين) يحمدون الله فى السراء والضراء و بعد الأكل والشرب وعند النعم والنقم . ويقول المسلم فى صـلاة الصبح ﴿ فلك الحمد على ما قضيت الخ ﴾ قال تعالى ـ وآخردعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين ـ ونبينا ﷺ له مقام الحمد والله يقول لنا ـ وقل الحمد لله سـيريكم آياته فتعرفونها ـ وهذا يدل دلالة الاشارة أن آخر هذه الأمّة يوقفهم الله على عجائب صنعه فيعرفونه وهذا أوانه وانى أحمد الله عزّ وجل الذى وفق لهذا التفسير ومنح وهـدى وأعطى وهوسبحانه سيلهم كثيرا من قرائه بـذل النفس والنفيس والمهج فى سبيل نشر العلم وتعميم التعليم للعلوم كلها والصناعات وحبّ الله تعالى

أن

إن الأمة الاسلامية كلما زاد غلها بهذا الوجود ازدادت ثمراتها فى الحياة وأصبحت قدوة للناس شرقا وغربا . إن الأمم اليوم تقرأ العلوم ولكنها لاتقول انها موافقة لأديانها . أما ميزة الأمم الاسلامية بعد انتشار هذا التفسير ونحوه فانها تقرأ العلوم وهى موقنة أنها مقصودة من الدين بل سيقرؤنها و يعلمون أنه لا نسبة بين تلك العلوم و بين العبادات . إن العالم بعلوم هذه الدنيا أفضل من العابد بما لاحصر له قال تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ وقد ذكر ابن عباس أن بين العالم والعابد درجات كثيرة كل درجة منها كما بين السماء والأرض إذ من ميزة الأمم الاسلامية المستقبلة أنها تقرأ العلوم وهى مستغرقة فى حب الله فاذا كان ظاهر علوم الفلك أو علم النبات مثلا يرجع لامور الحياة فان عجائبه و بواطنه كما رأيته فى هذا التفسير يرجع للغرام بالله تعالى . وكلما ازداد الناس علما دنيويا ازدادوا بجانبه علما بربهم وعلى مقدار سعادتهم بعلوم الدنيا تكون سعادتهم بربهم و بجنته و برحمته الواسعة

والدليل على ذلك ما مر آنفا فى هذا المقام فى تفسير ـ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ـ فان نظام الأوراق لم نصل لحسن ابداعه فوق الأشجار المختلفة إلا بعد نقل ذلك من كتب الفرنجة والمؤلف لذلك الكتاب يقول ان هذا العلم نقله عن علماء النبات إذن جمال النبات وغير النبات لا يعرف إلا بعد استيفاء نفس العلم بمصالح الدنيا الذى هو فرض كفاية فى ديننا . أما النظر العام فى جماله فذلك فرض عين على من قدر عليه لأمرين للتوحيد وللشكر ففى علم النبات ﴿ ثلاثة فروض ﴾ فرض كفاية لمصالح الدنيا وفرضا عين هما التوحيد والشكر لامر الآخرة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ لارتقاء النفس والحب والبهجة وهذا العلم على هذا النحو هو المقصود من هذه الدنيا بل لذة العلم هى المقصود فى الدنيا والآخرة بل القرب من الله انما يكون بالعلم . وهذه المعانى ليست فى أكثر كتب الفرنجة بل هم يقرؤن العلم من حيث هو ولامقصد لهم سواه لأن دينهم ليس فيه حض على العلم بوضوح كما فى القرآن فاذن أمم الاسلام متى عرفت هذا النظام ترق أكثر من الفرنجة بعد ترجمة علومهم . فدين الاسلام ﴿ قسمان ﴾ قسم هو العلوم كلها بها يتقرب العبد لله و يكون من أوليائه وبهذا يصبح الأولياء والصديقون فى الأمم الاسلامية والطبقة الراقية كلها يشاركون أوروبا وأمريكا واليابان فى علومهم ولغاتهم وفى التاريخ والآثار وعوالم الكواكب والنبات والحيوان الخ والقسم الآخر يختص بالمسلمين وهو العبادات ونحوها وبهذا يصبح المسلمون أغنى من جميع الناس فى العلم وفى الدنيا وفى الدين وكيف لا يكون كذلك والدين أصبح هو نفس هذه المدنية بعينها ونصها والقربى الى الله بنفس هذه العلوم كما رأيت فتكون علومهم شارحة لصدورهم مقربة لربهم نافعة لأبناء نوعهم من الآدميين . سيكون فى العالم أمة اسلامية خليفة لربها يقتدى بها المقتدون تشارك الأمم فى علومها وتزيد عليها العشق والحب والغرام بهذا الوجود الذى تعيش فيه و يصبح فيهم حكماء فان الحكمة أولها حب العلم ووسطها معرفة العلوم ونهايتها حب الله والتخلق بجميل الأخلاق

ففز بعلم تعش حيا به أبدا ❊ الناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه ❊ والجاهلون لأهل العلم أعداء

فلما سمع صاحبى ذلك قال لقد أجدت وأحسنت ولكنى أريد أن تلخص لى ماتقدم كله فى بضعة أسطر وتزيد عليه كيف عميت هذه الحقائق عن أكثر المتقدمين . فقلت ان محصل ماتقدم أولا أن آية النبات ووزنه ظهر سرها فى كتب الفرنجة وانهم قد عرفوا الاوراق وترتيبها وترتيب دوائرها بحيث جعلوا لها جداول مرتبات منظمة من الكسور الاعتيادية و بين هذه الكسور مناسبة كالتى بين الجداول المتقدمة . وثانيا أن الأمم فى نظامها كالنبات فى اتقانه فالناس لوفطنوا لأدركوا أنهم فى نظامهم محتاج ومتوقف بعضهم على بعض فى جميع الكرة الارضية ولايزالون فى ذلك حتى يصلوا لهذه النتيجة . وثالثا أن الله جعل الانسان نباتا وضرب المثل

بالزرع فى سورة الفتح للسلمين . وربما أن الفتح فتحان فتح بلاد وقد تم أمره وفتح علوم وهو الذى سيكون بعد نشر هـذا التفسير وأمثاله وفتح البلدان خاف منـه نبينا ﷺ وفتح العلم أمرنا بالزيادة منـه فالفتح العلمى مأمون العواقب وهوالزمان المستقبل الذى تتم فيه الصفة المحمدية المسماة بالعيسوية تصطلح فيها سائر الأمم . ويستحيل أصطلاح الأمم والمسلمون والأمم معا جاهلون

اما قولك كيف عميت هذه الحقائق على كثير من أسلافنا فاعلم أن الله هوالذى قال ـ سأريكم آياتى ـ وقال ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ إن الله عزّوجل لايخلق الامور إلا فى أوقاتها المناسبة وهذا الزمان أنسب الأزمنة لذلك لاسيما بعد أن ذاق المسلمون ذل الجهل وتجرّعوا صعابه وأوصابه فالأجيال المقبـلة سيقبلون على هذه العلوم بعد ادبار آبائهم عنها ويحرصون على تحصيلها حرص آبائهم على تركها والتبرى منها وعلى مقدار اقتراب بعض المتقدّمين لله بمعاداة هذه العلوم يكون اقتراب أبنائنا لله تعالى بمحبة هـذه العلوم والانغماس فيها

﴿ الكلام على نحو الفتوحات المكية لابن عربى ﴾

واعلم أن الأمم الاسلامية لما أفل نجمها وغابت شمسها وأدبر سعدها وأقبـل نحسها أذلت العلماء ومحت آثارهم كما حصل لابن رشد بالأندلس ولكتاب الاحياء فى تلك الأرجاء من الاحراق والتمزيق . لذلك أخـذ الخلف منهم يعلمون العلوم باسم التصوّف كما ترى فى الفتوحات المكية لابن عربى وفى الفصوص له فالكتاب بحر متلاطم الأمواج فى وحدة الوجود ونحوها . وقد كان الأذكياء من علماء الاسلام يقرؤن هذا الكتاب فيخيل الىّ أنهم أشبه بذباب غرق فى العسل

إن ذلك الكتاب بحر لجىّ لاساحل له بقلم فياض ولكن القارئ له ينصرف بالكلية غالبا عن العلوم المحيطة بالناس فى السموات والأرض وليس معنى هذا أنه ليس فيه هذه العلوم . كلا بل انه هو كان يعرف الفلسفة القديمة معرفة تامّة وكذلك الشريعـة الاسلامية وهما فى يديه معا يتصرف فيهما بالانشاء ولكن غلبت على الكتاب الامور الغائبة عن العيان فكان القارئ له يضيع بقية الحياة فى حلّ رموز الكتاب ويرى نفسه ليس أهلا لفكر آخر ولا لاجتهاد . واعلم أن الله عزوجل ألهم بهذا التفسير لتزن القوى فى الأمم الاسلامية فان هذا التفسير وأمثاله يجعل فى الناس شوقا الى معرفة العوالم العلوية والسفلية ومشاركة الأمم والعلوّ عليها فى علومها ولكن الفتوحات وأمثال الفتوحات كثيرا ماتلقى فى وهم القارئ أنه ليس أهلا لأى فكر ولأى اجتهاد لأن مافى الفتوحات فوق متناول العقول البشرية فتقف العقول غالبا والله أسأل أن يهـدى بهذا التفسير أمما وأمما وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم . انتهى

﴿ الكلام على قوله تعالى ـ وجعلنا لكم فيها معايش ـ ﴾

يقول الله تعالى إن أنواع معاشكم التى تغذيكم وترويكم وتلبسكم وتداويكم قد سخرناها لكم فى الأرض فلا السمك فى البحر غذيتموه ولا الطير فى جوّ السماء ربيتموه ولاغـيرها من أشجار الجبال وغابات الأرض وعجائب البرّ والبحر خلقتموه . إن فى خزائننا من أنواع المعادن النفيسة والمخلوقات البـديعة ما لاحصر له ولكننا لانعطيه لكم إلا بمقدار ولانمنحكم إلا بحساب . ألم تروا الى الرياح كيف جرت لحكمة دبرناها وآية بيناها فهى تحمل السحاب وتلقح الأشجار وما الرياح إلا الهواء أثارته الحرارة الشمسية فكان ماكان من الرياح وأقلها يجتاز قدمين فى الثانية الواحدة والنسيم سرعته خمسة أقدام فيها والمعتدل من الرياح من ١٠ الى ١٦ قدما فى الثانية وقواصف المناطق المعتدلة من ٦٠ قدما فى الثانية الى ١٠٠ قدم وهى فى المناطق الحارة من ١٠٠ قدم الى ٣٠٠ قدم والكلة التى تخرج من المدافع تقطع ٦٠٠ قدم فى الثانيـة باعتبار المتوسط وفى أوّل خروجها ضعف هذا أى نحو ١٣٠٠ فأعظم الرياح يجرى كنصف متوسط تلك الكلة والصوت الذى

يجرى

يجرى مع الريح فى اتجاهه يقطع ١٠٠٠ قدم فى الثانيــة والضوء يقطع (١٨٦) ألف ميل وانما قرنت لك سرعة الهواء بسرعة المدفع وسرعة الصوت وسرعة الضوء لتطلع على خزائنه التى أبرز بعضهالنا وترى أن تلك السرعات المختلفة جاءت لمصالحنا وهى مما أبرزه من خزائنه . أفلست ترى أن سرعة الريح لوكانت دائما أشبه بالعواصف فى البلاد الحارة لم يستقر الحيوان والانسان ولساءت الحال ولم يتم العمران . أولست ترى انه لو بقى الهواء ساكنا لم يتم لقح النبات ولم ينتظم ولم تجر السفن ولم يسعد الناس الخ . ألست ترى أن اعتدال النسيم تارة وقصف القواصف وعصف العواصف فى بعض الأوقات بعض الخزائن المخزونة التى أخرجها الله بحكمة لاسعادنا . أولست ترى أن سرعة الضوء لولم تكن بهـذا المقدار لكانت الأرض مختلة النظام فى حياة من عليها أعنى أن الضوء لوكانت سرعته كسرعة الريح لم يصل لنا ضوء الشمس سريعا كما يصل الآن فتأمل هذا المخزن الذى أمامك وهو مخزن الحركات التى فى الرياح وقل لى . أليس الهواء لولا حركته ماجرت السحب بالرياح ولولا الرياح لم يلقح الشجر . إن حياتنا وديعة أودعها الله فى الأرض وأوصى عليها الهواء وقال للحرارة حركى الرياح بحيث تزجى السحاب فى أوقات معلومة ولو أن الرياح كانت ساكنة لم نعش ألبتة فما الذى يحمل السحاب فينزل المطر وقال أيضا احلى أيتها الرياح لقح الأزهار التى هى ذكور الى الأزهار التى هى إناث

يقول الله لها احلى طلع الذكور وضعيه على الاناث من كل نبات لتخرج الثمار والفواكه للناس . سيرى أيتها الرياح بلطف ولا تكونى كالقواصف ليستقر الطلع فى الأماكن التى وصل اليها ولتسير السفن فى البحر فلا تكسر قلاعها بسرعتك الشديدة وحركى أيتها الرياح الأشجار لتدفعى عنها ماعلق بها من الغبار وليكون ذلك رياضة للشجر والزرع كرياضة الحيوانات لينفذ الغذاء فى المسام فالنبات بتحريكك له والحيوان باختياره فى الحركات الحربية والحركات الرياضية . فهذه خزائنى أيتها الرياح فيك أودعتها لاهنئ مخلوقاتى على الأرض وأجعل جريك بقدر مقدور

هذه بعض خزائن الله فى الهواء ذكرها الله هنا ليتبين الناس كيف كانت الخزائن فى بقية المخلوقات وهذا هو قوله تعالى ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه ــ الى قوله ــ وأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ــ

﴿ ومن خزائن الهواء الرياح الدائمة المنظمة والرياح الدورية والرياح المختلفة ﴾

فالرياح المنظمة تذهب من الشرق الى الغرب ومن القطبين الى خط الاستواء فالتى تذهب من المشرق الى المغرب تكون بين مدار السرطان ومدار الجدى جاءت من حرارة الشمس ومن حركة الأرض حول محورها فحرارة الشمس تجعل الهواء خفيفا فيعلو ويسير والهواء فى المنطقة المعتدلة والمنطقة المتجمدة فى نصفى الكرة يجرى الى مابين المدارين ليحل محل الهواء الذى خف وارتفع فجرى الرياح هناك دائم ولا يستشعر به إلا على بعد مائة فرسخ من الساحل الغربى لافريقيا

ومن عجب أن فوق طبقات الريح المنتظمة يجرى تيار مخالف له . فاعجب لنظام بديع . خف الهواء بين المدارين فارتفع الى أعلى وجرى فكان ذلك سببا حرك الرياح من الربع الشمالى والربع الجنوبى فجرت على عجل لتحل محل ماخلا من الهواء فى تلك الأقطار وكأن تلك الرياح قوم من البشر ذهبت أرواحهم الى عالم الأرواح فجاء آخرون حلوا محلهم . والحركة بين هؤلاء وهؤلاء دائمة فحرارة الشمس بتأثيرها فى الاقطار الاستوائية وماوالاها رفعت الهواء الى أعلى الطبقات كما ترفع الأرواح من عالم الارض الى عالم السماء وتخلو أمكنتها فيحل محل هذا الهواء نظيره من نصفى الكرة كما يحل أناس فى الارض محل الذاهبين

اذا فهمت هذا فتعجب كيف أتى بعدها بقوله ــ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ــ لان حركات الحياة والموت كحركات الرياح المنظمة . وأما الرياح الدورية فهى التى تسمى ريح الموسم وهى تكون فى

البحر الهندى وهى تهبّ ستة أشهر من مهب واحد من السماء وفى ستة أخرى تهبّ من جهة مقابلة لها وهى دائما تتجه جهة نصف الكرة الذى سخنته الشمس بأشعتها ولا تتجاوز الدرجة العاشرة أو الثانية عشرة من العرض الجنوبى

أنار خزائن الله فى الهواء وانظر خزائنه فى الماء الذى حمله الهواء وانظر الى البحر كيف خزن الماء فيه والحرارة أثرت فيه فحمله الريح من البحار الملحة ومن الآجام والمواضع الرطبة وذلك بقدر يقول الله للحرارة كما يقول للرياح لا تلحى أيتها الحرارة على البحار إلا بمقدار حتى يكون بخار على قدر الحاجة فيكون سحاب واذا نزل المطر على الأرض فاحفظيه ياجبال لعبادى وياحرارة أذيبيه قليلا قليلا ليزيد فى الأنهار وياثلوج فى فوق الجبال وانتظرى الحرارة حتى تذوبك قليلا قليلا لتزيدى فى الأنهار وياعيون انبعى بقدر معلوم وليبقَ الماء مخزونا فى جبالى وفى أرضى وفى المجارى التى تحت أرجل الناس فى طبقات الأرض ولتكن قريبة حتى يسهل لهم اخراجها عند الحاجة . هـذه هى بعض خزائنى . فاياك يابحر أن تطغى على اليابسة . واياك يا أنهار أن تعمى الأرض دائما بالماء بل لتكن زيادة وليكن نقص على حسب ما أرسلت لكن من حرارة الشمس . هكذا أمر الله . فهـذه الحركات الجوية والمائية وتعاقبها واهتياج الرياح وارتفاعها الى أعلى بين المدارين وحلول الرياح الآتية من المناطق المعتدلة والباردة أشبه بما فى حركة الأحياء وحلولهم محل الأموات كما قدّمناه . إن هذه هى المقدّمات المعيشية للناس فى الأرض فليس يكون الناس إلا حيث يكون هذا الهواء وهذا الماء والقاح الشجر والانسان هو الملك الذى توّجه الله على ملك الأرض فلما أتمّ الكلام على نظام المعيشة والحياة وشرع يذكر حياة الانسان وموته التى هى نتيجة هـذا كله بدأ يذكر الحياة والموت فقال — وانا لنحن نحيي ونميت — كما جعل فى الرياح تيارات عليا فوق الرياح المنتظمة لأن هواءها أخفّ فكان أعلى . يقول الله إن حركات الأرواح فى الحلول بأرضكم والارتحال عنها الى عالم ألطف من عالمكم لا تخالف ما على أرضكم من الحركات فهواؤكم يحمل السحب فيرفعها وقد كان ماؤها فى أرضكم هكذا أنا أحييكم باقامتكم فى أرضى وأميتكم باخراجكم منها لتوسعوا الطريق الى من بعدكم وليطلع على خزائنى أمم كثيرة تأتى بعدكم وليس احياؤكم واماتتكم بلا قانون مسنون بل لها طريق معلوم واذا علمتم ماسنناه فى الماء والهواء فاعلموا ماسنناه فى الحياة والموت فنحن نحيي بقدر ونميت بقدر فعلمنا المستقدمين منكم وعلمنا المستأخرين كما علمنا ارتفاع السحب والرياح وقدّرنا انخفاضها وانحطاطها فى أوقات معينة ثم بعد ذلك نحشركم جميعا

فهنا آن أن نشرح لكم الحياة الدنيا وأن نشرح لكم الحياة الأخرى بعد ما بينا المعايش التى لا بدّ منها فى حياتكم الدنيا

﴿ كيف كان خلقنا ﴾

وهنا أبتدى بذكر خلقكم وأشرح كيف خلقناكم لنبين الحياة ثم أشرح كيف تكون حالكم بعد الموت على سبيل اللف والنشر المرتب . أما حياتكم فانى أمثلها بما تصنعون . إنكم تصنعون من الطين أباريق وأوانى مما تستعملونه لاموركم المعيشية فتبدؤن بتصوير الطين ثم تضعونه فى النار فيحترق وذلك هو الفخار

هكذا أنا صنعت الانسان . ذلك أنى سوّيته من العناصر الأرضية التى يتغذى بها النبات ويغتذى بذلك الانسان ويصير فى دم الحيض الذى يغذى الجنين ثم انكم أنتم تأكلون الطعام المكوّن من الطين فيصبح الطعام من جملة جسمكم الانسانى والماء معه . فالذى يقوم مقام الطين فى صنع الفخار هنا شهوتكم المركبة فيكم فان هـذه الشهوة بها جلبتم المواد النباتية التى تأكلونها وتصير من جملة أجسامكم بعد هضمها . إنى جعلت الشهوة هى التى تقوم بعملية تصوير أجسامكم بعناية وحكمة دبرناها والذى يقوم مقام نار الفخار لاحراقه هو ماركبته فيكم من قوّة الغضب التى بها تحافظون على أجسامكم ومدنكم وقلاعكم وأعراضكم فلا تفتضحون

فهذه

فهذه القوّة الغضبية فيكم مقابلة للنار التى تحرق الفخار فيصير قويا اذا نقرتموه صوّت . وهذه الحرارة أكسبته البقاء ولولاها لتكسر . هكذا قوّة الغضب جعلتكم تدفعون بها عن أنفسكم مايؤذيها من السباع والأعداء وهكذا الحرّ والبرد بالاستدفاء فان المراد بهذه القوّة المحافظة سواء أكان مع حدة أم لا

والدليل على أن هذه القوّة كالحرارة فى الفخار انك ترى الرجل اذا غضب تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ويثور الدم ويحمر وجهه ويغلى ويفور كل مارطب من جسمه . فهذا دليل أن قوّة الغضب نارية كما أن قوّة الشهوة أرضية لأنها تميل الى الأرض والى التعاطى من أغذيتها ومائها . هذا قوله تعالى ــ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ــ

ولما كان هناك عالم ألطف من عالمنا وكان ذلك ﴿ قسمين ﴾ قسم وجد لايذائنا وعدم طاعتنا وقسم خلق لمصلحتنا ونعمنا كما أن من النبات ماهوشوك يؤذينا ومن الحيوان حيات تميتنا وعقارب لايذائنا وهكذا منها نخل وورد وغزال وبقر لمصلحتنا . هكذا كان فى العالم الروحى من هو مؤذ لنا كما آذانا المكروبات من الحيوانات والآساد فوجد عالم الجنّ الذين هم أرواح إما مفارقة للأبدان الانسانية واما غيرها توسوس للناس وتغويهم كما ثبت فى العلم العصرى بأوروبا ونقلناه فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ ووجد عالم الملائكة الذين هم نافعون لنا وحافظون لحياتنا . فعالم الجنّ مخلوق من النار الحارّة الشديدة الحرارة قد عظمت فيه القوّة الغضبية كما نرى الآساد فى علم الحيوان قويت فيها القوّة الغضبية فلم تخضع للانسان . وهكذا نرى أشرار الناس لايريدون إلا الأذى

﴿ خطاب الله للملائكة والجنّ ﴾

وهنا تجلى المقام فى المحاورات الالهية بين الملائكة وربهم وبين الجنّ وخالقهم فقال الله للملائكة الأرضيين الذين هم قائمون بتدبير العالم الأرضى حينما أراد خلق الانسان . أيها الملائكة هذه هى الأرض وهذه هى الحيوانات وهذه هى النباتات وهذا هو المطر والرياح والسحب . أفليس هذا النظام حسنا . بلى هو حسن ولكنى أريد أن أجعل لهذا الملك العظيم من يقوم بنظامه ويتصرف فى جميع ماترون فاذا خلقته وسوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وقدّموا له كل منافع الأرض من ماء وحيوان ومن جميع المعايش التى قدّمنا ذكرها فامتثلت الملائكة وهاهم أولاء يقدّمون للانسان أنواع الحيوان والنبات والماء والهواء كل ذلك ينتفع به الانسان والملائكة هم القائمون بالتدبير إذ ليس يعقل أن هذا النظام المحكم يسير بحرارة عمياء وريح أصم ومطر وسحاب لايعقلان . كلا بل هناك عالم الملائكة والعقول العالية المحكمة للعمل . فكما قام الملائكة بنظامنا قامت الحيوانات على الأرض بخدمتنا بل هى أنفسها من النظامات التى قامت بها الملائكة . فهذا هو سجود الملائكة للانسان فالسجود باق كما كان فهو فى هذا الزمان وفى كل زمان بهذا المعنى . فأما الأرواح المسميات بالجنّ فانها لم ترتق عن درجة القوّة الغضبية فى الانسان فالغضب يحرّك فينا عواطف الانتقام . أما العلماء منا فان نفوسهم نورانية يحبون نوع الانسان كله ويودّون سعادته فعقولهم ملكية نورانية . فالشياطين طبائعهم نارية كطبائع الناس الذين لم يهذّبوا والملائكة هم نفوس عالية طبائعهم كطبائع الأنبياء والحكماء فى الأرض فيهتمون بمصلحة الناس ــ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ــ فترفع وتعاظم أن يسجد لمن خلق من طين وهو مخلوق من النار ونظيره مايرى من الآساد والنمور لاتلين قناتها ولاتخضع للانسان حتى يركبها ويذللها للحمل والركوب ونحوهما كما خضعت الابل والحمير والبغال فالملائكة اذن كالأنبياء والعلماء والشياطين كأشرار الناس وكالآساد فترى الرجل الذى غلب عليه الحقد والغضب يهزّ عطفه اذا ذكرت له فضل العلماء وفضل أبويه مثلا فى حالة غضبه ولايبالى بأحد مطيعا للقوّة الغضبية التى تحجبه عن المودّة والمحبة . فلذلك خاطب الله ابليس فأمره بالخروج ونظيره مانفعل بالشوك فنخرجه من أرض العمران ومانفعله

بالآساد والنمور والذئاب والناس والحيات والعقارب فانا نجدّ في ابعادها عنا لأن طبعها الأذى وكما نجتهد في حبس الأشرار سفاكي الدماء . هكذا أخرج الله الأرواح التي غلب عليها الغضب عن مساعدتنا بل جعلها توسوس لنا وسوسة تريح تلك الأرواح كما يستريح المغضوب بإيذاء من غضب عليه كما هو مدوّن في كتاب ﴿الأرواح﴾ الذي ألفته وهذا قوله تعالى ــ اخرج منها فانك رجيم * وانّ عليك اللعنة الى يوم الدين ــ وهذا لا شك فيه لأنه مادام الانسان على الأرض فلابد من بقاء الأرواح الخبيثة التي لاتفتأ توسوس للناس كما لابدمن بقاء الناموس والحيات والعقارب . ولايخلص الناس من الناموس والآساد وأمثالها إلا بحفظ مدنهم واتقاء الأخطار برفع القاذورات من دورهم وردم المستنقعات والبرك ووفور العمران . فهنالك تهابهم الآساد والنمور وغيرها وتموت الحشرات المؤذية

هكذا هنا متى طهر الناس أخلاقهم وتهذبوا ذهبت عنهم الرعونة الشيطانية وصارت قوّتهم نورانيــة لا نارية شيطانية وهذا معنى قوله ــ أنظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ــ فهذه المحاورة أشبه بحكاية حال هذا العالم الجثماني والروحاني والمادّي والمعنوي ساقها الله هنا ليعرف المسلمين كيف بدأ خلقهم وكوّن طباعهم وجعلها بمثابة محاورة بينــه و بين ملائكته ليقرأها الجاهلون تعبـدا و يفهمها العلماء تفكرا . فاذا حصل لهم فيها شك وريب عمـدوا الى كتب الحكمة ففتحوها والى دروس الطبيعة فاستوعبوها والى علوم الانسان والحيوان فدرسوها والى علوم التشريح فاستوعبوها والى قصــة الأرواح التي ظهرت في العالم اليوم فكشفوها

يا أيها المسلمون هذا كلام ربكم . يا أيها المسلمون هذا هو القرآن المنزل لتدرسوه أما التلاوة البحتة فقد مضى وقتها فأما دراسة العلوم فهذا أوانها ولن تعرفوا أنفسكم وتنظموا مدنكم وتوقنوا ايقان الحكماء بالحقائق إلا بأمثال هذه الدراسة . ثم انظر بعــد ذلك في القسم الذي أقسم به إبليس إذ قال ــ فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ــ وعبر بالعزّة لأن العزّة هي الغلبة والشيطان لم يحظ من الحياة إلا بحب التسلط وقد حرم من النفع العام فحلف بالعزّة الالهية لما كان في نفسه هو من عزّة شيطانية وفرق بين العزّتين كالفرق بين البقة والفيــل ولكن هكذا كان حلف بعزّته ليغوين بني آدم أجمعــين إلا العباد المخلصين كما نرى الذباب والبراغيث وسائر الحشرات تتخطى الذين نظفوا أجسامهم ومدنهم ولاتؤذى إلا من أهملوا شؤنهم وكانوا كاسلين فأجابه الله ــ إنّ عبادي ليس لك عليهــم سلطان الخ ــ لأن الشئ لايأتي إلا لما يناسبه فالصالحون لايؤثر فيهم الشيطان ولايغويهم لأنهم ليسوا من طباعه كما لايقع الذباب إلا على الأعين القذرة الوسخة . وهيهات هيهات ان يقع على الأعين النظيفة لأنه لاغذاء لها فيها . هكذا الشيطان من شياطين الانس والجن لايوحى بشرّ إلا لمن يجد فيه قبولا لشرّه وأنسا بقوله واستماعا لنصحه . هنالك يكون لقوله سميعا ولنصحه مطيعا ولامتثال أمره سريعا . هذه هي قصة الانسان من يوم أن يولد الى أن يموت وهذا ايضاح لأحد شقي الآية السابقة وهي ــ وإنا لنحن نحيي ونميت ــ ولما فرغ من الكلام على حياة الانسان في الدنيا شرع يتكلم على حياته الأخرى فقال ــ وان جهنم لموعدهم أجمعين الخ ــ

فهنا ذكر الجنة والنار ولم تخرج هذه الحياة عن التي قبلها إلا في ذهاب الأجسام الحالية . و بيانه أنك رأيت أن الناس على وجه الأرض مخلوقون من طين ومن نار وعرفت أن القوّة الغضبية غلبت في الفجرة والجاهلين وهي من نوع النار وعلمت أن الله لايجعل دنيا ولا آخرة إلا بنظام وحكمة فاذا أدخل قوما جهنم فلم يعدل بهم عن السنن المعهودة . إن طباعهم لاتستحق إلا جهنم لأن أخلاقهم نارية غضبية فالشياطين خلقوا من النار كما نرى في أشرار العالم الانساني وجهالهم فلاجرم وضعوا في جهنم لما غلبت عليهم الطباع النارية ومن باب أولى اذا كانوا في طباع أخس منها بأن كانت طباعا شهوية

لما

أما أولئك الذين دخلوا الجنة فهم إما طباعهم نورية واما مصقولة بالأنوار والآداب التى عليها لهم أصحاب الطباع النورية من الأنبياء والعلماء والحكماء والملائكة

﴿ بماذا وصف النار و بماذا وصف الجنة ﴾

وصف النار بأن أهلها سبع درجات فى سبع طبقات كل قوم غلب عليهم نوع من الشهوات المقسمة على الأعضاء الجسمية . أما أهل الجنة فانظر ماذا حصل نزع الله من قلوبهم الغل والحسد . ومعلوم أن الغل هو من طباع القوة الغضبية . فههنا نظف الله أهل الجنة من تلك القوة التى يكره بها الانسان من عداه من الناس وهى طبع الشياطين وطبع أهل الشر من الانسان . فاذا خلق الله الانسان من نار وطين فان العلوم والدين والتهذيب قد تصقله وتصفيه وتبعد عنه رجس الأخلاق الشيطانية الابليسية التى نحن الآن بتعذيبها لنا فى القضايا والمشاكل والعداوات فنكون اخوانا ولانخرج من الجنة اهـ

فانظر كيف ابتدأ بذكر المعايش فى الأرض وشرح الهواء والسحاب ثم قفى بذكر خلق الانسان وماتلا ذلك من الشياطين والملائكة ثم أتى بالنهاية من حياته حتى انتهى الى آخرها فى جنة أونار وهذه هى قصة العالم الذى نحن فيه باعتبار طبيعته ولم يبق شئ بعد ذلك . واياك أن تظن أن هذا ينافى ظاهر الآية فان هذا رأى الذين لايعلمون . فاذا حدثتك نفسك بهذا فقل إن علم البيان فيه الكناية وهى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلى كقولك فلان طويل النجاد أى علاقة السيف فهذه العبارة لم يقصد بها مجرد أن علاقة السيف طويلة بل القصد انه هوطويل والمقصود هوالثانى مع صحة المعنى الأصلى . فهكذا هنا نقول محادثة الله مع الملائكة ومع ابليس تشير الى المعنى الذى ذكرناه وهذا المعنى هوالمقصود

فقل لمن يدعى علما ومعرفة ✽ عرفت شيأ وغابت عنك أشياء

والى هنا انتهى تفسير القسم الأول وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى هذا القسم فى قوله تعالى ــ والأرض مددناها ــ الى قوله ــ ومن لستم له برازقين ــ ﴾

(عجائب مما رزقنا الله ولسنا له برازقين)

﴿ الأولى ﴾ جاء فى الجرائد المصرية يوم الخميس (٢) اكتوبر سنة ١٩٢٤ ما نصه

تقول احدى جرائد غرب أفريقيا انه بينما كان القارب البخارى (سجوف) ماخرا بجانب الساحل الافريقى الغربى إذ وقف فجأة فى جريوم فظن من فيه أن هذا شاطئ رملى خفى . وعندما انبلج الصباح عرفوا أنه قطيع كبير من الأسماك ومن كثرته واجتماعه فى مكان واحد لم يتمكن القارب من اختراق تلك الكتلة ثم تبين البحارة أن السمك الصغير كان يحيط به من كل جهة كثير من أفراس البحر التى كانت تعمل بسرعة متناهية فى أكل تلك الكتلة

﴿ العجيبة الثانية . الفحم وعجائبه ﴾

إن الفحم الحجرى يقطر ويستخرج منه غاز الاستصباح . ومعنى هذا أن الفحم يوضع فى أفران ويوقد عليه ويخرج منه جسم هوائى لطيف دخانى وذلك الجسم الدخانى يجرى فى أنابيب تمتد فى المدن وتوقد بها المصابيح وذلك بأعمال وشروط خاصة لايسعها المقام و بتلك العمليات يخرج منه قطران بواسطة مرور ذلك الغاز على ماء فى أوان مخصوصة فى طريقه كما يمر دخان التبغ فى الأعواد التى يشرب فيها الناس الدخان ثم تكون بعد ذلك بالتدريج غير القطران أنواع من الزيت الطيار ومن أنواع هذه الزيوت يستخرج أمور عجيبة مثل البنزين والانيلين وحمض الفينيك والانتراسيين . ثم وصل ما استخرجه العلماء من ذلك القطران ونحوه من هذه المادة الفحمية ثمانمائة مادة ولكن أهمها البنزين والسيلين والنفتالين والفنيول والكريسول وهناك مواد أخرى من هذه الثمانمائة هى أساس الأصباغ أى أنواع النيلة وأيضا هى أساس جواهر أخرى مفيدة

للطب والتجارة

فياعجبا كيف خزن الله الفحم الحجرى فى الأرض آلاف آلاف السنين ثم كيف أبرزه فى هذه الأيام ثم كيف جعل منه نور بيوتنا بما يسمى الغازالذى يجرى فى الأنابيب ويضيء الشوارع ومنه يكون حمض الفينيك الذى يطهر الأمكنة وهو سم ناقع قتال ومنه تكون الأصباغ وألوان الثياب المختلفة وأنواع الطب والتجارة . أليس هذا هو المخزن الذى خزنه الله

فياسبحانك اللهم خزنت الفحم فى الأرض دهورا ودهورا وأظهرته فأجريت به القاطرات وأنرت به البيوت والطرقات ونظفت به القاذورات وأجريت بالبنزين منه العجلات ولونت به ثياب الغانيات وأفدت به فى الطب صحة المخلوقات ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ فهذا هوالمخزن وهذه هى المخزونات

يا الله كما خزنت الفحم قرونا وقرونا وأفدت به الأمم اليوم عموما . هكذا خزنت فى القرآن خزائن وحفظتها للمسلمين فى الأجيال المقبلة . وهانحن الآن يا الله نفتح خزائنك للمسلمين كما فتحت خزائن الأرض وأبرزت جواهرها للعالمين . وانى لأرجو وآمل أن ينتفع المسلمون بخزائنك الأرضية متى عرفوا أنك منحتهم هذه العطية والمفاتيح فى القرآن . وهاهوذه نفتح بها ما انغلق على الأفهام وحرم منه قوم ظنوا الدين بريئا من خزائنك بعيدا عن جمال بدائعك فحرموا من الثمرات . فلك الحمد على أن فتحت الخزائن اليوم وتشرق الأرض بنور ربها للمؤمنين وهاهوذا كتاب الله نور للمؤمنين فهذا كتاب الله وهذه خزائنه فليفرح المسلمون فهذا أوان الانقلاب والأخذ بالأسباب فلله الحمد فى الآخرة والأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثانية فى الرياح وإلقاحها ﴾

هذا أنقله من كتاب ﴿ الزهرة ﴾ الذى هو مقدمة كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ تأليفى منذ عشرين سنة تقريبا

جمال النبات وبهجته فى الأزهار ونظامها

تأمل يا أخى معى . ولعلك قد رأيت الأمثلة الأخيرة التى شرحناها الآن فى تركيب النبات وكيف وزنت بميزان منظم لاتغيير له ولاتبديل وهكذا الجماد والأفلاك . وتأمل كيف ترى النظام باديا على ظاهر الأوراق والازهار فى تركيبها وشكلها ولونها والحشرات الواردة عليها ونومها ويقظتها ولنشرح لك ذلك كله فى هذه الرسالة الصغيرة فنعجل لك الفائدة قبل قراءة الكتاب الكبير وننقل لك ماقاله العلامة (جون لبك) الانكليزى فى هذا الموضوع لتقف على ما رآه العربيون فى الزهرة

يا صاحبىّ تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمسا قد زانه * زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى اذا * حلّ الربيع فانما هى منظر
أضحت تسوغ بطونها لظهورها * نورا تكاد له القلوب تنوّر

قال العلامة ما ملخصه ﴿ كان العلماء فى غابر الأزمان يذكرون فى رواياتهم أن الأرواح كانت تهدى الازهار الى من تحبهم أوتودّ مكافأتهم عطفا عليهم وتلطفا بهم وكان يظهر ذلك فى بادئ النظر أنه بضاعة مزجاة لاقيمة لها وكيف تساوى هذه الزهرة الصغيرة الهدايا الثمينة والتحف العالية ولكنها عند أولى الألباب قد جمعت حسنا وبهاء من جمال الطبيعة يؤدى الى النفوس سعادة والى القلوب مسرة والى العيون بهجة والى الصدور انشراحا والى الأفئدة انعطافا تفوق السعادة بها وبالتأمل فى جمالها سعادتنا بالذهب والفضة والاحجار النفيسة واللؤلؤ والمرجان

يقول كاتب هذه الرسالة وقد لمح تلك المعانى من خلال سطور الكائنات وملامح جمال المناظر الشيخ

صفى

صفى الدين الحلى * فقال

ورد الربيع فمرحبا بوروده * وبنور بهجته ونور وروده
فصل اذا افتخر الزمان فانه * انسان مقلته وبيت قصيده
يا حبذا أزهاره وثماره * ونبات ناجه وحب حصيده
فالورد فى أعلى الغصون كأنه * ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لنرجسه الجنى كأنه * طرف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد فى السماء مآتما * والأرض فى عرس الزمان وعيده

ولنرجع الى كلام العلامة (جون لبك) قال فما ألذ أويقات نصرفها فى الفلوات والخلوات ونتأمل جمال الطبيعة والذهب المنبعث من ضياء الشمس يكسو وجه الطبيعة حلة ذهبية تسر الناظرين . وليس هذا نهاية ماترتاح له النفوس من الأزهار فهناك عقول ارتقت عرش العلم ولبست تاج الأدب واستوت على ملك المعارف وتطلعت من شرفات الحكمة فظرت فى بساتينها أزهار جمالها فأخذت تتأمل فيما وراء ذلك من أشكال وألوان وصور حتى وقفت على أسرارها . ولعمرى اننا اذا أدركنا سر الزهرات الصغيرات دخلنا منها الى معرفة كثير من أسرار الكائنات . إن الوقوف على أسرار الطبيعة لاينا له إلا الذين صرفوا أوقاتهم فى تحصيله مع الصبر والعناية التامة والاحترام والمداومة أمد العمر . ومع ذلك فكل هذا لايغنى شيأ ولو وهبنا مواهب قدسية وعقولا سامية كما وهب (أرسطاليس) و (أفلاطون) إلا اذا وقفنا على كلام الأوائل وحادثنا التاريخ وناجينا ماوعته الدفاتر وقابلنا الرجال فهناك ننال من هذه العلوم حظا وافرا فان الانسان وحده لايستطيع أن يصل الى مايريد إلا بمشاركة غيره من أبناء جنسه اهـ

﴿ لطيفة ﴾

جلست أنا وصديق لى وأخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وكنا إذ ذاك نطل على أزهار باسمة فاصغ اليها لتقف على جمال الأزهار ومحاسنها وتعلم سيدى كيف حسن وضع تلك الصور الجميلة وانتظم شملها ووزنت بميزان الحكمة والاعتدال لتفهم قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وكيف وزن فى فروعه وأغصانه وأوراقه وأزهاره كما وزن فى تركيب أجزائه فيما ذكرناه وهذا ملخص من كلام السر (جون لبك) وضعناه لك بلسان عربى مبين لتقف منه على مانريد فى كتابنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ قال صديق ونرمز له بحرف (ا) وأنا (ب)

(ا) صديقى انظر الى شجر السنط والغار والصنوبر والصفصاف لم جردت أزهارها عن الزينة والجمال وجلت أزهار الأشجار المتوسطة فحسن منظرها وتأرج ريحها وابتسمت ثغورها واحتوت عسلا صافيا فى أسافلها تقتات منه الحشرات فهل تعلم لذلك من حكمة

(ب) سيدى قد جعل الله الأشجار الكبيرة لاتحتاج الى الرائحة الأريجة ولاجمال الهيئة ولا العسل بل هى غنية عن هذا كله أما غيرها من الأشجار فانها تحتاج لذلك بل لاحياة لها إلا بعسلها وجمالها ورائحتها ولولا هذه المزايا الجميلة لانمحت من صحيفة الوجود كما يمحى وجود النوع الانسانى بانقراض سنة التناسل بينهم

(ا) أرجو ايضاح هذا المقام فان هذا القول غامض على . وكيف يكون جمال صورة الزهرة سببا لبقاء النبات

(ب) اعلم أن الزهور على اختلاف أجناسها وتباين أشكالها وتنوع أصنافها يحتاج بعضها الى بعض فمنها ماخلق الله فيها الطلع ومنها مايقبله . وكما أن النخل فيه ذكور واناث وطلع الأول يلقح الثانى فهكذا جميع الأشجار ذكرانها تلقح اناثها فمثل الورد والرمان تلقح بواسطة الحشرات والحشرات لن تتعب أجسامها

وتطير فى الهواء بلاداع يدعوها الى ذلك . وهل من باعث أقوى من العسل الذى تشربه من أسفل الزهرة والرائحة التى تدلها عليها وقت الغلس وجمال اللون و بهجته التى تهديها فى أوقات الضياء والنور . أما الأشجار الكبرى كالصنوبر والغار فانها اكتفت بتدبير آخر وهى الرياح التى سخرت تحمل اللقاح من ذكورها لاناثها وقد دبر الله ذلك اللقاح فجعله كثيرا جدا حتى اذا حملته الرياح وتبعثر منه أهم أجزائه فما بقى كفى اناث الأزهار من ذلك النوع . واذا كان بعض الزهر فيما لايحتاج الى الريح قد تخرج الواحدة منه مابين ثلاثة وأربعة ملايين خردلة من اللقاح فما بالك بما يحتاج للريح فلابد أن يكون أضعاف هذا بما لايتناهى وبهذا التدبير فى الأولى والآخرة تخرج الأثمار والحبوب ويخلق شجر آخر وقد شوهد فى بلاد (اسكتلنده) غبار من طلع بعض الأشجار يمرّ فى الهواء كأنه سحب تزجيها الرياح ثم يؤلف بينها ثم تصير ركاما ويراها الناس بأعينهم تلقح إناث تلك الأشجار كما ينزل المطر على الأرض فتحيا بعد موتها مصداقا لقوله تعالى ــ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ــ

ومن معانى هذه المادّة الجمل فهاهى الرياح تحمل الماء واللقاح والأصوات لتصل الأرض والأزهار والآذان وهذا كله يجرى ونحن ساهون لاهون والقوم فى بلادهم تبرز معانى كتابنا المقدّس على أيديهم ونحن غافلون ومدبر الكائنات من فوقنا يلقح أشجارنا و يحكم أمرها ولادخل لنا ولاحول ولاقوّة ــ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون ــ

(ا) ها أنت أفهمتنى ظاهرة إلقاح الرياح للأزهار ولكنى لا أعلم كيف تحمل الحشرات اللقاح وهل تقصد ذلك وهل عندها علم وادراك حتى تنقد أثمان العسل والتمتع بالأزهار بأن تنقل الطلع من شجرة الى أخرى

(ب) اعلم ياسيدى أن الزهرة مركبة من أوراق خضر تغلفها من الظاهر ويسميها علماء النبات بالكاس داخلها أخرى ملونة بالألوان الجميلة يسمونها (التويج) تصغير تاج تشبيها لها بتيجان الملوك المرصعة بالجواهر الثمينة . وقد علمت مما ذكرناه آنفا أنها أرفع قيمة عند الحكماء وفى داخلها سوق تحمل الطلع فى حصن حصين بما أحاط بها من تلك الأوراق وفى أسافلها عسل فترى الحشرات تلك الألوان الجميلة فتسرع طيرانها اليها ليلا أوتشم رائحتها فى الظلام فتشرب العسل فتلمس ظهورها ذلك الطلع فيرش عليها كالدقيق فتذهب الى الزهرة الأخرى من ذلك النوع فيحصل تلقيحها ولاعلم للزهرة بذلك ولا للنحلة وانما كانت تسعى لمنفعة أنفسها وانما ذلك تدبيره تعالى ــ وما كنا عن الخلق غافلين ــ وهذا قد كنا أوضحناه فى كتابنا ﴿جواهر العلوم﴾ ولكن الأمر المدهش هنا تركيب الزهرات لمناسبة الالقاح وترتيبها وتزيينها حتى قيل ان الأزهار مدينة للحشرات فى جمالها وعسلها . فلعمرك لولا طواف الحشرات عليها مامنحتها يد القدرة الالهية ذلك الجمال ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزّله إلا بقدر معلوم ــ وما الحشرات إلا كنواطير البستان (بستانيين) فان ناطور البستان يختار من أجل الأشكال وأحسنها ليبدع فى اتقانها و يزيد فى تنظيمها وجمالها فكذلك هذه الحشرات بطوافها على هذه الاشجار زينت بتلك الزينة تشويقا لها لكن الناطور يختار بتمييزه وهذه بعناية الحكمة الالهية . وأعجب من هذا تدبير أشكال الأزهار على وفق هذا الالقاح

(ا) وكيف ذلك

(ب) تعلم أن أوراق (التويج) قد تنظم فتصير كأنها أنبوبة فى داخلها تلك الأعضاء التى ذكرناها آنفا وقد يشاهد فى بعض الزهر أنابيب حولها شعرات قريبات من العسل فى أسفل الزهرة على جوانبها من الداخل وتلك الأنبوبة مستطيلة ضيقة ، وما ذلك إلا لتنبذ كل حشرة من الفراش تريد الدخول وذلك أن ضيق الأنبوبة وبروز تلك الشعرات كافيان فى منع الحشرات من ذلك ماعدا النحل فانها أعطيت قوّة بها

تقتحم

تقتحم تلك الأنبوبة ولانبالى بأسنة الوبر . وماعدا النحل من الحشرات فلا قدرة له على حمل الطلع فى ذلك النبات .فلهذا منع من الدخول فالحكمةالالهية قضت أن الغنم بالغرم واذا كان ماعدا النحل عاجزا عن حمل الطلع فى شجر مخصوص فنعهأمر محتوم

أوماترى الأزهارمامن زهرة * إلا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها * تلق فنون الشجو فىأسلوبها
تشدو وتهتز الغصون كأنما * حركاتها وزن على تطريبها

وقال القاضىأبوالحسن بن زنباع

أبدت لنا الأيام زهرة طيبها * وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطفالأرض بعدخشوعها * و بدت بها النعماء بعدشحوبها
وتطلعت فى عنفوان شبابها * من بعد ما بلغت عتى مشيبها
وقفت عليهاالسحب وقفة راحم * فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبتللأزهار كيف تضاحكت * ببكائها وتبشرت بقطوبها
وتسربلت حللا تجر ذيولها * من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزن فى انجادها * وأجاد حر الشمس فى ترتيبها

﴿ الكلام على الزهر ذىالأقفال والمفاتيح والزهرذى الحراس والزهرذى الجند ﴾
(والزهرذى السياسة الحقيقية والوهمية)
﴿ الزهر ذوالمفاتيح والأقفال وذوالحراس ﴾

(ا) بلغنى أن فى بلاد أوروبا زهرا له مفاتيح وآخر له حراس فهل لذلك من حقيقة

(ب) هناك زهر يسمى (سلفس) وآخر يقال له زهرالأشراف والنساء فالأول ذوالمفاتيح والثانى ذوالحراس الأول وضع الله فيه على فم الأنبوبة المكونة من أوراق (التويج) ساقا معرضا على فمها كأنه مغلاق لذلك الباب فأى حشرة تريد الدخول عجزت عن ذلك فاذا جاء صاحب الأمانة ألا وهو النحل أزال ذلك الساق من مكانه ودخل فشرب . وفى أثناء دخوله يكون هناك ساق آخر محكم الوضع على ظهره يحمل الطلع فينزل عليه منه مقدار فيحمله الى زهرة أخرى . فتأمل سيدى كيف جعل أحد الساقين قفلا لباب الزهرة والآخر كأنه يد ملأى بدقيق الطلع فتضعه على ظهرالنحلة والأمر الأعجب من هذا أن هذه النحلة عينها اذا ذهبت الى الزهرة الانثى رأيت أمرا عجيبا . رأيت الأوراق العليا منها مرتفعة هى وعضوالتأنيث حتى ان تلك النحلة اذا دخلت تشرب العسل لم يتيسر لها مس عضو التأنيث لارتفاعه جدا فانظر ماذا حصل . وضع فى نهاية عضو التأنيث ذراع طويل الى أن يلامس النحلة فيمسح ظهرها ويأخذ الطلع الذى التقطته ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ وفى الأرض آيات للموقنين ــ . أليس هذا مصداقا لقوله تعالى ــ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله إنى لكم منه نذيرمبين ــ كأن وجود الزوجين من النبات داع حثيث للتأمل فى هذا العالم كأنه يقول هذا أمر خفى فتذكروا وجدوا فيه ومتى عرفتموه قربتم من الله تعالى وهذا بعينه ماصرح به العلامة (جون لبك) الانكليزى ﴿ أن من وقف على أسرار الأزهار أمكنه أن يفتح كنوزا من الأسرارالخفية ﴾ فتأمل وانظر كيف جد القوم فى فتح كنوز مقفلة فى القرآن ونحن عنها غافلون ولقد صرح به القرآن فى آية أخرى ــ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ــ فانظر كيف ذكر الأزواج فى النبات وقال إنه تبصرة وذكرى ولكن يا للأسف اننا تركنا التبصرفيه وانى لفى غاية العجب من هذا السر الخفى كيف يذكر فى القرآن وكيف يبحث

عنه علماء الغرب وكيف يقول عالمهم إن هذا سرّ به تفتح أسرار الطبيعة . ألا فليتأمّل معى أهل العقل والعلم وليتفكروا ولينظروا فانى أقول هذا وأنا محترق الفؤاد على ضياع العلم من بلادنا ورضانا بالقشور ونبذ اللب — إنا لله وإنا اليه راجعون —

﴿ الزهر ذوالحارس ﴾

(١) عرفت الزهر ذا المفاتيح والأقفال فما زهرة الخفراء

(ب) هذه الزهرة موضوعة على هيئة قارورة يحمل فمها شعرات واقفات فتأتى الحشرات الصغار اليها من الذباب والفراش الجاهلات لتقيها الحرّ والبرد ولايدخلها النحل لعلمه بما فيها من الخطر فاذا دخل الذباب وقفت لها تلك الشعرات بالباب ومنعتها الخروج فأخذت تثب وتسقط فى وسط الزهرة وهناك الأعضاء الملقحة الذكور وتحتها الملقحة الاناث . وقد أينعت الأولى وحان قطافها ولم يأن للثانية أن تلقح . فاذا اضطرب ذلك الذباب سقط الغبار الذى فى أعضاء التذكير على ظهوره وفى الوقت عينه تذبل تلك الشعرات الخافرات على فم الزهرة فيخرج الذباب آمنا فى سربه طائرا فى الهواء ذاهبا الى زهرة أخرى قد فعل بها مثل هـذا فيدخلها للاحتماء بها فيقع الطلع على الاثنى ويخرج آمنا مطمئنا . أليس هذا مما صدق عليه قوله تعالى — ومايعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر — وقوله — يدبرالأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهوالذى مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون —

هذا وبعض الزهر تفتحه النحل بأرجلها فتشرب العسل ثم يقفل على الطلع ليحفظ حتى تأتى نحلة أخرى والزهر ذوالحارس يسمى زهر الأشراف

﴿ عجيبة عن الحشرات والنحل وانها كالدول فى السياسة ﴾

جعل الله تعالى فى الأزهار سياسة تضارع سياسة الأمم بايهام ضعفاء العقول لتنال غرضها منهم لقصر أنظارهم . فهكذا زهرة الأشراف قد خدعت الذباب بجهله فدخل فيها احتماء بها فلقى منها مالقى مجيرأم عامر وكما أن النحل ذو ذكاء فلايخدعه خادع . فهكذا لاتراه يحوم نحو تلك الزهرة الجوفاء الخاوية بل تراه يحوم أنى يجد العسل ولم تبخل يد العناية الالهية أن تزوده العسل وتطعمه الشهد استحقاقا وعدلا — ويؤت كل ذى فضل فضله —

أما الذباب فترى العناية الالهية قد دبرت له مايناسب جهله حتى انك ترى بعض الأزهار يحمل أنابيب قد توّجت برؤس كقطرات من العسل فى شكلها ولونها فاذا أسرعت اليها الحشرات لن تجدها شيأ وحلت الطلع ولم تنل ثمنا فأشبهت الأمم الجاهلة المغرورة بمجرّد القول دون الفعل

فانظر كيف حوت الزهرة مجمل علم السياسة وكيف ينطبق عليها قوله تعالى — وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب —

﴿ الزهر المنظم كالجند ﴾

(١) قد سمعت أن فى بلاد أوروبا زهرا له ثلاث صفوف تقف بانتظام على ثلاثة أيام كل صف فى يوم فهل عندك علم بذلك

(ب) اعلم أن هناك زهرا أصفر ذا ثلاث صفوف كل صف خمس زهرات فترى أوّل صف فيها يظهر مساء مظهرا جمال صفرته فى غسق الليل لتأتى الحشرات اليه سراعا وترى رائحته تتأرّج وتأخذ الحشرات منها حظها فاذا انفلق عمود الصباح وأضاءت الشمس رأيتها ذبلت وأصبحت هشيما كأن لم تسكن بالأمس يظنها من رآها انها أى الشجرة قد أدبر شبابها وأقبل هرمها . فاذا كان مساء اليوم الثانى رأيت الخمس الأخر التى كانت

مفمضة

مغمضة الأجفان قد استيقظت من نومها و بعثت من مرقدها وقامت بالمظهر الذى فعلته ماقبلها ورجعت الشجرة كالعروس تتجلى فى الظلمة حتى تتزوّد الحشرات من طلعها كما كانت فى اليوم الأوّل . فاذا جاء صباح اليوم الثالث ذبلت . وفى المساء الثالث تظهر الاناث منتظرة الحشرات محضرة لها الطلع من زهر آخر كما حملته من ذكور هذه الشجرة فى اليومين السابقين وهذا من فوائد تلقيح الحشرات بحيث ان الانثى من زهرة تلقح من ذكر الأخرى و بالعكس

﴿ زهر عجيب محكم الترتيب ﴾

(ا) من الورد نوع يشاهد الناس فى زهره أنابيب التذكير مستطيلة تساوى أوراق الزهرة فى الطول وأنابيب التأنيث تصل الى نصف تلك المسافة وأزهار أخرى من ذلك النوع بالعكس . فترى أنابيب التأنيث تستطيل الى أطراف أوراق الزهرة وأعضاء التذكير على النصف من ذلك . ولو نظرنا مائة شجرة من هذا النوع لوجدنا النوعين من ذلك الزهر متساويين بحيث تكون ذات الاناث الطويلة تساوى فى العدد ذات الذكور الطويلة فهل تعرف سيدى هذا

(ب) إن هذا الزهر وضع مناسبا للنحل وذلك أن النحلة اذا مدّت خرطومها الطويل وصل الى أسفلها لشرب العسل ولامس عضو التذكير الطويل فحمل منه طلعا فاذا راح الى ذات عضو التذكير القصير أخذت الانثى المستطيلة ذلك الطلع لمرور الخرطوم بحذائها لمساواتها الأوراق وهكذا فى الأعضاء القصيرة فيأخذ النحل بخرطومه من كل عضو الى مايناسبه فى الزهرتين . فتأمّل كيف تساوى عدد النوعين من هذا الزهر وتعجب كيف كان طولها واحدا فى جميع الأزهار إما للانتصاف أو النهاية وكيف كان خرطوم النحلة اذا لامس عضوا فى زهرة يلامس نظيره فى الأخرى بحيث لايختل شعيرة فى مقدار طولهما . ولعمرى لو سئلت هذه الزهرة لقرأت بلسان الحال ــ إنا كل شئ خلقناه بقدر ــ ولو سئلت تلك النحلة لقرأت ــ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرّها ومستودعها كل فى كتاب مبين ــ ولقرأت ــ ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرّطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون ــ إذ أنه تعالى وضع مقدارا لكل شئ فى أم الكتاب عنده فلايضيع حشرة ولادابة ولاحيوانا صغيرا ولا نباتا حقيرا ولازهرة ولاأصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين

﴿ نوم الزهر ﴾

(ا) رأيت فى بعض الكتب أن الزهر ينام فهل لهذا حقيقة واذا صحّ فلم ينام . النوم فى الحيوان سببه معروف وليت شعرى ماسبب نوم النبات . يجدّ الحيوان فى قوته و يتعب فى تحصيله فاذا جنّ الليل خارت قواه فتعب فنام . أما النبات فما سبب نومه و بعض النبات لاينام أبدا وآخر ينام صباحا و يستيقظ مساء وآخر بالعكس ومن الأوّل مايستيقظ فى الساعة الرابعة صباحا أو السابعة أو الثامنة أو التاسعة أو العاشرة ثم تغمض أجفانها بعد الظهر فى أوقات مختلفة إما فى الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة وهكذا . ما الحكمة فى ذلك

(ب) يختلف نوم الزهر وانطباق أوراق الزهرات باختلاف الحشرات التى تأكل منها فالنحل يعتاد اليقظة نهارا فترى الأزهار التى خصصت له تفتح عيونها نهارا حتى يشرب منها العسل رفقا بالفريقين ومنفعة للطائفتين أما الأزهار المخصصة للحشرات الأخرى فلاتفتح أوراق أزهارها غالبا إلا مساء فى الغلس إذ لتلك الحشرات غدوات وروحات فى ذلك الحين فلاجرم تفتح لها . ولعمرك لو عكس الأمر فانفتح النهارى الصباحى بالمساء والمسائى بالصباح لسرق العسل فأخذه مالايبذل له ثمنا ممن يخصص لذلك العمل و يعتدى كل فريق على مالآخر فيتضرر الحيوان ولايلقح النبات فتمت الحكمة . ففاتيح هذه الأزهار بيد القدرة الالهية تفتحها وتقفلها

لادخل للشمس ولا للقمر فيها والا فلماذا تنام الزهرة المسماة ﴿ حنا ذهب لينام ﴾ فى وقت الهجيرة حتى إن أولاد الفلاحين فى أوروبا يعرفون مواعيد الغذاء بنومها فلو كان للشمس دخل فى تفتيح الأزهار لكان أولى الأوقات بانفتاحها وقت الظهيرة والحشرات تختلف أوقات قيامها لطلب معاشها فى ساعات النهار فكل زهرة تفتح فى الوقت المعين لحشراتها التى حصصت لها بالحكمة الالهية ـ ذلك تقدير العزيز العليم ـ وكأن الشاعر العربى الأندلسى نظر لهذا المعنى فقال

وعلى سماء الياسمين كواكب * أبدت ذكاء العجز عن تغييبها
زهر توقد ليلها ونهارها * وتفوت شأو خسوفها وغروبها

(ذكاء) الشمس وهذا باعتبار المجموع لا الجميع

(ا) من الأزهار ماهو أحمر وأصفر وأبيض وأزرق . فهل لهذا من حكمة وبعضها ذو ريح طيبة دائما والآخر لاتذكو رائحته إلا وقت المساء

ينسب الى عنترة العبسى هذه الأبيات من زهرية له

زار الربيع رياضنا وزها بها * فنباتها حليت بأنواع الحلى
يزهو بأحمر كالعقيق وأصفر * كالزعفران وأبيض كالسنجل
وبنفسج يزهو اذا عاينته * آثار نقش فى ذراع ممتلى

(ب) ان الزهرات الحمر والزرق خصصت غالبا بالنحل وهو مغرم بهذين اللونين عاشق لهما فكانا داعيين الى الافتتان بهما . ولاجرم أن فى الأحمر والأزرق من الجمال ما ليس فى الأبيض والأصفر . أما الآخران فانما يكونان فى الأزهار التى تمتص منها بقية الحشرات غالبا وقدمنا أن الحشرات أغلب ما يكون خروجها مساء ـ صنع الله الذى أتقن كل شئ ـ ولاريب أن اللون الأبيض والأصفر يناسبان وقت الغلس إذ تجتلى فيه الصفرة والبياض . أما الحمرة والزرقة فسلطانهما انما يكون بالنهار فاقتضت حكمته جل جلاله أن يتناسب الزهر واللون والحشرات فى الصباح والمساء ويتجلى البياض مساء والحمرة والزرقة نهارا وهكذا تلك الزهرات الصفر والبيض تذكو رائحتها مساء لتهدى اليها حشراتها وتساعد الرائحة اللون على جذبها ولو أبدل البياض بالحمرة لم تعرفها الحشرة أولم تذك الرائحة لضعف الداعى

تأمل فى رياض الأرض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * على ورق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

﴿ نهاية ﴾

نقل السر (جون لبك) عن (أرسطاطاليس) اليونانى أنه شاهد أن النحلة تذهب من زهرة الى أخرى من نفس ذلك النوع وقال انها منفعة للفريقين النبات والنحل . أما النبات فان الطلع الذى من الذكر لايضيع بسقوطه على زهرة من نوع آخر . وأما منفعته للنحلة فانها تعرف طريقها ولاتغيره ولاتضيع الزمن فى أخذ دروس جديدة عن كل زهرة وتجارب حتى تضيع قوتها ويذهب زمانها سدى وهذا بعينه ما قاله تعالى ـ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ـ فقوله ـ سبل ربك ذللا ـ أى ان طرق ربك فى الأزهار مسهلة لك من الله لاتلتبس عليك لأنها فى نوع واحد من الأشجار التى أرادتها فى الزمان المخصص لها والله أعلم

وانى لموقن أن هذا هو عين التوحيد . وكيف يقول الله تعالى ـ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ـ

وترى

وترى جاهلا يقول هذا خارج عن الدين مع انه لايقين ولا إيمان إلا بمعرفة هذه البدائع وهذا سرّ تأخر المسلمين اليوم عن مصاف الأمم . وعندى أنه يجب على علماء الاسلام قاطبة أن يتعلموا ويعلموا هذه المعارف التى أجلها علم الكيمياء والطبيعة التى هى سرّ التوحيد . ويا ليت شعرى كيف انعكست الأحوال وأصبح ماهو أصل الدين خارجا عنه حتى ظنّ المسلمون أنها خاصة بالافرنج . وفى كتابنا هذا وكتبنا السالفة مافيه غنى للأذكياء فمن أرادها للعلم فبها ونعمت ومن أرادها لليقين فهو أفضل . ولقد أطلنا فى الزهر وعجائبه وغرائبه ووضعناه فى قسم النبات تعجيلا للفائدة واحضارا للمسرة فى الأذهان . انتهى ملخصا من كتاب ﴿الزهرة﴾ الذى هو مقدمة كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾

﴿ فائدة فى الحلم ﴾

انى فى هذه الليلة ليلة الأحد التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ بينما أنا أكتب فى هذه العجائب بعد العشاء إذ أخذتنى سنة من النوم فاستغرقت حالا وأنا غير متأهب للنوم ولا متدثر . ومن عادة النوم اذا فاجأنى على تلك الحال أن يصيبنى فيه برد وأكثر مايصيبنى المرض من أجل ذلك . فانظر ماذا حصل . شعرت فى النوم كأنى سائر فى الطريق ناحية (الجمالية) بمصر وعلىّ ثياب نظيفة بيضاء وفوقها سربال بنى اللون مخلولق تستبين منه الثياب وصرت أشعر فى الطريق بأمرين معا البرد الشديد والعار من كون الثياب غير لائقة وقد وقع فى نفسى أنى سأقابل صديقا فى محطة القاهرة وانه سيلاقينى بهذه الثياب التى لاتليق . فهذه ثلاثة أشياء برد وخجل من الناس وخجل ممن سأقابله وفوق ذلك ندم على أنى تركت عباءتى . فهذه الأربعة اجتمعت فى نفسى . ولما لم أستيقظ مع هذا كله جاء كلب أسود سريعا ليقدم على عضّ رجلى . هنالك استيقظت وعلمت أن ذلك للمحافظة على صحتى فتدثرت حالا وصليت العشاء ونمت هادئا

لعلك تقول وأىّ علاقة لهذا بالزهرات فى الشجرات ولم تكتب حلما لاتفسير له . أقول إن هذه الأحلام التى فى الحقيقة أضغاث لاتأويل لها قد أعطتنى درسا أرقى من الدرس الذى كتبته الليلة فى الزهر والالقاح وأرقى جدّا

(١) أن هناك تدبيرا تاما لحفظ أجسامنا

(٢) أن قوّتى العاقلة نائمة فمن ذا الذى دبر هذا كله حتى أيقظنى

(٣) ان هذا العمل ناتج من قوّة عاقلة

(٤) لنقل أن البرد الذى فى المنام هو الذى أحسّ به فما الذى أحضر لى الملابس المخلولقة لتحدث عندى خجلا لأستيقظ

(٥) ومن ذا الذى وضع فى نفسى أنى سأقابل صاحبا أخجل أمامه لثيابى الرثة

(٦) ومن ذا الذى أحضر صورة كلب ليكون أدعى الى استيقاظى خوفا من نجاسته ومن عضه

(٧) ولذا كنا نرى فى مسائل الزهر المتقدّمة أن الذباب يضغط عليه البرد فيفرّ داخلا الى الزهرة المجوّفة وهناك يضطر لحركات توجب عملا نافعا للالقاح . أفليس ماهنا أدق وأحسن صنعا وأن الحيلة هنا أتمّ لأنها مركبة من أعمال خيالية أثرت فى النفس فأيقظت الجسم . إن هذه أضغاث أحلام ولكنها أعمال معقولة منظومة كما قال تعالى ــ إن كل نفس لما عليها حافظ ــ وقوله ــ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ــ ومايدرينا أن تكون هذه الأضغاث قد ألقيت الىّ لأضعها هنا وأقارن فيما بينها وبين الحيل العجيبة المختلفة فى عالم الزهر والقاحه ولتكون بابا لاستخراج أهل العلم مافى نفوسهم من الكنوز التى تمرّ عليهم وهم عنها غافلون . وكأن الله بهذه يقول لنا أتم نظرتم فى النبات والزهر ــ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ــ ويقول الله لنا كيف غفلتم عما فيكم من العجائب وأنتم أرقى من الزهر والنبات ويقول إنا لما عندّ بناك فى حال

نومك بالبرد و بالخزى من الفضيحة الحالية والمستقبلة و بارسال كلب عقور عليك و بندمك على أنك لم تلبس عباءتك . لم يكن ذلك التعذيب منا غضبا حتميقيا وانما هو رحمة . هو فى ظاهره عذاب وفى باطنه رحمة هو فى ظاهره اننا سلطنا عليك كلابنا وآذيناك بالبرد وأعريناك وأخزيناك . وفى الباطن أيها العبد أزحنا عنك أسباب المرض بيقظتك وراحة بدنك وصحتك لتتوفر على هذا التفسير الذى أردنا أن يخرج على يديك لعبادنا كما أريناك فى المنام منذ عشرات السنين وأخبرناك به وألهمناك أنه سيكون للمسلمين شأن بعد ظهوره فهانحن أيقظناك وساعدناك فهل هذا عذاب . كلا بل هو نعمة . واذا فهمت هذا أيها العبد فقل لعبادى كل عذاب أنزلته بكم فى الأرض فهو كعذابك الذى رأيته فأنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم وما أنه إلا على هـذا النحو . فما نارى ولا ابلائى لبنى آدم إلا لاسعادهم وراحتهم . وحاشا أن أفعل غير ذلك إن رحمتى سبقت غضبى وانظر قولى ـ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ـ

نعم إن هذا سيشكل عليكم فى مسألة عذاب الكفار ولكن فى عذابهم سر لاتعرفونه إلا بعد ارتقاء نفوسكم وهناك تفهمون

هذا هو الذى خطر بالنفس بعد هذا الحلم كتبته تذكرة للاخوان ليعلموا أن الله معهم وانه مع كل نفس ولكن أكثر الناس لايلحظون مثل هذا . وفى نفس كل امرئ من العجائب التى تمر عليه وهو يزدريها أضعاف أضعاف مايتصوره فى الكتب والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ـ مع قوله ـ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين الخ ـ ﴾

إن من أعز النعم وأشرف المزايا وأسعد الأحوال أن يقف الانسان على الحقائق وتتصل العلوم وتتحد و يعمها ناموس واحد . هذا هو نهاية مقاصد هذا النوع الانسانى . إن شعور النفس بالحقائق الثابتة ابتهاج لها وسعادة قصوى . أما أكتب هذا وفى النفس من البهجة والجمال والسرور ما لا حد له . أنا لا أقدر أن أصف سرورى و بهجتى حينما أردت أن أكتب هذا الموضوع . ألا حيا الله العلم والحكمة . وانى أسأل الله عز وجل أن يجعل اشراق العلم عاما فى الأمم الاسلامية حتى يتبوؤا مقاعدهم فى الحياة الدنيا بين الأمم وفى العالم الباقى بعد مبارحة هذه الدار

هاأناذا الآن أدخل فى موضوع الآيتين ولكن علام أتكلم ومن أى علم أقتبس . أما الذى وقر فى نفسى الليلة فهو عجائب السوائل التى تتكون وعجائب الجوامد التى تكون بهيئة بلورات منتظمة وذلك أن بعض المواد اذا ذوبت ثم أعيدت جوامد تأخذ هيئات هندسية منتظمة قانونية وهذا العمل فى عرف علماء الطبيعة يسمى (تبلورا) فهذه كلمات اصطلاحية . ومثاله ماتقدم فى أشكال الثلج المسدسة المذكورة فى سورة الرعد وهناك أشكال أخرى فى سورة (آل عمران) ولكن الأولى أجل وأوضح شرحا و بيانا . ولاذكر لك منها مسائل فأقول

(١) مثال السائل المذكور لذا مزجت ماء بالكحول وألقيت فى هذا المزيج نقطة من الزيت فانها تثبت فى وسطه وتصير بهيئة شكل كروى وهكذا كل سائل ترك وشأنه يكون على هيئة كروية كقطرات الندى والمطر والزئبق . وذلك بسبب جاذبية الملاصقة وجاذبية الملاصقة خاصة بالمادة التى من نوع واحد كالماء وكالزيت وهكذا فجاذبية الأرض لاتؤثر بل المؤثر فيها دقائقها مع بعضها فتصير كروية

(٢) ان كل نوع من المادة له بلورات ذات شكل وزوايا خاصة . فمن المواد ما بلوراته دقيقة ابرية وزواياه صغيرة و بعض آخر بلوراته مكعبة وهكذا . ومن أذاب أجساما مختلفة فى إناء واحد ثم جمدت و بحث فيها أمكنه تمييز بعضها من بعض بأشكالها بل يعرف ذلك وان لم يعرفها حين اذابتها إلا أن هـذه الأشكال متقنة

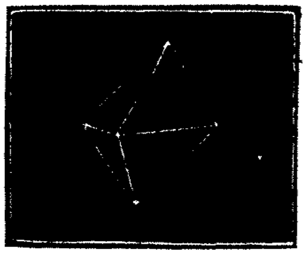
الصنع

الصنع بديعة النظام . جميلة الهيئة . حسنة الوضع . يحارفيها اللب . ويعجب اللبيب من الألماس البديع والعقيق البهى والياقوت وسائر الأحجار الكريمة ففيها من دقة الصنع وغرابة الوضع مايدهش الألباب

واذا أردت أيها الذكى اللبيب أن تطلع على ذلك فهاك ثلاثة أمثلة

﴿ المثال الأول ﴾ ركب كأسا صينيا أو بلوريا على منصب حديد وضع فيه عشرة دراهم ماء وأغل الماء بقنديل الكحول ثم اجعل فيه حوالى عشرين درهما من الصودا الكاوية . إذن ترى الصودا تذوب جيعها فى الماء الحار ثم اطفئ النار واتركه حتى يبرد . هناك ترى بلورات على هيئة منتظمة مختلفة المقادير مع حفظ الشكل كما فى شكل ٥

﴿ المثال الثانى ﴾ أعد العمل واجعل بدل الصودا الكاوية شبا أبيض فتكون البلورات على حسب هذا الشكل ٦



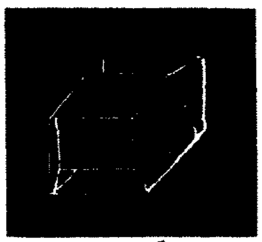
(شكل ٥)



(شكل ٦)

﴿ المثال الثالث ﴾ فاذا أعدت العمل بالشب الأزرق (كبريتات النحاس) بدل الشب الأبيض فانك ترى البلورات تتكون على هذه الهيئة شكل ٧

ثم انك اذا مزجت (٦) دراهم مثلا من مسحوق الشب الأبيض مع مثلها من الشب الازرق ومزجت المسحوقين معا فى (هاون) ثم ذوبت الجيع فى عشرة دراهم من الماء الحار فاذا تركته حتى يبرد أمكنك تمييز بلورات الشب الابيض بهيأتها من بلورات الشب الازرق بهيأتها . وبهذه الطريقة وهى أن كل مادة لها هيئة بلورية خاصة . ترى كل مادة لايمكن أن تخلع شكلها وتلبس غيره وقد ذاب فى الارض من قديم الزمان أنواع بلورات من السليكا والماس والياقوت والجمشت والفلور . ويمكننا أن نصنع مثل ما تقدم من ملح البارود وملح الطعام فأما ملح الطعام فقد تقدم شكله فى آخر سورة (آل عمران) وأما ملح البارود فانه يتكون على هيئة ابر منشورات



(شكل ٧)

إن الانسان ليعجب جد العجب من أنه يرى أمثال العقيق كما تقدم وسائر الاحجار الكريمة كلها بهيئة منتظمة صاغها الله وأبدعها وأحسنها ونظمها وهكذا قطع الثلج كما تقدم . وقد يظن الانسان أن الصقيع وقطع الثلج على الارض ليس لها نظام كالذى ذكرناه ولكن اذا تأمله الانسان ألفى ماهو متجمد متكاثف على الارض مركبا من بلورات متقنة الصنع غريبة الشكل حسنة الهيئات . وهكذا من يراقب سطح الماء وهو آخذ فى الجمود يرى البلورات فيه تظهر من جوانب الوعاء مرتبة فى أشكال حسنة . قال صاحب كتاب ﴿ فلسفة الطبيعة ﴾ وأكثر تراب الارض مؤلف من بلورات متكسرات أومتحللة من تأثير الماء والصقيع ونحوهما . هذا ما أردت ذكره فى هذا المقام

ألا فلتعجب أيها الذكى أشد العجب . وكيف لا تعجب من عقول بنى آدم . هؤلاء الذين يعيشون ويموتون وأكثرهم لايعلمون . أكثر الناس لايعلمون . اللهم إنك أنت الذى خلقت الجبال وجعلته يا الله محيطا بنا من كل جانب وأفرحت قلوبنا وشرحت صدور جهالنا وعلمائنا معا للأحجار الكريمة والمناظر البهجة . كل ذلك منك لتلفت عقولنا الى الجمال والحكمة والنظام الذى أنزلته ولكن أكثر الناس لايعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الصغيرة . حياة الحيوان من مأكل ومشرب وزينة فيتزين المرء

بالاحجار الكريمة وقلبه خال من زينة العلم فهو عن الحقائق المودعة فى تلك الزينة من الغافلين والحقائق هنا تلك الاشكال المنظمة . نحن نرى الثلج ونضعه فى الماء ليبرده ونحن لانفكر أن هذا الثلج أشكال منظمة متراكة بعضها فوق بعض كأنها قطع من الماس

اللهم إنك قدأحطتنا بالجبال فى العوالم التى حولنا وأريتنا فى الصودا الكاوية المتقدمة بلورات على هيئة هرمين سطوحهما متساوية بينهما قاعدة واحدة مستطيلة وهما مائلان عليها . وأريتنا فى الشب الأبيض هيئة الهرمين المتساويين ولكنهما قائمان على القاعدة المشتركة بينهما . وأريتنا فى الشب الازرق شكلا مكعبا . وأريتنا فى الثلج شكلا مسدسا . وهكذامن أشكالك البديعة فى نظام الأحجارالكريمة

يا الله هذا هو قولك ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه ــ الآية وهذا هوالتقدير والميزان المنصوب وهذا هوالحكمة والحفظ فى آيات تعدّ بالعشرات كلهنّ ناطقات بحكمتك وعدلك ونظامك . اللهم إن هذا كله مستمدّ من اسمك الحفيظ فأنت واضع الميزان فى العوالم وأنت الحفيظ وهذا الحفظ وهذا الميزان هما المعبر عنهما فى الطبيعة بكلمة (جاذبية الملاصقة) فجاذبية الملاصقة التى وضعتها فى الماء وفى العقيق وفى الشب الازرق والأبيض والصودا الكاوية هى التى نسميها الحفظ والوزن فى قولك ــ والوزن يومئذ الحق ــ ونسميها الامساك فى قولك ــ إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ــ

اللهم إن الفراغ لانهاية له وهكذا الزمان . الفراغ الذى وضعت فيه كواكبك لا آخر له وهكذا الزمان لا أوّل له ولا آخر . فهذه المخلوقات لوتركت وشأنها لتبدّدت ولكنك أنت جعلت فى المادّة ﴿قوّتين﴾ قوّة الجذب وقوّةالدفع فالحديدة لانقدر على فصلها كما لانقدرعلى ضغطها مع علمنا أن الفراغ فى داخلها عظيم وهى المسام كما أوضحناه فى غير هذا المقام . ويمكننا أن نقوّى قوّة الدفع بالحرارة فهناك يقل الجذب ويكثر الدفع ويصير الحديد سائلا . واذا أبطلنا الحرارة قويت قوّة الجذب فرجع جامدا ومثل هذا يقال فى الماء والثلج . وقوّة الجذب من أهمها قوّة الملاصقة المذكورة وهى التى بها تبقى الأجسام محفوظة وهذه الملاصقة اذا قلت أصبح الجسم سائلا وهكذا اذا زاد نقصها أصبح غازا . فهذه القوّة بقلتها وكثرتها كانت الجوامد والسائلات والغازات . ومن قوى الجذب قوّة الالتصاق وهى التى تكون بين جسمين مختلفين مثل الجاذبية الشعرية التى فى الورق النشاف والتى فى جذور النبات

ومثل هذا الجاذبية العامّة كجاذبية الأحجارالساقطة على الأرض المشروحة فى أوّل (آل عمران) بايضاح وحساب . اللهم إن هذا هوالنظام العام فى السموات والأرض نظام واحد تدخل فى الذرّة وفى الجبل وفى الكوكب وفى كل شئ وهذا هونفسه قولك فى هذه السورة

﴿ ــ ونزعنا مافى صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين ــ ﴾

اللهم إنه لافرق بين ذرات القطرات المطرية فى اتحادها وتكوّنها كرة ونقطة الزيت فوق بعض السوائل والهرمين المتكونين من الشب الأزرق والأبيض المختلفين من حيث الميل والقيام والشكل المكعب فى غيرهما والشكل المسدّس فى الثلج . أقول لافرق بين هذه كلها و بين انفصال المجرمين من الصالحين . أنت تقول ــ أم نجعل المتقين كالفجار ــ وتقول ــ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ــ وتقول ــ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ــ وتقول ــ فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود ابليس أجمعون ــ وتقول ــ والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيتهم ــ

اللهم إنه لافرق بين الآخرة والأولى . لافرق بين الدارين . هاهى ذه القطرة من المطر تتجاذب ذراتها وتتحد فتصير كرة ولاتطيح فى الجو . أليس هذا بعينه قولك ــ على سرر متقابلين ــ ولماذا هذا . لأنهم

متجانسون

متجانسون • فهنا نسميها فى أشكالنا الطبيعية (جاذبية الملاصقة) وهى احدى الجاذبيات الثلاث والأخريان (الجاذبية الكيمائية) و (جاذبية الالتصاق) كما تقدّم ولكنها بالنسبة للنفوس البشرية تشاكل الطباع والأخلاق كما قلت ـ هم وأزواجهم فى ظلال الخ ـ وقلت ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم الخ ـ فهناك تجمع الأشكال الى أشكالها معا وتوضع فى الأماكن المعدّة لها كما نرى الاشكال عندنا تمتاز العناصر حتى انك ترى فى عملية وضع الاشكال المختلفة وغليانها فيما تقدّم تصير متمايزة اذا بردت فيمتاز كل نوع بالشكل الخاص به كما قلت فى كتابك ـ قل كلّ يعمل على شاكلته ـ * وفى المثال العربى ﴿ إن الطيور على أشكالها تقع ﴾ هناك أمر عام جمع الاشكال المتماثلة وتفريق المختلفة . هذا هو الذى نراه فنرى الناس يذرّون القمح فى الهواء فيصير البر معزولا عن التبن ونرى الرمال متراكمة فى الصحراء والماء مجتمعا فى أمكنة خاصة نسميها البحار والهواء فوق الماء فكل طائفة من عالمنا نراها مجتمعة لأجل المشاكلة

فاذا عاش الناس فى هذه الأرض وهم عمى عن هذا الجمال فانهم أولى بعالم الذرات والبهائم ولاحظ لهم فى الانسانية لأن الانسان أعطى عقلا به يميز الجميل من غيره والحسن من القبيح فاذا مات وهو لم يدرس ما استعدّ له بعقله تنزّل الى أدنى دركات الحيوانية لأنه جهل المقصود من وجوده فعلم ظاهر الحياة وهو أن يعيش بما يغذيه وجهل حقائقها التى تنبئ عن سرّ خفى ونظام بديع يرشد النفوس الى عالمها وهؤلاء هم الذين قيل فيهم ـ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ـ وعالم الآخرة هو سرّ عالم هذه الدنيا الآن هذا الجمال الذى رأيته فى هذه العجالة هو السرّ الذى تعشقه النفوس وبه تصير أعلى من المادّة وتستأهل أن تكون ـ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ـ وتحبّ أمثالها وتعيش معهم بسلام كما فى قوله ـ ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ ـ الخ انتهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ واذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه ـ الى قوله ـ إلا من اتبعك من الغاوين ـ ﴾

(وموازنته بلغز قابس فى أن جهل الخير والشرّ هو سبب شقاء الناس)

اعلم أن هذه القصة ذكرت فى القرآن مكررة بطرق مختلفة . وقد جاءت فى التوراة . أن هذه القصة يتلوها ويؤمن بها نحو نصف النوع الانسانى وهم اليهود والنصارى والمسلمون • كل هؤلاء يؤمنون بأن آدم وحواء قد أغواهما الشيطان فأكلا من الشجرة . وهذه الشجرة لاتعيين لها • وأعمّ قول رأيته فيها أنها شجرة معرفة الخير والشرّ • وهنا أقول

إنّ الله عزّ وجل بذر العلوم والمعارف فى أرضنا بذرا ونشرها نشرا • سبحانك اللهم وبحمدك أريتنا عجائب صنعك فى نباتك وحيوانك وشموسك وأقمارك فدهشنا لتفننك فيها وابداعك • ورأينا انك لم تذر صغيرة ولا كبيرة من هذه المخلوقات إلا وزنتها ونظمتها وراعيتها حق رعايتها • وها هو ذا النوع الانسانى قد أريته هذه المخلوقات جيلة المحيا بهجة المنظر تريد بذلك شوقه لها وسوقه لعلمها • ومن أبدع ما صنعته إنك ألقيت لهم الحكمة العملية من ﴿ طريقين ﴾ طريق الدين وطريق الفلسفة بهيئة لغز واحد

أنزلت يا الله هذا اللغز فى أرضك على ألسنة الفلاسفة وعلى ألسنة الأنبياء • فأما الأنبياء فللمؤمنين بهم وأما الفلاسفة فلمن نظروا بعقولهم • إذن أنت أنزلت علم الحكمة النظرية على جميع الناس مقلدهم ومفكرهم وجاهلهم وعالمهم • فقلت لأتباع الأنبياء إن آدم وحوّاء أكلا من الشجرة فطردا من الجنة وأصبحنا نحن فى الأرض نذوق العذاب ألوانا فيها وتركتها للناس يقرؤنها ويفهمونها وألهمت فلاسفة اليونان كما سيأتى فى سورة الاسراء أن يقولوا فى خرافة يتناقلونها كابرا عن كابر ﴿ أن سفينكس كانت تلقى ألغازا على الناس الذين يمرّون عليها فمن فهمها تخلص منها ومن لم يفهمها قتلته فتقول لهم ما الخير وما الشرّ وما الذى ليس بخير ولا

بشر ﴾ وقد جاء فى الكتاب المنسوب الى (قابس اليونانى) المعاصر (لسقراط) المسمى ﴿ بلغز قابس ﴾ أن قابس كان يمشى فى هيكل (زحل) فرأى صورة غريبة الشكل قد رسم فيها حظائر ما بين كبيرة وصغيرة وفيها صور رجال ونساء وجموع كبيرة وأحوال مختلفة سيأتى شرحها فى سورة الاسراء كما قدّمت لك فجملوا هذه الصور هى لغز الحياة فمن فهمها كان سعيدا ومن لم يفهمها كان شقيا ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ أن (سفينكس) المتقدّم ذكرها وهى (أبو الهول) المشهور فى مصر كان يقتل حالا من لم يفهم لغزه و يبقى من فهم

فأما هنا فلا يكون الموت حالا بل من جهل الخير والشرّ فى هذه الصور التى رآها (قابس) فى هيكل (زحل) قتله جهله قتلا تدريجيا وهو فى ذلّ وهوان مدّة الحياة لا كما فعلت (سفينكس) بالقتل حالا

وملخص هذا أن أصل كل شئ فى الانسان عند هؤلاء الفلاسفة هو الجهل بالخير إذ لا يمكن لذى بصيرة وعقل أن يختار الشرّ وهو يعلم أنه شرّ وليس يختاره إلا لأنه تخيل شيأ من الخير فيه فيرجع الشرّ فى الانسان الى مجرّد الغلط والقصور فى العلم . وهذا المذهب تلقاه الرواقيون من (سقراط) فهم معدودون من أتباعه فالجهل بالفضيلة هو منشأ الشرّ ومن علم الأشياء على ما هى عليه لابدّ أن يتبع علمه فالحكمة عندهم راجعة للعلم والعمل معا . فالخير عندهم ﴿ قسمان ﴾ خير فى ظاهره وليس هو بخير فى ذاته كالمال والصحة والجمال والولد والصيت أى كل ما هو موقوف على العوارض الطارئة . فهذا تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا وذلك بحسب استعمالنا إياه . والخير الحقيقى هو الحكمة والخلق الكريم الذى نتصف به فهذا موقوف على ارادتنا داخل فى قدرتنا لا يسلبنا إياه سبب طارئ وذلك لأنه ملكة راسخة فى نفوسنا لا تختلف باختلاف الأوقات والأحوال ولا يتصوّر فيها سوء الاستعمال فمن فاز بذلك فقد فاز بالسعادة طول حياته إذ لا يحتاج فيها الى شئ من الخيرات المحسوسة الخارجة عن قدرته المنوطة بالبدن والمال وهكذا . وعلى هذا يكون الناس عندهم ﴿ قسمين ﴾ حكماء سعداء وجهال أشقياء . هذا ملخص هذا المذهب العلمى

أما الشجرة التى أكل منها آدم فانها فى الحقيقة ترجع الى هذا المعنى بهيئة أخرى . و بيانه كما قلنا ان الشجرة أعم الأقوال فيها انها شجرة معرفة الخير والشرّ وهذا هو العجب . اللهم إنك عممت العلم ولم تقصره على طائفة نشرت الحقائق و بذرتها فى أرضك ولكن نوّعت طرقها . فالفلاسفة يقولون من جهل الخير والشرّ عاش شقيا . لماذا . لأنه يتناول الشئ ظانا أنه خير محض فيكون شرا عليه الى آخر ما تقدّم

هكذا هنا آدم لما قيل له إياك أن تقرب شجرة الخير والشرّ فلما قربها حصل له ولبنيه ما هو معلوم من النصب والتعب . إن شجرة معرفة الخير والشرّ ترجع فى نتيجتها الى ما تقدّم ولكنها عند الفلاسفة بهيئة غير ما هنا . فهناك يقال أصل الشرّ الجهل بحقيقة الخير والشرّ ولكن هنا يقال له إياك أن تعرف الخير والشرّ وهذا عجب . هناك يكون الذل يتبع الجهل بالخير والشرّ وهنا تكون المعرفة شرا

أقول إن النتيجة واحدة لأن معرفة الخير والشر فى قصة آدم معناه فهم الخير والشرّ فهما سطحيا ظاهريا والفهم الظاهرى الذى يرجع الى ما يتصوّره الناس بسبب حواسهم وخيالهم هو نفسه جهل . فالمعرفة هنا هى الغرور بالظواهر فهى معرفة ظاهرا جهل حقيقة . وأضرب لك مثلا بضروب الشهوات من الولوع بالمآكل والمشارب و باقى اللذات والاكثار من المال . فكل هذا عند أكثر الناس سعادة ولكنهم فعلا به أشقياء فى هذه الحياة الدنيا وهذا معروف فلا أطيل به وانما أذكر لك ﴿ ثلاثة أمثلة ﴾

﴿ المثال الأوّل ﴾

إن هيئة القوى فى الانسان كهيئة شمعة كبيرة وهذه الشمعة قد وضعنا فيها أربع فتائل وهذه الفتائل الأربع لو أضأناها ساعة لفنيت الشمعة ولو أضأنا واحدة فقط لكانت الشمعة لا تفنى إلا بعد أربع ساعات طبعا هكذا أكثر الناس ينهمكون فى لذاتهم و يمتون هذا الانهماك سعادة فيشربون الخمر و يزاولون الشهوات

البهيمية

البهيمية ونحوذلك فتكون هذه السعادة الظاهرية فى نظرهم القصير ضعفا لأبدانهم وخللا فى عقولهم وضياعا لمالهم وتقصيرا لأعمارهم وهم نادمون . فالانهماك فى اللذات كاشعال الفتائل الأربعة فى الشمعة وهو شقاء باطنا وسعادة ظاهرا . والعفة يظنها الجاهل شقاء وهى فى الحقيقة صحة البدن والعقل وسرور النفس فهى أشبه باشعال الفتيلة الواحدة فى الشمعة المذكورة

﴿ المثال الثانى ﴾

يقال ان علم النوع الانسانى اليوم أوسع مما تعلمته الأمم السابقة حتى قال بعض أطباء القرن العشرين ان الناس تعلموا فى هذه السبعة والعشرين سنة التى مضت من هذا القرن أكثر مما تعلمه من قبلنا فى خمسة آلاف سنة فى الطب وهذا القول وان كان فيه مبالغة لايمنعنا من قراءة علومهم بل هو يغرينا بها . فهاك مثالا واحدا مما قاله الأطباء فى عصرنا لتبتهج وتسعد فى صحتك الجسمية كما تبتهج وتسعد بصحتك العقلية فيما تقدّم . يقولون ان الجسم الانسانى مركب من ست عشرة مادّة

(١) كالجير الذى يغذى العظم ويشفى الجروح وهو فى الكرنب واللبن والجبن التى لم ينزع زبدها والسبانخ والبصل والمشمش والتين والبامية والطماطم وهكذا . فهذه كلها فيها مادّة الجير التى تقوّى العظم كما علمت

(٢) المغنسيوم وهو يساعد العضلات ويمنع الفتق وهو فى السبانخ والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والبامية

(٣) الكبريت ينظف الدم وهوضد للروماتيزم الذى هومن الأمراض الباردة وهوفى السبانخ والقنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرله والجزر والبصل

(٤) الفسفور يغذى المخ وهو فى سمك البحر والخس وصفار البيض والسبانخ وكشك الماز والفجل والخيار والبسلة والعدس الخ

(٥) الحديد يقوّى الدم ويعطيه لون الحمرة وهو ينفع من فقرالدم . وهو فى الكرنب الأحمر والسبانخ والزبيب وصفار البيض النىء والبرقوق والطماطم

(٦) الكلورين يساعد على الهضم وينظف المعدة كتنظيف الصابون للثياب وهو فى الكرنب والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر المالح والفجل والجبنة

(٧) والملح العادى (٨) والصودا (٩) والرمل (١٠) والفحم

هذه المواد العشرة من (١٦) التى تركب منها جسم الانسان ونحن بعملنا وحركاتنا نفقد من أجسامنا من هذه المواد . فعلينا إذن أن تكون ما كلنا محتوية على هذه المواد جيعها . ومتى نقص منها واحد اختلت قوانا واعتلت صحتنا . إن هذا الكتاب تفسير للقرآن وليس كتاب طب . ولكن يجب علينا أن نشرح هذا الموضوع مختصرا ليكون القارىء على بينة منه وليخرج بفائدة علمية وعملية فى آن واحد

هذه المواد الست عشرة كلها لابدّ منها فى طعامنا . فلوأن الطعام نقص الجير مثلا فان الدم يسرق ذلك الجير من العظم والأسنان . فاذا سمعت أن رجلا أسنانه ضعيفة فعناه أن طعامه ليس فيه جير كاف . واذا رأيت طفلا مقعدا لايقدر على النهوض فاعلم أن لبن أمه ليس فيه جيريكفى وذلك بسبب أن طعام أمه ليس فيه ما يكفى منه وهكذا . ويقول العلماء إن فى هذه المواد ثلاث قوى تسمى كل منها (فيتامين) وهذه القوى لها مقادير معينة لابدّ منها فى الطعام . إن هذه المواد جيعها خلقها الله فى القمح بالمقادير المعينة فى الدم . القمح على حاله الطبيعية فيه الست عشرة مادّة وفيه القوى الثلاث المغذية . الله أكبر تركيب القمح كتركيب الدم . فماذا فعل الناس بالقمح . انقسم الناس ﴿ فريقين ﴾ أغنياء وفقراء . فترى فريق الأغنياء فى

أكثر العالم ينخلونه فيكون لهم منه دقيق ناعم أبيض ويتركون مايسمى فى مصر (السن والنخالة) وهذا الدقيق اللطيف الأبيض الجيل هو الذى تأكله هـذه الطبقة . وأما فريق الفقراء فان منهم طائفة تشترى هذه النخالة وهذا السن ويأكلونهما . فماذا يقول علماء الطب فى هذا . يقولون إن الدقيق الأبيض اللذيذ الطعم المذكور قد فقد ١٢/١٦ اثنتى عشرة مادة من الست عشرة مادة ولم يبق فيه إلا أربع منها وهو الربع فتحتاج هـذه الطائفة الى تكميل ذلك من غير القمح مثل السبانخ والفجل والكرنب وهكذا مما تقدم . وأيضا هـذا الدقيق يكون سببا فى الامساك . أما الذى فيه الردة والسن أى الذى لم ينخل فهو الذى لا امساك فيه . إذن الدقيق الذى لاينخل فيه ﴿ فائدتان ﴾ القوة التامة فى التغذية وعدم الامساك والدقيق المنخول فيه ربع التغذية وفيه الامساك

﴿ نتيجة هذا المبحث ﴾

ههنا يظهر معنى خطايا بنى آدم فى جهلهم بالخير والشر على رأى الفلاسفة أوفى علمهم الناقص بالخير والشر كما فى الدين . أنظر الى أهل مكة فانهم كما بلغنا لاينخلون الدقيق وصحتهم أرق وأقوى من غيرهم ثم تأمل فى هذا النوع الانسانى . هذا النوع الذى يتبع آخره أوله جهالة . نخل زيد الدقيق فاستحسنه فقلده عمرو فتتابعت أجيال وأجيال فصار ذلك عادة راسخة . ولذلك تجدنا فى مصر اعتدنا أن ننخل الدقيق وترى الطبيب الذى يعلم هذا والعالم والجاهل كلهم يأكلون على هذه الطريقة وهم يرون بأنفسهم كما يقرؤن فى كتبهم أن هذه طريقة رديئة ثم لايتوبون ويموتون وهم لايذكرون . ثم تأمل كيف كان الناس فى عصرنا جهلاء أشد الجهالة . فترى الحكومة المصرية تعطى المسجونين خبزا غيرمنخول الدقيق فيخرج المسجون مفتول السواعد قوى العضل ونفس الطبيب لايأكل مثله وهكذا بقية الأمة أبدانهم ضعيفة وأكثر الناس مرضى بضعف المعدة وهم يرون المسجونين وعرب البادية وأهل مكة فى صحة جيدة فالمترفون اتبعوا اللذة وسواهم لم ينالوها ونالوا الصحة والعافية .

﴿ الانسان الأول والانسان الحالى والانسان فى المستقبل ﴾

يظهر أن الانسان الأول عاش عيشة فطرية فأكل من الأشجار وأكل الحبوب بفطرتها فقلت أمراضه وهمومه ونظيره عرب البادية . أما الانسان بعد ذلك فانه أخذ يستعمل عقله فى استجلاب اللذات وترك الطبيعة ظهريا واخترع ضروب المسرات من تلقاء نفسه هنالك هوى وضل وغوى وأخذت العداوات تزداد بازدياد اللذات وطلبها وهى المعبر عنها بمعرفة شجرة الخير والشر فى الدين أوهى جهل حقائق الخير والشر فى الفلسفة . اللهم إن هذا الانسان تمادى فى شهواته وهو يجهل حقيقة الخير والشر فأخذ يجد فى لذاته الظاهرة وأخذكل يحارب كلا . لماذا . لينال اللذة الظاهرة فهم دائما متحاربون مختصمون لأنهم إلا قليلا يبحثون عن ظواهر السعادة . فترى الرجل قد يملك آلاف الأفدنة من الأرض وهو لايحتاج إلا الى أقل جدا من ذلك فهم فى جشع مستمر . ومامثل مايملكون من المال إلا كمثل مايأكلون فوق الشبع . كل هذا وذاك وبال عليهم

اللهم إن الانسان اليوم تمادى فى الجهالة بشهوته وغضبه فترك الناس مواهبهم العقلية فلم يربوها ومزايا الأرض ومنافعها فلم يظهروها إلا قليلا . إن النوع الانسانى اليوم معذب لأنه لم تستخرج بالتعليم قواته المخبوءة فيه الكامنة . ولوأنها استخرجت لاستخرج بها فنون النعم المخبوءة فى الأرض . فالناس لجهلهم يقاتل بعضهم بعضا يريدكل أن يخطف مافى يد الآخر وكان خيرا لهم أن يقفوا جميعا صفا واحدا متعلما ويستخرجوا مافى هذه الأرض من المنافع فذلك يكفيهم جميعا . إن الله خزن أرضنا وملأها بما ينفعنا على قدرحاجتنا . فاذا نحن لم نبق كآبائنا الأولين على الفطرة فنكتفى بما فى الطبيعة من النعم كما هى حالنا

اليوم

اليوم فليس لنا حيلة إلا بالتعليم العام لسائر الأمم من جهة ومن جهة أخرى نستخرج منافع كل أرض فى الدنيا . فالانسان الأول كان فى سعادة لأنه اكتفى بالفطرة . والانسان الحالى شقى لأنه لم يكتف بالفطرة ولم يصل لنهاية العلم وانما اتبع الظواهر فضل . والانسان فى المستقبل هو الذى ينال نهاية العلم بما فى أرضنا واذن يسعد على مقدار علمه فاذا رأى الدقيق المنخول قال لا آكله بل آكلة بنخالته مثلا فلا أكون كآبائنا الجهلاء الذين كانوا يرمون منه القوة المغذية النافعة لهم فى صحتهم لجهلهم فالسعادة فى الدنيا إما بالرجوع الى الطبيعة واما باستكمال العلم استكمالا تاما . فأما الانسان الحالى فلم يكتف بالطبيعة ولم ينل غاية العلم بل هو استعمل قواه العقلية فأتت بخليط من حسن وسيء . ومامثل هذه المراتب الثلاث إلا كمثل الايمان فمن الناس من يؤمنون بالأنبياء بلابحث وهم العامة ومنهم من يشك فى كلامهم وهذا الفريق ﴿ قسمان ﴾ قسم وصل الى الحقيقة فصدقهم بعلمه فرأى أن نهاية العلم تشابه مافطر عليه العامة . وقسم أخذ فى البحث ثم قال خير لى أن لاأبحث بل أكذب وهذا الفريق مسكين فلاهومع العامة ولاهومع الخاصة فهذا كذب بلا دليل وأخذ فى اتباع الشهوات فكان العامى أفضل منه . هكذا نرى الأعراب فى البادية الذين ما كلهم أقرب الى الفطرة أصح أجساما من أبناء المدن وأبناء المدن لايسعدون البتة إلا اذا وصلوا فى العلم الى أعلى الدرجات فالأولون بالطبيعة قانعون والآخرون بالعلم التام مرتقون وسوى هذين بين هؤلاء وهؤلاء مذبذبون معذبون

﴿ المثال الثالث ﴾

(مايزاوله الناس من أكل السكر الصناعى مع ان الفاكهة أفضل منه . ومايقترفون من الغش فى اللبن والدقيق والخبز الخ)

قد ذكرت لك مافعله هذا النوع الانسانى فى الأغذية كالقمح وأذكر لك الآن ماوقفت عليه أنا بنفسى وجربته . ذلك أنى قرأت منذ سبع سنين مقالا للدكتور (جاستون دورفيل) يقول

ان السكر من الأغذية المهلكة لأجسادنا وأن الناس فى عصرنا قد اعتادوا أن يتناولوا منه أربع قطع الى ست فوق الغذاء الكثير . ولاجرم أن ذلك يحكم على الجسم بازدياد الحركة بافراط بمرض مميت . إن أكل السكر الصناعى يحدث فينا أرقا شديدا . قال ولقد منعت من شكوا لى الأرق من أكل السكر فشفوا منه وناموا مطمئنين . إن السكر ليس يكون إلا دواء وليس يكون غذاء . إذن هوضار ونافع . فليتجنبه المؤلفون والسياسيون وجميع ذوى الأعمال الجلوسية . أما ذوو الأعمال الجسدية كالزراع والصناع فهونافع لهم وعلينا أن نمنع الأطفال من هذا السكر الصناعى . ذلك السكر الذى لم يكن معروفا لآبائنا (يريد الاوروبيين) منذ ثلاثة أجيال فكانوا أبطأ منا انحطاطا فى قواهم وأقوى أجساما . ثم عطف على السكر وضرره وضرر المشروبات الروحية فجعل خطر السكر يقرب من خطرها

ويقول الدكتور (كانتون) فى كتابه ﴿ ثلاثة الاغذية المميتة ﴾ ان ما يستهلكه الناس من اللحم قد بلغ ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل ثلاثين سنة وهذه الزيادة فى اللحم يضاف اليها المقادير المأكولة من السكر ومن المواد الكحولية . ولذلك نشاهد أن السل الرئوى والسرطان يجتاحان (١٣٠) ألف نسمة كل سنة والمجانين كانوا سنة ١٨٦٥ م (١٤) ألف نسمة فصاروا ٧١٥٤٦ سنة ١٩١٠ والمنتحرون بلغوا ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين . وأجاز الدكتور (جاستون) لأصحاب الأعمال الجلوسية أن يتعاطوا من السكر كل يوم قطعتين ومنعهم منه ومن الأغذية الاحتراقية كالنشاء والعجينيات مساء . ويقول ان السكر الطبيعى يكفى حاجاتنا وهو موجود فى الفواكه فهو فيها ذائب حى . أما فى السكر الصناعى فهو محروم من الحياة ومن القوة المغناطيسية فهو غذاء مميت

هذا ملخص ما اطلعت عليه فى هذا الموضوع الذى يجعل السكر واللحم والخمر أخوات فى الاهلاك ولكن

جعلوا السكر واللحم دواءين . فهما ينفعان و يضران وضررهما منصب على أصحاب الأعمال الجلوسية مثلى ومنفعتهما لغيرهم على تفصيل فيه . فانظر أيها الذكى حالى إذ ذاك

﴿ كيف كانت حالى عند قراءة هذا الموضوع ﴾

كانت لى سنّ من (الثنايا) التى فى مقدم الأسنان وهى مقلقلة (متعتعة) تريد أن تسقط ولايمرّ أسبوع حتى تعطينى انذارا وهذا صورته (اقلعنى) فكنت أضع أصبعى عليها فتميل ميلا شديدا حتى أظنّ انها ساقطة لامحالة ثم أتركها وهكذا مدّة شهور كثيرة لا أذكر عددها . وفى آخر انذار وضعت يدى عليها لأسقطها وكان أهل بيتى أمامى فقالوا لى انها لاتريد السقوط دعها فقد كنت تعالجها فتثبت بعد ذلك فتركتها ناويا الرجوع فاتفق أنى اطلعت بعد ذلك على ما كتبته لك الآن وقد كنت إذ ذاك أشرب القهوة والشاى وأضع السكر فيهما وهكذا كنت أتعاطى قطع السكر وأنا رجل مدرس ولى بعض مقالات إذ ذاك وكتب فرأيت القول منطبقا علىّ فتركت القهوة والشاى والسكر وقلت ان هذه تمنع نومى وتضرنى ضررا شديدا . وما كنت لأعلم أن اللثة وضعفها حاصل من تعاطى السكر وأن ميل سنى للسقوط من ذلك الضعف فمرّت أسابيع وشهور وهذه الثنية على حالها ثابتة بل هذه سبع سنين ولم أتلق من هذه السنّ انذارا كما كانت تفعل سابقا بل لا أفرق الآن بينها و بين ماحولها . هذه هى حالى الآن وأنا أحمد الله إذ أقلعت عن هذه العادة فكانت النتيجة قوّة عامّة فى الجسم ونشاطالم أعهده من قبل وقوّة فى المعدة

﴿ تذكرة ﴾

اللهم إنك أنت الذى خلقتنا وجعلتنا فى هذه الأرض وجعلت الجهل هو الداء الأكبر لنا . اللهم إنى تعلمت فى الأزهر العلوم الدينيه وتعلمت فى المدارس العلوم التى يسمونها (دنيوية) وألفت كتبا واطلعت على كتب الاورو بيين ومضت له سنون وسنون وأنا دائب مجدّ ومع ذلك بقيت جاهلا . جهلت أن السكر يضرنى جهلت ذلك لأن العادة المستحكمة وسوء الملكات وشيوع أكله بين الناس جعله أمرا مألوفا

اللهم إنك أنت الذى خلقت الفواكه وأنت الذى ملأتها سكرا وقلت للحيوان وللقرود ولأهل البادية كلوا فواكهى وكلوا حبوبى فأكلوها ولم نر ضررا عند هؤلاء الناس ولا الحيوان إلا قليلا

لقد أبان العلامة ابن خلدون أن أهل البادية الذين هم أقرب الى الفطرة أبعد عن المرض و يقول علماء البيطرة إن الحيوان الذى لم يذلله الانسان بعيد عن المرض والمرض لايفترس إلا الحيوان الذى يعيش معنا فالمرض تابع للمدنية وهذا بيت القصيد . الانسان خرج على الفطرة والطبيعة واستخرج السكر . ذلك السكر الذى خلقه الله فى الطبيعة بحال متوسطة فرأى الانسان أن يستعجل اللذات فاستخرجه فأكله فأضرّ به . ذلك لأنه لم يفعل مافعله الحيوان والانسان الفطرى فاتبع اللذة ولم يقف عند الفطرة . ترك الانسان فطرته الأولى وحرم من الشمس التى كانت تعطى قوّة لآبائه فأخذ الأطباء يقولون لتكونوا فى الشمس زمناما لتقووا وأمروا التلاميذ بالحركات التمرينية لتعوضهم مافقدوه من الحركات المقوّية للجسم عند طلب المعاش

الانسان خرج عن الفطرة الأولى وهو الآن بين فكى الأسد وقد كثر الضرّ والمرض

﴿ عقاب الله للناس أكثره على الجهل ﴾

ها أنت ذا أيها الذكى رأيت الله عاقبنى . لماذا عاقبنى . عاقبنى على جهلى لأنى جهلت أن السكر يضرّ اللثة فأكلته فأضرّبها . وأقول انك أنت اليوم معاقب على أمور كثيرة تجهلها وأنا كذلك . إذن العقاب على الجهل هو العقاب العام والا فكيف أعاقب بقلقلة سنى وأنا مجدّ فى طلب العلم ولكن جهلت هذه المسألة أنه عقاب معجل عجله الله فى الدنيا وهكذا سيكون له نتائج فى الآخرة . ألم تر أن الانسان اذا اختلت صحته تسوء أحواله ومتى ساءت أحواله ساء خلقه وقصر فى أمور كثيرة مع أهله وولده وأصحابه وأعماله وهذا

يتبعه

يتبعه ذم فى الدنيا وعقاب فى الآخرة . كل هذا سر أكل آدم من الشجرة هى شجرة معرفة الخير والشر
فآدم وأنا وأنت أكلنا من شجرة معرفة الخير والشر لأننا عرفنا أن السكر ألذ من الفاكهة فقلنا هذا خير منها فأكلناه . فهذه المعرفة السطحية التى يقول الله فيها ـ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ـ هى التى أوقعتنا فى الأمراض والآلام وذل الحياة . إن الانسان ترك الفطرة وعاش فى المدن وأخذ يتناول الشهوات استعجالا لها فقال الله لبعض عباده ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون ـ وقال فى سورة الأعراف استتباعا لقصة آدم وأكله من الشجرة ـ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ـ والاسراف من نوع الاقتراب من شجرة معرفة الخير والشر التى هى الجهل بحقائق الخير والشر عند الفلاسفة كسقراط وتابعيه كما تقدم . ولاجرم أن الخير ينمو فى النفس والشر كذلك كما قال تعالى ـ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ـ وقال ـ والذين اهتدوا زادهم هدى الخ ـ . إذن الخير ينمو كما تنمو الشجرة والشر كذلك لذلك سمى شجرة . والناس ذاقوا اللذات الظاهرية فعدوها خيرا فانكبوا عليها وهاهم يذوقون العذاب ألوانا وأخذ كل يحتال على لذاته بايذاء غيره وقد عم الجهل جميع الطبقات فى نوع الانسان . كل ذلك بسبب اتباع اللذات الظاهرية وسأبينها فى فصول

﴿ الفصل الأول . غش اللبن ﴾

حرص الناس على الدرهم والدينار فأخذوا يغشون اللبن بالماء وقد أثبت العلامة (هوار) أن اللبن سبب فى اصابة (٥٠) فى المائة من الذين يمرضون كل سنة بالحمى التيفودية و (١٤) فى المائة من أصحاب الحمى الحصبية و (٧) فى المائة من الذين تعتريهم الدفتريا وقال إن السبب أن اللبن يمتلئ بالحيوانات الذرية التى تحدث هذه الأمراض وهذه الحيوانات تكون فى الماء الذى يضيفه الباعة اليه . ويزيد الطين بلة

(١) اذا نزعت منه (قشدته)
(٢) أوخلط ما حلب منه اليوم بما حلب أمس
(٣) أوأضيف اليه النشا أوالدقيق او بياض البيض

﴿ الفصل الثانى . الغش فى البن ﴾

البن المسحوق الذى يباع عند (البدالين) يضاف اليه مسحوق (الآجر) الطوب المحرق و بعض الأتربة ورماد الفحم الحجرى . فأما حب البن الأخضر فان أهل (لندره) لم يجدوا من (٩١) منه سليما من الغش إلا (١٣) والباقى بن صناعى يصنع من نشارة الخشب العادى ورمل وخشب (الأكاجو) وحجر الطلق وحجر (البلومباجين) الذى تصنع منه أقلام الرصاص

﴿ الفصل الثالث مباحث الدكتور (بارودى الكيماوى) بوزارة المعارف المصرية ﴾

لقد بحث الدكتور المذكور اللبن وقال كما تقدم والزبدة فقال إنه وجد كثيرا منها مغشوشا وانه اشترى سمنا من (٤٣) بقالا فوجد الغش فى (٤١) منه وواحد مشكوك فيه وواحد فقط لاغش فيه وقال فى الزيت انه زنخ إما ظاهرا واما غير ظاهر زناخته أى تغير رائحته واختفاء الرائحة بأعمال خاصة وقال ما زيت الزيتون إلا خيال وهكذا وقال فى الملح إن فيه (١٥) فى المائة من كربونات الصودا وهذا غش يجعل المعدة قلوية لاتستطيع الهضم وقال فى الخل انه غير خل وانما هو (حامض الخليك) مخفف بالماء وفيه حوامض معدنية تحدث فى الجسم ضررا بليغا وقال فى البن انه لم يجد فيه المادة الفعالة فى البن (الكافيين) بل هذه المادة استخرجت منه قبل السحق ووجد فى بعض البن طينا وفى بعض آخر مسحوق الفول وقد وجد المستر (مورس) فى أبى قرقاص نوعا من البن مركب من الفول (والشكوريا) يعنى (السريس)

والطين وقال فى المشروبات الغازية ان فيها الزرنيخ وحامض الكبريتيك والنفتة وهكذا من المواد السامة المعدنية أوالعضوية والماء الذى تصنع منه غالبا يكون قذرا وقال فى الدقيق إن الناس فى مصر لوشاهدوا صنع الخبز الذى نأكله ما أكلوا منه لقمة واحدة . وذكر أن المحال التى يصنع فيها الخبز تكون مظلمة ويوضع فى العجين ماء قدر وانه وجد أنواعا من الدقيق فيها مواد غريبة (٢٠) فى المائة من (الطلق) نوع من الحجر وكذلك أنواعا أخرى معفنة وهذا كله يجعل الدقيق مضرا مهلكا من الوجهة الصحية

هذه هى الصورة المصغرة لحياتنا فى المدن وبها يظهر أن لبننا و بننا وخبزنا ودقيقنا والمواد العازية التى تأتى لنا فنشربها كلها قاتلات لنا . يقول المؤلف عند طبع هذا حصل اصلاح كبير جدًا فى الخبز

﴿ خطابى لأمم الاسلام ﴾

أيتها الأمم الاسلامية هذا كتاب الله تعالى والله يقول فيه ان آدم لما عصى أى وعصى بنوه اعتراهم الذّل ورجعت معصيتنا لاتباع الشهوات فكان ذلك بذرا وكانت سائرالشهوات مفرعة كفروع الشجرة

أيها الذكى . أنظر لما حصل لى . جهلت أن السكر ضار باللثة فلم يغفر الله لى هذا الجهل فتقلقلت ثنيتى ولم يعف الله عنى حتى علمت فتركت السكر . ومن أنا وماسنى التى تقلقلت . أنا رجل كبيرالسنّ ان لم أمت اليوم فغدا وسنى تذهب معى ولكنى اليوم أكتب لكم أيها المسلمون . أنا لست بطبيب ولكن الصورة المكتوبة هنا من كلام الأطباء فى مصروفى غيرمصر والكتابة رسمية فلأبن عليها كلامى مع المسلمين واقول إن الله لم يغفر لى جهلى بالسكر وضرره . فلتعلموا أيها المسلمون أن الله لايغفر لنا جميعا جهلنا بما تقدّم . انظروا انظروا . نحن نشرب اللبن والبن ونشربالمواد العازية من زجاجاتها ونأكل الخبز المصنوع عند الخبازين وقد ثبت الغشّ ثبوتا لايشك فيه ويتبعه الأمراض المتنوّعة . أليس هذا هوعين قوله تعالى ـ فدلاهما بغرور الخ ـ وهاهى ذه سوآت الانسان بدت فى الشرق والغرب

لماذا هذا . لأننا قديما خرجنا عن الفطرة وتصرّفنا فى أمور الحياة

﴿ دواء هذا الداء ﴾

لا دواء لهذا الداء إلا باتباع قوله ﷺ ﴿ للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ﴾ ومعنى هذا أن الخباز و بائع اللبن والجندى والأمير والفلاح كل منهم موقوف على الآخر فليقم فى كل قطر من أقطارالاسلام قوّامون على الشعب يفتشون كل صغيرة وكبيرة ويعاقبون الخباز واللبان وكل ذى صناعة حصلت منه هفوة صغيرة وليكن فى الأمّة علماء بكل حرفة وفنّ وفوق ذلك لتتعلم الأمّة كلها تعلما اجباريا وليجعل كل متعلم فيما يميل له والله خلق الأميال والغرائز على مقتضى المصلحة كما فى كتابى ﴿ أين الانسان ﴾

المسلمون مأمورون بالصلاة جماعة وان لم يفعلوا ذلك عاقبهم الامام . هل كان ذلك فى الدين عبثا . ألم تر أن المصلى اذا كان مريضا لايعقل الصلاة وربما انقطع عنها . الصلاة واجبة وعلى الحاكم أن يجمع الناس لها ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب ومستحيل أن تتم الصلاة إلا بصحة ولاصحة لمن أكلوا وشربوا سموما كما ثبت رسميا فى الشرق والغرب . نحن الآن نشرب السم ونأكل السم فى بلادنا . فهل هذه الحياة تطاق . واذا كنا نأكل ونشرب ونحن جاهلون الضرر فالله يؤاخذنا وان كنا لانعلم . لماذا . لأن الجهل هنا غيرمغتفر . واذاكان جهل المسلم بفروض الوضوء يعاقبه الله عليه يوم القيامة فجهله بأمور الصحة التى تتوقف عليها الصلاة لم يرد فى الدين أنه يعاقب عليها ولكن الله يعاقبنا فعلا فى الدنيا . فالله عجل عقاب الجهال بامورالحياة والصحة فى نفس الدنيا فليس ذلك يحتاج الى رسول يرسل لنا و يقول احفظوا صحتكم بل أخذ يعاقبنا على جهل الصحة قبل مجيء الرسل و بعد مجيئهم والرسل أكدوا ذلك بأمرنا بالمحافظة على الصحة . وليس معنى هذا انى وأنت نعرف كل علم فهذا مستحيل وانما أنا وأنت كالبنيان يشدّ بعضه بعضا

بل

بل الأوّلون والآخرون كالبنيان لأنى أنا قرأت كتب المتقدمين و يقرأ قولى هذا المتأخرون . وعلى ذلك يفيض كل امرئ من علمه على غيره و يعم التعليم العام ونشرات الأطباء ومحافظة الحكومات . وهذا كله داخل فى دين الاسلام الذى أمر بالصلوات وهدّد بالعقاب عليها وعلى بقية أركان الاسلام والله هو تولى عقاب المقصرين فى أمور الحياة فمن عطل أرض الله ومنع زرعها لينتفع بها الناس فهو ظالم مذنب . والأمة التى تعطل مواهب بنيها فلا تعلمهم تذل بين الأمم

﴿ عموم الغش فى المدنية الحاضرة وقوله تعالى ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ـ ﴾

ههنا ظهر تفسير هذه الآية . يقول مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى الشيرازى فى كتابه المسمى ﴿ القاموس المحيط ﴾ فى قوله تعالى ـ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ـ أى فأبين أن يخنها وخانها الانسان . انتهى

فيصير معنى الآية أن الشموس والكواكب والجبال وجميع ما خلق الله حفظت الأمانة التى استودعتها فلا خيانة عند السحاب ولا الهواء ولا الجبال . الجبال فيها مخازن المعادن والبحار فيها الماء فرأيناها تعطينا أماناتنا ولا تجحدها والطبيعة كلها قائمة بالصدق . فنحن نبذر القمح فلا يكون فولا والفول فلا يكون قطنا

﴿ عبرة ﴾

ها أنت ذا أيها الذكى تقرأ هذا الكتاب وأنت ذو صفة ما إما زارع أو تاجر أو صانع أو قاض أو سياسى فان كنت فى المدن فان الخبز الذى تأكله من السوق أو من عند الخباز واللبن والبن وجميع ما فى الزجاجات المقفلة كالغازوزة . كل ذلك فيه غش ولا علم لك به وهناك الضرر المتوالى الذى ينتهى بمرض وآلام مع الجهل بسببه الله تعالى أوجب أن يكون الناس جميعا متضامنين وهذا هو المسمى فرض الكفاية فلتنظم أحوال الأمة كلها . إن الانسان ظلوم جهول . قد ظلم الناس بغشهم فيما يأكلون وما يشربون وهذا الغش أضر من الغش فى المحرمات الظاهرة فعقابه أشد لأن ضرره أعم . وإذا عوقب الانسان لفعلة قوم لوط بسبب الابتعاد عن النساء الذى به يكون الولد فما أكثر الموت والعقم والخراب بغش اللبن والخبز والدقيق ويكون العقاب أشد من الله على الغاشين . فالانسان بهذا ظلوم وهو أيضا جهول لأنه بهذا قتل أبناء جنسه جهالة لمنفعة حقيرة . فان كنت فى المدينة فاسع فى النظام العام مع بقية الهيئة الحاكمة . وان كنت فى القرى فأنت أقرب الى السلامة لأن الخبز واللبن لا غش فيهما لأنهما من منزلك . وان كنت فى البادية فالغش أبعد عنك . وخير للذين فى المدن أن يكون خبزهم بأنفسهم وان كان فيه مشقة عليهم وأن لا يشربوا من تلك الزجاجات الغازية ولا من محال شرب القهوة المعروفة . يا الله ما أكثر العلم فى المدن وما أعظم الجهل وأكثر الغش . انتهى القسم الأوّل من السورة

﴿ القسم الثانى ﴾

قد علمت أيها الذكى أن القسم الأوّل جمع زبدة هذا العالم فذكر المعاش من نبات وحيوان وهواء وسحاب ثم ذكر الانسان وتدرّج به الى أن أوصله الى جنة أو نار . هذا وصف الدارين . ثم أخذ هنا يرتب على ذلك قائلا ـ نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأنّ عذابى هو العذاب الأليم ـ وذلك حاصل ماذكر فى الجنة والنار المذكورين . ولما كان ذلك يدعو الى طلب برهان حسى لأن الآخرة لم نرها ولم نطلع عليها شرع سبحانه يذكر لنا ﴿ قصتين ﴾ حصل العذاب فيهما فى الدنيا للمكذبين فهذا كالدليل التاريخى على ما سيحصل فى الآخرة فقال ونبئهم عن الملائكة الذين نزلوا عند ابراهيم فسلموا عليه فقال إنى وجل منكم فاذهبوا فبشروه باسحق فتعجب من بشراهم وكيف يرزق بولد وقد مسه الكبر وهذه عجيبة ـ قالوا بشرناك

بالحق" فلاتكن آيسا إنه لايقنط من رحمة الله إلا من ضل" فلم يعرف نعمته العامّة وفضله الشامل . ثم قال ماشأنكم أيها المرسلون فأخبروه بأنهم أرسلوا الى قوم لوط لاهلاكهم إلا آل لوط ماعدا امرأته فانها مع قومها ثم دخلوا على لوط فأنكرهم وأوجس منهم خيفة فقالوا له قد جئنا لعذاب قومك ثم أمروه أن يسير بالليل هو وأهله ولايلتفت منهم أحد إلاامرأته وكان ما كان من أهل المدينة واهمأرادوا فعل الفاحشة بهؤلاء الأضياف وكيف تألم لوط وجرت بينه و بينهم محاورة وهم يأبون إلا أن يفعلوها وهو يدافعهم بالحجة و يقارعهم وذكرهم أن الزواج بنساء قومهم أفضل وأشرف فأنزل الله بهم العذاب وهذا ملخص القصة الى قوله تعالى ــ إنّ فى ذلك لاية للمؤمنين ــ ثم أتبعها بقصة أصحاب الحجر الى قوله ــ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ــ

ولما أتمّ القصتين أخذ سبحانه يبين مايترتب على هذا من علم الأخلاق فأفاد أنه اذا كانت هذه صفة الانسان وانه مثاب ومعاقب وأن ذلك حاصل فعلا فى الدنيا وتتبعها الأخرى . فاذن الأمر متقن لاخطأ فيه ولاخطل وكل شئ عنده بمقدار فلابدّ لكل عمل من جزاء كما تقدّم فى عجائب المخلوقات ــ وماخلقنا السموات والأرض إلا بالحق ــ فلانترك هفوة ولاذنبا إلاحاسبنا فاعله عليه وعدّ بناه فلاتهتم بهم واصفح الصفح الجيل إن ربك خلاق الخلق عليم بهم فكيف يترك المذنب بلاعقاب . كلا . ولما كانت هذه النتائج التى مرت فى هذه السورة بديعة محكمة فمن خلق المعاش الى نبات الى حيوان الى انسان الى جنة ونارالى تاريخ الى راحة النفس من هذه النتائج أن كلا ينال ماقدّمت يداه كان ذلك داعيا أن توقن أن هذا القرآن عجيب وعظيم وأنه ليس غيره أعظم منه ولذلك أمره أن لا يمدّعينه ﷺ الى مافى هذه الدنيا من المال وأن لايحزن على عدم اتباعهم دين الاسلام لأنه سعيد بما أعطى . إن القرآن غنى بما لديه من البرهان

ولما أثلج صدره بما لديه من الثروة العظيمة والغنى العلمى وأن هذه الثروة العقلية فوق كل ثروة وغنى . ونهاه عن اعتبار ماسواه أمره أن يتواضع للمؤمنين لأنهم أعوانه على بث هذه الثروة العقلية فى سائر الناس فهذا تمية لمافى هذا العالم الانسانى وأمره أن ينذرهم أن من خالف يعذب فى الدارين كما حصل لأولئك الاثنى عشرالذين اقتسموا أطراف مكة وكل منهم ينفر الناس من الدين بوجه من الوجوه فهذا يقول ساحر وهذا يقول كاهن الى آخر ماتقدّم . ثم أقسم الله بذاته و بربوبيته ليسألنّ هؤلاء المقتسمين جيعا عماقالوه فى القرآن وفى الرسول . ثم أمره أن يجهر بما أمر به وأن يكف عنهم ولايلتفت الى لومهم على اظهار الدين وتبليغ الرسالة . وكيف تلتفت اليهم أوتخاف منهم وقد رفعنا عنك مؤنة المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخرفسوف يعلمون عاقبة أمرهم ولقد نعلم أنك يضيق صدرك باستهزائهم وقولهم الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيضيق الصدر فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك شرهم و يكشف الغم عنك أونزهه عما يقولون حامدا له على أن هداك للحق وقل سبحان الله و بحمده وكن من المصلين . ولقدكان ﷺ اذا حزبه أمر بادر أى فزع الى الصلاة . و يقول العارفون إن الصلاة متى كانت بحضورالقلب أشرق الباطن وزال الحزن عن القلب و ينفسح و ينشرح الصدر فتعلو النفس عن هذه المادّة . واعلم أن مثل هذا لايعرف إلا بعد التجربة ومن لم ينل هذا الحظ لايتصوّره . فاذا أردت ذلك فصل وأنت حاضر القلب وهناك ترى مايسرك فالعبرة بالعمل

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ــ إنّ فى ذلك لآيات للمتوسمين ــ ﴾

المتوسمون هم المتفرسون والفراسة بالكسر اسم من قولك ﴿ تفرست فى فلان الخير ﴾ وهى إمامايوقعه الله فى قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس و يكون لهم اصابة حدس ونظر وتثبت . واما مايحصل بدلائل التجارب والخلق و بذلك أيضا تعرف أحوال الناس . فالمتوسم هوالناظر فى سمة الدلائل وسمات الأشياء وصفاتها وعلاماتها . يقول الله إن فيما جاء فى قصة قوم لوط الذين تركوا النساء واتبعوا الفاحشة الشنعاء فى

الرجال

الرجال فأخذتهم الصيحة فصار عالى القرية سافلها لآيات لأصحاب الفراسة . وهنا ينظر المسلمون و يفكرون هل هذا القرآن نزل لأجل هذه القصص وحدها ولامتفرس فى الاسلام إلا فيها . فاذا قرأ المسلم القرآن يغض النظر عن أحوال الأمم المحيطة بنا وعن أحوالنا و يقول ان قوم لوط أهلكهم الله بفعل الفاحشة ووضع الشئ فى غير موضعه . أم المسلم المتوسم يقول بفراسته وعقله المضيء المشرق . لماذا أهلك الله قوم لوط و يجيب بأنه أهلكهم باخلال نظام الأمّة . ذلك أن النساء اذا تركن تعطلت الأرحام وقلّ النسل واكتفى الرجل بالرجل وهذا هوالهلاك لأنه اذا قلّ النسل شيأ فشيأ بهذه المخازى ضاعت الأمم ثم يفكر هذا المتوسم فيرى أن قوم هود هلكوا بمعاص مثل قطع الطريق واتيان المنكرات وقوم شعيب هلكوا بسبب نقص الكيل والميزان وبنتيجة ذلك خراب مدنهم فيستنتج المتوسم من ذلك نتيجة واحدة وهى أن هلاك المدن وضياعها يرجع لأمر واحد وهو الاخلال بالنظام العام وتحت هذا مالاحصر له من المعاصى ومعلوم أن عذاب الآخرة بعد عذاب الدنيا

ثم يقول ﴿ المتفرّس فى الاسلام ﴾

لأنظر حال الأمم اليوم اسلامية وغير اسلامية وأحكم أيهم أحقّ بالبقاء وأيهم أقرب الى الهلاك وانما يقول ذلك لأن المتوسمين ليسوا فى كل الأمم إلا المسلمين . كلا بل الله الذى خلق الناس خلق المسلمين وقد جعل لكل أمّة متوسمين . فهل يكون فى الأمم متوسمون والمسلمون يحرمون من هذا النوع . كلا . ثم كلا بل المسلمون أولى بهذه الصفة . ألم يقل الله فينا ــ كنتم خيرأمّة أخرجت للناس ــ فاذا كنا خيرأمة فتوسمنا خير متوسم بل ورد فى حديث غريب عن أبى سعيد الخدرى عنه ﷺ أنه قال ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ــ إنّ فى ذلك لآيات للمتوسمين ــ ﴾ أخرجه الترمذى

وحينئذ يقول المتوسم المسلم أنا أولى بالتوسم والفراسة بل أنا المؤيد من الله والحديث يشهد لى . فيقول لأنظر نظرا صادقا لأمم الاسلام وأمم الفرنجة

﴿ موازنة بين أمم الاسلام اليوم وأمم الفرنجة بطريق الفراسة الخاصة بالمتوسمين ﴾

الفرنجة قد أحاطوا الكرة الأرضية بأسلاك برقية ومدّوا فيها طرقا حديدية واستخرجوا نعم الله المعدنية وغيرها من باطن الأرض وفوق ذلك استعملوا الأمواج الكهربائية التى لاسلك لها فى أوروبا وأمريكا

اللهم إنك أنت ذوالجلال وذوالجمال . أنت الذى ملأت الأرض والجوّ والسماء بنعمك ولكنك متكبر لاتعطى النعمة إلا لمن يطلبها وهذا من رحمتك . ولوأنك أعطيت النعم لنا جزافا لجهلنا قدرها وأضعناها كأبناء الرجل الغنى الذين ورثوا أرضا وملكا وهم لم يتعبوا فيه فصاروا أذلاء فى الطرق والشوارع وهم خاسرون لهذا أنعمت على القوم الذين طلبوا نعمك المخبوءة . تلك المواهب التى خزنتها فى جوّنا فوق رؤسنا وفى الهواء المحيط بنا . هناك قوّة كامنة بديعة هى قوّة الكهرباء . تلك القوّة الملازمة لما يسمى (الأثير) ذلك الأثير الذى يملأ هذه الدنيا وقد غرقت فيه أرضنا وشمسنا وكل كوكب وكل قمر . هذه الكهرباء تقوم الآن باذاعة الخطب والأنباء والقصص والأغانى والموسيقى فمن تكون عنده آلة لاستقبال تلك الكهرباء الحاملة لما ذكر سمع الخطيب والمغنى وأمثالهما و بين القائل والسامع جبال و بحار وقارات فيسمع من فى برلين نغمات من فى الولايات المتحدة . وهكذا تنتقل الصور من بلاد الى بلاد و يخاطب الناس بعضهم بعضا بالتلفون بين أوروبا وأمريكا و يرى المتخاطبان صور بعضهما . وهاهم الآن لايريدون الاقتصار على ما ذكر بل يريدون أن يرسلوا الكهرباء من محطات خاصة فتنبعث فى الجوّ و يستعملها من يشاء لما يشاء فى أى مكان وزمان بحيث تدور به الآلات فى المصانع والمعامل وبه تضاء المصابيح فى كل مكان و به تجرى السيارات بلا بنزين ولا احتراق داخلى والمصابيح المضاءة تتخذ ضوءها من الهواء ومتى تمّ هذا (وهوقريب) ترى الناس يطبخون و يغزلون

ويفسجون ويديرون آلات الحراثة وسقى الأرض والطحن والخبز والقطر البرية والسفن البحرية • كل ذلك بأمر واحد وهى الـكهرباء المنطلقة فى المحطات السارية فى الجوّ • وماعلى الناس إلا أن يلتقطوها كما يشاؤن بآلات تصنع لذلك فلا فحم ولابنزين ولا بترول بل هناك الـكهرباء وهى القوّة الخفية التى نجهل كنهها ونعرف عملها • وليس هذا أمرا خياليا بل ابتدأ الناس يصنعونه فقد أثبت الدكتور (فيليبس توماس) المهندس بشركة (وستنهوس) الـكهربائية الأمريكية فى خطبة خطبها أمام جماعة من المهندسين الأمريكيين فى يونيو الماضى سنة ١٩٢٧ أن هذا الموضوع خرج من حيز الفكر الى حيز العمل وبرهن على ذلك بأن أخذ مصباحا كهربائيا غير متصل بسلك ولكنه متصل بقضيب من النحاس طوله نحو متر ووقف على مسافة مترين من أنبوب مفرغ فلما أديرت الآلة المتصلة بالأنبوب المفرغ وخرجت منه مجارى القوّة الـكهربائية التقطها القضيب النحاسى من الفضاء فأنار المصباح الـكهربائى المتصل به • هذا هو الذى تم فى نفس تلك الخطبة منذ ثمانية أشهر • ومعنى هذا أن الـكهرباء أمكن انطلاقها فى الهواء بلاسلك ولم تقتصر على نقل الخطب والصور والـكلام • كلا بل أضاءت المصباح وغدا استضىء مصابيح على أبعاد مختلفة وتدير الآلات فى المطاحن والمخابز والمحاريث وآلات سقى الأرض الخ

﴿ الطرق التى يبحثها القوم اليوم لنقل الـكهرباء ﴾

يقول المهندس (يلرد) انه يبنى (برجان) أحدهما على مقربة من القطب الشمالى والثانى على مقربة من القطب الجنوبى • وهذان البرجان تولد فيهما الـكهرباء بما فى تلك الأصقاع من الفحم المخزون والبترول وهذان لايمكن نقلهما الى الأصقاع المعمورة لطول الشقة وبعد المسافة • وتلك الـكهرباء المرسلة منهما تمرّ فى الجوّ المرتفع فى طبقات الهواء العليا وهو أصلح موصل لأمواج القوّة الـكهربائية وهى طبقة لطيفة لاتفقد الأمواج كثيرا من قوّتها فى اختراقها • فأما عند اختراقها الهواء عند سطح الأرض فانها تفقد كثيرا منها

وهناك اقتراح آخر وهو أن تبنى أبراج على قنن الجبال الشاهقة مثل جبل (مكنلى) فى الاسكا وجبل (هوتنى) بكاليفورنيا ونحو ذلك ولـكنهم يفضلون الأوّل لما تقدّم

ومتى تمّ ذلك تنتقل الانسانية من حال الى حال ويعيش الانسان فى جوّ مشحون بالـكهرباء فيستخدم ماشاء منها بلاتعب ولامشقة

هذا نظر القوم فى أمر الـكهرباء من جهة عمومها لسائر الأقطار مع سهولتها للعموم فى جميع الأعمال • وهذا أمر لايزال فى معرض البحث والتفكير كما رأيت

﴿ كيف تجرى الطيارة ألف ميل فى الساعة ﴾

وهاهم الآن يفكرون فى سرعة الطيارة التى تطير الآن عشرات الآلاف من الأميال فى الساعة ويريدون أنها تطير ألف ميل فيها • ومعلوم كما ستراه فى أوّل سورة النحل عند قوله تعالى ــ ويخلق مالاتعلمون ـ أن الطيارات على ﴿ قسمين ﴾ طيارات ترتفع فى الجوّ وتطير بسبب خفتها عن الهواء كأن تكون مملوءة بالاودروجين والاودروجين أخف من الهواء وعلى ذلك ترتفع فيه الى حدّ ما وهذه تسمى (بالونات) وطيارات لاتكون أخفّ من الهواء بل هى أثقل منه فهى أشبه بالطير فى جوّ السماء • ومعلوم أن الطير أثقل من الهواء لأن الهواء أخفّ من الماء (٨٠٠) مرة والطير يقرب ثقله من ثقل الماء • وهذه الطيارات يرفعها فى الجوّ ويسيرها تلك المحركات الدائمة التى تدفع الهواء بسرعة حركاتها فترتفع الطيارة وتسير الى الأمام فى الجوّ بحلولها محل الهواء الذى طردته تلك المحركات فى الطيارة • هذا هو ماعليه الطيارات اليوم ولـكن القوم الآن يقولون • معلوم أن الـكرة الأرضية محيطها حوالى (٢٤) ألف ميل وهى تجرى فى الساعة الواحدة من الغرب الى الشرق حوالى ألف ميل • فما المانع إذن من أننا نرتفع بالطيارة الى أمد بعيد فى الجوّ بحيث

لايكون

لا يكون للأرض على الطيارة سلطان الجاذبيـة إذ الجاذبية تقل كلما ابتعد الجسم عنها . ومتى وصلنا الى ذلك المكان أوقفنا الطيارة . وحينئذ نتربص الدقيقة أوالثانية التى وصلت فيها الأرض فى جريها الى المكان الذى قصدناه ثم ننزل بالطيارة على ذلك المكان فى الأرض بلا كلفة ولا تعب . وعلى ذلك يمكن الانسان أن يسافر ألف ميـل فى كل ساعة وفى الساعتـين يقطع ألفى ميل وهو لم يبرح مكانه ولا أضاع مالا فى جرى الطيارة فالأرض قامت بجريها مقام الطيارة . ومعلوم أن الأرض تقطع فى جريها فى كل ساعة (١٥) درجة من الدرجات الأرضية . (أنظر الدرجات الأرضية المذكورة فى سورة البقرة عند الـكلام على اختـلاف الليل والنهار فى قوله تعالى — إنّ فى خلق السموات والأرض — الخ هذا ما ابتدأ القوم يفكرون فيه

﴿ اقتراب تعميم التلفون الأثيرى ﴾

أما الامور التى اقتربت أن تم فعـلا وقد قطعت شوط الفكر وشوط العمل كما تقدّم هنا فهى التلفون الأثيرى (المسره) التى فى الاثير . وهاك ماجاء فى جرائدنا المصرية يوم الاثنين ١٦ يناير سـنة ١٩٢٨ فى باب التلغرافات

نيويورك فى ١٤ يناير سنة ١٩٢٨

شـهد عدد من العلماء أمس عرضا الغرض منه الدلالة على أن نقل الصور الاثيرى قد بلغ من التقدّم درجة تؤهـله للاستعمال العام فى المنازل فرأوا اللوحة الموضوعة فوق التلفون الاثيرى قد أضيئت وظهر فيها وجه رجل يعالج بيده آلة فى بعض المصانع الـكهربائية على بعد ثلاثة أميال من مكان العرض وكان يدخن (سيجاره) يتصاعد منها الدخان وسمعت أقواله بوضوح تام ثم ظهر وجه شابة تعزف على (المندولين) وكان اللحن الذى تعزفه مسموعا واضحا ثم تناولت بيدها كتابا مصوّرا ظهرت صورته للحاضرين جلية وكان القرار أن الجهاز ليس معدّا تماما للأسواق ولـكنه أفضل من أىّ جهاز آخر من هذا النوع عرف للآن اه

هذا ماسينظره المتوسمون فى أمم الاسلام من جهة أمم الفرنجة

﴿ أمم الاسلام فى نظر المتوسمين من علماء الاسلام ﴾

ينظر هؤلاء المتوسمون فيجبون ويقولون ان المسلمين فى أقطار الأرض اليوم هم الموسومون بالجهل بحيث انك ترى غير المسلم فى كل أمة هو المتعلم والمسلم غير متعلم . فترى الرجال والنساء فى انكلترا وألمـانيا وأمثالهـا وهكذا الممالك المتحدة . كل هؤلاء رجالهم ونساؤهم متعلمون وعلى قدر ازدياد العلم تزداد الثروة ثم ينظرون فيجدون اليابان التى هى أمة شرقية قدقرأت علوم القوم وصارت مثلهم بل غلبت دولة من دولهم ثم ينظر المتوسمون فلايجدون أمّة اسلامية لحقت بتلك الأمم إلا قليلا . فلماذا هذا . أهـذا طبيعة الدين كلا . فالدين هوالذى حرك تلك الأمم بالواسطة كما تقدّم فى سورة التوبة موضحا عن العلامة (سديوالفرنسى) فاقرأه هناك إن شئت . أمهذه طبيعة هذه الأمم . كلا فهذه الأمم هى التى كان لهـا القدح المعلى فى المدنية إذن من أين هذا فيجدون أن هذا من جهل القائمين بأمر الدين وطريقة تدريسه من عهـد بعيد وقرون تبلغ نحو تسع كما هو واضح فى مولضع من هـذا التفسير ثم يضرب هؤلاء مثلا بما حصـل أيام طبع هذه السورة وهو أن ملك الأفغان ﴿ أمان الله خان ﴾ قـد خرج من أوطانه ليرحـل فى أرض الله شرقا وغربا فزار الهند ومصر وهو الآن عند كتابة هذه الأسطر فى ايطاليا و يتوجه الى انـكلترا وأمم أخرى . وقد فرح به المسلمون فى مصر فرحا شـديدا لأنه أخرج الأعداء من بلاده فصارت بلاده مستقلة تمام الاستقلال فيقرؤن فى الجرائد المنشورة بمصر يوم ٢٤ ديسمبرسنة ١٩٢٧ مانصه

يقول المهندسون ان بلاد الأفغان غنية بالمعادن وآخر تقرير لهم فى ذلك هو تقرير المهندسين الطليان فى سنة ١٩٢٣ وقدجاء فيه أنواع المعادن وأمكنة وجودها وهى الفحم الحجرى والحديدوالفضة والذهب والياقوت

الأحمر والكبريت وسلفات النحاس والملح وملح البارود والزئبق وقد عثروا على ينابيع المياه المعدنية ولكنهم لايلتفتون اليها كثيرا ولم يستخرج حتى الآن شئ من تلك المعادن . وأرادت الحكومة أن تمنح الشركات الايطالية والأمريكية بعض الامتيازات ولكنها عدلت عن ذلك مراعاة لشعور الشعب الذي يكره الأجانب لذلك فكرت فى ارسال بعثة علمية صناعية الى أوروبا للاختصاص فى أمر المعادن واستخراجها اهـ

هذا مايقرؤه المتوسمون من علماء الاسلام ويوازنون بين أمم أوروبا وأمم الاسلام وانما يوازنون بين الفريقين لأن المانع الذى منع أمة الأفغان من سرعة الرقى ليس خاصا بها بل هذه صفة عامة فى الأمم الاسلامية المتأخرة . إن الملك ﴿ أمان الله خان ﴾ يريد الاسراع فى الرقى وهكذا كل المتنورين فى أمم الاسلام يريدون ذلك فاذا عاونهم رجال الدين بأن فهموا أمثال ما يكتب فى هذا التفسير أسرع الرقى الى بلاد الاسلام كما أسرع سابقا فى بلاد اليابان وان تباعا علماء الدين و بقيت دراسة الاسلام على ماهى عليه هلكت هذه الأمة هلاكا لامناص منه كما هلكت أمتان عظيمتان فى زماننا وهما أهل أمريكا الأصليون وأهل استراليا الأصليون . فهؤلاء لما دخلت عندهم المدنية الاوروبية ولم يجاروا القوم هلكوا وانقرضوا إلا قليلا

ثم يقول المتوسمون فى بلاد الاسلام من علمائهم . إن الله أهلك قوم لوط بسبب أنهم ـ بدّلوا نعمة الله كفرا ـ . وماهى نعمة الله . هى أرحام النساء التى تربى لنا الأجنة ليعمروا أرض الله فتركها الناس وأتوا الرجال فلاتكون ذرية . إذن هذه قاعدة وهى أن كل من بدّل نعمة الله كفرا يهلك وهذا كما فى قوله تعالى على لسان ابليس ـ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين ـ ولامعنى لشكر النعمة إلا علمها والانتفاع بها . ومن لم يعرف النعمة لم يشكرها . فاذا كان من عطلوا أرحام الناس أهلكهم الله فمن باب أولى من عطلوا مافى باطن الأرض من المعادن ومافى الجوّ من الكهرباء ومافوق الأرض من قطع متجاورات مملوآت بالخيرات

ألا انما مثل المسلمين فى نومهم عن خيرات ربهم اذا داموا عليها كمثل دابة نامت فى معلف الدواب على التبن فلاهى منتفعة به ولاهى تركت الدواب تأكله . ثم يوازن المتوسمون المسلمون

(١) بين قوم استخرجوا مابأرضهم من المعادن ووجهوا وجهتهم شطر القطبين يريدون أن يملؤا الدنيا نورا من نور الله المخبوء فى القطبين لأن لله هناك فحما و بترولا لايمكننا الانتفاع بهما إلا بما قدّمناه

(٢) و بين آخرين قصروا فى كل شئ حتى ان معادنهم المخبوءة فى أرضهم منعوا أنفسهم ومنعوا الناس منها . أفليست هذه الأمم اذا دامت على ذلك (لاسمح الله) يغضب عليها أشد من غضبه على قوم لوط وقوم هود وقوم شعيب لأن أولئك الهالكين عطلوا نعما لله أقل من تعطيل المسلمين اليوم لنعم ربهم ومن هذا ماتقدّم ذكره فى سورة ابراهيم قريبا من أن دولة خلفاء بنى عثمان التركية ملكت بلاد فلسطين وملكها قبلهم دول اسلامية وهم جميعا يجهلون ما بالبحر الميت من العناصر والمواد النافعة لرقى المسلمين ومنعوا الأمم الأخرى أن تستخرجها حتى اذا دخل الانجليز عرفوا قيمتها . وهاهم الآن يستخرجونها وفيها ماقيمته تتجاوز ماعند جميع المسلمين فى الأرض من المال . إذن الجهل عام فى أمم الاسلام غاية الأمر أن (أمان الله خان ملك الأفغان) يريد رقى بلاده عاملا مجدّا وليس خاملا كملوك بنى عثمان فعسى أن يكون من المفلحين ثم يحكم هؤلاء المتوسمون حكما عادلا على أمم الاسلام فيقولون الآراء التى فى هذا التفسير وأمثالها قد أخذ المسلمون يتلقونها بالقبول فأغلب الظنّ انهم أخذوا يسيرون فى سبيل الرشاد وهذه الآراء جيلة فستعم رجال الدين فى أقطار الاسلام قريبا وسيقوم المسلمون قومة رجل واحد لحوز علوم الأمم فأكثر الظنّ أنهم قريبا فائزون . فان لم يصدق الظنّ باتباع هذه الحقائق فانهم والعياذ بالله هالكون وأول الرأيين هو الأولى والحمد لله رب العالمين اهـ

خطاب

﴿ خطاب المؤلف لأمم الاسلام ﴾

أيتها الأمم الاسلامية هذه المذكورات هنا حقائق وعلى من أطلع على هذا من أهل العلم فى أمم الاسلام أن ينشرها فى المساجد والمجامع وفى كل مكان فلايترك مجلسا ولانا ديا ولاجماعة إلا أذاع هذه الآراء بينهم

أيتها الأمم الاسلامية ● إن ربكم عدل وهو بالمرصاد ● عطلتم نعم الله فى الأرض ومنعتم أنفسكم وعباد ربكم عن الانتفاع بها ● فهل ظننتم أن الله خلقها لتعطلوها ● كلا والله إن الله لايغفر للناس منع كرمه وفضله عن عباده ● وهاأنتم أولاء ترون بأعينكم أن الأمم القوية تسعى فتملك الضعيفة المعطلة لنعمة الله ● وهذا أمر محتم ● نعم استقلت دولة الأفغان ودولة ايران ودولة الترك ومملكة الحجاز وهكذا نجد وهكذا بلاد اليمن

فلتعلموا أيها المسلمون أن هذا الاستقلال لايدوم اذا بقيتم على ما أنتم عليه من جهلكم بنعم الله فى أرضكم فلابد أن تؤخذ منكم عاجلا او آجلا ● أما اذا حفظتم أمانة ربكم واستخرجتم كنوزه ونفعتم أنفسكم والناس فأنتم شاكرون باقون فى أرضه ● ألم تعلموا أن الله يجعل الأضعف طعمة الأقوى ● خلق الله فى الأرض نباتا وخلق فى النبات دودا يأكله والدود حيوان والحيوان أرقى من النبات ولكن الدود لاسمع له ولا بصر ولاشم ولاذوق وانما يمتص بجلده فهو ضعيف فخلق الله له طيورا تأكله كأبى قردان وذلك لأمرين ﴿الأول﴾ أن هذا الدود ضارّ بالزرع والزرع نافع للانسان والانسان أرقى من فى الأرض ● لذلك أرسل الله هذا الطير لأكله ﴿ الأمر الثانى ﴾ ان هذا الدود ضعيف وأبوقردان مثلا قوى فجعل الضعيف طعمة للقوى ● فللطيور أعين وآذان تمتع بنورالشمس وتسمع بواسطة الهواء وتمتع بالأرض والهواء ولاشئ من ذلك للدود ● لذلك جعل غذاء للكامل ● هكذا اذا بقى المسلمون (لاسمح الله) كما كانوا فى القرون المتأخرة فانهم يكونون أشبه بالدود والأمم أشبه بطير أبى قردان ● ولنا وطيد الأمل أن المسلمين سيرتقون ولله عاقبة الامور والحمد لله ربّ العالمين ● انتهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ــ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم * لاتمدّن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم ولاتحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ــ ﴾

لقد علمت فيما سبق أن السبع المثانى هى الفاتحة ــ والقرآن العظيم ــ معطوف عليها عطف الكل على البعض ● إذن يكون ملخص الآيات إنا أعطيناك العلم فاياك أن ترغب فى لذات الدنيا أو تزاحم أهلها وكيف ترغب فى ذلك وقد أوتيت القرآن الذى فيه غنى عن كل شئ فلاتشغل قلبك وسرّك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها * ويروى أن رسول الله ﷺ كان لاينظر الى شئ من متاع الدنيا ولايلتفت اليه ولايستحسنه وقوله ــ ولاتحزن عليهم ــ أى ولا تغتمّ على مافاتك من مشاركتهم فى الدنيا أولاتحزن على إيمانهم اذالم يؤمنوا * روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال ﴿أنظروا الى من هو أسفل منكم ولاتنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لاتزدروا نعم الله عليكم ﴾ قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الأغنياء فما كان أحد أكثر همًّا منى كنت أرى دابة خيرا من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت

واعلم أن هذه الآية موافقة لما جاء فى أوّل السورة إذ يقول تعالى ــ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ــ فهناك احتقار للذات والمال وهنا تصريح بطلب غضّ الطرف عن تلك الأموال والأحوال

﴿ عجائب الفلسفة اليونانية والرومانية وكيف أتى بها وبخير منها القرآن بعد اضمحلالها وهذا من أعجب معجزات القرآن ﴾

يقول الله هنا ــ لاتمدّنّ عينيك الخ ــ ويقول فى أوّل السورة ــ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ــ ويقول فى أوّل سورة الكهف ــ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ــ ويقول فى سورة الكهف أيضا ــ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ــ يعنى وهذه الزينة لابقاء لها وانما الباقيات الصالحات من

الأعمال أفضل ويقول فى سورة البقرة — وبشر الصابرين الخ — وهكذا أكثر سور القرآن تذكر فيها هذه المعانى . فلننظر الآن الى علوم الأمم السالفة السابقة على النبوّة المحمدية . ذلك أن اليونان والرومان كانوا هم القائمين بالفلسفة قبل التاريخ المسيحى ونبغ من بين اليونان سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس . ثم إن أمّة الرومان احتلوا بلاد اليونان وأخذوا فلسفتهم وقرؤها ونبغ فيها نابغون مثل شيشرون وسنيكا . ولقد كان من حكماء الرومان رجل يقال له (أبكتاتوس) وكان عبدا برومة لصاحب الشرطة على عهد الأمبراطور (نيرون) ولما رآه سيده أنه فيلسوف تركه يقرأ الفلسفة والحكمة وكان على مذهب (الرواقيين) وذلك سنة ٩٤ للميلاد فلما صدر أمر الأمبراطور (قرمطيانوس) باخراج الفلاسفة من ايطاليا هاجر الى بلاد اليونان ومات بها ولا يعلم تاريخ موته وهو من أشهر المتأخرين من الرواقيين وله حكم لا تزال متداولة بين الناس من القرن الثانى الى الآن ومحاورات نشرها تلميذه (أريانوس) والموجود منها الآن فى العالم أربع مقالات من الثمانية الأصلية فمن حكمه ﴿ أن روح الانسان لها نسبة الى نور الاله بل انها شرارة من ذلك النور ﴾ هذا تعبير مجازى وفيض من ذلك الجوهر وأهمّ ما فى الفلسفة أن نبحث عن تطهير أخلاقنا لنكون أحرارا

وملخص مذهبه يرجع الى ﴿ كلمتين اثنتين ﴾ الصبر على ما يؤذينا والصبر عما فاتنا . يقول ان الحرية أن يكون الانسان متصرفا فى أفكاره كما يشاء . والعمدة فى ذلك أن يفرق بين ما هو متعلق بقدرتنا وما هو غير معلق بها . أما ما هو متعلق بقدرتنا فهو ضميرنا وأفكارنا وارادتنا . وأما الباقى فهو من غير المقدور لنا . فعلينا أن نتحمل ما يلحقنا من الأذى اذا عرض وأن نصبر على ما فاتنا اذا فات . وبالجملة عدم الاكتراث بالأشياء الخارجة عنا التى هى غير مقدورة لنا . ويجب علينا أن نطهر الباطن ونجدّ فى ذلك حتى نحسّ بالنور الالهى فينا الذى حجب عنا . ثم علينا أن نعين الاخوان من سائر النوع الانسانى لأن الله هو ربّ الكل وجميعهم تحت كلاءته ورحمته . إذن ملخص مذهبه صبر على أذى وصبر على ما فات وحب لله وحب للناس . وهذا كله لا يتمّ إلا بتطهير الباطن . وهاك بعض حكمه

﴿ الحكمة الأولى ﴾

كل ما فى الطبيعة فهو إما أن يكون موقوفا على قدرتنا أو غير موقوف على قدرتنا . أما ما هو بقدرتنا فهو اعتقاداتنا وعواطفنا وأميالنا ومكروهاتنا وجميع الأفعال الصادرة منا . وما هو غير موقوف على قدرتنا هو البدن والمال والصيت والمناصب . وبالجملة كل ما ليس من فعلنا

﴿ الحكمة الثانية ﴾

ان ما يتعلق بفعلنا لا عائق له وما لا يتعلق بقدرتنا فهو ضعيف مضطرب أجنبىّ عنا

﴿ الحكمة الثالثة ﴾

ينبغى لك أن تذكر أنك اذا تخيلت فيما هو غير حر وفيما ليس بقدرتك أنه بقدرتك فانك لا تزال مضطربا حزينا شاكيا الله والناس بخلاف ما اذا اعتقدت فيما هو لك أنه لك وفيما هو لغيرك أنه لغيرك فقد لا تجد لأفعالك عائقا ولا تفعل شيأ وأنت كاره ولا يكون لك عدوّ ولا يلحقك ما يؤذيك

﴿ الحكمة الرابعة ﴾

اذا أردت ادراك هذه الغاية الشريفة فعليك بالاجتهاد وعدم التوانى والزهد فى بعض الأشياء والامساك عن بعض والمراقبة على نفسك فانه لا يمكن لك أن تجمع بين طلب ما هو خير فى ذاته وطلب المال والمناصب فان فعلت فقد يفوتك كلا طرفى ما تقصده . أما المال والمناصب فلأنك قد طلبت الخير الحقيقى . وأما الخير الحقيقى فلأنك قد طلبت المنافع الأخر

الحكمة

﴿ الحكمة الخامسة ﴾

اذا عرض مايؤذيك فقل له إنك لوهم ولاشئ غيره ثم أعرضه على الاصول السابقة وخصوصا على الأوّل فانظر هل هو فى قدرتنا أو مما ليس فى قدرتنا فاذا كان من غير المقدور فلا يلزم أن يمسك بشئ

﴿ الحكمة السادسة ﴾

لاتنس أن القصد من كل ميل طبيعى ادراك مانشتهيه والقصد من كل تطور اجتناب مكروه فالانسان قد يكون شقيا سواء فاته ماطلبه أووقع فيما كان يحذره وعلى ذلك فاذا كان ماتحذره من المقدور عليه فانك لاتقع فيه أبدا بخلاف ما اذا كنت على حذر من المرض والفقر والموت فانك لاتزال شقى الحال فلا يكن حذرك إلا بما هو فى قدرتك وكن مطمئن البال فيما سواه

﴿ الحكمة السابعة ﴾

أنظر فى الأشياء التى تستعملها وفى كل ماتحبه ماهى صفته وحقيقة ذاته من أحقرها فصاعدا فاذا تعلق حبك مثلا باناء من خزف فقل لنفسك إن ماتحبينه هو إناء من خزف فاذا انكسر لايسوؤك تلفه ومثل ذلك يقال فى ولدك وزوجك تذكر انها من البشر الميت فان عاجلتهم المنية لم يتكدر ضميرك

﴿ الحكمة الثامنة ﴾

عليك قبل الشروع فى فعل أن تنظر فيما أنت فاعله . فاذا أردت الحمام مثلا ينبغى لك أن تستحضر فى فكرك كل مايعتاد وقوعه فى الحمام من ازدحام الناس وتلاكم بعضهم ببعض ورش الماء على المارّين والمشاتمة وسرقة الثياب . فاذا تصورت ذلك فى فكرك لم يضطرب ضميرك وقلت لنفسك إنى أريد الحمام وانما أريد البقاء على حريتى وذلك يستوجب تحمل ماتقتضيه الطبيعة فى خصوص ذلك الفعل فاذا صدّك عائق عن الاستحمام فقل إنى كنت أقصد الحمام إلا أنى كنت أريد أيضا البقاء على حريتى ومروءتى فاذا لم أكن أصبر على مايفعله الغوغاء فى مثل تلك المحافل مابقيت حرا

﴿ الحكمة التاسعة ﴾

أغلب مايضطرب من أجله أفكار الناس هومايتخيلونه من الحوادث لا الحوادث نفسها . فالموت مثله ليس بشر إذ لو كان شرا لاستعظمه (سقراط) أيضا فخوفنا الموت ليس السبب فيه إلا ماتخيلناه فى حقه . وكذلك اذا أحسسنا من نفسنا القلق والحزن فلا نلوم إلا أنفسنا أى مافينا من الظنون الكاذبة . ومن لام غيره على مايطرأ له فهو جاهل . ومن لام نفسه دون غيره فقد شرع فى الحكمة أما الحكيم فلا يلوم نفسه ولا غيره

﴿ الحكمة العاشرة ﴾

لاتعجبن بما هو أجنبي عنك فان الفرس مثلا اذا أعجب بجماله يحتمل ذلك منه وأما أنت فاذا أعجبت بجمال فرسك فقد افتخرت بما ليس لك . إذن لاحظ لك منه إلا الظنّ والوهم . نعم اذا قدرت أن تجرى أفكارك على وفق الطبيعة فلك العجب به لأن ذلك لك ومنك

﴿ الحكمة الحادية عشر ﴾

إنا معاشر الناس كراكب السفينة فان الراكب اذا بلغ مرسى على طريق سفره ونزل للبرّ ليتزوّد ماء فأعجبه شئ من العشب والحصى فلامانع من أن يلتقطه ويجب عليه مع ذلك أن لايغفل عن سفينته ويلتفت أحيانا ليبصر أين هى حتى يكون مستعدا مهما أشار له رب السفينة بالرجوع فألقى جميع حمله وأسرع وكذلك المسافرون فى هذه الحياة اذا أعطوا زوجا أو بنين مكان العشب والحصى فلامانع من قبولهم إياها وانما اذا ناداهم الرّب فان عليهم بالتلبية والمسارعة وترك جميع مايبدهم بدون التفات ثم اذا كنت شيخا فلاتبعد عن السفينة لئلا يتعذر عليك ادراكها عند مايدعوك ربها

﴿ الحكمة الثانية عشر ﴾

اذا أردت أن تعيش هنيئا فلا تطلب أن تكون الحوادث على وفق مرادك بل خليكن مرادك على وفق الحوادث

﴿ الحكمة الثالثة عشر ﴾

إن المرض يعوق البدن وليس بعائق للارادة إلا اذا وافقته . اذا كنت أعرج مثلا فهذا نقص يعوق رجلك ولايعوق حرية باطنك . فاذا تأملت فى بقية الحوادث تجدها كلا منها يعوق شيأ مخصوصا وليس بعائق لك فى فكرك

﴿ الحكمة الرابعة عشر ﴾

كل ماعرض لك من الامور الخارجة عنك فانظر فى نفسك تجد أن لك فضيلة خاصة لمقاومته . فاذا كان الطارئ عليك امرأة جيلة مثلا فابحث فى نفسك تجد فيهاالعفة تعوّدت ذلك ولم يكن لأوهام خيالك قدرة عليك أبدا

﴿ الحكمة الخامسة عشر ﴾

لاتقل فى شئ أتلفته إنك أتلفته بل قل انى قد أرجعته . فاذا مات ولدك فقل إنى أرجعته . فاذا قلت إنه قد تعدّى علىّ غاصب جبار فأقول لك فما يعنيك على يد من استردّه من كان قد أعطاه لك فادام بيدك فتصرف فيه كما يتصرف فى مال الغير وكعابر الطريق يتصرّف فى متاع المنزل الذى حلّ فيه

﴿ الحكمة السادسة عشر ﴾

اذا أردت أن تتقدّم فى الأخلاق الكريمة فلايردعنك قول الناس فيك إنك معتوه سفيه لعدم اكترائك بالمكاسب والمال ولاتجتهد فى أن يراك الناس عالما . واذا أخذوا فى احترامك فكن على حذر من نفسك واعلم انه يصعب الجمع بين استقامة الباطن وشغل البال بالمكاسب اذا ماتعلق الباطن بأحدهما أهمل الآخر

﴿ الحكمة الثامنة عشر ﴾

اذا طلبت أن زوجك وأصدقاءك يعيشون على الأبد فانك من السفهاء إذ ليس ذلك إلا لطلب من أراد أن ماليس بقدرته يكون بقدرته وأن مالغيرك يكون لك . وكذلك اذا أردت من عبدك أن لايأتى خطأ أبدا فانك على مثل ذلك من السفاهة إذ تريد أن لاتكون طبيعة العبد على ماهى فى الحقيقة . واذا أردت أن تبلغ مرادك فلاتريد إلا مافى قدرتك

﴿ الحكمة التاسعة عشر ﴾

ان كل من قدر على منع ماتريده أو اكراهنا على مالاتريده فهو ربنا فاذا أردت أن تكونوا حرا فلاتطلب شيأ مما لغيرك والا فقد تكون عبدا لامحالة

﴿ الحكمة العشرون ﴾

كن فى الحياة كمن دعى الى وليمة . فاذا قدّم لك الطعام فخذ منه قدر حاجتك ولاتزد . واذا أبعد عنك فلاتمسكه . واذا لم يأت به بعد فانتظر واصبر ولاترفع صوتك فى نداء الخادم . فكن مثل ذلك فيما يتعلق بالزوج والبنين والمال والمناصب جديرا بمنادمة الملائكة فاذا كان فى قدرتك التمتع بذلك فاحتقرته وزهدت فيه فقد لاتكون نديم الملائكة بل شريكهم فى الملكية

﴿ الحكمة الحادية والعشرون ﴾

إنك فى هذا العالم كالشخص فى الملعب لتمثيل الشخص الذى عينه لك رب الملعب فلايعنيك كونه طويلا أم قصيرا فاذا عين لك تشخيص الفقر فليس عليك إلا أن تقوم بذلك . وكذلك اذا فرض عليك أن تشخص أعرج أو سلطانا أو انسانا من جمهور الناس فليس عليك إلا الوفاء بخطتك على قدر طاقتك . وأما

تعيين

تعيين الشخص فهو من غيرك

﴿ الحكمة الثانية والعشرون ﴾

إن أحببت أن لاتغلب فلاتدخل من القتال إلا ماتيقنت الغلبة فيه

﴿ الحكمة الثالثة والعشرون ﴾

إن الأذى الذى يلحق الضرب والشتم ليس من الضرب والشتم بل مما تتخيله من ذلك . واذا أغضبك أحد فاعلم أنه ليس هو المغضب لك بل ماتعلق بك من التصور . وعلى ذلك فاجتهد حتى لاتكدرك أوهام خيالك . فاذا دفعتها وانتظرت برهة من الزمان فقد تيسر لك أن تكبح نفسك وتتصرف فيها كما شئت

﴿ الحكمة الرابعة والعشرون ﴾

ليكن نصب عينيك دائما الموت والجلاء عن الوطن وسائر مايستعظمه الناس من المهولات لاسيما الموت فلايدخل ضميرك شئ من الأفكار الخسيسة ولاتكن حريصا على شئ مزيد حرص

﴿ الحكمة الخامسة والعشرون ﴾

إنك اذا تفرغت لطلب الحكمة فلاتلبث وقد أخذ الجمهور فى السخر منك والهزؤ . يتساءلون عنك انه لقد صار فيلسوفا من يومه . من أين له هذه الحكمة وهذه النخوة . أما أنت فاسكت عنهم ولا يأخذنك الكبر والعجب والزم ماتراه أفضل وأحسن قدرطاقتك وأعده مرضا قد فرضه عليك الاله كالجندى جعل له مكانا يحرسه ولايبرح عنه . واعلم أنك اذا داومت ولم تتوان فى جهدك سيعجب بك من كان بك يسخر بخلاف ما اذا راعك قولهم فتوانيت فقد لايزيدهم ذلك إلا استهزاء منك واحتقارا

﴿ الحكمة السادسة والعشرون ﴾

اذا أحببت أن تعرف وأن يعجب منك الناس فقد انحط بك حالك الى أسفل مما كنت عليه فاقنع بأن تكون حكيما . وان أحببت أن ترى حكيما فلعين نفسك . انتهى مانقلته مما كتبه الاستاذ (سنتلانه) الطليانى الذى ترجم هذا من اليونانية

ويقول علماء الفرنجة . إن هذه الآراء هى الشائعة وأمثالها فى كلام الصوفية فى الاسلام . ويقول (أبيكتاتوس) المذكور أيضا هو وقابس اليونانى المذكور فيما سيأتى فى سورة الاسراء وهكذا فلاسفة الاسلام مثل الامام الغزالى فى الاحياء ماملخصه

﴿ إن الخير المحض هى الحكمة والشر المحض هو الجهل . أما المال والولد والصيت وقهر العدو وأمثالها فهى ليست بخير ولا بشر ويكون الخير والشر بحسب مايقارنها لابها هى كما يرى كثير من ذوى المال والصيت فى شقاء مستمر والعكس بالعكس ﴾

هذا ما أردت ذكره بمناسبة قوله تعالى ـ ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم الخ ـ وهكذا ما يناسبها من آيات القرآن . وهكذا قوله عز وجل ـ فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ـ الخ

ويقول ـ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون ـ ويقول ـ ولاتعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ـ الخ

فياعجبا . هذا القرآن نزل فى جزيرة العرب وبلاد العرب قاحلة من كل حكمة إلا ماجاء فى الأشعار . وبلاد الروم خاوية من حكمة الحكماء . وحكمة هذا الفيلسوف قد جعلت فى خبر كان لما علمت من تحريم الفلسفة فى تلك الدولة لأجل الدين المسيحى

انظر وتعجب من آيات القرآن التى أتت بحكمة كانت مخبوءة عن الناس . ولعمرى إن هذا وحده

معجزة وهذا ربما يعرف من قوله تعالى ــ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ــ فالذين أوتوا العلم من الحكماء جرت على ألسنتهم وقلوبهم هذه الحكمة . فاذا سمعوا القرآن عجبوا من حكمة لم يسمعها الناس فى زمانهم بل محيت من الأمم المتمدينة الراقية إذ ذاك لتحريم الفلسفة فى الدين المسيحى

ويقول الحكماء اذا سمعوا هذا القرآن ان أعظم الأشعار المقولة عن العرب أيام النبوّة فى الحكمة ماروى عن زهير بن أبى سلمى

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لايظلم الناس يظلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوّا صديقه * ومن لا يكرّم نفسه لا يكرم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

هذه أحسن مافى حكم زهير بن أبى سلمى وحكمه أشهر ماعند العرب . إذن هذه الحكمة مجهولة عند العرب ومكتومة ممنوعة عند دولة الرومان أيام النبوّة المحمدية فنزولها فى القرآن بهذا المعنى فى سور كثيرة هى المعجزة العلمية التى لم تعرف إلا فى زماننا . هذا الزمان الذى ظهرت فيه حكم الأمم القديمة وترجمت حديثا للعربية والحمد لله الذى وفق لنشر ذلك فى هذا التفسير . وانظر الى حكم ذلك الفيلسوف الرومانى المتقدّم فانك لاتجد فيها ماجاء فى هذه الآيات فى السورة إذ يقول الله تعالى ــ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ــ الخ

فقد جعل الله فى القرآن مخرجا من الهمّ بالتسبيح والحمد والصلاة ولكن الفلسفة المذكورة لم تفتح هذا الباب للنوع الانسانى والحمد لله على نعمة العلم والحكمة . انتهى تفسير سورة الحجر

سورة النحل مكية وهى مائة وثمان وعشرون آية

﴿ وهى ثلاثة أقسام ﴾

﴿ القسم الأوّل ﴾ من أوّل السورة الى قوله ـ ويفعلون مايؤمرون ـ
﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله ـ وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين ـ الى قوله ـ وهدى و بشرى للمؤمنين ـ
﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله ـ إنّ الله يأمر بالعدل ـ الى آخر السورة

(القِسْمُ الأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

أَتَى أَمْرُ اللّٰهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ * وَالخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللّٰهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ

قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ * قَدْ مَكَرَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّٰهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ
تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ
كَذٰلِكَ يَجْزِي اللّٰهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذٰلِكَ
فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ * وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللّٰهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
فِي اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كان المشركون يستعجلون العذاب مستهزئين به ويقولون اذا صح مايقوله فان الأصنام تشفع لنا يوم القيامة وتخلصنا من الهلاك فى الدنيا فردّ الله عليهم قائلا (أتى أمر الله) وعبر بالماضى وان كان مستقبلا لتحققه كتحقق الماضى فالأمر الموعود به محقق كما ان الماضى محقق (فلا تستعجلوه) وكيف تستعجلون ماهو محقق سيحصل بعضه يوم بدر ومايليه والباقى يكون يوم القيامة . ثم ردّ عليهم فى الشق الثانى قائلا (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ سبحانه عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم ولئن سألتم أى طريق به عرفت يامحمد أن هلاككنا محقق لنقولنّ الوحى هوالذى أخبر به وهذا قوله تعالى (ينزّل الملائكة بالروح) بالوحى الذى هو فى الدين قام مقام الروح من الجسد ويحيى القلوب الميتة بالجهل (من أمره) بأمره ومن أجله (على من يشاء من عباده) الأنبياء أى أن يتخذه رسولا (أن أنذروا) أى بأن أنذروا أى اعلموا (أنه لااله إلا أنا فاتقون) ان الشأن — لااله إلا أنا فاتقون — ولوكان لى شريك لم يكن النظام الذى سيأتى الآن فى خلق السموات والأرض على أحسن ترتيب فان العمل المتقن فيهما دالّ على وحدة العمل وتمازج المنافع واتصال العالم العلوى بالسفلى فلوكان هناك ثان فى العمل لكان هذا العالم غيرمتفق المشارب ولامتحد المقاصد ولاصادق الوجهة الغائية . وهذه صفحة بيضاء من تاريخ عالم السماء والأرض قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) على نهج متين تقتضيه الحكمة ولايسوغ أن يكون له شريك فى خلقهما (تعالى عما يشركون) ولما كانت السماء والأرض قد نشأ منهما معا خلق ماعلى الأرض وأشرف ذلك الانسان . وذلك أن العوالم الأرضية تدرّجت فى الخلق من أدنى نبات الى أعلاه ومن أعلى نبات الى أدنى حيوان فأعلاه وهوالانسان فلذلك أعقبه بقوله (خلق الانسان من نطفة) جماد لاحسّ لها ولاحياة (فاذا هوخصيم) منطيق مجادل مناظر منكر على الله البعث وقد نسى ماكان عليه من المهانة وهو نطفة (مبين) للحجة . ثم انى قد كنت كتبت تفسير هذه الآيات اجمالا فى الخطاب الذى أرسلته لسائرالمسلمين فى الشرق والغرب وسميته ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ فلأذكره الآن كما هو هناك لاختصاره فأقول (والأنعام) الابل والبقر والغنم (خلقها لكم فيها دفء) مايدفأ به فيقى البرد (ومنافع) نسلها ودرّها وظهورها (ومنها تأكلون) أى

تأكلون مايؤكل منها كاللحوم والشحوم والألبان (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى راحتها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى مراعيها فان الأفنية تتزين بها فى الوقتين ويجل أهلها فى أعين الناظرين اليها (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) أى تحمل أحمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بكلفة ومشقة (إنّ ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم (والخيل والبغال والحمير) ذوات الحوافر أى وخلق لكم هذه (لتركبوها وزينة) أى لتركبوها وتتزينوا بها (ويخلق مالاتعلمون) غير هذه الدواب التى تركبونها وانما ذكر هذه بعد البغال والحمير والخيل التى نركبها ونتزين بها ولم يذكرها بعد الأنعام من الابل والبقر والغنم ليدلنا على ماكنز فى أرضه ومادفن فى باطنها من الحديد والفحم وأن هذه ستخرجون منها قطارا سائرا على البرّ وآخر مثله فى البحر فان هذه القطر الجارية الحاملة لأمتعتكم التى تركبون عليها من بلد الى بلد والمناطيد الهوائية التى تسير فى الجوّ والغوّاصات التى تجرى تحت الماء مما سأخلقه لكم بعد حين تقوم مقام الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة . وكما أبحت لكم هذه الحيوانات وأنعمت عليكم هكذا أبحت لكم القطرات وفحمها المخزون فى الأرض والبترول وما أشبه ذلك فلكم أن تنتفعوا بها وتشكرونى ـ ولئن شكرتم لأزيدنكم ـ والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله . ولاجرم أنى أنعمت عليكم بالقطرات والطيارات والفحم الحجرى والبترول وسائر المعادن فاذا تركتم نعمتى وأبيتم قبولها فان ذلك منكم كفرلها وعدم شكر ـ ولئن كفرتم إنّ عذابى لشديد ـ عليكم فى الدنيا بالذل وفى الآخرة بجهنم وبئس المصير لتستوفوا العقاب . واعلم أن العلوم فى القرآن للهداية ولذلك قال تعالى (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق (ومنها جائر) مائل عن القصد والاعتدال (ولوشاء لهداكم أجمعين * هوالذى أنزل من السماء) السحاب (ماء لكم منه شراب) أى ماتشربونه (ومنه شجر فيه تسيمون) ترعون * يقال سامت الماشية وأسامها صاحبها (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إنّ فى ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إنّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إنّ فى ذلك لآية لقوم يذكرون * وهوالذى سخرالبحر لتأكلوا منه لحما طريا) هوالسمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان تلبسها نساؤكم (وترى الفلك مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهوشق الماء (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون * وألقى فى الأرض رواسى) أى جبالا رواسى (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب (وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون) أى وجعل فيها أنهارا وطرقا ـ لعلكم تهتدون ـ الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح والبوصلة المعروفة فى السفن والبر (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار (أفمن يخلق كمن لايخلق أفلاتذكرون) والمراد من من لايخلق الأصنام (وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها) لاتضبطوا عددها فضلا عن أن تستطيعوا القيام بشكرها (إنّ الله لغفوررحيم) هذه الآيات ذكرفيها الانسان والحيوان والنبات والبحر ومافيه وذلك كترتيب علماء الطبيعة الذين جعلوا العالم العضوى والجمادى هكذا الانسان ثم الحيوان ثم النبات ثم المعادن

يقول الله . خلقتكم من نطفة وأودعتكم فى الأرحام وجعلت أعضاءكم مفصلة منظمة من أعضاء بطش كاليدين والرجلين وأعضاء حس من سمع وبصر وذوق ولمس ومن فكر وذاكرة وحافظة ومخيلة ومنكم من يوحى اليه . ومنكم الحكماء . كل ذلك من نطفة . وسخرت لكم جميع الأنعام وكل ماتركبون من الدّواب وأبحت لكم مافى باطن الأرض من الفحم الحجرى والبترول والمعادن لتركبوا قطرات الطرق الحديدية التى لا تعلمونها من قبل وهيأت لكم الطيارات الهوائية والغوّاصات البحرية لتشاهدوا عجائب الجوّ وبدائع البحر

وتروا

وتروا مالاعين رأت قبلكم ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب آبائكم الأولين وجعلت لكم الزرع والشجر وبدائع الخلقة وعجائب الطبيعة أنشأتها لكم مختلفات الألوان بديعة الأشكال والخواص والطعم والرائحة منها الحلو والحامض والعفص والمر والحريف والقابض والسام والقاتل والشافى والمغذى ومنه طعام الآدميين ومنه ماخلق للدواب مما لايعلمه إلا أولو الألباب وأنعمت عليكم بالبحر لتأكلوا سمكه ولتستخرجوا الدر والمرجان منه ولتسيروا السفن بمخر عبابه جاريات فى بحر الظلمات بين أوروبا وأمريكا وفى المحيط الهادى والبحر الأحمر والأبيض والمتوسط وبحر الروم وبحر نيطش والبحر الاسود وبحر البلطيق وبحر الهند وبحر الصين . كل ذلك سخرته لكم لتبتغوا من فضلى بطلب التجارة ولم أخص الفرنجة به بل عممته للناس أجمعين

أقول ألم يأن للمسلمين أن يعقلوا ويتفكروا وينظروا ويذكروا أن المرجان فى البحار والتجارة بالسفن فيها فى يد أمم الفرنجة وهكذا الأمريكيون . أما المسلمون فلا ينقصون عن ٣٥٠ مليونا

أوليس من العجب أن المرجان فى يد الفرنجة وسفن التجارة والحرب لهم وحدهم وليس للمسلمين من ذلك إلا القليل فألهم اللهم رجال أمتنا الاسلامية روحا بها يستيقظون من غفلاتهم ويرجعون مجدهم إنك على ماتشاء قدير

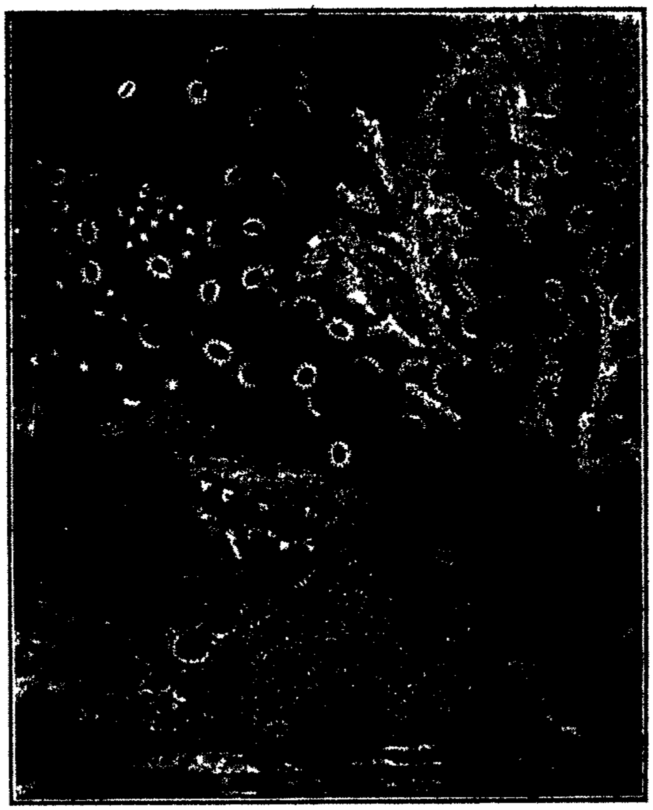
﴿ ايضاح لتفسير آية ــ وهوالذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾

فذكر اللحم الطرى وهو السمك المستخرج من البحر . وذكر عجائب الجمال وبدائع الصنعة من الدر المخلوق فى صدفه العائش فى البحار . وكذا المرجان الذى ينبت فى قاع البحر . ولعمرك لاينال مغنمه ولا يحظى بمكسبه إلا الفرنجة . ألا ترى الى فرنسا فانها تحصد حقول المرجان التى أمام تونس والجزائر وهى حافظة لها ومتى تم ينعها حصدتها وباعتها والمسلمون نائمون لايعلمون شيأ أولئك هم النائمون

يقول الله ــ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ــ والمسلمون كأنهم لم يقرؤا القرآن وكأنهم لم يخلقوا فى هذه الأرض وكأنهم أموات لا أحياء . يقول الله لهم ــ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ــ وتتحلى بها نساؤكم وهم يقولون يار بنا نحن لانستخرج وانما نشترى من المستخرجين من الأرض فكأنهم ليسوا مخاطبين بالاستخراج المباح فحرموا على أنفسهم ما أباحه الله لهم بل أوجبه عليهم باعتبار انه فرض كفاية ولا كفاية لدينا ولاعلم ولاعمل . اللهم أنقذ أمتنا من هذا النوم العميق وأيقظهم انك أنت السميع العليم واجعل كتابى هذا نورا يستضىء به المتقون ونبراسا يهتدى به الصالحون انك عليم قدير

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

اعلم أن شواطئ بلاد الجزائر تنقسم الى ﴿ عشرة أقسام ﴾ ويحصدون المرجان من كل قسم منها فى سنة ولايصل الدور الى آخرها حتى يكون قد نما أولها لأنه يبلغ أشده فى عشر سنين . وقد كان عدد الزوارق التى اصطادت المرجان فى بعض السنين من شواطئ الجزائر (٣١١) زورقا فيها (٣١٥٠) نوتيا وبلغ ثمن ما اصطادوه منه (١١٣٫٠٠٠) جنيها وهذا سنة (١٨٧٣) وفى سنة (١٨٨٦) غنم الايطاليون من المرجان المذكور (٥٦) ألف كيلو غرام ثمنها أربعة آلاف ألف فرنك ومائتا ألف فرنك . وغنم اهل فرنسا واسبانيا (٢٢) ألف كيلو غرام ثمنها ألف ألف وخمسمائة وخمسون ألف فرنك . فيكون ماصيد من المرجان كله تلك السنة (٧٨) ألف كيلو غرام ثمنها خمسة آلاف ألف وسبعمائة وخمسون ألف فرنك . كل ذلك والمسلمون لايعلمون ويقرؤن القرآن وهم نائمون والله سائلهم وهم لايشعرون وهذه صورة المرجان فى البحر



(شكل ٨)

هذه صورة المرجان ظهرت فيها ثغور حيواناته ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار السات

﴿ فصل فى بقية تفسير الآيات فى هذا القسم ﴾

قال تعالى (والله غفور رحيم) حيث أكثر النعم عليكم ولم يمنعها بسبب تقصيركم مع أنه يعلم سركم ونجواكم . فاذن لم يمنعه عن الظلم إلا رحمته الواسعة بكم (والله يعلم ماتسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وسأجاريكم عليه متى حان وقت الجزاء . ولما أتم الكلام على ماخلق سبحانه شرع يذكر الأصنام وانها لاتخلق فكيف تجعل آلهة فقال (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيأ وهم يخلقون) هم (أموات غير أحياء) ولو كانت الأصنام آلهة لكانت احياء دائما لايجوز عليها الموت ولكن هذه أموات لاحياة لها ولاحس (ومايشعرون أيان يبعثون) أى وماتشعر الأصنام متى يبعث عابدوها . فاذا لم يكونوا للعالم خالقين ولا بالحياة موصوفين ولايبعث عابديهم عالمين . فكيف يعبد الجاهلون مخلوقين أمواتا جاهلين بالبعث . ولاجرم أن هذا برهان على التوحيد (إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عن اتباع الحق اتباعا لأسلافهم وجريا وراء المألوف (ولاجرم) أى حقا (أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون) فيجازيهم (إنه لايحب المستكبرين) * وفى حديث مسلم أن النبى ﷺ قال ﴿ لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ﴾ ومعنى بطر الحق أن الانسان يتكبر عند سماع الحق فلايقبله . ومعنى غمط الناس احتقارهم * يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيأ وكذلك معنى غمصته بالصاد أى انتقصته وازدريته . وههنا شرع يبين صفات هؤلاء المستكبرين وكيف يبطرون الحق و يغمطون الناس فقال (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا أساطير الأولين) أى أحاديثهم

وأباطيلهم

وأباطيلهم . وكأنه يجيء بهذا بعد ذكر العجائب والنعم فى السموات والأرض والزرع والنبات ليكون برهانا ساطعا أن هذا ليس أساطير الأولين وانما هى حجج الحكمة و برهان الطبيعة وعلوم هذه العوالم التى يشاهدها الخلق أجمعون وهم فيها لا يفكرون ولذلك رتب عليه مابعده فقال قالوا ذلك (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) و بعض أوزار الأتباع الذين أضلهم المتبوعون حال كون الأتباع لايعلمون أن ما اتبعوهم فيه من العقائد الزائغة ضلال وهذا يفيد أن جهلهم بأنه ضلال لايعدّ عذرا لأن العقل هو الميزان لا اتباع الرؤساء (ألاساء مايزرون) أى ألا بئس مايحملون وهذا وعيد شديد . ولما كان جميع الأنبياء على سنن واحد معروف وذلك أن أعداءهم يمكرون بهم فيهلكهم الله فهم جميعا كقوم شيدوا بنيانا وأقاموه على عمد فضعضع الله البنيان بأن تعتع العمد التى تحته فوقع عليهم السقف فهلكوا وهم لايتوقعون ما أصيبوا به . وهذا هو تاريخ كل من كذبوا الرسل كما تقدم فى سورة ابراهيم وهذا قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) أى قصد تخريب بنيانهم من أصوله فضعضع العمد التى بنوا عليها (فخرّ عليهم السقف من فوقهم) سقط عليهم السقف فأهلكهم (وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) وهم آمنون مطمئنون وهذا كقول القائل

فلو بنى جبل يوما على جبل * لدكّ منه أعاليه وسافله

وقولهم ﴿ من حفر بئرا لأخيه يوشك أن يقع فيه ﴾ وهذا الجزاء حصل لكل أتباع الأنبياء الذين خالفوهم فى الدنيا ولأهل مكة يوم بدر ومابعده . هذا عذاب الدنيا (ثم يوم القيامة يخزيهم) أى يفضحهم على رؤس الأشهاد و يقول (أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم (قال الذين أوتوا العلم) وهم الأنبياء والعلماء تقريرا للحقيقة (ان الخزى) العار والفضيحة (اليوم والسوء) العذاب (على الكافرين) فيزيد ذلك القول فى خزيهم ألا وان عذاب الخزى يوم القيامة والافتضاح أشدّ أنواع العذاب وقد أوضحناه فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ ونقلنا أقوال علمائنا رحمهم الله فى ذلك وهذا مشاهد فى الدنيا فان الناس لولا خوف الفضيحة لكانوا أسعد حالا فهم جميعا إلا من رحم ربك يسترون عوراتهم وفقرهم وسوء حالهم بالتظاهر والتباهى فيضيعون مااقتنوا من المال و يذيبون مهجهم فى عداوات ومشاحنات وحروب خيفة الشماتة والعار . إن الناس يفضلون الموت على العار كما يفعل كثير من الناس ويقدم على الموت ولا يعيش ذليلا . فهكذا هؤلاء يخزيهم الله و يفضحهم فانهم لما خرّ بنيانهم الذى بنوه من فوقهم وأتاهم العذاب لم يكن لهم عذر و يقول الذين أوتوا العلم بأن درسوا هذا الوجود المحكم المنظم الذى هو دائم النظام فاستقرت عقولهم واطمأنت نفوسهم وعرفوا الحقائق . انظروا الى هؤلاء كيف سقط عليهم بنيان بنوه بلا روية وهو بنيان الاعتقادات الفاسدة فأصبحوا فى نظرهم أهل جهالة . حينئذ يكشف الغطاء و يقول العارفون بخلق السموات والأرض والانسان والحيوان والنبات والبحار ونعم الله التى لاتحصى مما هو مذكور فى هذه السورة وغيرها ان هؤلاء عارون عن الكمالات وأفئدتهم هواء فهم لايعقلون هذا . هذه المعانى كلها دخلت فى قوله ـ قال الذين أوتوا العلم ـ ولم يقل المؤمنين لأن الذين أوتوا العلم هم من أصحاب الأعراف وهم الذين ـ يعرفون كلا بسيماهم ـ فهؤلاء هم الذين يلمون بأحوال أهل الدارين فيصفون الكافرين بالخزى والسوء ثم وصف الكافرين فقال (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم) استسلموا وانقادوا وقالوا (ماكنا نعمل من سوء) أى ما أشركنا وذلك من الهلع (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو مجازيكم ولافائدة لكم فى الانكار (فادخلوا أبواب جهنم) أى فيقال لهم ذلك (خالدين فيها) مقيمين فيها لايخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن الحق فلايؤمنون وهذه الصورة التى يقابل بها المشركون يوم القيامة و يقابلها مايناله المؤمنون وهو قوله (وقيل للذين اتقوا) وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم

قالوا خيرا) أى أنزل خيرا وأبدل منه قوله (للذين أحسنوا فى هـذه الدنيا حسنة) مكافأة فى هـذه الدنيا كالنصر والفتح والرزق الحسن (ولدار الآخرة خير) وما أعدّ لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقـين) الذين اتقوا الكفر والفواحش (جنات عدن) بساتين اقامة وهو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجرى من تحتها الأنهار) أى تجرى الأنهار فى هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم (لهم فيها) فى الجنات (مايشاؤن) أى ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين (كذلك) هكذا (يجزى الله المتقين) ثم وصفهم فى مقابلة وصف الكافرين بالخزى وحكم أهل العلم عليهم أنهم مخزيون معذّبون فقال فيهم (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) فى اعتقادهم ورأيهم وخلقهم وأعمالهم وأقوالهم مبرئين مما خبثت به طباع أهل الخزى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم (يقولون) أى الملائكة (سلام) فى مقابلة قول أهل العلم لظالمى أنفسهم — ان الخزى اليوم — الخ * قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ياولىّ الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال له فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أى بعملكم فى الدنيا وهذا كترتب الشبع على تعاطى الطعام واستقامة العقل بالنهار فى الدرس على استيفاء النوم وكل من عند الله فالعمل من الله والجزاء من الله فصحّ أن دخول الجنة بأعمالنا وصحّ حديث النبى ﷺ «لن يدخل احدكم الجنة بعمله» كما فى الصحيحين وهذه التحيات المرسلة من الله للاكرام الذى هو أشرف أنواع اللذات فى مقابلة الاخزاء لظالمى أنفسهم بذكر أنهم لهم الخزى والسوء فهذا هو الجزاء العقلى مع الجزاء الجسمى وهما أقوى أثرا فى التعذيب والتنعيم . ثم أخذ يشرح حال الكفار المارّ ذكرهم فأفاد أنهم بهذه الأعمال والعقائد لاينتظرون إلا أن تقبض الملائكة أرواحهم فيموتون وتقوم القيامة فيعذّبون وهكذا كانت الأمم قبلهم فأهلكوا (فأصابهم سيآت ماعملوا) أى جزاؤها وأحاط بهم جزاء استهزائهم . ثم ذكر بعض الحجج التى يدلون بها إذ يرجعون الى القضاء والقدر فقال (وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولاحرّمنا من دونه من شئ) قالوا مستهزئين يامحمد إن الله هو الفاعل المختار فكفرنا بمشيئته وكذلك آباؤنا وهكذا تحريمنا ما أحلّ الله على زعمك كالسوائب المذكورة فى سورة الأنعام . فلولا مشيئة الله مافعلنا شيأ من ذلك فعلام العقاب والتهديد وهم بهذا أنكروا البعثة وكذبوا الرسل وهم يستهزؤن بهم وهذه الحجة من الحجج التى يدلى بها أكثر الناس وقد علموا أن من ترك الطعام اتكالا على الله أوقصد الوقوع فى بئر أوشرب السم أوتعرض للأسد أوأنزل نفسه فى البحر بلاعوم أوقطع ذراعه بسيفه وهو فى كل ذلك يقول هكذا أراد الله فان مثل هذا لا اجابة لكلامه بل يترك وشأنه ويموت غير مبكى عليه . هكذا هنا ذكر الله حجتهم ولم يرد عليهم وأراهم أن هذه حجج الأمم الهالكة وهكذا كل أمة فتحت على نفسها باب القضاء والقدر خسرت وكان ذلك علامة خرابها ودنوّ أجلها وأفول نجمها فأجابهم الله بمعنى ذلك كله بقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) فهم أدلوا بحجة القضاء والقدر وجهلوا حال هؤلاء الذين يذرون الأعمال النافعة ويحتجون بالقضاء والقدر وليس لهذه الحجج قيمة لأن الأسباب العادية من تعاطى الطعام والشراب وغيرها يلام صاحبها أشدّ اللوم اذا مات بتركها وهكذا من يتعرّضون لخطر الموت بلافائدة أو يغرقون أنفسهم فكل هذه أسباب عادية أخذا أوتركا . أفليس ابلاغ الرسل من أسباب الهداية . وأىّ فرق بين تعاطى الطعام وتفهم العلم فى حصول الشبع والفهم وهذا قوله تعالى (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أى إلا الابلاغ الموضح . وليس على من وجبت عليه الزكاة أوأراد الصدقة إلا أن يحضر المال للفقير ويقدّمه له فاذا أضرب عن أكل الطعام فليس على المتصدّق ملام فقد أخذ بالأسباب . هكذا الأنبياء والعلماء يرشدون الأمم فاذا ضلت فليس عليهم ذم ولاملام . وهذا هو الذى كان فى الأمم السابقة وهذا هو معنى قوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) كما بعثنا محمدا ﷺ (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم كل معبود من دون الله

بل

(فمنهم) أى فمن الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) أى هداه الله الى الايمان (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى وجبت عليه الضلالة فمات على الكفر على مقتضى الاستعداد السابق الذى تعلق به القدر (فسيروا فى الأرض) معتبرين متفكرين لتعرفوا كيف أهلكنا الأمم المكذبة قبلكم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من الأمم السابقين . واذا كان استعداد الكفار غالبا عليهم والقضاء نافذا فيهم فالله لايهديهم وان حرصت على هداهم وهذا قوله (إن تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل) أى من يريد اضلاله اى من حقت عليه الضلالة (ومالهم من ناصرين) أى من يدفع عنهم العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على ــ وقال الذين أشركوا ــ * يقال حلف الرجل جهد يمينه اذا حلف بالله (لايبعث الله من يموت بلى) أى يبعثهم وهو اثبات لما بعد النفى (حقا) هو مصدر مؤكد لما دل عليه ــ بلى ــ فقوله ــ يبعث ــ وعد منه تعالى ولاجرم أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لايعلمون) لجهالتهم بما حولهم من آيات الله تعالى انه اذا وعد لايخلف فهو يجعل كل نبات يلد مثله وكل شجر يأتى بثمره الخاص به ويجعل الأيام والليالى والشهور والسنين فى مواعيدها التى سنها . ولاجرم أنه بهذا يفى للناس بما عاهدهم عليه بمقتضى جريان عادته بها فهكذا هنا وعد الله على لسان رسوله فهو حق كما كان كل ما حولنا حق فانه يعد بمقتضى الحال ولايخلف الميعاد . واذا كان عدد النبات على وجه الأرض مائتى ألف نوع و بعضهم زاد كثيرا فقد صدق وعده ولم يخلف وعده بحيث أثمر كل نبات ماهو منتظر منه وهل بعد هذا وفاء . هذا وعد الله وهذا وفاؤه وانما يبعثهم (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) وهو الحقائق العلمية و يرون كل ماجهلوه فيفصل بينهم (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون لظهور الحقائق لهم . وكيف ينكر البعث و (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) واذا كان كذلك فلاتعب علىّ فى احيائهم و بعثهم فأجازى هؤلاء المنكرين والمؤمنين المهاجرين بالقسط (والذين هاجروا فى الله من من بعد ماظلموا) وهم رسول الله ﷺ وأصحابه الذين هاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وقوله ــ فى الله ــ أى فى حق الله ولوجهه (لنبوّأنهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة (ولأجر الآخرة أكبر) مما يعجل لهم فى الدنيا . وكان عمر رضى الله عنه اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله تعالى فى الدنيا وما ادّخر لك فى الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) أى لو علم الكفار أن الله يجمع للمهاجرين خيرى الدنيا والآخرة لوافقوهم هم (الذين صبروا) على مفارقة الوطن وعلى المجاهدة و بذل الأرواح فى سبيل الله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوّضون الأمر الى ربهم راضين بما أصابهم فى دين الله . ولما قالت قريش الله أعظم من أن يرسل بشرا قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم) فان كنتم فى شكّ من ذلك (فاسألوا أهل الذكر) الذين يعرفون ذلك إما بما ورد فى كتبهم كعلماء اليهود والنصارى واما بما بحثوا فى الحكمة كعلماء الحكمة وعلماء الأرواح إذ يعلمون أن الروح لايتجلى للناس إلا فى أحوال خاصة بشروط يستحيل أن تتوافر فى الأحوال التى يكون فيها الأنبياء ولابدّ أن يكون الأنبياء من البشر وقد مرّ تحقيق ذلك فى سورة الأنعام (إن كنتم لاتعلمون) الخطاب لأهل مكة . وهنا يرد سؤال فيقول القائل . بم أرسل الله الرسل . فأجاب الله تعالى (بالبينات والزبر) أى أرسلناهم بالمعجزات والكتب (وأنزلنا اليك) يامحمد (الذكر) القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) فى الذكر بواسطة انزاله عليك فيعرفون المأمور به والمنهى عنه والمتشابه ومعنى تبيينه انه ينص على المقصود تارة و يرشد الى القياس أخرى و يعوّل على العقل ثالثا (ولعلهم يتفكرون) فى تنبيهاته فيعرفوها أى وارادة أن يتأملوا فيه فيقفوا على المقاصد الحقة . وهنا أوضح الوعيد الواقع على الذين عاندوا ولم يؤمنوا بالذكر ولم يتفكروا بل مكروا مكرا سيئا فقال (أفأمن الذين مكروا السيآت) وهم احتالوا لهلاك الأنبياء (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون)

بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم فى تقلبهم) أى متقلبين فى متاجرهم (فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف) أى على أن ينقص شيأ بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم * يقال تخوّفته اذا انتقصته * روى أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقص فقال هل تعرف العرب هذا فى أشعارها فقال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم وقال تعالى (فان ربكم لرؤف رحيم) إذ لم تبتلعكم الأرض ولم ينزل عليكم من السماء عذاب ولم تأخذوا فى متقلبكم ولم ينتقصكم شيأ فشيأ بل أبقاكم سالمين فلا سماء تزعجكم ولا أرض تبلعكم ولا أحوال تعرض بينهما فيها هلاككم لا بل النعمة عليكم أتم والمنن عليكم أعظم . فاننا بدل أن نسلط عليكم عذابا من فوقكم ومن تحتكم ومن حولكم جعلنا ذلك كله نعمة عليكم حافظا لكم . ألم تروا الى الأشجار كيف أظلتكم بظلها الظليل والى الجبال أكنتكم فى كنفها من الحر الشديد . فهذه الظلال أرسلناها لكم لتأووا اليها من حر الشمس التى هى من أجل النعم عليكم فكان هذا الظل ملطفا لفعلها حارسا لكم من سمومها وهو من المعقبات التى تحيط بكم لدرء الشر عنكم فلم نقتصر فى نفعكم وحفظكم على السموات وخيراتها والأرض ونعمها والسحاب ومطرها بل الظلال التى هى أعراض حالة فى أقطارها أرسلناها اليكم فأى رحمة أعظم من ذلك وأى سعادة أكمل وليس ذلك بمستعص علينا فالأجسام والأعراض طوع لإرادتنا حوّلناها الى منافعكم ولم نجعلها نقمة عليكم . ألم تروا أن ما فى السموات وما فى الأرض خاضعون لنا مسخرون لقدرتنا مطيعون لأمرنا . فترى ظلال الجبال وظلال الأشجار وظلال كل نبات وحجر وشاخص تمتد صباحا ثم تتقاص ثم تمتد مساء وتزيد الى منتهاها وهى ساجدة خاضعة ولاصقة بالأرض لصوق جبهة المصلى بها. ذلك تبع للشمس المسخرة بأمرنا الساجدة لقهرنا الدائرة هى وأمثالها من الشموس والكواكب الجاريات فى مداراتها وهن صاغرات خاضعات . وكما خضع وسجد كل ملك حافظ لهن مهيمن على سيرهن . وهكذا كل مخلوق من معدن ونبات وحيوان فوقهن كما ترون فى أرضكم مع اختلاف الأحوال فان الكواكب الثوابت شموس لا تساوى شمسكم بالنسبة لها شيأ وحولهن أرضون لا تقل عن ثلثمائة ألف ألف أرض فيها عوالم لا تعلمون أشكالها وأوصافها كل هؤلاء مسخرون صاغرون ساجدون سواء أكانت الأحياء الحيوانية أم الأحياء الملكية وهم الملائكة ولم يكن خلوصهم من المادّة وقربهم من ربهم مانعا من خوفهم منه بل يشتد الخوف كلما ازداد القرب ولذلك يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا قوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ) استفهام انكار أى الى الذى خلق الله ومن شئ بيان له (يتفيؤ ظلاله) يرجع من موضع الى موضع (عن اليمين) عن الأيمان (والشمائل) جمع شمال (سجدا) حال من الظلال (وهم داخرون) صاغرون حال من الضمير فى ظلاله لأنه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو والنون للتغليب . والدخور الاستسلام طبعا أو اختيارا * ويقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب عليه . ثم قال تعالى (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) بيان لما فى السموات وما فى الأرض (والملائكة) معطوف على ما فى السموات عطف العالم المجرد من المادّة على غير المجرد منها فكأنه قال ــ ولله يسجد ــ الدواب والملائكة فى السموات والأرض فالقسمان فى المكانين (وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم) هذه الجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون أى لا يستكبرون خائفين وقوله ــ من فوقهم ــ أى غالبا لهم قاهرا (ويفعلون ما يؤمرون) فهم مكلفون بأعمالهم بين أمر ونهى وخوف ورجاء . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأول

البلاغة

﴿ البلاغة ﴾

واذا فرغت من التفسير اللفظى لهذا القسم فهاك موازنة بين أوّل معلقة طرفة بن العبد وأوّل سورة النحل من كتابى ﴿ أدبيات اللغة العربية ﴾ صفحة (٤٥) * قال طرفة بن العبد

ان لخولة محبوبتى أطلالا جمع طلل أى ماشخص من آثار الديار حتى يرى بأرض ذات حجارة مختلفة الألوان يعبرعنها ببرقة بمكان يقال له ﴿ ثهمد ﴾ لبنى دارم وتلك الآثار تبرق كأنها الوشم فى ظاهر اليد وقد وقف أصحابى مطاياهم لأجلى وقالوا لاتهلك من أجل حزنك عليها وتجلد وكأن الهوادج المخصوصة المسماة بالحدوج تحمل تلك الفتاة من بنى مالك فى أوائل النهار سفن عظام فى مسيل الماء الجارى فى المكان المسمى ﴿ دد ﴾ وهذا معنى قوله

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... يَلُوحُ كَبَاقِى الْوَشْمِ فِى ظَاهِرِ الْيَدِ

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

الحدوج جمع حدج مركب من مراكب النساء المالكية من بنى سعد بن مالك خلايا جمع خلية السفن العظام والنواصف جمع ناصفة وهى مسيل الماء المتسع ودد اسم مكان . ثم قال كأن هذه السفينة من سفن (عدولى) وهى قرية بالبحرين أومن سفن ابن يامن ملاح من أهل البحرين وتلك السفينة يجوربها الملاح فيضل الصراط السوىّ تارة ويهتدى أخرى فيسير وأن حيزومها أى صدرها يشق زبد الماء وموجه كما يقسم التراب الرجل الذى يصنع الفيال بيده . وذلك أن توضع الخبيئة فى تراب أورمل ويقسم بيده ففى أيهما كانت الخبيئة فالحكم تابع فى القمار له أوعليه . هذا معنى قوله

عَدَوْلِيَّةٌ أَوْمِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ ... يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِى

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا ... كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

واذ سمعت ابتداء معلقة طرفة بن العبد فاسمع الآيات فى مبدأ سورة النحل وتعجب كيف جاء المبدأ مباينا لما يقرع آذان العرب فى أفصح كلامهم قال ـ أتى أمر الله فلاتستعجلوه ـ الى قوله ـ وماتعلنون ـ ألا تتعجب كيف ذكر خلق الانسان من ماء مهين ثم تلاه بخلق الحيوان ثم أتبعه بالنبات متدليا من أعلى الى أسفل مع ذكر الماء ثم ترقى فى أسباب هذه المواليد الثلاثة فأخذ يشرح عجائب الليل والنهار والشمس والقمر ثم عمم فذكر بقية الدرارى اللامعات فى السماء فقال ـ والنجوم مسخرات بأمره ـ ثم تلاها بما يوازيها فى الجمال وهومافى الأرض من ذوات الألوان الجميلة من كل نابتة ونسمة حية وأعقبه بالبحار الملحة ذات الزخارف والزينة من المرجان والجواهر المضاهية فى جمالها والمشاكلة فى حسنها تلك اللوامع والنجوم المشرقة والأصباغ البهجة فى النبات الناجم والشجر البهج البديع . أفليس عطف البحر لما فيه من الجمال والبهاء والزينة على ما فيه الألوان البهجة من النبات والنجم من أعجب ماسمعه أولوالألباب . ثم تلاه بالجبال والسفن والأنهار والسبل والاهتداء . ولاجرم أن السفن تناسب الأنهار لمخرها وتوافق السبل والاهتداء بالنجم فى البرّ والبحر وللسفن بالنجم أشدّ العلاقات إن فى ذلك لآيات . تعجب من هذه المعانى وطف من بعد ماينناه آفاق القصائد فى الجاهلية فهل ترى إلا الظعائن والحدوج والنياق وبرقة ثهمد التى تشبه الوشم كما فى قول طرفة بن العبد المتقدم وكما تراه فى قول زهير بن أبى سلمى إذ ابتدأ قصيدته

بذكر أم أوفى وهى محبو بتـه إذ يقول * أمن منازل محبو بتى أم أوفى دمنة * أى آثار مسودة بالبعر والرماد سألتها فلم تتكلم وتلك الدمن بمكان غليظ أى الحومانة التى بالمكان المسمى بالدرّاج والمكان المسمى بالمتثلم ثم قال ولها دار بين روضتين وهما الرقتان احداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة كأن تلك الدار إذ عفت آثارها ماعلى ظاهر اليد من الوشم المكررُ فى نواشر المعصم والنواشر أعصاب الذراع واحدتها ناشرة فبهذه الدار ترى العين أى البقر الوحشى ذات العيون الواسعة والآرام الظباء الخالصة البياض يمشين و يخلف بعضهنّ بعضا وانهن يمن أولادهنّ واذا ظنن أن أولادها خلت أجوافها صوّتن بهنّ فينهضن من كل مجثم أى أمكنة نومهنّ فيرضعن وهذا معنى قوله

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

(المعصم) موضع السوار من اليد (العين) جمع عيناء البقر الوحشى لسعة عينها (الاطلاء) جمع طلا وهو ولد الظبية والبقرة

وازن هـذا المبدأ الذى لايتعدّى بيت أم أوفى والدمنة التى لاتتكلم والأرض الغليظة و بقر الوحش والظباء يتبع بعضها بعضا وهنّ يرضعن أولادهنّ . افهمه وتأمّل مقاصده وكيف تقاربت أوائل القصائد فى تلك المعانى العاكفة على البيداء وأطلالها والبطحاء و بعرها والبقر وأطلائها لاتجدها تتعدّى دائرة ضاقت فلم توسع نطاق العقول وعريت عن أكثر جمال الطبيعة فحادوا عن اتساع نطاق المدنية وظلوا فى البيداء متشاكسين وانظر أوّل النحل هنا كما تقدّم ومايقارب به من أوّل سورة الأنعام إذ يقول ـ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون * وهو الله فى السموات والأرض يعلم سركم وجهركم و يعلم ماتكسبون ـ

ابتدأ بالحمد على أنه خلق السموات والأرض وهما العالم العلوى والسفلى ومايحيط به من أنوار النهار وظلمات الليل ومع ذلك ترى الكفار يعدلون بالمبدع لهذا الجمال سواه . وكيف تكفرون به وهو الذى خلقكم من طين فجعله نباتا فأكله الحيوان فصار الطائفتان طعام الانسان فصار الطعام ماء دافقا فنشأ منه بشر سوىّ فجعل له أجلا لموته وله أجل آخر لحياته الأخرى . ثم أنتم أيها الناس بعد هذه العجائب والحكم تكفرون وكيف تكفرون به وهو الذى أحاط علمه وشملت قدرته أكناف السموات ونواحى الأرضين . فلاجرم يعلم سرّكم وجهركم و يعلم ماتفعلون من خير ومن شرّ . أليس فى ذكر الظلمات والنور تشويقا لنفوس الناشئين الى جمال الأنوار فيعشقون محاسن أنوار النجوم والأقمار و بهاء الشمس وتنطبع على ألواح قلوبهم صور الأنوار المتلألئـة من النار والشرر المتطاير من الزناد ومن نور الكهرباء وجمال المصابيح وغير ذلك

لن نقوم أمّة إلا بالكلام البليغ المملوء حكمة وصورا جميلة من المعانى البديعة . ان نقش صور العجائب السماوية والأرضية وانارة العقول بفهم الجمال فى أكناف العوالم إحياء لها واخصابا لمزارعها وانماء لما أجنت من الفضيلة والحكمة . إن الأمم توابع لما يسمعون وهم أبناء مايعطون ألا ان الجمال فى الانشاء واختيار أحاسن القول والتطواف بالقارىء فى الأنوار والظلمات والنجوم والبرّ والسهل والجبل وايرائه دقائق الأشجار و بدائع الأزهار وأعاجيب الثمار وتلألؤ الأنوار و بهجة الأصباغ أن ذلك لمحى نفسه وشائق روحه الى التطلع الى درجات المعانى فيرى الفضيلة خيرمايبتغى و يحيط علما بأمّته و يتعالى عن السفاسف و يتهيأ للحكمة وللقيادة

الأفكار فى القرى والأمصار

اعلم أن هذه السورة أشبه بما قبلها من سورة الحجر وابراهيم والرعد حافلة بالعجائب غنية بالحكم والبدائع مرصعة بالجواهر الفلكية والآراء الحكمية والدرر الطبيعية فهذه السور المكية التى تليت على الجماهير فى مكة ساقت الناس الى الايمان وتشابهت فى أساليبها وهى مقسمة الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ الحكمة . الموعظة . المجادلة فترى فى الرعد وفى ابراهيم وفى الحجر وفى هذه السورة الحكمة مفصلة واضحة

﴿ ماهى الحكمة وماهى الموعظة الحسنة . وماهى المجادلة ﴾

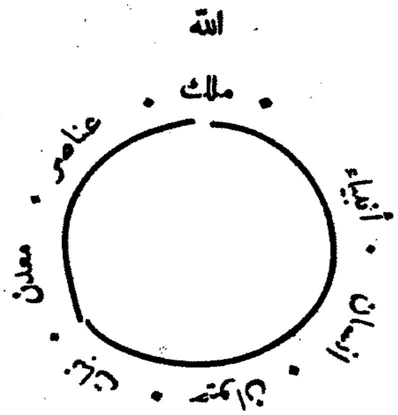
أما الحكمة فهى نظام هذا العالم وجماله ففى الرعد ذكر البرق والرعد والسحاب والمطر وأرحام النساء وازديادها ونقصها وما أشبه ذلك وفى ابراهيم ترى ذكر الثمرات والأنهار والشمس والقمر الخ وفى الحجر ترى اللقاح الأشجار والهواء والمخازن المودعة فى الطبيعة بأمر خالقها وخلق الانسان و بعثه وجنته وناره وفى هذه السورة تجد الترتيب بهيئة غير مافى السورة التى قبلها . ففى الحجر ابتدأ بذكر المعايش وقفى بخلق الانسان وانتهى الى نهايته . فأما فى هذه السورة فانه ابتدأ بما انتهى اليه هناك فانه انتهى فى الحجر بالبعث وابتدأ هنا به نفسه فقال ـ أتى أمر الله ـ وأعقبه بخلق الانسان ثم الحيوان ثم النبات ثم الماء والهواء والسفن الجاريات والبحار . فهناك ابتدأ بالمعايش وختم بالانسان والبعث وهنا ذكر البعث فالانسان فالمعاش . هكذا كان الأسلوب هناك والأسلوب هنا وهذا تنبيه وايقاظ كأنه يقول هذه سلسلة متصلة لها أوّل وآخر وكأنها شخص واحد وانسان واحد وحيوان واحد ـ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ فهذه السلسلة المنتظمة عندى كأنها شخص واحد بحيث يفتقر أعلاها لأدناها و يخضع أدناها لأعلاها . والجميع فى السجود لى والخضوع لى كانسان عابد خاضع . وهذه هى العلوم الشائعة اليوم المسماة بمسألة ﴿ النشوء والارتقاء ﴾ وهى التى درسها المتقدّمون وتعلمها المتأخرون وهى تسمى فى كتب العرب دائرة الوجود وتسمى فى العلم الحديث النشوء والارتقاء فعلماء الفلسفة قديما وعلماء الطبيعة حديثا جميعا يرتبون هذه العلوم كترتيبها فى سورة الحجر من أدنى الى أعلى وذكرت هناك كذلك ليدل على أسلوب التعليم فان المبتدئ يجب أن تلقى اليه أبسط المسائل ثم يرتقى لأعلاها فلما أنس المتعلم بهذا النظام وفهمه فى سورة الحجر كر راجعا اليه فأعطاه إياه مبتدئا بأعلاه كما يدرس له معلم الحساب بسائط الأعداد ثم مركباتها و بعد ذلك يعطيه المسائل مركبة فيحلها الى بسائطها و يرجعها الى أوائلها وهكذا على النحو والصرف وجميع العلوم . وفى هذا المقام سبع لطائف

(١) فى دائرة الوجود
(٢) وفى تعريف البهائم والأنعام وفى قوله ـ و يخلق مالا تعلمون ـ
(٣) وفى النبات
(٤) وفى الحلية المستخرجة من البحر
(٥) وفى النجم والاهتداء به
(٦) وفى السفن وجريها بالرياح
(٧) وفى الظلال

﴿ اللطيفة الأولى . دائرة الوجود المشتملة على مملكة المعدن والنبات والحيوان ﴾

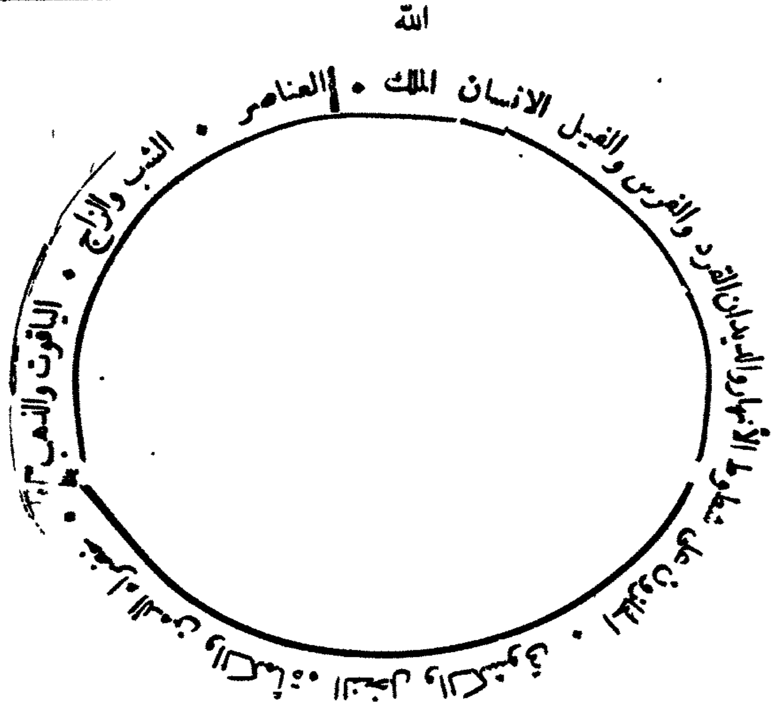
لست فى هذا المقام بمكرر مامضى . كلا وانما أنا الآن أقدّم لك وصف هذه الممالك فى كتب الطبيعة وكيف رتبوها على النسق الذى فى سورة الحجر وجعلوه دائرة أوّلها صائر الى آخرها وآخرها راجع لأوّلها . وذلك انهم يقولون إن العناصر التى تركب منها هذا العالم هى مانشاهد من أجزاء الأرض . وقد امتاز عن هذه الأجزاء المعدن و يليه النبات و يليه الحيوان و يليه الانسان والانسان أدناه أقرب الى البهائم وأعلاه أقرب

الى الملك والملك قريب من الله والله هو الذى خلق العناصر ومنها تكون المعادن فالنبات الى آخره
أفلست ترى أن القرآن فى سورة الحجر ذكرها على هذا الترتيب من أدنى الى أعلى وهنا كرّ عليها من أعلى الى أدنى . وهذا النظام عينه هو الذى استخرجه الحكماء فى العصور الأولى وفى هذا العصر
أيها المسلمون . حرام عليكم فوالله ما كنت لأعلم قُبل هذا اليوم أن هذه الأعاجيب فى القرآن أى أن تكون الدائرة فى سورة من أدنى الى أعلى ثم فى التى بعدها تكون من أعلى الى أدنى وهذه صورتها



فانظروا كيف ابتدأ بهذه الدائرة فى سورة الحجر من الله ومرّ بها على العناصر حتى انتهى الى آخرها وهو البعث ورجوع الأرواح الى عالم أشبه بالعالم المجرّد وهم الملائكة . فلما كانت سورة النحل ابتدأ من البعث أى النقطة التى وصل اليها فى سورة الحجر فقال ــ أتى أمر الله ــ وذكر الملك ثم الانسان فمرّ بها من جهة اليمين على الحيوان والنبات والدرّ والمرجان وهما من المعادن ثم الجبال وهى من العناصر الأصلية وفيها المعادن أيضا .
فيامعشر المسلمين أأمّة هذا كتابها ترجع القهقرى وتقول إن الله حرّم علىّ النظر فى علم الطبيعة . وهل علم الطبيعة علم غير هذا . هذا علم الطبيعة أوّله وآخره . وهذا هو عينه المذهب المشهور فى أوروبا وأمريكا الذى يسمونه مذهب (داروين) والناس أكثرهم لايعقلون مقصود هذا المذهب . وكيف يعلمون مايجهلون . ومعرفة معناه الوقوف على الحقائق

إن هذه العوالم كأنها شخص واحد آخرها مرتبط بأوّلها وأوّلها مرتبط بأواخرها كما أريناك . فهل تحبّ أن تقف على بعض التفصيل فى هذا الترتيب . المعدن أدناه الجصّ والزاج والشب وأعلاه الياقوت والذهب . والنبات أدناه خضراء الدمن والكمأة وأعلاه شجرة النخل وأمثالها والكشوثى التى تنبت على غيرها والحيوان أدناه الحلزون وهى دودة فى جوف أنبوبة وتلك الأنبوبة تنبت على الصخر فى سواحل البحار فليس لها إلا حاسة اللمس ومثلها سائر الدود وأعلاها ما أشبه الانسان فى شكله كالقرد أو ذكائه كالفيل أو أدبه كالفرس ولأعدلك الدائرة كرة أخرى وهاهى ذه



هذه هى الدائرة المنظمة التى أوضحها الفلاسفة والحكماء وجعلوا أولها مرتبطا بآخرها وذكرها القرآن مرتين من يمين وشمال . إن هـذا القرآن نزل الى أمم أرقى ممن جاؤا فى الأعصر الأخيرة . ألم يكن منهم رجـل رشيد . ألم يقم فيهم منذرون . نعم جاء فيهم كبار الحكماء كابن رشد والرازى والغزالى وابن سينا والفارابى فـكفروا بهم وكفروهم فأهلكتهم أوروبا وطردتهـم من الأندلس فرجعوا الى الشرق خائبين ثم أرسل وراءهم الأوروبيين فدخلوا عليهم ديارهم . فهاهـم أولاء فى ديارنا فى مصر وفى شمال أفريقيا وفى الغرب حقا . هكذا فعل الله . لأن أمة ينزل عليها هذا الـكتاب وفيه نظام الطبيعة ويزعم قوم أنه كفر تستحق هذا . ياسبحان الله . أيكون النظر فى فعل الله كفرا . أفيكون هذا النظام الجيل الذى هو عين الترتيب الذى رتبه العلماء كفرا . أفلانقول ان هذا هو جـال الله وهذه هى معرفة الله وبها حب الله وبها السيادة فى الأرض والتسلط على أهلها ومن قرؤا هذه العلوم أحبهم ربهم لأنهم درسوا ماعمل . وإذن يسلمهم قيادة الأمم على شرط أن يريدوا الخير لها فان لم يريدوا الخير لها سلبهم ملكهم والمسلمون الأولون سلطهم الله على الناس لما كانوا خير أمة أخرجت للناس فلما طغوا وجهلوا وتنعموا أذلهم الله وجعـل غيرهم خيرا منهم . والآن ظهر أن الأمم التى سلطها الله من الفرنجة قد طغت وليست خـير أمة أخرجت للناس . فهاهوذا يريد ارجاع المجد للمسلمين ويعلمهم سائر العلوم بطريق دينهم وهذا التفسير من الـكتب التى أراد الله بها انقاذ هذا الشعب من جهالته العمياء وضـلالته الـكتعاء ونومته البلهاء فيصبح سائدا مرتقيا على أكثر الناس إن شاء الله

﴿ ايضاح كلمات مضت فى الدائرة ﴾

﴿ خضراء الدمن ﴾ تـكون فى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجار ثم تصيبه الأمطار وأنداء الليل فيصبح بالغدوات مخضرا وهونبت كالزرع والحشائش فاذا أصابه حر الشمس نصف النهار جف ثم يصبح من غد مثل ذلك وهـذه والنبات المسمى بالـكمأة يكونان أيام الربيع فى البقاع المتجاورة ويقال لخضراء الدمن معدن نباتى والـكمأة نبات معدنى

﴿النخل﴾ أقرب الى الحيوان فهو نبات حيوانى اذا قطع رأسه مات وقوة الذكورة منفصلة عن قوة الانوثة وهاتان الصفتان للحيوان لجسمه نباتى ونفسه حيوانية والكشوثى نبت يتعلق بالأشجار و يلتف عليها وعلى الزرع والشوك فيمتص ويغتذى من رطوبتها

﴿الحلزون﴾ دودة تقدم تعريفها قريبا تخرج نصف شخصها من الأنبوبة وتنبسط يمنة و يسرة وتطلب مادة تغتذى بها حتى أحست برطوبة انبسطت واذا أحست بخشونة انقبضت ودخلت فى الانبوبة وليس لها إلا حاسة اللمس

﴿القرد﴾ صورته تقرب من صورة الانسان . والفرس قد بلغ من أدبه أنه لا يبول ولا يروث مادام بحضرة الملك أو حاملا له . وفى هذا التفسير ذكر (الحصان) الذى جمح وطرح وضرب وعرف النقود * وقال الشاعر العربى

واذا شكا مهرى الىّ جراحه * عند اختلاف الطعن له أقدما

لما رآنى لست أقبل عذره * عضّ الشكيم على اللجام وحمهما

هذه هى دائرة الوجود وفيها مجلدات ضخمة تدرس فى الشرق والغرب ومنها اشتقّ مذهب (دارو ين) الذى جاء فيه الكلام على النشوء والارتقاء وأن العالم يسير الى الرقى ولا يبقى إلا الأقوى الخ ما هنالك

﴿ اللطيفة الثانية فى البهائم والأنعام وماشاكلها وفى قوله تعالى ــ و يخلق مالا تعلمون ــ ﴾

الأنعام كل ماله ظلف مشقوق كالبقر والجاموس والغنم والمعز . والبهائم كل ماله حافر كالخيل والبغال والحمير . والسباع كل مالها أنياب ومخاليب . والوحوش ما كان مركبا من ذلك والطيور ما كان لها أجنحة وريش ومنقار والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوّى ومخاليب معقربة وحيوان الماء مايقيم فيه و يعيش والحشرات مايطير وليس له ريش والهوام مايدبّ على رجلين أو أربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه . وفى هذه السورة من هذه الحيوانات الأنعام والبهائم والحشرات كما سيأتى عند الكلام على النحل . وأما الطير ففى سور أخرى كالنور و يدخل فيه الجوارح

قد ذكرنا فى تفسير هذه الآيات المختومة بقوله تعالى ــ و يخلق مالا تعلمون ــ . ان الله انما ذكر هذه الجلة بعد الأنعام وركوبها لعلمه أنه سيخلق علوما بفهمها يركب الناس فى البرّ والبحر بلا دواب و بلا شرع للسفن وقلنا إن قوّة البخار قامت مقام الدّواب فى تسيير القطرات وفى ادارة الآلات النافعة للانسان فلأوضح هذا المقام بعض الايضاح فأقول

إن الدواب هى التى كانت تحملنا وحدها وهى التى بها نوصل البريد من بلد الى بلد وندير الآلات الطاحنة والساقية لأرضنا فأرسل الله نورا من عنده على بعض العقول الانسانية فأظهروا للناس بعض العجائب فكان مانراه من البخار الضاغط بارتفاعه من الحرارة الواصلة اليه فأجرى المركبات وأدار الآلات وفوق ذلك فتح الله للناس باب الكهرباء . وقد ذكرناها فى أوّل سورة الأنعام مفصلة بحيث يكون عمود النحاس مع التوتيا يحدثان تلك الكهرباء بشرط أن يكون هناك سائل ملحى . فهذه الكهرباء هى التى أتمت ما ابتدأه البخار فأدارت وحركت وسقت وأغنت . فهذه مما ذكره الله بقوله ــ و يخلق مالا تعلمون ــ بعد مسألة الأنعام . ولقد استبان للناس بعض السرّ فى الطبيعة وكلما زادوا علما ازدادوا غنى وسعة وراحة بحسب الظاهر واتصل الناس ببعضهم فى أقرب وقت

إن الكهرباء تحملنا كما يحملنا البخار وتوصل لنا الأخبار وذلك بالبرق (التلغراف) و بالمسرة (التلفون) فأصبح الانسان يكلم أخاه وأحدهما فى الشرق والآخر فى الغرب بل انه فى هذه السنة أى سنة ١٩٢٦ م قد اخترعوا طريقة فى أواخر شهر (يوليو) بها يرى الانسان من يخاطبه حال مخاطبته . وذلك أن صورة

المتكلم

المتكلم يتحول لونها الى كهرباء تمرّ فى السلك ومتى وصلت تلك الكهرباء المحوّلة الى الآخر وجدت أمامها حاجزا من الفوسفور فتحوّل بسببه الكهرباء الى لون كما كان أوّلا فيراه . ومعنى هذا أن وجه المتكلم متى أحذت صورته بالآلة التى أمامه تحوّلت الصورة الضوئية الى كهرباء بالخاصية التى فى الآلة وتمرّ فى السلك وهناك ترجع بالفصفور الى حالها الأولى . هذا آخر كشف للناس فى عصرنا وهذا من قوله تعالى — ويخلق مالاتعلمون — نعم خلق الله مالانعلم . أليس هوالذى علم العالم الذى يسمى (فلطا) الكهربائى المولود سنة ١٧٤٥ المتوفى سنة ١٨٢٧ بايطاليا كيف يستنتج من الضفدعة الميتة ارتقاء الكهرباء فى العالم . رأى هذا العالم ضفدعة معلقة بعد موتها وساقاها يتشنجان كلما اتصل بهما شرارة كهربائية أواتصل بهما معدنان فقال فى نفسه هذا سرّ عجيب يرقى صناعات العالم . فماذا حصل . صنع (بطارية) وذلك انه أتى بكؤس من الزجاج ووضع فى كل كاس منها قطعة من الفضة وقطعة من التوتيا ووصل كل قطعة من التوتيا من كاس بالقطعة من الفضة التى فى الكأس الثانية ووصل قطعة من التوتيا فى الكأس الأخيرة بقطعة الفضة التى فى الكأس الأولى وصبّ سائلا ملحيا فتولد من ذلك مقداركبير من الكهربائية وبهذه تنقل الأخبار (بالبرق وبالمسرة) أى التلغراف والتلفون . ثم انه صنع مايسمى (العمود الفلطائى) وجعل المعدنين بينهما نسيج ثخين يمتص السائل الملحى الذى يفعل بالمعدنين وجعله صفيحة من النحاس فوقها بعض من النسيج ثم من التوتيا ثم من النحاس ثم من النسيج وهلم جرا الى الصفيحة الأخيرة وهى من التوتيا . ولما وصلها بالصفيحة الاولى وهى من النحاس بسلك معدنى تولد مجرى كهربائى يدوم مادام النسيج رطبا وهذا المجرى قوىّ جدّا يهيج أعصاب الميت ويحرّك أعضاءه حتى يظهر كأن الحياة عادت اليه كما تقدّم فى الضفدعة . فانظركيف استنتج الانسان من تحرّك ضفدعة بسبب معدنين التقيا الى هذه الكهرباء التى تدير آلاتنا وتنقل أمتعتنا وتفسر لنا قوله تعالى — ويخلق مالاتعلمون — أى تفسر لنا هذا العطف أى عطف الجملة على الجملة التى فيها انا نركب الخيل والبغال الخ فهذه هى البلاغة فالبلاغة فى الواوالعاطفة تعرف بالبخار وبالعمودالفلطائى

اننا فى الأرض نعيش فى وسط الجهال ونحن غافلون . كيف نرى أمامنا نحاسا أوفضة أضيف الى أحدهما التوتيا ووضع ملح بينهما تخرج من بينهما كهرباء فالتفاعل بين المعدنين قام مقام الخيل والبغال والحمير

﴿ اشراق النفس الانسانية تمثله الكهرباء والمغناطيس ﴾

عاش الانسان قرونا وقرونا وهو يمشى برجلين ثم اهتدى الى تسخير الحيوان فى أعماله ثم زاد الانسان عقلا شيأ فشيأ . الانسانية كلها أشبه بطفل ينمو قليلا قليلا . سخر الله لنا الخيل والبغال والحمير فركبناها ثم

(١) أخذ العقل الانسانى يتحرّك فقال (طاليس) اليونانى الذى نشأ فى القرن السابع قبل الميلاد أن جذب الكهرباء والمغناطيس نشأ من قوّة روحية كامنة فيهما وحثّ تلاميذه على درس ظواهر الطبيعة ليعرفوا أسبابها

(٢) ثم قام (ثيوفواستس) اليونانى المولود سنة ٣٧٢ ق . م

(٣) وكذلك (بلينيوس) الايطالى المولود سنة (٢٣) ب . م للمسيح فقالا . إن هناك حجرا آخر يجذب القشّ اذا فرك كالكهرباء ولعله منها أومن (الراتينج) ولم يزد أحد هذين العالمين على ذلك ولكن الثانى ذكر السمك الكهربائى المعروف بالرّعاد

(٤) وقال (لقريتيوس) الشاعر الرومانى فى نصف القرن الأوّل المسيحى ﴿ ان المغناطيس يجذب برادة الحديد ولو كانت فى إناء من نحاس ﴾

(٥) وقال الصوفى من علماء العرب وهوجابر بن حيان ﴿ ان المغناطيس يفقد قوّته أحيانا ﴾

(٦) وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات ﴿ إن الكهرباء حجر أصفر مائل الى البياض وربما كان الى

الحرية) ومعناه جاذب التبن وهو يجذب التبن والمشمع الى نفسه وهو صمغ شجر الجوز الرومى

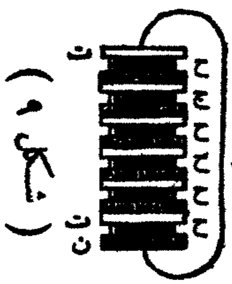
(٧) وأهل الصين، تنبهوا لما فى المغناطيس من القوّة وأنه يتوجه بنفسه الى الشمال والجنوب . وقد صنع أحد ملوكهم ابرة مغناطيسية سنة ٢٦٣٤ قبل المسيح وبها يهتدون فى المفاوز والقفار وفى البحر اهتدوا بها سنة ٣٠٠ بعد الميلاد . وهنا عرف الانسان كيف يستفيد من هذه الخاصية . وانتقلت هذه البوصلة المفيدة الى العرب فى القرون الأولى الاسلامية

(٨) ثم جاء العالم (غلبرت) الانكليزى المولود سنة ١٥٤٠ فعرف ان خاصة الجذب المذكور بطريق الفرك تكون فى الزجاج والكبريت والشمع الأحمر والراتينج والماس الصغير وهكذا كل جسم متبلور وليست تكون فى المعادن ولا الرخام ولا الأبنوس والعاج والصوّان والزمرد واللؤلؤ والمرجان . هذا رأيه ولكن العلم بعد ذلك اتسع فعرف الناس أن الكهرباء تكون فى المعادن أيضا وغيرها

(٩) ثم جاء (كولون) فى فرنسا المولود سنة ١٧٣٦، وابتدع طريقة قياس الكهرباء مثلا ان القوّة اذا كانت تساوى رطلا واحدا على بعد قدم تصير ربع رطل على بعد قدمين وتسعة أرطال على بعد ثلاثة أقدام أى عكس مربع البعد فى المسافة

(١٠) ثم جاء (كلفانى) من ايطاليا فى أواخر القرن الثامن عشر وعمل تجارب سنة ١٧٨٦ واتفق أنه علق عددا من الضفادع بصنابير من النحاس فى درابزون فرآها تشنج وظن ان هذه كهربائية حيوانية

(١١) ثم معاصره (ڤلتا) المتقدّم ذكره وأخذ يبحث ٢٧ سنة حتى عرف أن الضفدعة المذكورة هى والخرقة المبللة متساويتان فى تأدية الغرض فاخترع العمود الكهربائى المتقدّم ذكره المسمى (رصيف ڤلتا) وهو صفائح من النحاس (ن) والتوتيا (ت) مرصوف بعضها فوق بعض كما أوضحناه سابقا . والنسيج قد يكون من الجوخ (ج) وهو مبلل بحامض أو بماء ملح فاذا بلّ الانسان يديه ولمس بأصبع يده الواحدة الصفيحة السفلى من الرصيف وبأصبع يده الأخرى الصفيحة الأخرى شعر بهزّة عنيفة . فهذه الهزّة مبدأ تعرف به قوّتها وهى التى تسرى فى أسلاك (البرق والمسرة) التلغراف والتلفون وتدير الآلات وتجرى السيارات وهاك صورة (رصيف ڤلطا) شكل ٩



هانحن أولاء قد وصلنا من الكهرباء التى تجذب التبن الى الكهرباء التى تحرّك الأجسام العظيمة وتحمل الانسان فى البرّ والبحر وتقوم مقام الدّواب . هذا هو الذى أريد أن أقوله . أقول ان الله عطف قوله — ويخلق مالاتعلمون — على خلق البغال والخيل الخ ليشير الى أن استعمالنا للدواب سيخلفه شئ لانعلمه . وها نحن علمناه . اللهم إنا علمنا . علمنا يارب ماخزنته فى الأجسام من عجائب الكهرباء . خزنته لنا ونحن أطفال فلما ترعرع نوع الانسان كشفت له عن خزائنك العجيبة وأريته الكهرباء وحملته عليها فى البر والبحر . اللهم إن المخترعين كانوا من الصين والعرب أوّلا ومن أوروبا ثانيا والناس كلهم عبادك فانتفع الناس جميعهم مما اخترعه بعضهم . اللهم إن الانسان اليوم لايزال طفلا جهولا يخدم بعضهم بعضا وهم لايشعرون . الانسان ارتقت مدنيته المادّية بنبوغ عقله فنتائج العقل قامت مقام الدّواب . والعقل عرف بهدايتك وهدايتك تأتى بالتدريج . هذا هو الذى يشير له قولك فى التنزيل — وعلى الله قصد السبيل — بعد قولك — ويخلق مالاتعلمون — فالسبيل العدل والطريق المستقيم عليك أنت ولن يسلك السبيل المستقيم إلا بالعقل الذى لايهديه إلا أنت . فاذا قلنا — اهدنا الصراط المستقيم — فقد أجبتنا الى ذلك بأنك تهدى الى قصد السبيل . خففت عن الدواب بما فتحت على عقول الناس من خزائنك فى الأرض كالفحم الحجرى وخزائنك فى الأجسام من الكهرباء فاستخرجها الانسان

وسكبها

• وكما استخرج الانسان تلك المنافع من المادّة يقدر أن يستخرج نظائرها من روحه • إن الروح نزّاعة الى شرفها ومقامها الرفيع • إن فى الناس عاطفة الخير وهم يودّون لو يعرفون سرّ كل شئ ويحبون النظام والحكمة وهذا الذى ظهر لهم فى الطبيعة سيغريهم بما هو أشرف وأكمل وهو استخراج ما كمن فى النفوس من الجمال والكمال

عجبا • فى الأجسام كهربائية قلبت ظهر البسيطة أفلا يكون فى نفوسنا ماهوفوق الكهربائية ومتى ظهر سرّ الأنفس انقلب نظام النوع الانسانى وأصبحوا عالما ملكيا انسانيا وزال ما بينهم من الجهالات والعداوات

أنت خلقت ما لانعلم فعرفناه فنفعنا وذلك فى المادّيات وسيكون بعد ذلك المعنويات والفضائل والقوى النفسيه • ذلك كله من قوله — وعلى الله قصد السبيل الخ — بعد ذكر خلق ما لانعلم الذى ظهر سرّه فى الكهرباء التى قامت مقام الدواب من المنافع الانسانية والمسلمون فى زماننا مكتمون بالقشور كأنهم فى القبور وكأنهم لم يقرؤا قوله تعالى — أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها — انتهى الكلام على اللطيفة الثانية

﴿ جمال اللطيفة الثانية ﴾ .

وذلك فى ست فرائد

(١) استخدام الكهرباء فى الزراعة

(٢) وفى المرقب الذى لاسلك له

(٣) وفى التلغراف والتلفون اللذين لاسلك لهما

(٤) وفى الفلاح عندنا وعدهم

(٥) وفى سفينة الصحراء

(٦) وفى سفن الهواء والطيارات

ولنبدأ بالكلام على ﴿ الفريدة الأولى ﴾ فنقول

﴿ استخدام الكهرباء فى الزراعة فى مزرعة مستر (ماثيوز) العالم الزراعى الانجليزى ﴾

(١) هو استعملها سعة وستين استعمالا فى مزرعته

(٢) هو استعمل مسقطا مائيا بعيدا عن المزرعة وهذا المسقط أنتج الكهرباء ويحمل التيارالى المزرعة بواسطة أسلاك حول باباتها فتى أراد أى عمل أمكنه أن يوصل أسلاك الآلة بالأسلاك العلوية من أى نقطة وكل الآلات التى تستعمل فى المزرعة تديرها محركات كهربائية تختلف قوّتها باختلاف العمل الذى تؤدّيه

(٣) مثل حلب البقر

(٤) ومثل درس الغلال ومثل طحن القمح

(٥) ومثل عمل الدريس

(٦) ومثل عمل الزبدة وفصلها من اللبن

(٧) ومثل غسل زجاجات اللبن وملئها باللبن وتغطيتها

(٨) وبهذه الكهرباء أمكنه الحصول على النظافة والسرعة فى العمل

(٩) تكاليف استعمال الكهربائية المسماة بالكيلوات تنير ماقوّته (٤) شمعات مدّة (٢٥) ساعة أو تخرج (٢٦٠) جالونا من اللبن أوتفصل (١٦٥) رطلا من الزبدة أوتطحن مبلغا كبيرا من القمح

(١٠) يربى الدجاج بطريقة الكهربائية فيضيء بيت الدجاج فى ليل الشتاء بجهاز كهربائى ويكون نورا ضعيفا يشبه نور الفجر فيستيقظ الدجاج ثم ينيرها نورا كاملا فتأكل الغذاء المعدّ لها ثم يضعف النور كضوء الغسق فيرجع الدجاج الى اماكنه • ونتيجة هذا أن البيض فى زمن الشتاء يكون من الدجاجة الواحدة

من ٣٠ بيضة الى ثمانين بيضة . ولاجرم أن الشتاء فيه البيض أغلى منه فى زمن الصيف وهذا ربح عظيم

(١١) وهناك جهاز كهربائى للتفريخ سعته ٢٢٤٠ بيضة و بواسطة هذا الجهاز الكهربائى يمكن ضبط درجة الحرارة ويحصل له ٨٣ فى المائة من البيض أى انها تفرخ

(١٢) لوازم المنزل من الماء الساخن بواسطة الكهرباء

(١٣) والتدفئة فى كل الغرف بالكهرباء (١٤) والطبخ بها (١٥) والغسيل بها (١٦) وعمل الثلج بها

(١٧) وتنظيف الأبسطة (١٨) يصل لكل غرفة جهاز لاسلكى به يسمعون النغمات والأخبار

(١٩) جهاز لتسوية الحشائش يدار بالكهرباء وقصها كذلك

(٢٠) بالكهرباء تمو الأزهار فى بيت زجاجى ففيه كهرباء قوتها ألفا شمعة وهذا يؤثر فى الأزهار فتفتح فى أربعة أيام بدل أربعة أسابيع

(٢١) هناك أوان لغلى الماء وفرن كهربائى

(٢٢) اذا طبخت السيدة طعاما فليس عليها إلا أن تسلط الحرارة على ما تطبخه بواسطة الزر الذى تضغط عليه ومعلوم الزمن الذى يتم النضج فيه فتذهب حيث تشاء وترجع فتجد الطعام قد تم نضجه

(٢٣) النحل فى زمن الشتاء لايخرج فيضع له نورا خارج بيته فيخرج فيجد شرابا فيتغذى منه فيكثر العسل

هـذا ملخص ما لاحظه جماعة من اخواننا المصريين زاروا هذه المزرعة . رجعنا الى تفسير الآية .

عجائب القرآن وبدائعه . هذه هى الكهرباء وهذه نتائج أعمالها

ههنا لنا الحق أن نبدى عجبنا من القرآن . وأى عجب أكبر مما ترى . يقول الله فى الآيات السابقة ـ والأنعام خلقها لكم ـ الخ فجعل منها منافع كثيرة كالدفء والأكل والحمل الى البلاد البعيدة والزينة . هـذا كل ماذكره القرآن للبهائم والأنعام . فالمنافع فى الآية عامة وفصل منها أربعة . أما الخيل والبغال والحمير ففيها الركوب والزينة فحسب . أفلا تعجب كيف أعقب هـذه الآيات بقوله ـ ويخلق مالاتعلمون ـ يعنى والذى لاتعلمونه وهو ماسيخلقه جعله لتأكلوا منه ويكون دفأ ويحملكم الى بلاد أخرى وزينة . هذه هى الحكمة فى عطف هذه الجملة على ماقبلها والا فلماذا لم يذكر ذلك إلا هنا

يقول الله خلقت هذه الحيوانات للمنافع المذكورة وسأخلق مايقوم مقامها ونعطيكم نفس هذه المنافع وذلك منه الكهرباء المذكورة . ألم تر أن المزرعة المذكورة قد كانت الكهرباء فيها سبب ظهور الأزهار بسرعة وسبب كثرة البيض بتغذية الدجاج ليلا على ضوء الكهرباء . فاذن الكهرباء زادت فى البيض وزادت أيضا فى لحوم الدجاج ثم ان نورها مدهش وجميل فهو زينة وهى تسير القطارات الى المسافات البعيدة بدل الخيل والبغال والحمير والابل وهى تدفئ كما تقدم وفيها منافع كثيرة غيرما ذكر . فاذا أخذ الناس من جلود الأنعام نعالا مثلا ومن أظلافها غراء . فههنا أنت الكهرباء بمنافع وافرة كالغسل والطبخ وغيرها مما تقدم.

هذا هو بعض الأمر الذى تضمنه قوله ـ ويخلق مالاتعلمون ـ . علم الله أن العالم سيصبح فيه أعمال غيرما يعرفه الناس سابقا فأتى بهذه الجملة ليعرف المسلمون أن نعم الله ليست خاصة بما كان ظاهرا زمن النبوة بل هناك من أنوار الله ماهو مخزون وسيظهر وقد تم ولاجرم أن هذا التفسير على هذا النمط لم يقله المتقدمون وذلك لأن الله لم يظهره إلا فى هذا الزمان فلما ظهر أظهرناه . وانما أظهرناه لأن الله هو الذى اسس ذلك على قرار مكين فجاء بهـذه الجملة عقب الحيوانات النافعة ليقول لنا ان الذى سيخلق ولا تعلمونه يقوم مقام تلك الحيوانات النافعة

﴿ عجائب الأنوار الربانية ﴾

أفلا تعجب معى من المادة كما تعجب من القرآن . المادة التى نعيش فى وسطها هى الأرض وما عليها

ظاهرها

ظاهرها أنها لاشئ فيها سوى هذه المحسوسات ولكن ظهر بهذه الكهرباء أنها متدخلة فى جميع أجزاء الأرض والهواء . هى فى كل شئ غاية الأمر انها ضعيفة فى شئ قوية فى آخر

نحن نعيش فى عالم كله جمال . وكيف لا يكون كذلك وقد ثبت عند قوم أن الأرض نفسها وكل ما عليها إن هى إلا كهرباء متجمدة أى ان هذه المادّة أصلها هى الكهرباء ومتى استعملنا عقولنا فى استخراجها ظهرت لنا . فهانحن أولاء نوصل معدنين ببعضهما كالنحاس والتوتيا ونؤلف بينهما بسائل ملحى فعندئذ تظهر الكهرباء التى هى أصل هذه المخلوقات والكهرباء المذكورة تنقلب ضوأ وحرارة ونورا كما هو مشاهد فالضوء يشتق من الكهرباء وكذا الحرارة وكذا الحركات فكل الى كل ينقلب . اذا ثبت هذا فالكهرباء كامن فيها النور أوهى نور مخبأ عن الأعين يظهره التفاعل

ـ الله نور السموات والأرض ـ فهو منوّرهما بل هو منوّر كل حجر وكل صخرة وكل جبل من داخله وان كان فى ظاهره مظلما فى حالك الليل المدلهم . لماذا هذا . لأن الكهرباء متدخلة فى أجزاء جميع الأشياء والهواء والكهرباء ضوء فالنور فى كل شئ وان كان كامنا

خلق الله الحيوانات فانتفعنا بها ثم قال أنا أريحكم وأريح الحيوان فارجعوا الى النور الذى دفنته فى المادّة وخزنته فاستخرجوه فانه يقوم مقام هذه الدواب قال تعالى ـ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نورعلى نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ـ

ولاجرم أن نور الكهرباء يكاد يضيء ولولم تمسسه نار وهو يوقد من مادّة العالم العامّة وهى لاشرقية ولا غربية فاذا أوقدت كانت نورا على نور . ولاجرم أن نور الكهرباء لم يهتد الناس له إلا بهدى الله . هكذا العلم لايهتدى الناس له إلا بهدى الله وسيأتى تفسير الآية تاما ولنكتف هنا بما ذكرناه والحمد لله ربّ العالمين

﴿ الفريدة الثانية . المرقب الذى لاسلك له . أدهش اختراعات هذا العصر ﴾

قلنا ان الكهرباء خلقها الله وكان الناس لايعلمون وأن فيها منافع كثيرة قدّمناها وآخر ما كشفه الناس أن يرى الانسان أخاه على أبعاد شاسعة أى انه كما يسمع كلامه يرى وجهه . وهذا مقال جاء فى بعض المجلات العلمية سنة ١٩٢٦ ونصه

﴿ أدهش اختراعات هذا العصر . هل وصل العلم الى آخر درجات رقيه ﴾

﴿ وهل أكمل المخترعون كل مايدور فى مخيلتهم من الاختراعات المدهشة ﴾

نحن الآن لانزال فى بدء عصر اللاسلكية واللاسلكى لايزال يفاجئنا كل يوم بامورعجيبة مدهشة . فقد كنا منذ بضع سنوات يوم كمل اختراع التلغراف اللاسلكى نعتقد أنه سيكون خاتمة اختراعات البشر فما لبثنا أن رأينا بعده التليفون اللاسلكى ثم الفوتوغرافية اللاسلكية . وهانحن نشهد اليوم اختراعا أدهش من كل ماتقدم ونعنى به ﴿ المرقب اللاسلكى ﴾

ذكرنا من قبل أن بعض علماء الفرنسويين اخترع مرقبا لاسلكيا لرؤية الأشباح عن بعد وهو مايعبر القوم عنه بلفظة (تليفزيون) وشرحنا بالايجاز مابين هذا الاختراع واختراع الفوتوغرافية اللاسلكية من الفرق . وذلك أن الفوتوغرافية اللاسلكية تنقل الصور أو الأشباح الثابتة عن بعد كأن تنقل مثلا صورة رئيس الجمهورية الفرنسوية وتبرزها على ستار خاص . وأما الاختراع الذى نحن بصدده فهو ينقل الأشباح المتحركة بجميع دقائقها فهو اذن أشبه بسينماتوغراف لاسلكى ينقل الحوادث والأشخاص كما هى ويبرزها لعين الناظر بجميع دقائقها

وقد اطلعنا الآن على خبر فى احدى المجلات الاوروبية مؤداه أن شابا انجليزيا يدعى المستر (بيرد) وقد أنجز اختراع (المرقب اللاسلكى) بحيث صار فى متناول الجميع ولكن المخترع لايزال يعمل على تحسينه واتقانه وهو يعتقد أنه لن تمرّ سنة من هـذا التاريخ حتى يستطيع كل امرىء أن يقتنى مرقبا لاسلكيا بثمن لايزيد على الاثنين جنيها فيستعمله فى منزله كما يستعمل التلفون ويمكنه بواسطته أن يرى أشباح الذين يخاطبهم وأشباح غيرهم ولو كانوا فى أقصى المعمورة . ولاريب فى أن هـذا الاختراع سيحدث انقلابا خطيرا فى عالم الاجتماع وسيؤدّى استعماله الى تغيير كثير من أنظمة العمران وليس ذلك فقط بل سيقلب القوانين المدنيـة والجنائية والحربية رأسا على عقب . تصوّر قائدا من قادة الجيوش جالسا فى معسكره بمركز القيادة العامّة فقد كانت خططه الحربية حتى الآن تتوقف على الأنباء التى يتلقاها من مختلف الميادين . أما الآن فبواسطة (المرقب اللاسلكى) يستطيع أن يقف على مجرى القتال فى كل جهة ويكيف خططه وحركاته على مقتضى ذلك

وكذلك الأمر فى أصحاب المهن والصناعات المختلفة فانهم يستطيعون وهم جلوس فى منازلهم أن يشاهدوا بالمرقب اللاسلكى كل مايرومون مشاهدته وأن يكيفوا أعمـالهم بموجب ذلك

ومما يجدر بالذكر أن العلماء قد كانوا يعملون على انجاز الاختراع الذى نحن بصدده منذ عشرين سنة ولـكن أعمـالهم لم تكلل بالنجاح إلا فى الشهر الفائت إذ أتيح للمستر (بيرد) أن يكمل هذا الاختراع . وقد سماه (التليفيزور) أو (المرقب اللاسلكى) وسجله ثم عرضـه على وزارة المواصـلات فى انجلترا فأصدرت مصلحة البريد رخصتين باستعمال هذا الاختراع بقصد مواصلة التجارب . وهاتان الرخصتان هما للمستر بيرد نفسه وللـكابتن (هتشنسون) مدير شركة التليفيزور أى الرؤية عن بعد . وقد أنشأ هذان محطة للمراقبـة اللاسلـكية وهى أوّل محطة فى العالم من نوعها . ومما يجدر بالذكر أنه بينما كان بعض أصحاب التليفون اللاسلـكى واضعين سماعاتهم على آذانهم فى (لندن) سمعوا أزيزا غريبا يقاطع الأصوات التى كانوا ينصتون لها ثم ثبت بعد ذلك أن الأزيز ناشئ عن مرقب المستر (بيرد) اللاسلـكى فان هذا المرقب يحدث عند نقله الأمواج اللاسلـكية أزيزا يسمعه الذين ينصتون الى سماعة التلفون اللاسلـكى

وقد أجرى المستر (بيرد) عدّة تجارب أثبت بها فائدة اختراعه * وشهد الـكثيرون من العلماء نتيجة ماقام به من الخدمة للعلم . فهو قد قرّب الأبعاد ومزق الحجب التى كانت تستر الناس بعضهم عن بعض

والمرقب اللاسلـكى لايريك الشبح بشـكل صورة فوتوغرافيـة فقط بل يريكه فى جميع حركاته وسكناته ويريك ايضا بعض ألوان الشبح الطبيعية ولاسيما الأحمر والأزرق على أن المخترع لايزال يوالى تحسين اختراعه ليتمكن من اظهار جميع الألوان الطبيعية وظلالهـا . وهو شـديد الثقة بقرب نجاحه بحيث يتمـكن الجمهور من استعمال المرقب اللاسلـكى فى خلال العام المقبل

وهذا المرقب شبيه جدّا بآلة التلفون اللاسلـكى ويختلف عنها بكثرة ماله من العدسيات وهذه العدسيات تتناوب على نقل جزئيات الشبح المراد مراقبته وتناوبها هـذا يتمّ بسرعة تفوق حدّ التصوّر وهى تعكس جزئيات الشبح على الآلة القابلة كما تعكس آلة (السينما) جزئيات الأشـباح على الستار فتظهر من مجموعها صورة كاملة . والمجال لايسمح لنا بوصف دقائق هـذه الآلة الغريبة ولـكن استعمالها على مايظهر بسيط جدّا . وهنالك صعوبة فنيـة يحاول المخترع تذليلها وهى أنه عنـد انطباع الشبح المتحرك يحدث ارتجاج يتعب البصر . وقد كان السينماتوغراف أيضا كذلك فى أوّل أمره ثم تمـكن مخترعوه من ازالة ذلك النقص والمستر (بيرد) شديد الثقة بأنه سيتغلب على هذه الصعوبة ويعتقد أنه لن تمرّ بضعة أشهر حتى يتمـكن من ازالتها بتاتا . قلنا ان المرقب اللاسلـكى سيحدث انقلابا عظيما فى عالم الاجتماع إذ سيمكن المرء من رؤية كل مايجرى فى هذا العالم من دون أن يتحرك ساكنا أو يخرج من منزله . وسيكون هذا الاختراع أكبر مساعد

على مراقبة اللصوص ومرتكبى الجرائم . والعلماء ولاسيما علماء الفلك يرجون منه نفعا خصوصيا لأنه اذا أتيح لهم رؤية الأشباح عن بعد ألوف من الأميال فسيتمكنون بلا ريب من رؤية مايقع على أبعاد شاسعة أى فى الأجرام السماوية المختلفة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ انهم قد يستطيعون بفضل المرقب اللاسلكى رصد الكواكب والأفلاك للتحقق من وجود الخلائق الحية فيها . فاذا تم ذلك فسيكون (المرقب اللاسلكى) أعظم اختراع أتيح للبشر اتقانه

﴿ الفريدة الثالثة . غرائب التلغراف والتلفون اللاسلكى ﴾

أنبأ المستر (فردريك كلاواى) مديرشركة (ماركونى) فى خطبة فاه بها فى (تشامسفورد) بالخطوات العظيمة التى يخطونها فى ترقية التلغراف والتلفون اللاسلكى فى العالم فى القريب العاجل . وقال ان النجاح التجارى الذى نجحته محطات (بيم) التى تنقل الرسائل بين الشرق والغرب فاق أعظم ماكان يؤمله لها المؤملون علاوة على أنه أجريت فى الأربع والعشرين ساعة الماضية تجارب جهاز (بيم) مع استراليا . ومن رأى الثقات فى مصلحة البريد أن عهد شركة (مركونى) قد نفد (هتاف)

وأنبأ المستر (كلاواى) أيضا بأن محطات التلغراف اللاسلكية التى ستربط جميع أجزاء العالم بعضها ببعض ستكون على قاعدة نظام (بيم) وعما قريب سيتناول الواحد منكم سماعة التليفون ويخاطب والده أو أخاه فى ملبورن وأنوى . وقال اننا نقترب من فكرة نقل الرسائل كما هى طبق الأصل فبدلا من أن ينقل العامل الرسالة اللاسلكية على مفتاح الآلة توضع هذه الرسالة فى الجهاز الذى يرسل الاشارات فتدوّن بطريقة ميكانيكية و بعملية واحدة فى الطرف الآخر من الدورة فى أى ناحية كانت من أنحاء العالم وهذا مما لا يكاد تقدّر فائدته من الوجهة التجارية . انتهى

﴿ الفريدة الرابعة . الفلاحة والكهرباء . الفلاح عندنا وعندهم ﴾

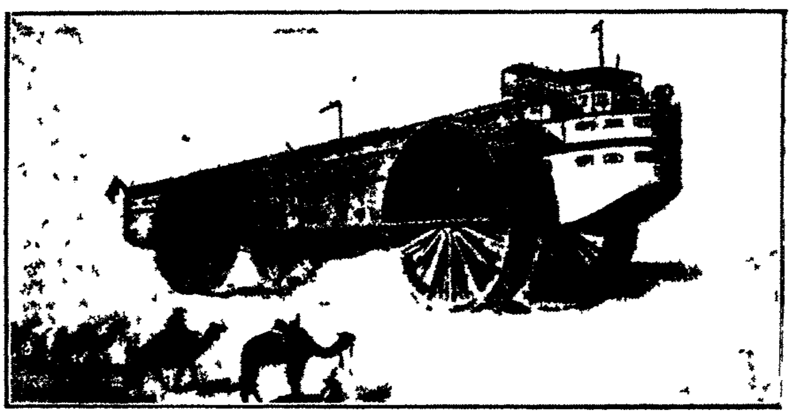
فى هذه الفريدة أعطيك أيها الذكى صورة للفلاح عندنا والفلاح فى أوروبا

الفلاح عندنا بمصر يسقى زرعه بآلات ورثها عن آبائه منذ آلاف السنين مثل الشادوف والساقية والمحراث المعتاد وما أشبه ذلك ولايحصل مايحتاج اليه إلا بشق الأنفس . أما الفلاح فى أوروبا فقد فاق أجداده فى الزراعة أربع مرات . ومعنى هذا أن الحقل الذى كان يحتاج الى أربعين رجلا منذ ثمانين عاما أصبح اليوم لايحتاج إلا الى عشرة رجال ومع ذلك تسمع الاورو بيين يقولون إن الفلاح عندهم متأخر . لماذا . لأن صناعة الحديد مثلا قد تضاعفت عشرمرات عما كانت عليه منذ أربعين عاما . أما صناعة الورق فقد صارت أضعافا مضاعفة . فلذلك يقولون يجب على علماء الكهرباء أن يسعفوا الفلاحين كما أسعفوا الصناع ويقولون ان الفلاح يحتاج الى ثلاثين فى المئة من أعماله للأعمال الثابتة مثل رفع المياه وحلب البقر والى ٢٠ فى المائة منها لأعمال النقل والحمل والى ٥٠ فى المئة للعمل فى الحقل . فأما الأعمال الثابتة المذكورة فان الكهرباء تقوم بها بدل الدواب والرجال . وأضرب لك مثلا عندهم مقدار من الكهرباء يقال له (الكيلوات) وهذا المقدار فى الساعة ثمنه مابين مليمين و ١٢ مليما فى اليوم الواحد . أتدرى ماذا يفيد هذا . إنه يقوم فى الحقل مقام عمل الرجل بالشادوف مثلا سبع ساعات

ولقد وجد القوم هناك أن المعامل التى تصنع العدد والآلات الكهربائية فيها (٧٥) فى المئة مما يصنع فيها من الحجم الصغير انما يكون للأعمال الزراعية . ولقد وجدوا أن للنور تأثيرا فى زيادة عدد بيض الدجاج فاستعملوه فنجحوا . وقد برئ الدجاج من أمراض مختلفة بنور الكهرباء وهكذا أثرت الكهرباء فى دودة الحرير فأعطت بواسطتها ألوانا غريبة مدهشة

أما أعمال النقل والحمل التى تحتاج كما قلنا الى ٢٠ فى المائة فهذه معروفة فى جميع العالم وقد عمت الكهرباء

سككا حديدية كثيرة فى العالم
أما الحسون فى المائة الأخيرة فهى تنحصر فيما يعمله الفلاح من حرث للأرض وتمهيد الخ ثم جمع المحصول وحصده أودرسه أوتجفيفه كما يحصل فى البلاد الباردة فان هذه الأعمال فضلا عن تعذر أدائها بواسطة الثيران والبقر فى البلاد التى يندر فيها وجود الأرض المستوية مثل سويسرا والسويد والنرويج وأواسط أوروبا عموما فان فائدة الآلات الحديثة تظهر جلية واضحة فى البلاد المستوية أيضا وذلك لسرعة هذه الآلات وقلة مصاريفها . ثم إنه لم يفكر فيها احد من أغنياء فلاحينا مع ان منهم الشباب الذى مضى فى أوروبا سنين عديدة ويمضى الصيف فيها كل عام حيث يمرّ بشمال ايطاليا وسويسرا وفرنسا و بلجيكا وهولاندا ويرى الآلاف من هذه الآلات فى كل مكان
هذا زيادة عما أتت به التجارب العديدة من امكان قتل بعض المكروبات والأمراض التى تفتك بالزرع بواسطة الكهرباء مما استعصى على التبخير وغيره وهذه منة منّ بها الله على الفلاح وقدّر سبحانه أن يحرم منها فلاحنا كما حرم غيرها من المميزات . وقد شاع استعمال الأنوار الكهربائية المختلفة لاعطاء الأزهار ألوانا غريبة غيرطبيعية أوتنمية بعض الأزهار فى غير أوقاتها العادية من السنة وذلك بالتدفئة والمعالجات المختلفة . وقد نجحت مسألة التنمية الصناعية فى الزهور حتى أن الزهور التى تستلزم لاتمام نموّها فى الطبيعة ثلاثة أسابيع أوأربعة تنمو بمثل هذه الطرق فى أربعة أيام الى سبعة فقط مع حفظها لرائحتها ورونقها انتهى



(شكل ١٠)
﴿ الفريدة الخامسة . سفينة الصحراء ﴾
(سيارة هائلة تسع ٣٠٠ مسافرا وفوق ذلك كثيرمن البضائع)

الكرة الأرضية فى تقلص ظاهرى مستمر ما بقى الاختراع ومادامت الصناعة تتغلب على المكان والزمان فتجعل ممكنا غدا ماهوغير محتمل اليوم ثم تحقق هذا الممكن بعد الغد وتلك القاطرات والسفن والسيارات والطيارات تربط جهات العالم من أقصاها الى أقصاها . غير ان ما لم يكن فى متناول تلك الوسائل لبث كما كان معتمدا على وسائل النقل الأوّلية فبقيت قوافل الجمال فى فلوات الرمال التى لانهاية لها وظلت عربة الريف الروسية العتيقة تسير فى قفار كرانيا وسيبريا ومن ثم بقى من الأقاليم القابلة للاستعمار أراض واسعة الأرجاء وبقاع مجهولة جعلت وقفا على الرحلات العلمية الشاقة . لكن الصناعة التى لم تعوزها الحيلة الى التقدّم المضطرد تريد اليوم التوغل فى الجهات التى ظلت مجهولة فقد توصل (ستروين) لأوّل مرة بمساعدة عرباته المصنوعة على طراز (التنكس) الى تذليل مخاوف الصحراء . واليوم يبشر اختراع المانى جديد باجتياز طرق البرّ التى مازالت معلقة فى وجه الحضارة البشرية وما الى ذلك من وصل طرق الصحراء وصلا اقتصاديا بواسطة

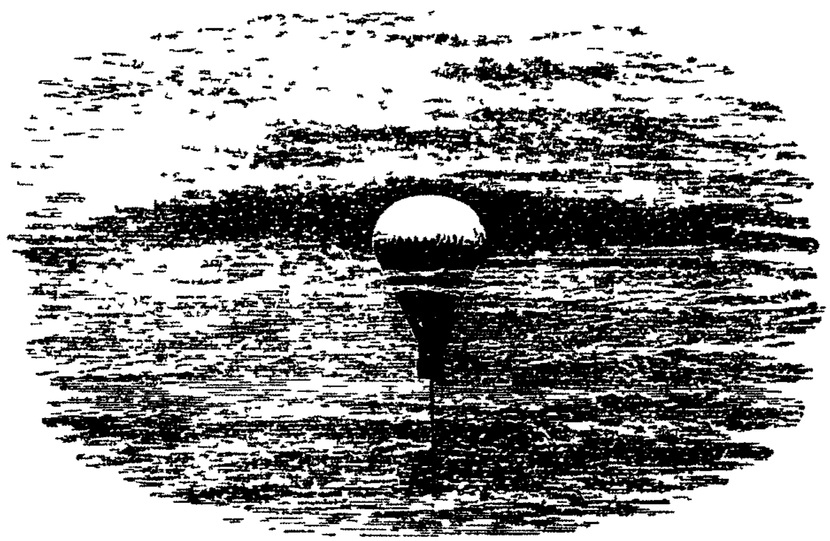
سيارة

سيارة ضخمة . فسفينة الصحراء عبارة عن سيارة هائلة توصل الى بنائها الضخم بمعاونة نفر من المهندسين وأصحاب المصانع مخترع ألمانى يدعى (يوهان كرستوف بيشوف) فى مدينة كيل بعد مجهود سنين عديدة . ويبلغ عرض هيكل هذه السيارة (١٢) مترا وطولها لايقل عن (٦٠) مترا وارتفاعها (١٨) مترا

أما العجلات الهائلة فيبلغ قطرها (١٥) مترا وعرض سطحها ½ ٢ متر ويعلو قرار (الشاسى) عن الأرض بمقدار ½ ٤ متر والسيارة معدة فى تركيبها بأحدث مبتكرات الصناعة التى تجعلها غير مقيدة بالسير فى الطرق المهدة وحدها بل تجعلها فى حل من التغلب على وعر الأراضى كما تستطيع أن تسير على الأرض المستوية وعلى التلال الخفيفة الانحدار على السواء بسرعة (٣٠) كيلومترا فى الساعة وتصل سرعتها فى أوعر المسالك الى (١٠) كيلومترات فى الساعة . وأهم مزايا (سفينة الصحراء) العملية امكان الانتفاع بحمولها العظيمة بالنسبة لحجمها فهى اذا بنيت لغرض نقل الأثقال تسع (٢٠٠) طن من البضائع . واذا بنيت لنقل المسافرين فانها تحمل (٥٠) طنا ونحو ثمانمائة مسافر معدة لهم جميع وسائل الراحة المتوفرة فى السفن البخارية التى تقطع البحر اه

﴿ الفريدة السادسة . السفر فى الهواء ﴾

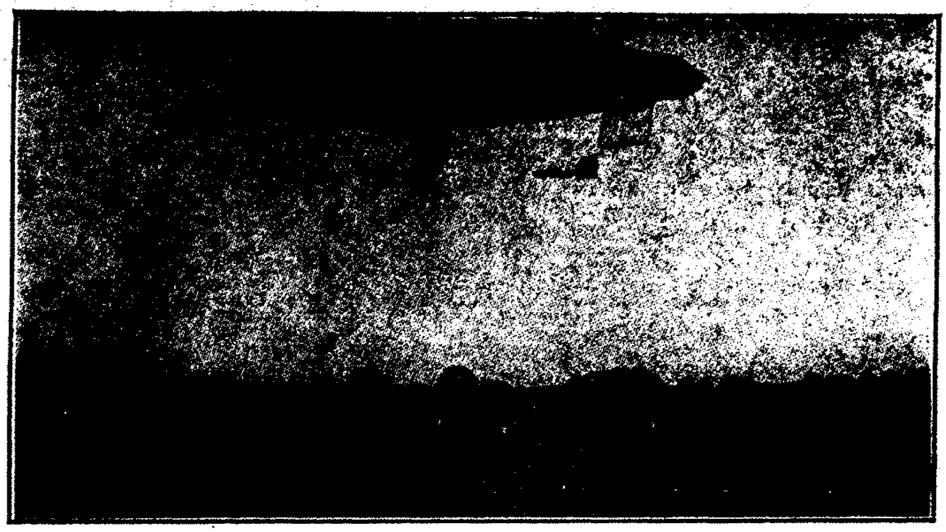
وذلك بآلات أخف من الهواء أو بأثقل منه فالتى هى أخف من الهواء نوعان (البالون) أى المطاد و (سفينة الهواء) أما المنطاد فهو كيس من الحرير مدهون بالزيت بشكل (الكمثرى) مملوء بأحد هذين الغازين (الهيدروجين) وغاز الاستصباح وكلاهما أخف من الهواء . وهذا الكيس الحريرى مغلف بشبكة من الحبال معلق فيها سفط يسع من اثنين الى (٤) من المسافرين وهو لا يمكن ضبطه فى السير فهو يجرى على حسب الريح وقد جرى ألف ميل بلاتوقف من (باريس) الى قرب (موسكو)



(المنطاد . شكل ١١)

أما (سفينة الهواء) فانها كيس مملوء بغاز الاستصباح مثل (البالون) ولكنه على شكل لفافة الطباق (السيجارة) وهى مقسمة الى جملة اماكن وهى تارة تكون مكونة من معدن خفيف هو (الومنيوم) قد ثبتت فيه عربة طويلة تحمل مسافرين وآلة محركة مثل التى فى السيارة (الاوتوموبيل) وهذه المكنة لها رافعة تدور بسرعة عظيمة وسفينة الهواء يمكن ضبطها فى السير اذا هدأت الرياح ولكنها تكون صعبة المراس اذا عصفت العواصف . إن العاصفة يمكن أن تمزقها تمزيقا شديدا . ويمكن أن تحمل من (٢٥) الى (٣٠) مسافرا فى عربتها وترفع (٤٠) طنا وقد أمكن السفر بها (٩٠) ميلا فى ساعة واستمرت سائرة (٥٠٠)

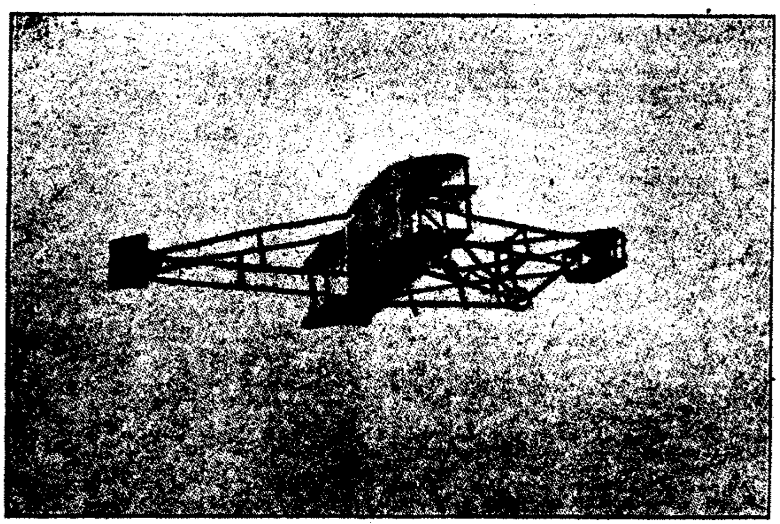
ميل بلا توقف • انتهى الكلام على سفينة الهواء شكل ١٢



(سفينة الهواء ــ شكل ١٢)

﴿ والآلة المحركة التى هى أثقل من الهواء المسماة (ألواح الهواء) ثلاثة أنواع ﴾

أما الأولى فهى ليس فيها غاز استصباح وانما هى مصنوعة من سطحين من القماش الغليظ المتين فوق إطار مصنوع من أنابيب الفولاذ وهذه لها ألواح صغيرة رافعة تديرها الى الجهات المختلفات وهى تحمل آلة بخارية ومحركا مثل ماتقدم فى (سفينة الهواء) ولها عجلات تمشى بها على الأرض قبل استقلالها بالطيران و بعد نزولها الى الأرض وتحمل من (١) الى (٤) من الركاب فى حجمها الذى يشبه القارب فى البحر • وتجرى هذه من (٤٠) الى (٩٥) ميلا فى الساعة • ولقد أجراها بعضهم (٤٠٠) ميل بلا توقف و بلغ سيرها فى ثلاثة أيام (١٠٠٠) ميل • وهذه صورة الأولى من ألواح الهواء شكل ١٣



(صورة الأولى من ألواح الهواء ــ شكل ١٣)

أما الثانية من (ألواح الهواء) فهى كسابقتها ولكنها لها عوّامة كعوامة السفينة بدل العجلات فيمكنها أن تنزل فوق البحر وترفع ثانيا وهى تبنى على أىّ حجم بحيث لا يكون ما يضرّها بكبر فتنكسر

وقد

وقد طار بها بعضهم من فوق الدردنيل • وقد جرى فوق البحر وهو هائج جدا بالعواصف فى القتال الانجليزى وطلع منه ثانيا وهو يجرى (٦٠) ميلا فى الساعة

(الثالث) واحدة السطح هى مثل ماقبلها ولكن لها سطح واحد وحجم هذا النوع أشبه بحجم حشرة تسمى (طائر الثعبان) له آلة بخارية ومحرك مثل الذى فى سفينة الهواء و بيلين ومجلات للجرى على الأرض وتحمل من ١ الى ٤ رجال وتجرى ٩٠ ميلا فى الساعة وجرى من باريس الى وارسو فى يوم واحد وهذه صورته



(صورة ذات السطح الواحد - شكل ١٤)

﴿ هذا اجمال ماتقدم تفسيرا لقوله تعالى ــ و يخلق مالا تعلمون ــ ﴾

اعلم أيها الذكى أن هذا بيان لما اخترعه الناس فيما بعد العصر الأول للركوب الذى دخل فى قوله تعالى ــ و يخلق مالا تعلمون ــ قد كان السير قديما بالأقدام أو بركوب الدواب ثم خلق الله مما لا نعلم عجلات تجرى بالناس

(١) مثل عربات النقل المعتادة كالذى يستعملها الباعة فى الطرقات

(٢) وعربات الركوب تجرها الدواب

(٣) ومجلات يركبها الناس يحركونها بأرجلهم تسمى (بسكات) باللسان الافرنجى

(٤) والسيارات التى يسمونها (متركار) وهذه لها آلات محركات بالبنزين

(٥) وعربات الترام الذى يجرى بالكهرباء

(٦) قطار السكة الحديدية الذى يجرى بالبخار وتارة بالكهرباء • هذا فوق الأرض

﴿ السير فوق الماء ﴾

قد كان قديما بالسفن ونحوها سواء أكانت بالشراع أو بالمجداف ثم حدث البخار فسارت السفن به فى البحر كما سارت القطرات فى البر ثم السفن الجاريات بالآلات المحركات كما تقدم فى اليابسة وتسمى بالافرنجية (متربوتس)

﴿ الهواء ﴾

ثم حدث فى الهواء النوعان المتقدمان وهما نوع المنطاد ونوع الطيارة وقد تقدم شرحهما • انتهى الكلام على اللطيفة الثانية وفرائدها الست

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

لقد مضى فى هذا التفسير ذكر كثير من جمال النبات و بدائعه ولأذكرلك هنا عجائب مدهشة منه تحلية

وتفصيلا وجالا فأقول . قد قرّر العلماء كالعلامة الطبيب النطاسى المسمى (سانكتور بوس) فى بلاد البندقية وغيره أن مايقطر من العرق فى جسم الانسان يكون كيلوغراما واحدا فى اليوم والليلة . فأما النبات فانه يخرج ماء من أوراقه أكثر من عرق الانسان بالنسبة لجسمه حتى انهم وجدوا نبات عباد الشمس يزيد عن الانسان بالنسبة لجسمه فى العرق ١٧ مرة . وقد وضع (كوتارد) غصنا لم يقطع من شجرته فى زجاجة وأحكم سدّها على الغصن . وتلك الزجاجة من أسفلها قد دلى منها أنبوبا دخل فى زجاجة أخرى تحتها وتلك الشجرة يقال لها (القرانيا) فكان مقدار مايقطر من ذلك الغصن من الماء فى اليوم أوقية وثلاثة دراهم أى قدر وزنه مرتين . وهل أريك أعجب من هذا

(١) شجرة الأروم يقطر من أوراقها قطرات ربما بلغ عددها بضع عشرات فى الدقيقة

(٢) الشجرة الباكية . وهى شجرة فى جزائر الكناريا يتساقط منها الماء كالمطر فيجتمع عند ساقها ويستقى منه القوم الذين يسكنون حولها ويملؤن من مائها جرارهم

(٣) نبات الأباريق . إن أوراق هذا النبات ترسل من أطرافها زوائد تنتهى بأقداح اسطوانية لها أغطية تفتح وتقفل فى أوقات معينة . وفى أثناء الليل ينطبق الغطاء على فم القدح فيسدّه سدّا محكما والماء يتقاطر من جدرانه حتى يملأه فاذا طلع النهار ارتفع الغطاء فشرب الناس منه وخرج الباقى بخارا . وكم من أناس كادوا يموتون عطشا فى الصحراء فأنقذهم الله بسبب ذلك النبات

(٤) أشجار فى غابات أمريكا . وهناك نباتات فى غابات أمريكا الجنوبية مثل هذه يشرب منها المسافرون عند الحاجة . ياسبحان الله . كيف رأينا العرق فى الانسان دافعا عنه الأذى وفى النبات قد ارتقى قدرا ومنفعة فأصبح ماء نميرا يشربه الانسان . فهذا نبات (الأباريق) كيف خلق له صحن اسطوانى فسدّ بالليل سدّا محكما فاذا طلع النهار زال الغطاء وشرب منه الناس فى الصحراء وبه يحيا المسافرون

أفلاتعجب معى من هذه الحكمة . أفلاترى كيف كانت العناية والحكمة شاملة حتى ان البخار الخارج من النبات كعرق الانسان لم يدعه الله بلامزية لنا بل رقاه فى النبات كما رقى الحياة من أدناها الى أعلاها ولما رقاه فى النبات جعله شرابا للمسافرين وحياة لكل حى . أفلاترى أن هذا كمسألة الكلام فانا نتنفس كما يتنفس النبات والحيوان ولكن نفس النبات لا كلام فيه ونفس الحيوان فيه بعض المقاطع ونفس الانسان كان منه الكلام وليس الكلام إلا حروفا والحروف من تقابل بعض أعضاء الفم فنقطع الصوت والصوت ليس إلا من الهواء الداخل لتصفية الدم فأصل المسألة كلها حياتنا بالهواء النقى ثم أدخل على ذلك تحسين وتحسين حتى صار كلاما عند الحاجة . هذا وكذلك العرق كان عندنا اخراجا لما يضرّ بأجسامنا ثم هو فى النبات الذى هو أدنى منا يكون ماء فى أوان تقفل وتفتح على مقتضى الحاجة . وهذا فى الحقيقة استخدام لكل موارد الطبيعة وانتهاز لكل فرصة سانحة لرقى الانسان . — ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق — فى القرآن ولا يكونوا كمن تقدّمهم من أمم الاسلام المتأخرين الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم مستعبدون أذلاء للفرنجة وآخرون صاغرون . واليوم آن أوان مجدهم وبزوغ شمسهم وظهور دينهم . وها أناذا أبشر المسلمين بيومهم المعهود وسعدهم المنشود وزمانهم الذهبى المسعود وانهم سيكونون خيرأمة أخرجت للناس ينفعون الأمم ولا يكونون وبالا عليها كما فعلت أوروبا الظالمة الغادرة بالشرقيين

إنى أوصى كل من اطلع على هذا الكتاب أن ينشر الفكر بين المسلمين ويطلع العامة والخاصة على كنوز الله للمؤمنين وأن يقول لهم هذا يوم الاقبال والنصر المبين

﴿ حكاية مصرية فى النبات ﴾

بينما أنا أؤلف فى هذا التفسير إذ خرجت ليلة لأمر أقضيه فجلست على دكان بجوار دارنا فحدّثنى صاحب الدكان وهو رجل صالح قال ان فلانا أصبح رجلا صالحا جدّا وصار يصلى ولايفتأ يذكر الله ليلا ونهارا

وسبب

وسبب ذلك انه قال انى مكلف بأعمال تتعلق بدائرة القصر الملكى فاقتضت الأعمال أن أسير فى الجبل غربى اهرام الجيزة فأصابنى أنا ومن معى عطش شديد وكان معنا اعرابى فتبسم وقال ستروى بعد قليل فقلت له وأين الماء إن هــذه صحراء قاحلة فقال سترى ثم أخذ ينظر فى الأرض و يتفرّس بين الرمال ثم نظر بريقا بين الرمل ضئيلا جدّا فقال لى هدا هو الشراب فقلت له هذا رمل قال سترى فحفر فى الأرض حفرة فطلع منها نبات مكوّر فأخرجه وقال كل هذا فقلت أنا أطلب الماء وأنت تعطينى طعاما أتسخر منا ونحن عصبة فقال كل هذا وسترى وهى نباتة أشبه بالبصلة فأكلتها ومامضت دقائق حتى رويت و بقيت طول النهار لا أحتاج لماء ولا أشتاق اليه فعرفت أن لهذا العالم إلها ومن ذلك الحين صرت أتذكره كل حين

﴿ حكاية مصرية أخرى ﴾

أخبرنى رجل من بلاد مديرية الشرقية بالوجه البحرى من بلادنا المصرية قال . بينما أنا فى ليلة واقف فى الماء بنهر يسقى الحقول إذ أنا بالماء قد لمع فيــه صور النجوم وكنت إذ ذاك قد وضعت يدى فى الطين لأزحزح السدّ عن مجرى الماء لينزل بحقل أحــد أعدائى لأغرق زرعهم . فلما لاحت لى بهجة النجوم فى الماء تذكرت عظمة الله التى تجلت لى فى الماء وقلت هل يجوز أن أعصى الله الذى هذه نجومه وهاهى ظاهرة صورها فى الماء فرجعت عن ذنبى وتبت لربى

﴿ حكمة ﴾

إنّ كل قلب من قلوب بنى آدم يقبل صور الجمال الالهى كما قبل الماء صورة النجم السماوى فلتتجه القلوب الى ذلك الجمال كما قابل الماء نجم السماء . إن فى كل قلب نورا إلهيا كما كان فى كل ماء نور كوكبى

﴿ اللطيفة الرابعة . الدّر والمرجان ﴾

أما الدّر فقد تقدّم فى سورة الفاتحة . وأما المرجان فانه صنع حيوانات صــغيرة تصنعه من مواد كلسية فتجعلها مساكن لها وتبنى تلك المساكن متلاصقة متلاحقة فتتكوّن منها تلك الصخور على اختلاف صورها وأشكالها وهيئة تلك الحيوانات كزهر الاقحوان ومؤخر الواحدة منها داخل فى المسكن والمقدم بارز وفى وسطه ثغر صــغير وهو فمها يحيط بها غالبا ستة أطراف أو ثمـانية كأوراق ذلك الزهر تقبض بها على الفريسة حين تمرّ بها . ومن هذه الحيوانات مايلمع لمعانا شديدا كلمعان المصباح * قال بعضــهم كنت ليلة فى قارب من قوارب الصيادين فى ارلندا فاتفق انهم رفعوا الشبكة من البحر فخرج فى خللها كثير من الحيوانات الصــغيرة المرجانية فــكانت تتلألأ كربوات كثيرة من أنقى حجارة الألماس . وتلك الحيوانات الصغيرة لاتبنى مساكنها فى مكان عمقه أكثر من مائة وعشرين قدما وكلما كانت أقرب الى وجه الماء كانت أكثر عملا . ذلك لأنها أقرب الى ضوء الشمس

﴿ جزائر المرجان ﴾

وتلك الصخور المرجانية قد يقترب بعضها من بعض فتتلاحق وتمتدّ الى مسافة أميال كثيرة وتأتيها الأمواج بالرمال والطين وغثاء مايصبّ فى البحر من الأنهار وتحمل اليها الرياح كثيرا من البزور وجراثيم الحياة فتكثر فيها التربة وتنبت فيها البزور وتتولد فيها الحيوانات فتمتلئ بالأعشاب والأشجار وغيرها من الأحياء

﴿ حيوان يشبه المرجان وهو أعجب منه وهو (الهيدار) ﴾

الهيدار حيوان يشبه المرجان فى خلقه وكثير من صفاته . يكثر فى حياض الماء العذب والجداول الصغيرة ومن أغرب صفاته وأعجبها أنك اذا قطعته طولا وعرضا قطعا كثيرة صارت كل قطعــة من تلك القطع حيوانا كاملا . فاذا قطع ثلاث قطع عرضا فى زمن الصيف فلا تمرّ أربعــة أيام إلا وللــقطعة الوسطى رأس وذنب وللذنب بدن ورأس وللرأس بدن وذنب و يصير الرأس حيوانا كاملا قبل سائر القطع فهذا هو المسمى (هيدرا)

﴿ اشراق النور فى المرجان ﴾

إن المرجان من أجل وأبهج وأحسن وأعجب مانسقته يد القدرة الالهية ولن يكون نباته الحيوانى إلا فى البحار الحارة وفى البحر الأحمر منه كما يقال أكثر من مائة نوع مختلفات الصفات وهكذا فى البحر الهندى والمحيط (الباسفيكى) آلاف من جزائر المرجان وسلاسل الجزائر المرجانية البديعة الأوصاف الجميلة الأصناف البهيجة المناظر المدهشة لكل ناظر . ألا وان أولئك الذين نظروا الى المرجان فى البحر حيث تكون أنواع منه مختلفة الألوان والأشكال قد قالوا إن منظره يفوق الوصف بهجة و يسحر الطرف زينة وتسر النفس برؤيته وتدعو الى الايقان آيته وتزين العلم حكمته وتعلو المال قيمته وتشوق للدرس رؤيته

﴿ أنبات المرجان أم حيوان ﴾

اذا نحن امتحنا منه قطعة رأيناه كأنه جسم حى ووجدنا فيه خاصية النبات وخاصية الحيوان ولذا سميناه (نباتا حيوانيا) وانما أعطيناه هذا الاسم لأننا نجد له (١) معدة (٢) وفا وجلة من أنابيب تقوم مقام الأيدى لتناول الطعام من ماء البحر الذى تعيش فيه وتدخله فى الفم . هذا من جهة الحيوانية . أما من جهة النباتية فاننا اذا اخذنا قطعة من مرجان حى وغرسناها فى شاطئ رملى فاننا نراه ينبت كما ينبت غصن قطعناه من النبات وغرسناه فى الأرض

﴿ المرجان ومسكنه ﴾

كان الناس فيما مضى يظنون أن المرجان انما هو مسكن حشرة تخرج من قاع البحر وتبنى مساكنها حتى تصل الى سطح الماء وهذا رأى لايوافق الحقيقة وانما الحقيقة أن المرجان أشبه بكتلة صغيرة من مادة هلامية ودم هذا الحيوان يشبه اللبن لأنه من المادة الجيرية التى استخلصها المرجان من ماء البحر لغذائه

﴿ الحياة الفردية والحياة الاجتماعية للمرجان ﴾

إن بعض المرجان يعيش منفردا و بعضه يعيش مجتمعا و يعد بالآلاف وكل منها له جسم مستقل وهو يتصل بالباقى اتصال الغصن بالشجرة . واذا مات المرجان بقيت هياكله تتلاصق وتتلاحق وتتراكم وتكون مهدا وأساسا لجيل جديد من المرجان يخلق و يعيش فوق ذلك ناعم البال فى عيش صاف وماء واف فينمو و يتم كماله كالتى كانت من قبل . ولقد عرف الناس أن هذا الحيوان لن يعيش البتة فى عمق يزيد عن ثلاثين مترا ولن يعيش أيضا متى تعرض لضوء الشمس وللهواء الجوى . إذن هو محصور فى هذه الثلاثين مترا

﴿ جزائر المرجان ﴾

ثم إن جزائر المرجان لاتبنى إلا على الصخور أوحول أفواه البراكين التى على طول الزمان وتمادى القرون تغوص بالتدريج فى ماء البحر فاذا وصل البناء الى سطح الماء يموت المرجان ثم يخلق جيل جديد و يتكون بحيرة من الملح ثم ان ماتفتت من أجسام المرجان الميت بفعل العواصف البحرية أو بأعمال الأمواج فوق سطح البحر تصير رملا مرجانيا . ثم ان ما مات من عالم النبات والحيوان البحرى وتعفن تنضم بقاياه الى ذلك الرمل المرجانى فيعطيه طبقة جديدة خصبة تصلح لنمو النبات . وهناك فى البحر جزائر ينبت فيها شجر (النارجيل) وهو الجوز الهندى فيسقط فيه من أقرب الجزائر لهذه الجزيرة الجديدة المرجانية الاصول الصالحة للنبات فلاتزال تتقاذفها الأمواج حتى تصل الى هذه الجزيرة الجديدة المرجانية . وهناك تمتد جذور تلك الاصول فى الجزيرة الفتية القوية الخصبة التربة . وعلى تمادى الأيام تكون هناك دوحات وأحراش من شجر (النارجيل) وهذه تكون ملجأ للطيور تبنى بها أعشاشها على أغصان تلك الأشجار وهذه الطيور تحمل بزور النبات وتلقيها فى الجزيرة بلاقصد منها فتكسى أرضها بالتدريج جلابيب سندسية من رائع النبات البهى الأغصان المزدهى الأفنان وجنى جناته دان وفيها روح وريحان وقد يعترى هذه الجزائر النضرة البهجة

الفناء

الفناء بغتة ـ كأن لم تغن بالأمس ـ . ذلك أن كثيرا منها يبنى على الصخور التى تكون عند أفواه البراكين التى هدأت ثائرتها فتحدث زلزلة أو انفجار بركانى بعد زمن قليل أو كثير فتغوص تلك الجزائر فى البحر تحت الماء والله مدبر الأمر ومقلب الليل والنهار (أنظر صورة المرجان شكل ١٥ غير المتقدّمة)

فلتعجب أيها الذكى من هذه الدنيا ونظامها ولتتأمّل فانك سترى أنه لافرق بين عالم البر وعالم البحر . ألم تر الى هذه الجزائر المرجانية الحديثة كيف انتقل اليها من أشجار (النارجيل) أصول مما نبت فى أقرب جاراتها وكيف نمت تلك الأشجار وصارت مأوى الطيور والطيور أحضرت البذور وكسيت الأرض جلابيب سندسية . اليس هذا مثل مانرى فى الأمم فابن رشد فى الأندلس نقل علمه تلاميذه من اليهود والنصارى الى أقرب البلاد اليها كفرنسا وألمانيا ثم انتشر وتفرّع فى بلاد الغرب على مدى الزمان وانتقل الى بلادنا و بلاد اليابان والصين وأمريكا . فياعجبا كل العجب . ماء فى البحر يحمل أصول الشجر وهواء فى الجوّ يطير فيه الطير حامل بذور الأشجار والزرع وعلماء ينقلون العلم ويترجوته من اليونانية والسريانية أيام أبى جعفر المنصور والمأمون وأمثالهما الى العربية والعربية يقرؤها الاوروبى وقبل ذلك انتقل العلم من المصريين القدماء الى اليونان . فعالم النبات والحيوان كعالم العلم والحكمة كل منها يتكاثر و ينمو بالاقتباس من الأقرب فالأقرب . إن المرجان فعل مالم يفعله الانسان . المرجان أبرز جزائر فى البحر تعدّ بالالوف وفيها تربى الحيوانات المختلفة والانسان قط ما أحدث أرضا وغاية أمره انه بنى ونظم . ولكن ميزة الانسان انه فعل بفكرته والمرجان بنى بغريزته ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ وفى الأرض آيات للموقنين ـ . انتهى الكلام على اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى ـ وتستخرجون منه حلية تلبسونها ـ الخ

﴿ اللطيفة الخامسة ـ و بالنجم هم يهتدون ـ ﴾

لقد قدّمنا أمثال هذا فى التفسير ونقول الآن كلاما اجماليا . إن الناس يهتدون فى النهار بالطرق و بالجبال و بالعلامات . فأما بالليل فالأمر عجب فان النجوم مع سرعة جريها فى مداراتها كما سبق فى هذا التفسير ترى ساكنة وأن المسماة منها بالثوابت أسرع جريا فى مداراتها من أرضنا ولكن هذا الجرى لا أثر له عندنا بالأرض فهى لشدّة بعدها العظيم تعتبر واقفة فهى كأوتاد منصوبة وعلامات نعرف بها طرقنا فنجم القطب و بنات نعش والفرقدان والسماك الرامح والسماك الأعزل وغيرها علامات تعرف بها جهات الأرض . وأن علم الفلك وسير النجوم ومعرفة أوضاعها . كل ذلك يدرس اليوم ليهتدى به ربان السفينة فى دياجى الظلمات

ولما علم الله أن الناس يحتاجون الى آلة تقوم مقام النجوم فى الظلمات خلق لهم البوصلة التى هى ممغطسة وهى تتجه دائما جهة النجمة القطبية فطرفها الشمالى يدل على الشمال وطرفها الجنوبى يدل على الجنوب ولهاميل يمنة و يسرة وهذا الميل له حساب خاص . فانظر كيف أمر الله هذه الابرة فقامت مقام النجوم فى سير السفن فى البحار وفى معرفة القبلة ليلا ونهارا . وترى



(صورة غير المتقدّمة للمرجان شكل ١٥)

البحارة معهم جداول للكواكب السيارة ليعرفوابها الجهات التى وصلوا اليها فاذن أهل الأرض لاحياة لهم ولاسعادة إلا بالنجوم فلولاها لضلوا الطريق ولم يسعدوا فى هذه الحياة فنحن على الأرض لسنافى عزلة عن العوالم الأخرى . إن العالم جسم واحد

﴿ هذا العالم كجسم واحد ﴾

ومعلوم أن معرفة الجسم للطبيب تكون ﴿ بثلاثة أشياء ﴾ النبض والحرارة والبول . هكذا هذا العالم جسم واحد . فحركات الكواكب كالنبض فى جسم الانسان وحرارتها كحرارته وألوان البول التى يعرفها الطبيب فيستدل على المرض أشبه بألوان الطيف الشمسى فان ألوان الطيف تدل على المعادن التى فى الكوكب فان لكل معدن ضوأ خاصا عرفوه على الأرض كالحديد والذهب والفضة فاذا رأوه فى طيف كوكب عرفوه فأصبح هذا العالم جسما واحدا والحكماء والعلماء كالأطباء يستدلون على ماغاب بما يشاهدون وهذا معنى قوله فى سورة الحجر المتقدمة ـ إنّ فى ذلك لآيات للمتوسمين ـ فهذا هو التوسم والتفرس من الحكماء والعلماء

﴿ اللطيفة السادسة ـ وترى الفلك مواخر فيه ـ ﴾

قد قدّمت لك فى اللطيفة الخامسة أن هذا العالم كجسم واحد وأن الحرارة فيه أشبه بالحرارة فى الانسان فاذا فقدت الحرارة من الانسان والحيوان ماتا واذا ارتفعت الحرارة استضر واذا قلت ضعف فالحرارة أشبه بميزان الحياة والطبيب هو القبان وهو يعطى الدواء بقدر فالحرارة والبرودة عليهما نظام أجسامنا وجسم هذا العالم واختلالهما . هذه السفن تسير فى البحار . بماذا . تسير بالرياح . ومن أين تأتى الرياح . قدّمنا فى سورة الحجر انها تجرى بالحرارة . ونزيد هنا القول بيانا لأن هذا العلم جيل وجيل

﴿ الشمس والرياح ﴾

انظر كيف ألحت الشمس بالحرارة على خط الاستواء وماجاوره . فماذا جرى . جرى أن الهواء ارتفع الى أعلى . ثم ماذا . خلا مكان الهواء المرتفع وتخلخل . ثم ماذا . تقاطر اليه الهواء من الشمال ومن الجنوب ليحل الهواء منهما محل الهواء المرتفع الى أعلى . ثم ماذا . ثم يسير الهواء الذى ارتفع جنوبا وشمالا متباعدا عن خط الاستواء حتى يصل الى ٢٥ درجة فى الجهتين أى فى المنطقة المعتدلة الشمالية والمنطقة المعتدلة الجنوبية . ثم ماذا . ثم ينقسم هناك ﴿ قسمين ﴾ قسم يرجع الى خط الاستواء وقسم يتجه الى الدائرة القطبية الشمالية والدائرة القطبية الجنوبية . ثم ماذا . ثم ان الهواء فى جهة القطبين يتجه الى الدائرة القطبية الشمالية والجنوبية . فههنا أنواع من الرياح

(١) الرياح التجارية وهى المتجهة الى خط الاستواء لتحل محل الرياح المرتفعة

(٢) الرياح التجارية الضدّية وهى التى ذكرنا انها اتجهت من الشمال والجنوب الى الدائرتين القطبيتين

(٣) الرياح القطبية وهى التى ذكرنا انها تأتى من القطبين الى الدائرتين لتحل محل الريح التجارية الضدية التى ترتفع هناك وتحلّ هذه محلها وهكذا . وهناك ريحان أخريان ﴿ ذلك ﴾ أن الماء من طبعه أن يكون بطيئا فى تسخينه بطيئا فى تبريده والأرض بالعكس فهى سريعة البرودة سريعة الحرارة و بناء على هذه الطبائع المركوزة والجبلات المخلوقة عاش الناس على الأرض . ألم تر كيف تسخن الأرض قبل البحر نهارا فيرتفع هواء اليابسة للحرارة الملاقية له على سطح الأرض فيحل محله الهواء المجاورله فوق سطح البحر لأنه أبرد منه والثقيل يهبط محل الخفيف المرتفع عن مكانه فاذا أظلم الليل وأرخى سدوله كان أوّل مايبرد هى الأرض والبحر لايزال هواؤه حارا متخلخلا فيحل محله الهواء البارد . فاذن تكون الرياح جارية من البحر الى البرّ نهارا ومن البرّ الى البحر ليلا ـ يقلب الله الليل والنهار ـ

وهناك رياح فى المحيط الهندى تسمى (الرياح الموسمية) تجرى ستة أشهر الى جهة وستة أشهر الى جهة

اخرى

أخرى . وهناك ريح تسمى (الدائمة) تهبّ من الشرق الى الغرب بين المدارين طول الدهر . وهناك رياح مختلفة فتكون الرياح هكذا

(الرياح التجارية . الرياح التجارية الضدية . الرياح القطبية . الرياح البرّية . الرياح البحرية الرياح الموسمية . الرياح الدائمة . الرياح المختلفة) وهى التى نشاهدها كثيرا لاقانون لها ولانظام بحسب مانعلمه . فهذه ثمان رياح تهبّ من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال ومن أماكن مختلفة . ومنها ماينشأ من القطبين . ومنها ماينشأ من المنطقتين المعتدلين . ومنها ماينشأ من خط الاستواء . ومنها ماينشأ من البرّ . ومنها ماينشأ من البحر

ألا تتعجب معى كيف كانت الحرارة هى الأصل فى هذا كله والشمس منبع الحرارة . ألاتتعجب من فعل القادر الحكيم . حرارة تنزل على الأرض والأرض مختلفة الطبائع وكذا المياه وكذا تختلف قربا و بعدا فبهذا اختلفت الرياح فسارت بها السفن بحرا فى جميع الأنحاء . انظر كيف كانت الرياح التجارية تجرى من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال . ولقد كشفوا أن هناك ريحا فوق هذه الريح بتيار مخالف لهذا التيار

جرت السفن شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . بماذا جرت . جرت بالرياح . وماهى الرياح . هى حركات فى الهواء . ومن أين حركات الهواء . من الحرارة . فالحرارة فى الجوّ كحرارة الجسم الانسانى ولولا هذه الحرارة لم يجر الهواء ومتى وقف الهواء فلاسحاب ولامطر ولارعد ولابرق ولاسفن تجرى ولا أشجار تسق ولاتلقح ولاجبال ولامدن ولاعلماء ولا أنبياء . بمثل هذا فليعرف القرآن وبمثل هذا فليفهم كلام الله

يقول الله فى غير هذه السورة ــ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ــ الى آخر الآية . بماذا يكون اسكان الريح . يكون بمنع الحرارة . وبم تمنع الحرارة تمنع بانطفاء الشمس . يارب تاهت العقول وحارت الأفكار فى هذا الوجود . ياعجبا حياتنا موقوفة على حركات فى الهواء لولاها لم يكن وجود الهواء كافيا لحياتنا انما الحياة تتوقف على حركات الهواء لاعلى الهواء وحده فالهواء لاقيمة له بلاحركة . هكذا الانسان لاقيمة له بلاعلم ولاعمل . اللهم إن نظامك جميل وصنعك بديع وفعلك محكم أحكمت الصنعة وبهرت العقول . اللهم أرنا هذا الجمال وأطلعنا على أسرار هذا الكمال ولقد أريتنا بعض ظواهر حكمتك فعشقناها فكيف لو أريتنا باقى الظواهر بل كيف يكون شأننا لو اطلعنا على بعض الأسرار . اللهم لاقيمة لأهل الأرض إلا بالاطلاع من حكمتك البالغة وآياتك الباهرة وعلومك العالية إنك حكيم عليم

﴿ زيادة ايضاح قوله تعالى ــ وترى الفلك مواخر فيه ــ الخ ﴾

اعلم أن أكثر الناس يعيشون غافلين (كما ذكرته كثيرا فى هذا التفسير) عما يرون من روائع المشاهد فى الطبيعة وهى مفعمة بالجمال ممنعة بالدلال عروس تتجلى فى جمالها وتزدان بحلاها وحللها وتتبختر فى أغلالها مع أترابها بهجة الناظرين وأنس العلماء العاملين وجنة المفكرين وسعادة الدنيا والدين وعين اليقين وحياة الأرواح ونماء الأشباح وغذاء العقول وثمرة المعقول والمنقول ونور مبين وهداية الصراط المستقيم . فهناك مشاهد الفلك فى البحار وكيف كان لها قانون مسنون وكيف كان الناس يعومون ولا يعلمون غالبا . لماذا يغرقون اذا كانوا لم يتعلموا طرق العوم وكيف يطأ الانسان على الصخور فى البحر الكثيرة التضاريس وعلى الشوك وقطع الزجاج فلاتؤذيه مع انها على البرّ تسيل الدم من رجليه وتؤذيه أذى كثيرا وتهشمه تهشيما

وكيف يرون ذوات الأربع كالبقر والغنم لا تغرق ولاتحتاج الى تعليم وكيف كان السمك قد أعطى الحرّية

التامة فى أن يرتفع متى شاء و ينزل فى قاع البحرمتى شاء • وكيف كان الوز والبط والوز العراقى وغيرها تعوم أسهل من الانسان ومن ذوات الأربع • هذه مشاهد تمرّ على الناس وهم لايفكرون

فانظر ملأ الله قلبك جمالا تجد أن الأمر يرجع الى الحكمة والعدل و بهجة النظام والحسن والاتقان وأن هذه الدنيا عروس زينت للناظرين وآية غابت عن الجاهلين ولن يحظى بجمالها إلا الذى يبذل مهرها ومامهرها إلا الدراسة مع الحبّ والشوق لا لمجرّد الشهادة الدراسية مع الغفلة عن أنها جمال وكمال

(١) فأما كون الانسان يغرق اذا لم يتعلم العوم فذلك لأنه وان كان جسده أخفّ من مقدار مايساويه من الماء كما ستراه فى مسألة (أرشميدس) قد ثقل رأسه أكثر من أجزائه السفلى فلو وضع الراس وحده فى الماء لغاص فيه وهذا هوالسبب فى أن من لايحسن السباحة يكون عرضة للغرق لأنه لايستطيع رفع رأسه من الماء ومما يزيده ارتباكا أن يرفع ذراعيه و يخبط فى الماء خبطا فيكون ذلك أقرب لغرقه وهومن الغافلين فان رفع الرأس الثقيل من الماء أولى من رفع العضو الخفيف

(٢) وأما كونه لايناله الأذى وهو فى الماء اذا مشى على التضاريس والشوك فذلك لأن جسمه يخف فى البحر بمقدار وزن الماء المساوى حجمه لحجم جسمه فهو أبدا مرفوع عن تلك التضاريس ولو كان فى البرّ لآذته أذى كثيرا

(٣) وأما ذوات الأربع فالرأس فيها أخفّ من أسافلها فلذلك لاتحتاج الى تعليم العوم

(٤) وأما السمك فانه أعطى منفاخا مملوأ هواء إن شاء نفخه فعام أوضغطه فغاص فى الماء

(٥) وأما الأوز والبط وماشاكلها فان الله أعطاها زغبا صغيرا ناعما كثيفا على أسافلها لايخرقه الماء فيحل محل مقدار من الماء يساوى ثقله فلايغطس من جسمه إلا القليل وهذه قامت عنده مقام مايتمنطق به الانسان من (الفلين) أو (القرع) اللذين يقوّيانه على العوم فانظرالحكم فى هذا المقام

عاش السمك فى البحر فخص بهذا المنفاخ • ولماذا • لأجل أن يكون حرا فى تصرفه وجلب معاشه والهرب من أعدائه فلم يكن هناك بدّ من أن يخلق له منفاخ يفعل به مايشاء فهذا المنفاخ فى البحر يعطيه الحرّية ليعيش بسعادة وهو به فى حصن حصين

فأما الأوز والبط وما أشبهها فانها لاتنزل البحر إلا للرياضة والتنزه وانعاش القوى فلم تعط هذا الزق بل أعطيت مايعين على العوم بسهولة تامّة ــ وماكنا عن الخلق غافلين ــ فلانعطى البط منفاخ السمك لأنه يكون عبثا ــ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ــ إنا كل شئ خلقناه بقدر ــ ومن الغفلة أن نحمل البط مافوق طاقته فنخلق له المنفاخ فى البحر مع أنه لايحتاج الى أن يغطس فيه أو أن نحرم السمك منه فلا يتمكن من معاشه بغدوه ورواحه فيه • وأما ذوات الأربع فاننا جعلنا رأسها خفيفة لئلا تغرق وليس لديها القوّة على تعلم العوم فأعطيناها القدرة عليه ولكنها ليست فى حاجة الى زغب البط لأنها ليست فى حاجة الى طول المكث فى الماء مثله ولا الى منفاخ السمك من باب أولى • فأما الانسان فانا جعلنا رأسه ثقيلا لأنه محتاج الى التفكر والتفكر يعوزه المخ الثقيل • ولاجرم أن هذا التفكر يقوم ألف مرة مقام خفة رأسه فانه يتعلم العوم و يهتدى بنور عقله فأعطيناه أفضل مما منعناه فأخذ يخترع الحيل من قرع يربطه بجسمه أو (فلين) يعينه وهكذا فأما ثقل رأسه فهو رأس ماله و به اخترع ودبر وصنع السفن من عهد سيدنا نوح عليه السلام وهذا الانسان جعلناه من أعاجيب الزمان إن أخطأ كان خطؤه نورا له مبينا

فهاك عبدنا (أرخميدس) أيام (هيرو) الطاغية ملك (سرقوسه) إذ أعطى ذلك الملك صائغا مقدارا من الذهب ليصوغه تاجا فلما أتمه اشتبه الملك فى أمره وظنّ أنه مغشوش ففوّض أمر ذلك التاج الى الفيلسوف (أرخميدس) المذكور وأمره أن لايغير فيه شيأ وقال له أما وزنه فهو وزن الذهب الذى أعطيناه وأما الذهب

فانى

فانى أشك فيه لحار الفيلسوف فى أمره ووجه فكره الى مطلوبه حتى اذا كان يوما يستحم أحس بخفة جسمه فخطر له أن الماء هوالذى جعل الجسم خفيفا فهرول من منزله فرحا وهو يصفق بيديه فى الأزقة و يقول (وجدتها وجدتها) ثم امتحن التاج فوجده مغشوشا فكان ذلك مفتاح القاعدة المشهورة . ان الجسم اذا كان أخف من الماء عام فيه أوأثقل غرق فيه وانه يخف بقدر ثقل الماء الذى حل هومحله وشاعت هذه القاعدة وعلى مقتضاها امتحن الناس البيض بوضعه فى الماء وأنشؤا السفن العظيمة وعرفوا وزنها ونظموا أمرها وعاشوا مجدّين

هذه هى العجائب التى ظهرت من آية – وترى الفلك مواخرفيه – . مخرت الفلك فى البحارعلى قاعدة (أرشميدس) تلك التى لم تعط لهذا الانسان إلا بعد تجربته لها وقد حرم عليه التمتع بجمال هذه الدنيا إلا اذا درسها وقد حكم الله على الناس وأمرهم أن يكونوا أمّة واحدة . هذا (أرشميدس) كشف الله له العلم ومن علمه تعلمنا فهو معلم لنا مع تباعد الزمان والمكان . إذن نحن لسنا كالسمك فى البحار ولا كالدواب فى الأرض بل نحن قد حكم علينا أن نكون كانسان واحد لأن علم الغربى يقرؤه الشرقى و بالعكس

يظهر أن هذه الانسانية لاتكمل إلا اذا عرفوا جميعا أنهم كرجل واحد فأما ما داموا يجهلون اتحادهم فانهم معذبون غارقون غافلون . يعلم الأوّل الآخر والغربى الشرقى والشرقى الغربى ومع ذلك هم لايعلمون أنهم متعاونون والتعاون يلزمه الاتحاد فليت شعرى هل يكملون فى عالم الأرواح ثم متى ومتى . ذلك موكول لعلم الله – إنّ الله بكل شئ عليم –

﴿ البلاغة فى مشاهد الطبيعة وفى لسان العرب ﴾

هذه أيها الذكى البلاغة فى كلمات الله . إن البرّ والبحر والانسان وذوات الأربع والسمك والبط كلمات ومارأيت من العلم فيها بلاغة . هذا هوعلم المعانى والبيان والبديع . هذا هوالمجاز والكناية والجناس والطباق والتورية وحسن السبك . ذلك هوالجمال

لقد أضاع أكثر المتأخرين من المسلمين أيامهم بعد الصدر الأوّل فى الشعر وضروب البلاغة ونشروا كتاب (الأغانى) فى الشرق والغرب وهام بشعره وخمره وحسن بلاغة شعرائه علماء الأندلس وغيرهم . وسترى فى سورة الشعراء مايقوله النقادة من علماء الفرنجة ان شعراء الأمّة العربية إن عددناهم يفوقون شعراء جميع الأمم شرقا وغربا فى العدد ولكن هذا الهيام والغرام بفنّ واحد ألهى القوم عن العلوم والحكمة وأضاع مجدهم وضعضع ملكهم وجعل القوم خياليين . فبينما الأسبان يفكرون كان العرب يتخيلون و بينما الأوّلون يدبرون الملك كان الآخرون يجرون وراء الخيال حتى قرعت القارعة ووقعت الصاعقة وأزفت الآزفة وجاء اليوم المعهود وأخرج العرب من الأندلس صاغرين

أيها الذكى . إن بلاغة اللفظ ترجع الى لباس المعانى واللباس سياج اللابس وحافظه واللفظ طريق المعنى ومن وقف فى الطريق وأعجبه مارآه فيه من شجر وزهر وقصور وصور وتلهى عن المقصد الذى قصده والبلد الذى أمّه فهو حرىّ بالخذلان جدير بالحرمان فيرجع صفر اليدين خاسر الصفقتين . ذلك مثل الذى عكف على بلاغة الألفاظ وحلل الجمل وغفل عن المعانى فى هذا الوجود فهو مغبون وسيأتى بعدنا أولو عزم وحزم مولعون بالحقائق عاكفون على درس نظام هذا الوجود فيقرؤن الأشعار صغارا و يقرؤن الحكمة والعلم كبارا وكما يدرسون أبا الطيب والمتنبى وأبا تمام والبحترى وأبا العلاء المعرّى والنابغة وامرأ القيس وأضرابهم صغارا يهيمون بجمال الزهر و بهجة النجم والشمس والقمر والبرّ والبحر وعجائب الوجود كبارا

إن هذا التفسير ستتناوله أيدى الأذكياء من أمم الاسلام وسيقرؤن أمثاله من كتب المعاصرين لنا وسيعلمون علما ليس بالظنّ . ان بلاغة الكلام الانسانى الذى تصوغه الأفواه و يحمله الهواء وتقبله الأذنان

أقلّ ألف مرة من بلاغة الكلام الذى هو مركب من كلمات الله التى هى هذا العالم فكل زهرة وورقة وغصن حرف وكل شجرة كلة ومنفاخ السمكة وماتعوم به وماتتنفس به كلها حروف والسمكة كلها كلة وهكذا الأوز المذكور وغيره كلها كلمات وفيها من البلاغة فوق مايصفه الواصفون

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

قال تعالى ـ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ـ الكلمات المنظورة الالهية المجسمة فيها من البلاغة مالانسبة بينه وبين الكلمات الملفوظة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة السابعة . الظلال ﴾

قد تقدّم الكلام عليها فى سورة الرعد مستوفى . انتهى الكلام على الحكمة التى تقدّمت فى هذه السورة ولها نظائر فى باقيها وفيما قبلها من الرعد وابراهيم والحجر . وقد ذكرنافيها تقدّم أن آخرهذه السورة جاء فيه ذكر الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن

﴿ الموعظة الحسنة ﴾

قال علماؤنا هى للعامّة وهذه كالقصص وكالتشبهات وضرب الأمثال

﴿ المجادلة بالتى هى أحسن ﴾

وأما المجادلة بالتى هى أحسن فهى تكون للمتوسطين فى العلم فتقنعهم وفى هذه السورة كثير من ذلك كما سيأتى فى قوله تعالى ـ واذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا وهوكظيم * يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألاساء مايحكمون ـ فهنا مجادلة بمايعرفون من أحوالهم وأخلاقهم فيقولون إنا نستحى ونخجل اذا بشرنا بالأنثى . فهل الله يرضى بمثل هذا ولكن الحكماء والعلماء لا يقال لهم هذا بل يقال ـ ليس كمثله شئ ـ ويؤتى بالبراهين التى تنزّه الله عن الولد والوالد

﴿ بهجة الجمال فى قوله تعالى ـ وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ـ ﴾



(صورة الفراشة ـ شكل ١٦)

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا رسم الفراشة المسماة (أبا دقيق) تلك الفراشة التى تشارك سائر الفراش فى خواصه وتمتاز بأنها خلقت لاهلاك القطن الذى عليه حياة أمتنا المصرية والذى يزرع فى الممالك المتحدة والسودان المصرى وفى بلدان أخرى . هذه هى الحشرة التى جعلها الله لنا آية . آية تمثل الدنيا التى نسكنها فهى فى الظاهر جمال وفى العمل هلاك ووبال وفى العقول حكمة وكمال ﴿ ثلاث مراتب ﴾ لهذه الحشرة ﴿ وثلاث درجات ﴾ لهذه الدنيا

(١) الدنيا خضرة حلوة والحشرة بهجة المنظر

(٢) الدنيا لاتدع جديدا إلا جعلته رثا ثم أهلكته والحشرة تسطو على القطن فتبيده فيخسر الفلاح ماصرفه عليه

(٣) الدنيا مدرسة للحكماء والفضلاء الذين اصطفاهم الله بفطرهم فعكفوا على تفهم أسرارها والوقوف على حقائقها لينفعوا سائر الشعوب بمواهبهم التى أعطيت لهم و يتركون للجمهور ظواهر العلوم وظواهر السياسة فالجمهور يقوم بحفظ الدول من الفساد. وخواص الخواص ولباب اللباب وهم المصطفون الأخيار هم الذين يعمدون الى حقائق هذا الوجود فيدرسونه و يتغذون به و ينشرونه الى جمهور الأمم ليؤدّوا واجب مواهبهم كما أدّى غيرهم ماوجب عليهم بمقتضى فطرهم . إن دراسة هذه الدنيا لايتسنى لأحد الوصول اليها إلا بدراسة خلاصة جميع العلوم وفى هذا التفسير مايغنى اللبيب بأسلوب سهل وما أصعب الأساليب العلمية التى جعلها الله سهلة فى هذا الكتاب . أما دراسة حشرة أبى دقيق فهاك عجائبها

﴿ ذكرى أيام الشباب ﴾

اللهم إنى أحمدك على نعمة العلم وفضيلة الحكمة . لقد كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر أمر فى الحقول وعلى شطوط الأنهار وأنظر عسى أن أجد حشرة ذات نظام هندسى (وما كنت إذ ذاك لأعرف فى الهندسة شيأ) وأقول ياليت شعرى . أليس فى هذا الكون نظام واذا كان له صانع أفليس الصانع حكيما . إن الحكمة والاتقان هما الدليلان على صانع فان وجدا فهناك صانع والا فلا إله لهذه الدنيا . وطالما كنت أقول يامن خلقتنى أراك علمت الطيور فى وكناتها والوحوش فى أوجارها كل ماتحتاج اليه فى نظام حياتها وماتطلبه نفوسها وهاهى ذه نفسى تودّ الوقوف على نظام هذا الكون لأعرف صانعه . و بقدر علمى بالنظام تكون سعادتى وعلى قدر وقوفى على الحقائق يكون كمالى . إنى اذا أيقنت بالنظام أيقنت بالحكيم . واذا كان صانع الدنيا حكيما فهو حرىّ بالحبّ والاجلال واذا كانت حياة الانسان بيد حكيم فهو جدير بالسعادة . أما اذا كانت فى يد المصادفة الرعناء فالحياة خير منها الموت لانها لا نتيجة لها إلا الخطل والخبل . هذه آرائى زمن الشباب

﴿ أما آرائى الآن ﴾

أما آرائى الآن فأقول إنى أصبحت موقنا بالحكمة والجمال فلتتقاذف الدول بالمدافع والطيارات والأساطيل وليخترعوا ماشاؤا من أساليب الاهلاك والتدمير وليبتدعوا من ضروب الحيل السياسية والأكاذيب الاستعمارية فهانحن أولاء ندعهم فيما خلقوا له فى هذه الحياة على أرضنا الصغيرة القصير النظر أكثر سكانها ذات العمران الناقص والمدنية المنحطة والعقول التى لم تصل لعقول أم أعظم شأنا منها فى سكان كواكب أكبر شأنا وأعظم مقاما . أقول ندعهم فانهم لهذا خلقوا وهكذا خلق جوّ أرضنا واستعدادها واستعداد سكانها ولنعكف نحن على عالم الجمال ولندرس حشرة (أبى دقيق) لادراسة كلية بل ندرس مافيها من الألوان لمناسبة الآية التى نحن بصدد الكلام عليها اعترافا بنعمة الله الذى علمنى بعد اليأس أيام الشباب واغترافا من الحكمة الكامنة فيما حولنا من عجائب هذه الدنيا أدرس هذه الآن لا قوم بحق النعمة قال تعالى — ووجدك ضالا فهدى — ثم قال — وأما بنعمة ربك فحدّث — فهاأناذا كنت ضالا أيام الشباب لا أفهم لهذا الوجود معنى . وهاأناذا الآن

أقول لقد اهتديت على مقدار طاقتى . وهاأناذا أتمتع بنعمة الحكمة من جميع وجوهها وأرى الجمال حيث يرى أكثر الناس ان لاجمال وأمضى قدما فى عجائب الحكمة المخبوءة فيما لا يعقل له أكثر الناس معنى لأن أكثر الناس لا يعلمون ـ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ـ مثل أن يدرسوا حياة هذه الحشرة وكيف تبيض وكيف يبيدونها لتخلى لنا قطننا . نعم هذا واجب ولكن نحن الآن نبحث فى خلاصة هذا الوجود وخلاصة هذه الدنيا . اللهم لا معنى لهذه الدنيا إلا الحكمة والنظام فهاك ماجاء فى كشف أسرار ألوان هذه الحشرة

﴿ عجائب ألوان حشرة أبى دقيق ﴾

(تعليل العالم الأمريكى (فرنن كلوج) العالم بعلم (البيولوجى) لألوان حشرة أبى دقيق)

لقد قرأت هذا التعليل فى بعض الكتب . وهاأناذا أبينه فأقول . إن أجنحة الفراشة الواحدة تبلغ مساحتها (١٥) بوصة وهذه المساحة قد رسمت عليها بيوت صغيرة متجاورة بشكل هندسى منتظم . وتلك البيوت تبلغ فى البوصة المربعة الواحدة (٩٩) ألف بيت لأنها (١٦٥) صفا وكل صف فيه (٦٠٠) بيت فتكون جميع البيوت المنظمة فى أجنحة الفراشة الواحدة (١٥٠٠,٠٠٠) ألف ألف وخمسمائة ألف بيت

تلك البيوت عبارة عن مخازن كل مخزن فيه كيس مختوم وهو إما مملوء هواء واما مملوء مادة ملونة فالمادة الملونة متى وقعت عليها الشمس ظهرت لنا بهيئة بديعة تسر الناظرين والهواء المحبوس فى الكيس هو الذى يعكس ماتراه فى الحشرة السفلى من هذا الرسم إذ ترى زرقة و بياضا وصفرة بانتظام

ألا تعجب معى أيها الذكى . ألا ترى أن هذه العلوم التى تتجلى فى حشرة أبى دقيق قد خبأها الله فيها وجعل عملها مهلكا للقطن . نعم خبأها الله لأهل الحكمة الذين يخلقون فى هذه الدنيا ويكون عددهم قليلا لأن الكرام قليل وهؤلاء هم الأولى بقول المتنبى

تسترت من دهرى بظل جناحه * بحيث أرى دهرى وليس يرانى

إن الشعراء ليسوا أهلا لذلك المقام وانما أهله هم عشاق الحكمة فتعال معى أيها الذكى العاشق لها وافرح بنعمة الجمال بدراسة نظام هذه الدنيا معى وتأمل كيف أظهر الله هذه الحشرة بفعلها المهلك وخبأ ذلك الجمال الرائع . نعم خبأه لأحبابه المصطفين الأخيار ليذروا الناس يتخبطون فى السياسة ونظم الحياة مع مشاركتهم فيها ومعاونتهم ثم هم يغوصون أكثر من غيرهم على ما أمامهم من السحر الحلال والموسيقى والنظام الجميل

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صديق لى حسن الخلق كبير العقل واطلع على ما كتبت فقال ماهذا الاغراق والاطراء فى حشرة (أبى دقيق) فقلت هذا ليس خاصا بها بل هو عام فى السموات والأرض . إن النظام فى هذه البيوت الهندسية المنتظمة المملوءة هواء وموادّ ملونة يذكرنا بنظام الكواكب فى السماء . قال أما نظام هذه الأجنحة فهو مقبول لأن النظر اليه بالمنظار يحقق ماتقول أما نجوم السموات فلا نظام لها لأن الناس نظروها بالمنظار فرأوها أكبر وأكثر مما نرى ولكنها لا نظام لأوضاعها كأوضاع هذه الحشرة و بيوتها

قم ليلا وانظر النجوم المقدّرة بثلاثة آلاف بالعين المجرّدة هل ترى هناك صفوفا منظمة مهندسة كالتى ترى بالمنظار على جناح هذه الحشرة واذا قال الله تعالى ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ فانى رأيت عدم التفاوت فى جناح الحشرة ولكن لم أره فى نظام نجوم السموات . فقلت لعلك لم تطلع على ماتقدّم فى هذا التفسير وكتابى (نظام العالم والأمم) قال ماذا قلت فيه . قلت إن النجوم أمرها عظيم وعلمها واسع وليس ادراك نظامها بالسهولة التى بها يدرك جناح الحشرة أدركنا نظام البيوت فى جناح الحشرة لأنها أمامنا أما نجوم السموات فانظر ماأقول لك . نحن نكتفى منها بالمجموعة الشمسية والمجموعة الشمسية مركزها الشمس و يدور حولها السيارات (عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون) . هذه سيارات ثمانية وقد وجدوا أن أبعادها عن الشمس بنظام هندسى فكل كوكب يكون أبعد عما قبله ضعف بعده

فاذا

فاذا كان كوكب منها بعد، (١٢) فالذى بعده (٢٤) والذى بعده (٤٨) وهكذا . فهذا نظام يقال له (متوالية هندسية) فأما نظام بيوت جناح الحشرة فانه يقال له (متوالية عددية) . فاذا كان الناس يرون نجمة الصبح ونجمة المساء و يقول علماء الفلك ان تلك النجمة هى كوكب من تلك الكواكب التى تدور حول الشمس كما تدور أرضنا و يقول الناس اذا رأوها انه لامناسبة بين أبعادها بالنسبة للشمس ثم بعد البحث وجدوا مناسبة كما وجدوها هنا فى جناح الحشرة فمعناه أن هذا العالم نظامه واحد وأن صانعه صنعه بحكمة واحدة وهذا معنى قوله تعالى ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ

هذه هى الحشرة التى يراها الناس فيزدرونها و يهلكونها قد خبأ الله فيهاحكمته وخصها بالحكماء فى هذه الأرض الذين رباهم فيها لينقلوا لعالم أبهج بعد الموت بعد أن يبهجوا الناس بالحكمة الرائعة و يكونون مفرحين للعقول الانسانية كما ان رجال الموسيقى مختصون ببهجة الاسماع وأرباب الجمال الظاهرى يسرون العيون وفرق بين ابتهاج العقول وابتهاج الأسماع والأبصار . إن فرق مابين جمال صور الناس وأصواتهم و بين جمال العقول كالفرق بين بقية الناس و بين الحكماء

فبهذا فليفرح المفكرون القارؤن لهذا التفسير وهذا من أجل فضل الله الذى قال الله فيه ـ قل بفضل الله و برحته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ـ

اللهم إن المسلمين قصروا فى زماننا وانك قد جعلت هذا التفسير لايقاظ همم نائمة ونفوس خامدة وعزائم جامدة وسيكون له نبأ ـ ولكل نبأ مستقر ـ

اللهم إن المسلمين لن يصلوا لهذا اللب إلا بعد أن يخترقوا القشر وأنى لهم بالقشر واللب ولاقشر ولالب إلا العلوم التى طارت من بلاد الاسلام وحطت فى أوروبا وأمريكا وهناك عششت و باضت وفقست وازدهرت وأثمرت وأينعت . إن ظواهر العلوم هى مما يجمعون ونفس هؤلاء العلماء فى أمريكا وأوروبا يقرؤن هذه العلوم لأجل ظواهر الحياة الدنيا . أما المسلم فى مستقبل الدهر فانه سيقرؤها كما يقرؤها الاوروبى والأمريكى واليابانى للحياة الدنيا و يختص هو بأنه يصل الى جمال العالم إذ يجد فى نظام هذه العجائب كتلك الذرات التى على جناح الحشرة التى انتظمت واكتملت وأبهجت الناس بظواهرها وخصت الحكماء بعجائبها . هذه النظم فى الأجنحة أشبهت نظام النجوم من حيث انتظام الأبعاد كما قدمناه

﴿ مافائدة هذا النظام ﴾

إن فائدة هذا النظام وتلك المواد الملونة وذلك الهواء الذى ملئت به تلك الحقائب البالغة ألف ألف ونصف ذلك العدد كل هذا لأمر واحد وهو حفظ الحشرة من أعدائها لأنها اذا رأت عدوا مهاجما ضمت أجنحتها ووقفت على زهرة فصارت تشبهها فتلتبس بها فتحفظ من العدو . لماذا هذا الحفظ . لتعيش على ورق قطننا وتتمتع فى قصور ونور فيخسر الزارعون وهى الجانية الكاسبة . فما أعجب هذا الصنع . هواء محبوس يعكس الضوء ومادة ملونة تظهر بنور الشمس . كل ذلك لحفظ هذه الحشرة الآكلة لقطننا . فجل المتقن وما أجل الاتقان وكما انك ترى البيوت على ﴿ نوعين ﴾ بيوت فيها مادة ملونة وأخرى هواء يقوم مقام الزجاج هكذا ترى الحشرات على ﴿ نوعين ﴾ نوع يعيش فى بلاد (البرازيل) زاهى اللون بديعه قد أعطى مادة بشعة الطعم والرائحة تفرزها الحشرة على مايهاجمها من الطيور والزحافات فيرتدعنها . ونوع آخر لم يعط هذه المادة والأول يسمى (الملك) والثانى يسمى (نائب الملك) لأن الأول تخافه أعداؤه لتلك المادة التى يفرزها والثانى لما أشبه الأول فى لونه وشكله وجماله ظنت الطيور والزحافات التى تقصده أنه عنده تلك المادة فتحامته وخافته وهذا هو العجب . كيف لانعجب وقد رأينا الحكمة هنا واضحة أى انه لايخلق إلا ماله فائدة فاذا كان الملك أعطى سلاح الرائحة الكريهة والطعم الكريه فلم يعط ذلك نائب الملك اقتصادا وتعليما لنا كأن الله يقول لنا

افهموا من حشرة (أبى دقيق) أن أعمالى كلها على هذا المنوال فاذا رأيتم الملك قام باخافة الأعداء واستغنى نائب الملك فذلك مثال لهذا العالم الذى لاتفهمونه وانما تفهمون على مقدار عقولكم وانما ملكى كله كما فى هذه الآيات كآية — وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم — وآية — وكل شئ عنده بمقدار — وآية — وما كنا عن الخلق غافلين — وآية — إنا كل شئ خلقناه بقدر —

واذا كنت أبدعت فى صفوف جناح الحشرة ولم أذر عملا من أعمالها يضيع وهذا فى حشرة صغيرة فما بالكم بأعمالى معكم أنتم وفى سموانى وأرضى . إن كل أهل السموات والأرض على هذا النظام أستهم — إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا — وهم جميعا بنظام واحد كما نظمت ألوان حشرة (أبى دقيق) — ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير —

﴿ فوائد الألوان فى الطب ﴾

ومن أجل مايناسب اختلاف الألوان فوائدها فى الطب وصحة الأجسام فهل خطر ببالك يوما ما أن لون الزرقة كلون السماء والبحر الملح يقويك اذا كنت فى دور النقاهة أوضعيف الجسم . وهل خطر لك أن اللون البنفسجى يمنع عنك الأرق والسهر فتنام . وهل قال لك يوما طبيب حاذق ان لون الصفرة منشط منبه كما قال تعالى — بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين — وهو يفيد أصحاب (الماليخوليا) ويهدئ الأعصاب ويلطف ثورتها مالم يكثر استعماله فيحصل العكس . وهل علمت أن لون الحمرة بتكرار النظر اليه يحدث تخديرا كما تفعل المواد المخترة . أما أنا وأنت وكثير من الناس فربما اتفق أن قويت أجسامنا أيام النقاهة باون الزرقة وطرد عنا الأرق باللون البنفسجى ونشطنا بلون الصفرة وتخدرت أعصابنا بالحمرة . أقول ربما كان ذلك ولكننا لانعلم من أين جاء ذلك . وهل علمت أن لون الحمرة يزيد المجنون جنونا ويهيجه كما يحصل لثيران اسبانيا فى صراعها . وهل علمت أن المجنون اذا كان فى غرفة زرقاء هدأت أعصابه . وهل ظننت أن الرجل فى حال يأسه و بؤسه يطرد عنه اليأس والبؤس اذا داوم النظر للون الحمرة . وهل خطر لك يوما أن الزكام والشلل و بعض الأمراض المزمنة تخف آلامها بالنظر للون الصفرة وأن المحموم يستضر بذلك اللون والمجنون . وأن اللون البرتقالى منبه . وهل جلست يوما فى حديقة وأنت متهيج الأعصاب فهدأت أعصابك بنظرك للون الخضرة

إن ذلك يحصل لنا ولكننا لاعلم لنا بعجائب هذه الدنيا وغرائبها . واذا أردت البرهان على ذلك فاعلم أن الأطباء فى بضع السنين الماضية قاموا بتجارب لاختيار تأثير المعالجة بالألوان وفى سنة ١٩١٦ أنشئت (الكلية الدولية) فى لندن للمعالجة بالألوان فأثبتت النتائج التى انتهى اليها أطباؤها وفائدة تلك المعالجة ولاسيما فى الأمراض العصبية وثبت للأطباء أن للألوان فائدة فى منع الأمراض وفى الشفاء منها . وأول من أشار بمعالجة الألوان الدكتور (أدوين وابت) من أطباء (نيوجرسى) بأمريكا وقد ألف كتابا فى ذلك طبع فى أواخر القرن التاسع عشر وفيه أن اللون كالموسيقى يؤثر فى المجموع العصبى تأثيرا عظيما وأن هذا التأثير يظهر جليا فى معالجة الصدمات العصبية والنورستانيا والسوداء . ويظهر أن اللون يحدث تأثيرا فى العقل ثم ينشأ عنه رد فعل فى المجموع العصبى على سبيل أشبه بالاستهواء أوالايحاء . والثابت الآن أن اللون الأزرق يفيد فى تقوية الضعاف فى طور النقاهة وأن اللون البنفسجى خاصته الشفاء وهومفيد جدا فى معالجة الأرق . ثم ان للون ﴿ثلاث مزايا﴾ وهى

(١) إنه منبه مقو للعصب (٢) إنه ملطف أومخفف للألم (٣) إنه مقو فى حالة الضعف

فكونه ملطفا أومخففا يظهر من كونه يؤدى الى التأمل واعمال الفكرة وعدم الاكتراث والاستسلام وما أشبه . وكونه مقويا يظهر من التغيير الذى يحدثه فى الجسم إذ يجعل المرء موزونا سمحا كريما قانعا بحاله أما الألوان المنبهة فانها توجد فى النفس الرجاء والأمل والطرب والطموع والنشاط والرغبة فى العمل .

وفضلا

وفضلا عن ذلك فان الطائفة الأخيرة تطلق الفكر من قيوده وتستثير العواطف وتوجد فى النفس نشوة وشعورا بتجديد القوى العاملة . وقد ثبت الآن أن اللون الأصفر هومن الألوان المنبهة وأن اللون الأحمر هومن الألوان المخدّرة ولذلك يجب استعمال الأخيرمنهما بمزيد الحذرلأنه قد يفعل فعل المورفين والكلوروفورم إن الافراط فى استعمال اللون الأحمر قد يفسد التوازن العقلى اذا كان عقل العليل يستلزم عناية خاصة .

وقد ذكر الدكتور (رابت) أن المجانين والمصابين بأمراض عقلية اذا وضعوا فى غرف يسود فيها اللون الأحمر ساءت حالهم بسرعة و بالعكس اذا وضعوا فى غرفة يسود فيها اللون الأزرق فانهم يصبحون هادئين

واستعمل الدكتور (بونزا) مدير مستشفى المجاذيب بمدينة (اليساندريا بييدمونتى) غرفة حمراء لبعض المصابين بحالات يأس فكانت النتيجة مدعاة الى الارتياح

واستعمل اللون الأصفر فى معالجة الزكام والشلل و بعض الأمراض المزمنة فخفت الآلام كثيرا . وثبت أن اللون الأصفر مضرّ بالحميات حتى لقد يؤدّى الى الالتهاب والبحران . أما المصابون (بالماليخوليا) فقد أفادهم هذا اللون فائدة عظيمة . ووجد الدكتور (بونزا) أيضا أن اللون الأصفر يهدّىء الأعصاب و يلطف ثورتها ولكن استعماله بكثرة يؤدّى الى (الماليخوليا)

أما اللون البرتقالى فانه من الألوان المنبهة . واللونان القانى والبنفسجى الفاتح هما من الألوان الملطفة للأعصاب واللون الأخضر مهدّىء للاضطرابات العصبية يفعل فعل المخدّر

وذكر الدكتور (بونزا) تجارب أجراها بغرف ملونة فقال انه وضع رجلا مصابا (بالماليخوليا) والعبوسة وقلة الكلام فى غرفة حمراء فبعد ثلاث ساعات أصبح الرجل طروبا ضحوكا . ووضع عليلا آخرمثله فى تلك الغرفة وكان يرفض الأكل وقد نحل جسمه وأصبح أشبه بهيكل عظام فبعد أربع وعشرين ساعة نشأت فى الرجل شهوة الطعام فصار يأكل حتى عادت اليه قواه وأصبحت حالته طبيعية

و يؤخذ من تقارير مستشفى (لندن) أن المعالجة بالألوان قد جاءت بفائدة عظيمة فى معالجة أمراض الصدمات العصبية (والنورستانيا) . وأن الألوان الأصفر والقرنفلى والوردى والأزرق السماوى والأخضر والبنفسجى القاتم والبنفسجى الفاتح هى أهم الألوان التى تعالج بها تلك الأمراض

وذكر الدكتور (رابت) أن اللون الأزرق هو أهمّ الألوان فى معالجة اضطراب الأعصاب والاضطراب العقلى وقال إن الألوان عامّة تؤثر فى الرجال أكثر من تأثيرها فى النساء وأن الحيوانات تتأثر كثيرا باللون القرمزى والأصفر الفاتح والأخضر الطبيعى وأن الطيور تتأثر باللون الأخضر والحيات تتأثر باللون الأصفر حتى ان هذا اللون قد يستهويها و يسقطها فى شبه سبات مغناطيسى . وأن اللونين الازرق الباهت والاخضر الباهت يلطفان أعصاب الطفل المتهيج وأن تسعة وتسعين فى المائة من الناس يحتاجون الى اللون الوردى انتهى

﴿ بهجة العلم فى قوله تعالى ــ وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ــ الخ ﴾

لايخفى على من درس هذا التفسير وأمثاله من الكتب أن نعم الله لاتحصى فى ذرّة واحدة كما جاء فى آخر تفسير سورة يوسف فضلا عن السموات والأرض . وانى أريد أن أريك أيها الذكى الآن عجبا فى هذا الانسان . يظهر لى أن هذا الانسان من عالم متأخر جدّ التأخر . هو يعيش مع الدواب والحشرات فهو غافل ظلوم جهول يقول الله فيه ــ قتل الانسان ما أكفره ــ وأىّ كفر أعظم من كفر الانسان

سر أيها الذكى فى أقطار الارض وسل أكثر هذا النوع الانسانى عن نعمة الهواء وحدها فلا أحد يقول أنه نعمة إلا الحكماء . أما أكثر النوع الانسانى فلايرون نعمة إلا ما اختصّ بهم وحدهم واستلذوا به وسدّ حاجتهم . تجرى الرياح بالسحب وتلقح الأشجار بالهواء و به نشم الروائح فنفرق بين خبيثها وطيبها ونرى فيه بخار الماء يتخلله ونحن فى بحر لجىّ منهما . نحن نروح ونغدو ولانعلم اننا غرقى فى بحرين احدهما

هواء والآخر ماء بخارى قد امتزجا . وهذان البحران المتداخلان المتحدان نتنفس منهما فيصل الهواء الى رئاتنا فيكون ذلك سببا لحياتنا وحياة حيواننا وحياة نباتنا ولو انقطع الهواء لحظة لمات كل نبات وكل حيوان ولكن الانسان كفور والله يقول لنا ــ إنّ الله لغفور رحيم ــ فهو الذى رحمنا وغفر لنا جهلنا بالنعم التى عليها مدار حياتنا فلا نشكره عليها ولكن شكرنا خاص بامور تافهة حقيرة صغيرة . هذا هو بعض السرّ فى قوله ــ إنّ الله لغفور رحيم ــ والله يعلم ماتسرّون وماتعلنون

البخار والهواء اللذان غرقنا فيهما شفافان وهذه نعمة عظمى ولولم يكونا شفافين كالدخان لحجبا عنا نور الشمس . إن نور الشمس والكواكب يملآن الأقطار ويحيطان بنا وبأرضنا كأن الفضاء لامخلوق فيه فلا هواء ولابخار يحجبه وهذه من عجائب اللطف والحكمة . وهذا النور يهدى الينا صور المخلوقات التى نراها وأشكالها وأحجامها وألوانها . فأما الهواء وأما البخار فانهما لاحساب لهما عند النور ولوأنهما ظهرا لنا لحجبا الجبال والأنهار والسماء والنبات وكل شئ وكانت الحياة وبالا

هذا الهواء المحيط بالأرض لولاه لكانت الشمس تشرق وتغرب بغتة فينتقل الحيوان من الظلمة الحالكة الى الضوء الباهر مرة واحدة والعكس بالعكس فلاصبح ولاشفق ولاجمال فى هذين الوقتين وهذه المفاجأة ضارة بالحيوان . لولا الهواء لم تكن زرقة فى الجوّ بل كنا نراه ظلمة حالكة طول النهار . والدليل على ذلك أنا اذا ارتفعنا فوق الجبال الشامخة رأينا سوادا حالكا . ذلك لخفة الهواء . إن الهواء فى جوّنا جرم كثيف وان كنا نسميه لطيفا . ألم تر الى ما يقوله علماء الفلك انهم يقولون إن المادّة المحيطة بالكواكب ذوات الذنب لطيفة لطفا لاحدّ له فهى ألطف من هوائنا ألف مليون مرة ومعلوم أن هواءنا ألطف من الماء ثمانمائة مرة والبخار ألطف من الماء (١٧٢٨) مرة

فاعجب لعالم نعيش فيه وهو مفعم بالحكمة ودقة الصنع . فاذا قلنا ان جوّ الكواكب ذوات الذنب بهذا المقدار المتقدّم فمعناه أن اللطف فى المادّة لاحدّ له ولانهاية ومن ذلك تفهم قوله تعالى ــ إنّ الله لغفور رحيم ــ بعد الكلام على النعم وتعدادها وعدم إحصائنا إياها وبيانه أن هذه العقول التى خلقها الله لنا فى الأرض لاتكون إلا مناسبة لعالمنا وعالمنا قد علمت أنه غليظ . واذا كان الهواء عندنا أصبح غليظا ألف مليون مرة بالنسبة لهواء آخر أفليس هذا معناه بطريق قياس التمثيل أن هناك عوالم ألطف وألطف مئات آلاف الملايين . وعلى مقدار ذلك تكون هناك عقول ألطف وألطف على هذه النسبة واذن تدرك تلك العقول دقائق النعم فى حين أن عقولنا تجهل كل شئ من النعم إلا النادر الذى لايؤبه له وبهذا يفتح لنا باب فهم قوله تعالى ــ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ــ واننا سننتقل فى عوالم بعد عوالم ألطف وألطف فيزداد علما وعلما وهو قوله تعالى ــ وفوق كل ذى علم عليم ــ

هذا ولست أريد أن أذكرك بنعمة الطيارات المتقدّم ذكرها فى هذا المقام وفيما تقدّمه وأن الطيارات ﴿ قسمان ﴾ قسم أخفّ من الهواء وقسم أثقل من الهواء وقد توسعت فى شرحه فى سورة المائدة عند قوله تعالى ــ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ــ فهو موضوع متمم لمسألة الطيارات هنا فارجع اليه إن شئت . فاعجب ثم اعجب لجمال ونور نعيش فيهما وأكثرنا عن العلم معرضون وسيكون فى المسلمين إن شاء الله بعد انتشار هذا الكتاب حكماء يرقون الأمم الاسلامية والله هو الولىّ الحميد اهـ

﴿ تذكرتان ﴾

﴿ التذكرة الأولى فى قوله تعالى ــ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ــ وبيان مافتح الله به علىّ فى مرضى ﴾

ههنا أحدّثك أيها الذكى حديثا وقع لى أثناء شهر ديسمبر سنة (١٩٢٧) فانى قد اعترانى مرض عطل طبع هذا التفسير نحو خمسة عشر يوما . ذلك المرض أصابنى فجأة وماهو إلا انصباب الدم من الأنف بكثرة

هائلة

هائلة فهو رعاف مكبر . فماذا جرى . خارت قواى وتعاطيت دواء كما أمر الطبيب . هنالك تجلت لى هذه الدنيا . هنالك تذكرت أن الموت ـ قاب قوسين أوأدنى ـ . فقلت علام أحزن على هذه الأرض فكان الجواب فى سرّى على ﴿ أمرين ﴾ تمام طبع هذا التفسير و بعض أمور فى أسرتى أرجوأن تتمّ على يدى فاذا تمّ الأمران فما أحسن الموت . أما الآن فانى اذا مت كانت الحسرة على عدم تمام طبع التفسير وعلى بعض الامور الخاصة . فالأول من الغرام برقى الأمّة الاسلامية . والثانى من الشفقة على بعض الذرّية الضعاف . هذا ماخطر لى إذ تذكرت الموت وانه منى ـ قاب قوسين أوأدنى ـ . هنالك قلت لأرجع لكتاب الله تعالى فقرأت

(١) ـ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير ـ

(٢) ـ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ

(٣) ـ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ـ

(٤) ـ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ـ

(٥) ـ كل نفس ذائقة الموت ـ

(٦) ـ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ـ الخ

(٧) ـ ومالنا ألا نتوكل على الله وقدهدانا سبلنا ولنصبرنّ على ما آذيتمونا ـ الخ

هنالك قلت ان لهذا العالم صانعا وهذا التفسير قد جمع فيه بين العلوم والدين وكل الدلائل قائمة على علمه بكل صغير وكبير فلم الحزن . ثم أخذت أفكر فيما أحزننى اذا مت فتذكرت التفسير وقلت ياعجبا أنا أكتب هذا التفسير بدافع نفسى وشوق قلبى . أليس هذا الشوق من الله فقلت فى سرّى بلى فالله هوالذى أودع فى قلبى حبّ هذا التفسير كما أودع فى قلب المرأة حبّ ولدها فترضعه والله عزّ وجل هوالمتصرف فهوالذى يتوفى تلك المرأة تارة قبل تمام الارضاع وتارة يتوفى ولدها قبل تمام الارضاع فيكون الالم للولد فى الأولى وللأم فى الثانية . هذا فعله وهو أعلم بالمسلمين وأعلم بمرضهم وضعفهم وأعلم بمن ينقدهم على يديه فربما كان هذا التفسير يقف عند هذا المقام و يرى الله فى علمه أن هناك أمورا أرق وأرقى . إذن أنا لست على حقّ فى حزنى على تمام التفسير فى الطبع اذا مت لأن الله هو ربّ المسلمين ومتولى أمورهم . ومن أنا حتى أحزن . هنالك ذهب هذا الحزن . ثم قلت فى نفسى لماذا أنا فى كدر على بعض ذرّيتى فتذكرت أن المصائب علم الله وقوعها قبل خلقها وانه هوالذى يتولى الذرّية كما يتولى الآباء . واذا قال الملاسفة انه لاسعادة بمال ولاجاه ولاصيت وانما هى بالعلم وحسن الخلق . وماعدا ذلك فهو صالح للسعادة والشقاوة والأخلاق فى النفس يهبها الله فما عملى أنا . فسكنت هنالك ثورة الحزن واطمأنت النفس للموت وتذكرت قوله تعالى ـ إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلا من غفور رحيم ـ وقلت فى نفسى لعلّ هذه الخطرات التى خطرت فى قلبى مما يناسب ماتتنزّل به الملائكة على قلوب المرضى عند دنوّ آجالهم لأن آراء الخير من الملائكة وآراء الشرّ منسوبة للشياطين . هنالك اطمأنت النفس تمام الاطمئنان

﴿ منظر الأشجار والمزارع والشمس والارض والانسان ﴾

فلما كانت الليلة الثانية وقد ازداد الضعف وأحست النفس به احساسا أشدّ خيل لى أنى واقف على جسر

نهر يسمى (أبا الأخضر) بالقرب من قريتنا وفى سفح ذلك الجسر شجر شائك مما كنت أعهده هناك فى نفس هذا المكان وهو شجر (القرطم) النافع فى علم الطب وكأنى أشاهد ورقة من أوراقه خضراء فيها بقع بيض قليلة كما هو المعتاد فاستوقف نظرى ذلك المنظر وصرت فى غاية العجب من نفسى . كل ذلك فى عالم الخيال وصرت أقول . لم أرانى معجبا بورقة من شجرة منبوذة شائكة وهذا الشجر مسلح كله بالشوك المحدد كالحراب يغشى الشجرة من أعلاها الى أدناها ودام ذلك العجب مدة ثم خيل لى كأن شبحا أمامى يخاطبنى قائلا . إنى علمت مافى نفسك وانك متعجب من نظرك لهذه الورقة وتعجبك منها ومن عادة الناس أن يبهرهم صور الأزهار الجميلة لاشجر شائك كهذه . فقلت حقا قد أصبت مافى نفسى . فقال إن هذا التعجب أمر علمى وسأبينه لك . انظر الى ضوء الشمس المشرق على الورقة لقد أتى لها من الشمس وسار مسافة تبلغ بسير المدفع ١٢ سنة و بسير القطار نحو ٣٦٠ سنة . قلت نعم . قال هذا النور يخاطب هذه الورقة قائلا لقد أرسلتنى الشمس اليك وقد أثارت الحرارة التى تصاحبنى وتلازمنى بخار الماء من البحار والفياض والرطوبات فصار سحابا ماطرا ولايحمله إلا الهواء الذى أثرته بقوّتى فأنا ما وصلت اليك إلا بعد ما أرويت أرضك فسقيتك من الماء الذى أثرته بخارا تحمله الرياح الجاريات . ثم قال لى ذلك الشبح أنظر أيضا الى نوع هذه الشجرة وتأمل فانها بشوكها قد حفظت بعض الحيوان كالجمل فالجمال عادة تأكله وكأن الشوك القائم على جوانب تلك الفروع الشائكة يقول للانسان وللحيوان ماعدا نحو الجمال إياك أن تقربنى والا مزقت جلدك وآذيتك أذى شديدا وما ايلامى لك بشوكى لعداوة بينى و بينك وانما ذلك لنظام سنه مبدع هذا الوجود فحفظى لنوع من الحيوان نافع لك فايذاؤك بشوكى منفعة لك فى الحقيقة لأنى اختصصت بحيوان هو سفينة الصحراء وهو الجمل وهو لك نافع . فقلت له هذا حسن وجميل . فقال اسمع ماهو أجمل . فقلت وماهو قال

﴿ الحشائش المؤذية فى الأرض كالأخلاق التى لم تهذب ﴾

اعلم أن تعجبك من هذه الورقة وغرامك بها فى حال مرضك هذا منى على أمر عام فليس المقام خاصا بالشجرات الشائكة بل إن فى الأرض من النبات مايخرج بالفطرة بلاحرث ولابذر ولازرع بل بدون عمل ما من الانسان وهذه النباتات مؤذيات للانسان فاننا نرى الفول والقمح والشعير والذرة تحتاج الى حرث الأرض وسقيها والقيام عليها والجرى على نظام مسنون . فأما الحشائش فانها تخرج بلاتسميد ولارى ولا حرث ونراها تتلف قمحكم وذرتكم وشعيركم وقطنكم و بذورها المبثوثة فى الأرض تبقى فيها الى العام القابل فتنبت فى مواعيدها وهذه كلها حرب عوان على كل مايستنبته الانسان وهذه كلها كشجرة (القرطم) التى نظرت ورقة منها فكلها تخرج بلاعمل عامل . هذا هو الذى تعجبت منه وانما كان ذلك منك لما يأتى

إن هذه الحشائش فى الأرض لها فوائد جزئية لا كلية فمنها مايفيد فى طب الانسان ومنها ماينفع لبعض الدواب فتأكله فلم يخلق الله ذلك تعذيبا للانسان بل ان الله قال لكم إن تركتم أرضكم فأنا أتولاها لتعيش حيواناتى على ما أنبته فيها وهكذا الحشرات التى ملأت بها أرضكم . كل هذا وأنا أتولاها فأنبت لها ذلك الكلأ والحشائش . وأنا الذى أعطيت تلك النباتات قوّة بها تصادم الجوّ وتقابل العواصف والحرّ والبرد وأنا الذى أعطيت بزورها قوّة الانبات فى حينها بلاتقديم ولاتأخير . فأما قطنكم وقمحكم وشعيركم وذرتكم فانى لا أنبتها عندكم إلا بشروط فتحرثون الأرض وتسمدونها وتقلعون منها حشائشها وتحفظون بذورها فى مخازنكم ولاتتركونها فى الأرض والا فسدت وهكذا وليس ذلك منى تعذيبا لكم . كلا وانما أنا خلقتكم على صورتى فأحببت أن تقلدونى فى عملى وتنظموا كنظامى . هذا هو الذى أردته ومن تخلق بأخلاقى جاورنى فى العوالم العالية فأنا أنصبتكم وأتعبتكم على مقدار ماوهبتكم لترتقوا لا لتعذبوا

اخلاق

﴿ أخلاق الناس ﴾

فأما أخلاقكم الأولى التى فطرتها على الحرص والشهوة وحب الاختصاص بالمنفعة فهذه أخلاق نافعات منافع جزئية كمنافع تلك الحشائش . فكما أن الحشائش تنفع منافع جزئية هكذا الأخلاق الأوّلية فى الانسان تنفع لحياته والمحافظة عليها ولكن تهذيب الأخلاق يجعل المرء نافعا للمجموع . إن زرع الذرة والقمح يستفيد منه الانسان والحيوان لا الحيوان وحده وتهذيب أخلاق الأفراد نافع لهم وللهيئة الاجتماعية فأنا قد كلفتكم أيها الناس بتنظيف حقولكم بقلع حشائشها وتهذيب نفوسكم بترك رذائلها والاتصاف بفضائلها إن هذا هو الذى كان كامنا فى نفسك حين نظرت ورقة شجرة القرطم انتهى .

﴿ جمال العلم وانشراح صدرى فى مرضى رمنظر الشمس والأرض وأسنان نوع الانسان فى عالم الخيال ﴾

ثم تجلى لى منظر بهيج جيل بديع . تجلت لى الشمس بهيئتها والأرض أمامها ففكرت فى أمر الشمس وأنا أشاهدها وقلت انها أكبر من الأرض ألف ألف مرة ونحو ثلث هذا العدد فلوفرضنا أن أرضنا حصاة وكانت الشمس هذه الحصاة مكررة بالمقدار المتقدّم لأصبحت الشمس أمامنا أشبه بهضبة أو أكمة عظيمة والأرض بجانبها حصاة مرماة ثم خيل لى جسم انسان فوق الأرض والشمس أمامى أشاهدها وقد قال لى قائل انظر ماذا ترى . فقلت ماذا . قال انظر أسنان هذا الانسان . فلماذا لم تكن فى رأسه أوفى رقبته أوصدره أوفى بطنه أوعلى فخذه أوركبته أوعلى قدمه . ألست ترى أن وضع هذه الأسنان فى موضع مضغ الطعام بعلم فهل هذا الوضع بلاعقل أم هو يدل على أن واضعه تجنب كل موضع فى الجسم من المواضع التى تزيد على مائة وخصصها بالفم لمضغ الطعام . فهل هذه الأعمال بلاعقل ولاعلم . قلت بل هى بعلم وحكمة . قال أمامك الآن الشمس وأسنان الانسان وما الانسان إلا ذرّة على الأرض وما الأرض إلاذرّة بالنسبة للشمس فههنا أمران

﴿ العظمة والحكمة ﴾

فأما العظمة ففى هذه الشمس العظيمة فان من يخلق هذه لابدّ أن يكون عظيما ولكن ليس يلزم من خلق الامور العظيمة احكامها فلذلك أتى لك بأسنان الانسان ووضعها وتبين لك الحكمة فى وضعها ونظامها فعرفت أنت حقا عظمة الصانع وحكمته فهو كما خلق العظيم لم ينس أصغر الأشياء وهى أسنان الانسان فرتبها ونظمها وأحكمها ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ وهذا هومعنى مامثل لك الليلة

﴿ مغزى هذا المثال ﴾

ثم قال أتدرى مامغزى هذا المثال . فقلت أريد أن أعرفه منك . فقال أنت كنت فى الليلة الفائتة تقرأ الآيات لتثبت قلبك للموت . فقلت نعم . فقال فقرأت ــ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هومولانا ــ الخ وأردت بذلك أنك اذا مت وتركت هذا التفسير فالله هوالذى أراد عدم اتمامه وأن ذريتك الضعيفة الباقين بعدك أراد الله لهم ذلك . ففى هذه الليلة جىء لك بهذه المناظر ليقال لك هل تشك فى أن أسنان الانسان موضوعة وضعا متقنا وأنت طبعا لاتشك ويقال لك أليس الانسان على الأرض كذرة والأرض بالنسبة للشمس كذرّة . واذا كان العظيم الذى خلق الشمس العظيمة لم يذر أسنان الانسان (الذى هو ليس شيأ مذكورا بالنسبة لجرم الأرض التى هى ضئيلة بالنسبة للشمس) بل سوّاها وأحكمها فهو إذن ينظر لصغيرات الامور كما ينظر لكبيراتها ومايحصل لكتابك بعد موتك ولأهلك . كل هذا لايهمله الله كما لم يهمل نظام شئ صغير جدّا هو أسنان الانسان وكل مايعمله فى أهلك وفى آثار كتبك موزون عنده معلوم وهو المنظم لكل شئ وهذا باب من أبواب عين اليقين انتهى

ثم إنى بعد ذلك شفيت من المرض فعلمت أن هذه الخواطر انما ألهمتها لأكتبها فتكون ذخيرة لى اذا

دنا أجلى وذخيرة لأخ مثلى وتذكرة لقوم يعقلون والحمد لله ربّ العالمين

﴿ ذكرى مرضى أيام الشباب ﴾

اللهم إنى أحمدك على نعمة العلم والحكمة وانك قد أملتنى جل ما أريد . لقد كنت أيام الشباب إذ تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) موظفا بمهنة التدريس بمدرسة دمنهور الأميرية ولم ألبث إلا ثلاثة أشهر حتى انتابتنى (حمى التيفوس) تلك الحمى المنذرة بالموت فلما رآنى طبيب المدرسة أيقن بموتى فأشارأن أسافر الى بلدى لأموت عند أقاربى فكان ذلك وشفانى الله فى أسبوعين فجاء أحد أقاربى ومشى بى وسط المزارع فجلسنا بجانب حقل مزروع ذرة وقد برزت ثمراته وأنا فى دور النقاهة ضعيف لا أقوى على المشى إلا قليلا فتفكرت فى أمر الموت وقلت فى نفسى اذا مت الآن فمعناه أنى تربيت وتعلمت على قدر طاقتى ولم تستفد منى هذه الحقول ومزارعها شيأ فأين شكر النعمة . إذن كان أسفى راجعا الى اننى أموت ولم يستفد منى أهل الأرض شيأ فى معايشهم التى ربونى بها . أما الآن فانى أحمد الله حمدا كثيرا إن مما يثلج صدرى اننى قد أقدرنى الله على ماطلبت . ومن ذلك ماذكرته آنفا من مسألة الكهرباء ونفعها فى الحقول وتربية دودة الحرير والدجاج وما أشبه ذلك وفى هذا التفسير كثير مما يحض على رقى الأمم الاسلامية وغيرها والحمد لله ربّ العالمين اهـ

﴿ الكلام على كتاب التفاحة المنسوب لأرسطو ﴾

(وآيات الجنة مثل ماهنا إذ يقول تعالى ـ يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ـ الخ ومثل قوله تعالى فى سورة البقرة ـ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ـ)

لقد تقدم تفسير هذه المماثلة أى مماثلة الثواب فى الآخرة لمقدّماته من الأعمال فى الدنيا ولكن الذى يحق لى بل يجب علىّ تبيانه اليوم أن مشابهة عالم الآخرة لعالم الدنيا كان من موضوع المحاورة بين (أرسطو) فى (كتاب التفاحة) عند موته و بين تلاميذه قبل الهجرة بنحو تسعة قرون . ولاجرم أن هذا أمر لم يعرفه أحد إذ ذاك من الأمم بل كان مخبوأ فى خزائن الكتب فظهوره فى القرآن من معجزات النبوّة العلمية إذ كيف تكون المشابهة التى فى سورة البقرة مبرهنا عليها فى الحكمة والناس لايعلمون . وكتاب التفاحة هذا قد نشر فى مجلة انجليزية سنة ١٨٩٢ نشره الدكتور (مرغليوت) ترجمة فارسية وهو موجود أيضا باللغة العبرية منقولة عن العربية و يشك القوم فى نسبتها الى (أرسطاطاليس) وهذا لايمنع انها مملوءة حكمة وهومحاورة بين (أرسطاطاليس) وتلاميذه عند موته كالمحاورة بين (سقراط) وتلاميذه المسماة (بالفيدون) وقد كان (أرسطاطاليس) فى مرض موته قد اشتدّ ضعفه فأخذ يشم التفاحة ليتقوّى بها . وهذه المحاورة ترجع الى أمر بقاء النفس بعد الموت . والمهم لنا فى هذا المقام أن نذكر مايناسب آية الجنة فى سورة البقرة لمناسبة ذكرها هنا ولقوله هنا ـ بما كنتم تعملون ـ

سأل (اقريطون) الفيلسوف (أرسطو) قائلا ماالدليل على أن العالم الغائب مثل العالم الحاضر فقال (أرسطو) فهل تسلم أنه لاشئ سوى المعرفة ونقيضها قال (اقريطون) نعم قال (أرسطو) هل تسلم أن الشئ لا يكون صلاحه إلا بما يشبهه ولاتكون مضرّته إلا بما يخالفه . قال (اقريطون) لاشك فى ذلك . قال (أرسطو) فاذا لم يكن جزاء الحكمة على مثل ماهى فانه يجب أن يكون على خلافها فاذا كان كذلك فقد يكون جزاء الحكيم الجهل وجزاء البصير العمى وجزاء العمل الصالح العمل الطالح فهذا لا يكون ثوابا وانما يكون عقوبة وعلى ذلك فمن تحمل مشقة الحكمة لا يكون له ثواب وهذا غير صحيح فلابدّ أن يصح خلافه فجزاء الابصار تكون البصيرة وجزاء صالح الأعمال يكون الخير وجزاء طلب الحكمة وجدان الحكمة . قال (اقريطون) لايسعنى إلا الاعتراف بأن الحكمة يكون لها جزاء مثلها وأن الجهل يعاقب عليه . قال (أرسطو)

فقد

فقد اعترفت بأن جزاء الجاهل يكون على خلاف جزاء الحكيم والا لجزاء العمى يكون الابصار وجزاء بغض الحكمة نيل الحكمة وهذا غير صحيح فلزم صحة نقيضه

ثم تلا ذلك بقية الموضوع وملخصه أن (افريطون) قال اذا أنا أنكرت أن للحكمة مثوبة وللجهل عقوبة فماذا تجيب فأجاب (أرسطو) قائلا ألفائدة أم لمضرة سؤالك لى . فقال بل لفائدة العلم وللفرار من الجهل . قال (ارسطو) فقد اعترفت أن العلم نافع والجهل مضر . فقال (افريطون) سلمت بفائدة الحكمة فى الحياة لا بعد الموت . فقال (أرسطو) هل فائدة الحكمة الالتذاذ بالمعيشة أم الازدياد فى الحكمة فقال (افريطون) أنا قد سلمت أن للحكمة فائدة وقد كنت من قبل سلمت أن الحكمة مضرة بلاذ الحياة فلزمنى الآن أن تكون فائدتها فى عالم الآخرة . قال (أرسطو) لوانك أنكرت فائدتها فى عالم الغيب وقد كنت سلمت بأنها ضارة بلذة الحياة الدنيا فتكون إذن نفيت منفعتها فى الدارين وهذا يناقض ماسلمت به من فائدتها . إذن أقررت بأن للحكمة جزاء فى الآخرة انتهى الكلام على التذكرة الأولى

﴿ التذكرة الثانية فى قوله تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر ـ ﴾

يقول الله تعالى فاسألوا يا أهل مكة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليخبروكم أن الله لم يبعث الى الأمم السالفة إلا بشرا لأن الملائكة لايظهرون للناس ولوظهروا لكانوا بشرا فيلتبس الأمر على الناس وانما أمرناكم بهذا لأنهم علماء بماأنزل على موسى وعيسى وغيرهما وقد أوجبنا على الجهال أن يسألوا العلماء فيما يجهلون وقوله ـ بالبينات ـ الخ متعلق بتعلمون والبينات المعجزات والزبر الكتب . ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديق العالم الذى اعتاد أن يجاذبنى أطراف الحديث فى المسائل العظيمة فى هذا التفسير فقال فى نفسى شئ أريد أن أذكره الآن فى هذه الآية . فقلت قل ماتشاء . قال هاأناذا من أبناء العرب وأنالست فى حاجة الى سؤال اليهود والنصارى على الرسالة بل أنا الحامل للدين واليهود والنصارى يرسلون المبشرين ليردوا المسلمين عن دينهم ونحن أبناء العرب الذين حملنا هذا الدين الى الهند والصين وجزائر الهند الشرقية وافريقيا وأوروبا واليابان وأمريكا وذلك إما بنا أو بواسطة الأمم التى أسلمت على يد آبائنا فما فائدة هذه الآية إذن لنا . فقلت اعلم أن العلوم على ﴿ قسمين ﴾ علوم يعرفها الناس بالبرهان بأن تستبين بنفسها أو بالاستدلال عليها عقلا . وعلوم يقرؤها الناس فى كتب الأولين فتوقظهم . فالقسم الأول نظير المعجزات المذكورة . والقسم الثانى نظير الكتب السماوية واذن نحن الآن معاشر المسلمين ملزمون أن نقرأ العلوم الطبيعية والرياضية بأقسامهما ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ كل علم نعقله ونفهمه فى المدارس كتشريح الأجسام وفهم نظام النبات والحيوان فان هذا كله بين بنفسه يدرسه الناس و يفهمونه وهم يشاهدونه فهذه هى البينات كاستبانة المعجزات فالمعجزات لأجل العوام وهذه لأجل الخواص . فعلم النبات بينات وعلم الحيوان بينات وعلم خواص الأعداد بينات وعلم الهيئة وتعداد النجوم وأقدارها بينات لانها قام عليها البرهان . فبراهين هذه العلوم حية يشاهدها الناس بأعينهم وانظر الى علم الكيمياء ذلك العلم الذى يدرسه الناس اليوم و يحللون المواد فى معاملهم و يشاهدون جمال الله ظاهرا واضحا فيه و يعقلون به نظام الذرات فيجدونها داخلة فى الأجسام بحساب دقيق تقدم بعضه فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ وانظر الى حمارك الخ ـ وفى مواضع أخرى من هذا التفسير وسيأتى فى سورة العنكبوت جدول منظم أبدع نظام ليعلم الناس أن الله لما خلقها جعل لها قوانين منظمة وهكذا ماتقدم فى أوراق النبات فى سورة الحجر قريبا . هذه هى البينات التى أشبهت معجزات الأنبياء فى كونها واضحة ظاهرة للخواص كالأولى للعوام والخواص معا . فأما كتب الأمم فان هذا الدين يطلبها كلها . فانظر الى أممنا الاسلامية السابقة كيف قرؤا كتب اليونان ومن تبعهم من علماء الاسكندرية الذين لخصوا كتب أساتذتهم . ولعلك تذكر مسألة الجزء الذى لايتجزأ الذى يقول به علماء الأشاعرة وهو من أمهات مسائلهم فانه رأى

(ديموقراطيس) الحكيم اليونانى وهكذا ترى مذهب المعتزلة قد استند فى كثير من مسائله الى علماء (الرواق) من اليونان وهم تابعون فى آرائهم (سقراط الحكيم) وهكذا نرى ابن سينا والفارابى وحكماء الأشراف من أمتنا الاسلامية قد اقتبسوا فلسفة اليونان من حكماء الاسكندرية وهم الذين لخصوا مذاهب اليونان منهم ورئيسهم رجل يقال له (أفلوطين) عاشوا بعد الميلاد فى القرون الأولى وعرفوا زبدة آراء الفلاسفة (سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس) ووقعت كتبهم فى أيدى حكماء الاسلام فلم يعرف الناس (أفلوطين) هذا وشيعته وانما عرفوا (سقراط) ومن عطف عليه لعدم شيوع علم تاريخ الفلاسفة بيننا . فقال صاحبى أنا الآن أسألك فى تفسير القرآن وأنت أخذت نشرح مذاهب الفلاسفة وتأخذ بى فى مجاهل يضل فيها السارى مالنا ولأفلاطون وأفلوطين وسقراط حدثنا عن ديننا وعلمنا ودع التطويل فيما لايفيد . قلت أيها العزيز هذا يعلمنا أن آباءنا قرؤا علوم الأمم التى تقدمتهم . واذا كان الله يقول لأهل مكة اسألوا أهل الكتاب عن ﴿ أمرين ﴾ المعجزات والكتب حتى تعرفوا الحقائق التى تطلبونها . أفلا يقول لنا اقرؤا العلوم المشاهدة فى المدارس والعلوم الغائبة فى الكتب وقد تيقظ آباؤنا فدرسوا علوم الأمم وأيقظوا الشعوب كما تراه واضحا فى سورة التوبة من التاريخ وضوحا تاما فلولا ذلك لظلت الدنيا فى نومها العميق . واذا كانت المدنية الحاضرة فى الغرب والشرق ثمرة اطلاع آبائنا على علوم الأمم فان الأمر عظيم وواجبنا نحن أعظم . فقال وماهو واجبنا . قلت واجبنا قراءة تاريخ الفلسفة القديم والحديث ومعرفة نفس الفلسفة أى نقرأ الفلسفة وتاريخها والعلوم بدون تاريخها تكون بتراء ناقصة لأن العلوم الحاضرة مرتبطة بالعلوم السابقة وما العلوم إلا شجرة تنبت وتتفرع . فليكن فى أمتنا اليوم أناس يدرسون تلك العلوم قديمها وحديثها مع تاريخها . واذا جهلنا القديم من العلوم لم نفهم الحديث وعلماء أوروبا لم يرتقوا عن علماء اليونان وعلماء الاسلام إلا فى العلوم الجزئية . أما المسائل العامة كالكلام فى الله وفى اليوم الآخر والنفس والروح وما أشبه ذلك فالعلم بها قديما هو العلم حديثا . والناس اليوم لايزالون كما كانوا منذ آلاف السنين يتقدمون خطوة ويتأخرون خطوات . فقال إن هذا القول منك عجب كأنك تقول إن أمثال (سبنسر) و (داروين) و (لامارك) و (شوبنهور) وأمثالهم ليسوا أعلم من الأولين . فقلت نعم لا فهم أعلم منهم بالعلوم الجزئية وهم مثلهم أوأقل منهم فى العلوم الكلية . فقال أريد أن يكون لقولك دليل من كلامهم . فقلت فاسمع ماذكره العلامة (سنتلانه الطليانى) الذى كان مدرسا بالجامعة المصرية وقد اختاره ملك مصر وملك ايطاليا لذلك فهاك نص ما قاله

كأنى بقائل يقول ما الفائدة فى كتبك هذه التواريخ البالية والرسوم الفانية إن هى فى نفس الأمر إلا أساطير الأولين وأوهام الأقدمين مالنا ولأفلوطون وأرسطو وأصحاب الرواق و بقية القوم وقد اندثر أثرهم وتنوسى ذكرهم . مالك لاتذكرلنا أقوال المعاصرين من العلماء ورأيهم فى النفس وأحوالها وتعلقها بالبدن الذى هو موضوع العلم المعروف عندهم (بيسيكولوجى) ولماذا لاتأخذ فى تفسير قول الفلاسفة المعاصرين لنا مثل (هربرت سبنسر) وغيره ﴿ لافلسفة إلا الفلسفة الراهنة ﴾ هذا هو العلم النافع الذى نحتاجه فى مثل وقتنا ماهذا إلا خرافات الأقدمين التى لاتجدى نفعا ولاتشفى غليلا . فأقول إن الفلسفة التى ذكرتها لاينكرفائدتها إلا جاهل أومعاند أوكلاهما إلا انك اذا أردت أن تفهمها حق الفهم فلابد لك من معرفة آراء الأقدمين إذ الفلسفة وسائر العلوم كالمرء يكون طفلا ثم يشب ثم يصير كهلا وهو شخص واحد وكالسلسلة كل حلقة منها ارتبطت بالأخرى حتى لا يمكن حلها من غير أن يفسد الجميع فمن لم يقف على أقوال القدماء حق الوقوف لا يتمكن من استنباط آراء المعاصرين ولامن سبب اتخاذهم رأيا دون رأى ولا ما آلت اليه الفلسفة فى حالها الراهنة . قال (باكون) الفيلسوف الانجليزى ﴿ إن التاريخ للعلوم كالبصر لجسد الانسان به يبصر ماتقدم ومابين يديه لكى يعلم الناحية التى ينبغى له أن يقصدها ﴾ اهـ

ثم إنه لايخفى أن المسائل الفلسفية لاتتغير بتغير الزمان وهى الآن على ما كانت عليه فى القرون الماضية من البحث عن ماهيـة الوجود ووجود الاله وجوهر النفس وكيفية اتصالها بالبـدن وادراكها بالحس وماهى حق المعرفة والميزان الذى به تقاس حقيقتها فهـذه المسائل وأمثالها الذى اشتملت عليها الفلسفة لم تختلف باختلاف الأجيال . أتظن انا نحسن الجواب أكثر مما كان يحسنه أفلاطون وأرسطو لا والله إنا لوقدرنا على ذلك لقدرنا على الاتصاف بصـفات الالوهية وشتان مابين البعوضة والفيل فلوراجعت (هربرت سبنسر) مثلا الذى ذكرته آنفا لوجدته يعترف فى كتابه الموسوم بالاصول الأوّلية بأن الاوّليات فى الفلسفة ما لاطاقة للبشر عليها وأنلا سابقية لناعلىالأقدمين إلا فى المسائل الجزئية والمباحث الفرعية دون مايهمنا حله من المشكلات فى الاصول فالمسألة باقية والجواب يختلف وكل جيل أخذ سبب من تقدّمه يخطو ثلاث خطوات ويؤخرأخرى وبيننا وبينالغاية المقصودة بون بعيد كاد لايتصوّره عقل البشرفضلا عن أن يتخطاه . ذلك سرّ الله لايحيط به إلا هو فلا يغرّنك أيها الحبيب شقشقة المتفلسفين وانصت الى الفلاسفة تجد كلا منهم راكنا الى من تقدّمه يوافقه تارة ويخالفه أخرى الى أن ينتهى السق الى فلاسفة اليونان ولهم حقّ السبق وفضيلة التمهيد . فاذا لم يكن من السائغ لذى أدب من الافرنج أن يجهل ما كان عليه حكماء اليونان كيف يسع ذلك مصريا ومسلما والعلوم الاسلامية منـذ بدء نشأتها مؤسسة على علوم اليونان وأفكار اليونان بل وعلى أوهام اليونان حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الاسـلام ولامذاهب قدماء المتكلمين ولابدع المبتـدعين من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة شافية لابجرّد الالمام وهذا لايحتاج الى برهان بل نعوّل فيه على البيان فصار هذا التاريخ والحالة هذه كالمقدّمة الضرورية لتاريخ المدنية الاسلامية لايسع أحدا من هذه الأمّة اهماله ولاطالب الحكمة جهله فأرجو أيها السادة من محبتكم للوطن الاعتناء بهـذا التاريخ الجليل الذى به أحرز الاسلام قصب السبق فى القرون المتوسطة ونال به فخرا ياله من فخرفـا من أمّة أخذت فى الترقى إلا وأقبلت علىطلب أخبارها واحياء ماندرس من آثارها فاذا أهملتها كان ذلك أظهر شـعارعلى التلاشي والادبار وفيما قلناه كفاية لأولى الأبصار . ثم إن هذا التاريخ يستدعى من طالبه مزيد العناية وطول الاجتهاد وذلك من شروط كل علم * قال الحكيم اليونانى ﴿ العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه لايستنبط إلا بالدأب والتعب والـكدّ والنصب ثم يجب تخليصـه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار ﴾ اه

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد استفدت الآن فوائد لم تـكن فى الحسبان

(١) الأولى . ان تاريخ العلوم تجب قراءته

(٢) الثانية . أن علماء الاسـلام الآن عليهم أن يتموا دراسـة مذاهبالأشاعرة والماتريدية والمعتزلة بقراءة كتب اليونان من استطاع لذلك سبيلا

(٣) الثالثة . أن تلك الثرثرة التى نسمعها فى مصر وغـيرها من قولهم إن فلانا ملحد لأنه قرأ علوم أوروبا باطلة وقبضهم الريح لاهى فى العير ولافى النفير لأنهم هم أنفسهم يقولون ان أهمّ ما يقصـد من الفلسفة وهى الحقائق العامّة لم تزل على ماهى عليه من القديم الى الحديث فاذن لاحقّ لأهـل العلم فى بلاد الشرق أن تنخلع قلوبهم ويهلعوا ويجبنوا حينما يسمعون الألقاب الضخمة للفلاسـفة المعاصرين وينقل الناس عنهـم الـكفر فتزلزل العـقائد . فالعقل الانسانى قديمـا وحديثا لايزال فى دائرة واحـدة والآراء القديمة هى نفس الحديثة فى مسألة الله والنفس والعقل والعالم الذى نعيش فيه وأنا الآن قد عثرت على كنز ثمين من العلم بهذا المقال الممتع الذى نقلته عن الفيلسوف التليانى

(٤) الرابعة . ان قوله تعالى ــ فاسألوا أهل الذكر ــ الخ قد فتح لنا أبواب العلوم على مصراعيها وهو الذى به أزهرت المدنية الاسلامية وتبعتها المدنية الحاضرة . كل ذلك بسر القرآن

(٥) الخامسة . ان فكرة الالحاد المنتشرة بين بعض المتعلمين فى مصر وغيرها من بلاد الشرق . انما يريد هؤلاء المدّعون أن يظهروا للناس انهم أعلم من جميع المسلمين . والدليل على ذلك انهم نبذوا علوم المسلمين وعلوم دينهم وذلك يتخذونه سترا لجهلهم والشعوب الشرقية الآن فى مبدا التطوّر . فهذه الثرثرة قد يغترّ بها بعض الرؤساء لجهلهم بتلك العلوم ولكن الشرق آخذ فى الاستيقاظ * قال الشاعر

وكاذب الفجر يبدو قبل صادقه * وأوّل الغيث قطر ثم ينسكب

وهؤلاء المدّعون سيعرفهم الناس عاجلا أوآجلا وتنقرض هذه الطائفة ويحل محلها الفلاسفة الحقيقيون والحكماء كما كان المسلمون فى أعصر الاسلام الزاهرة . فقلت ان هـذا الاستنتاج هوالذى فى نفسى وهذه الآراء التى فى هذا المقال هى من سرّ قوله تعالى ــ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وماأوتيتم من العلم إلا قليلا ــ

فنحن فى الأرض وجميع علمائها قديما وحـديثا لايزالون أطفالا فى أصـل العالم والحقائق والنفس التى ذكرها القرآن والحمد لله ربّ العالمين . انتهى الكلام على تفسير القسم الأوّل من السورة

﴿ القِسْمُ الثّانِي ﴾

وَقالَ ٱللهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِـدٌ فَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ ما فى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللهِ تَتَّقُونَ * وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ ٱللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فى التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ ما يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلهِ ما يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ * تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَٱللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فى ذٰلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحٰى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا
يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا
إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى
رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ * وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ
اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ *
وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا اللّٰهُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ

لآية لقوم يتفكرون) فيعرفون كيف اتصف النحل بتلك الصناعات الدقيقة والأفعال العجيبة كما ستراه عند الكلام على صنع الشمع وتربية الذرّية قريبا . فمن تفكر فى هذا وأمثاله ازداد عقله وارتقت مدنيته ثم عرف الله (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يردّ) يعاد (الى أرذل العمر) أخسه وأضعفه وهو الهرم الذى يشابه الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (إنّ الله عليم) بمقادير الأعمار (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون أرزاقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك (فما الذين فضلوا برادّى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ماملكت أيمانهم) على مماليكهم حتى يستووا فيه هم وعبيدهم (فهم فيه سواء) متساوون . والمعنى أن الله جعل الناس متفاوتين فى الرزق كالموالى والعبيد وقد جرت العادة أن المولى لايجعل عبده مساويا له فى الرزق بل هو أبقى السلطان لنفسه والاعتلاء . واذا كان هذا طبعكم مع عبيدكم وأنتم مخلوقون فكيف ترضون أن يكون لى شركاء فى ملكى . فلقد رضيتم لى بأخسّ الأمرين البنات وشركة العبيد فى الالوهية معى وأنتم لابنات ترضون ولاشركاء تبغون (أفبنعمة الله يجحدون) الاستفهام انكارى أنكر عليهم أن يجحدوا نعمة الله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم لتأنسوا بها وليكون أولادكم مثلكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه مافى القنوت ﴿ نسعى ونحفد ﴾

ولما كان كل من البنات وأزواج البنات وذرّية الزوجة من غير الرجل المعبر عنهم بالربائب وأبناء أبناء الرجل وابناء بنات الرجل . لما كان كل من هذه الأنواع الخمسة يخدمون الرجل ويعينونه عادة فى مصالحه دخلوا جميعا فى معنى الحفدة فجعل الله الزوجة سببا لهؤلاء الخمسة (ورزقكم من الطيبات) من النعم التى أنعم الله بها عليكم من الثمار والحبوب والحيوان والمستلذات من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) أى بالأصنام وبالشيطان (وبنعمة الله هم يكفرون) فيضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره (مالايملك لهم رزقا) هى الأصنام (شيأ) بدل من ــ رزقا ــ والرزق بمعنى المرزوق وهو نفس المطاعم والملابس وغيرها ولفظ ــ شيأ ــ المبدلة منه يدل على القلة ومن السموات والأرض صفة لرزقا . فهذه الأصنام لاتملك قليلا من الرزق الكائن فى السموات والأرض (ولايستطيعون) أن يملكوه وعبر بالواو هنا على معنى الآلهة وقال أوّلا ــ لايملك ــ على اللفظ (فلاتضربوا لله الأمثال) فلاتجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له أى فلاتجعلوا له شركاء (إنّ الله يعلم) أنه لامثل له من الخلق (وأنتم لاتعلمون) ذلك أو يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون كيف تضربونها وضرب المثل تشبيه حال بحال ثم ضرب مثلين فقال فى أوّلهما (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى مثلكم فى اشراككم بالله الأوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حرّ مالك قدرزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء . ولما كان العبد يشمل الرقيق والحرّ لأنهم عبيد الله قيده بالمملوك (هل يستوون) أى لايستوى القبيلان (الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون) أن الحمد لله لا لهذه الأصنام وقال فى ثانيهما (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ) الى قوله ــ وهو على صراط مستقيم ــ أى بين الله صفة رجلين الأبكم الذى لايحسن الكلام وهذا البكم إما ناشئ عن صمم خلقى واما لعلة غير الصمم مع أنه لاعلة له فى أذنيه فهو يسمع ولكن لسانه معتلّ وعليه فكل من ولد غير سميع أبكم لأن الكلام بعد السماع ولاسماع له وليس كل أبكم يكون أصمّ صمما طبيعيا فبعض البكم لا يكونون صما هذا تحقيق المقام (وهو كلّ على مولاه) أى ثقيل على من يلى أمره ويعوله (أينما يوجهه لايأت بخير) حينما يرسله ويصرفه فى طلب حاجة أوكفاية مهم لايأت بنجح لأنه عاجز لايفهم ولا يفهم (هل يستوى هو) أى من هذه صفته الذميمة (ومن يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الحواس عاقل ينفع نفسه وينفع غيره يأمر الناس بالعدل (وهو) نفسه (على

صراط

صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وليس يتمكن من الأمر بالعدل إلا المستقيم السيرة وهذا المثل الثانى ضربه الله لنفسه وللأصنام لابطال المشاركة بينها و بينه (ولله غيب السموات والأرض) يختص به علم ماغاب فيهما عن العباد ومنه يوم القيامة (وما أمر) قيام الساعة فى سرعتــه وسهولته (إلا كلمح البصر) إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها (أوهوأقرب) أى أوأمرها أقرب منه فيكون فى زمان ربع أوثمن تلك الحركة أوأوّل تحريكها لانه بكلمة كن (إنّ الله على كل شئ قدير) فكما قدر على إحياء الخلائق دفعة قدر على إحيائهم متدرّجا ثم أخذ يصف ذلك فقال (والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لاتعلمون شيأ) أى غير عالمين شيأ (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أى القلوب تعقلون بها (لعلكم تشكرون) أى أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها فى شكر من أنعم بها عليكم (مسخرات) مذللات (فى جوّ السماء) الجوّ الفضاء الواسع بين السماء والأرض (مايمسكهنّ إلا الله) فى حال قبضها أجنحتها و بسطها واصطفافها فى الهواء (إنّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وتلك الآيات كتسخير الطير للطيران وخلق الجوّ الذى تطير فيه وامساكها فى الهواء (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه فى الاقامة كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) هى القباب المتخذة من الادم ومن الوبر ومن الصوف والشعر فهى نابتة على الجلود (تستخفونها) تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (و يوم اقامتكم) أى وتخفّ عليكم فى اقامتكم وحضركم فهى لاتثقل عليكم فى الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الضمير للأنعام أى ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاثا) الأثاث متاع البيت الكبير من فرش وأغطية وأكسية من أثّ اذا كثر وتكاثف و يقال للمال أثاث اذا كثر (ومتاعا) أى ماتمتعون به (الى حين) الى حين أن يبلى أوتقضوا أوطاركم منه أو الى مماتكم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والأبنية وغيرها (ظلالا) تستظلون بها من حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة جمع كنّ (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وما أشبه ذلك (تقيكم الحرّ) أى والبرد وخصّ الأوّل بالذكر لأن وقاية الحرّ كانت ألزم لهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) أى الدروع والسربال يعم كل لباس (كذلك يتمّ نعمته عليكم) أى كاتمام هذه النعمة التى تقدّمت (لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمه فتؤمنون وتنقادون لحكمه (فان تولوا) أى أعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) أى فلايضرّك فانما عليك البلاغ فأقام السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) أى يعرف المشركون نعمة الله كالتى عدّدها و يعترفون بأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم وقولهم ان الأصنام تشفع لهم (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا . ومن النعم هذا القرآن ونبوّة محمد ﷺ (و يوم نبعث من كل أمّة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار إذ لاعذر لهم (ولاهم يستعتبون) يسترضون من العتبى وهى الرضا (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلايخفف عنهم) أى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التى سموها شركاء أوالشياطين الذين أغروهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعومن دونك) نعبدهم وهواعتراف بأنهم كانوا فى ضلال (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى أجابتهم الأوثان بالتكذيب وأنهم ماعبدوهم حقيقة وماعبدوا إلا أهواءهم (وألقوا الى الله يومئذ السلم) أى ألقى الذين ظلموا الاستسلام لحكم الله بعد الاستكبار فى الدنيا (وضلّ عنهم) ضاع و بطل (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم ينصرونهم و يشفعون لهم حين كذبوهم وتبرّؤا منهم (الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدّهم عن سبيل الله (فوق العذاب) بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أى بكونهم مفسدين بصدّهم واذكر (يوم نبعث فى كل أمّة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم فان نبيّ كل

أمة يبعث منهم (وجئنا بك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك . ثم استأنف فقال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بيانا بليغا (لكل شئ) من أمور الدين تفصيلا تارة واجمالا أخرى (وهدى ورحمة) لجميع الناس ويحرم منه المقصرون (و بشرى للمسلمين) خاصة . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى

﴿ التفسير المعنوى ﴾

تبين فى آخر القسم الأول تفسير قوله تعالى ـ أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة ـ الى قوله ـ ويفعلون مايؤمرون ـ فلنعد القول فيه ليكون توطئة وصلة لما سنذكره بعده من تفسير هذا القسم حتى تكون المناسبة ظاهرة فأقول

ذكر الله سجود الأجسام لله وتسخيرها بارادته وقهره طوعا أوكرها وجاء فى آية أخرى ما أفاد أن الله قال للسموات والأرض ـ إئتيا طوعا أوكرها قالت أتينا طائعين ـ فالعالم من أعلاه الى أدناه مطيع لله مقهور حتى ان الكافر به مسخر مقهور كما سخر الشمس والقمر والنجوم والجبال فكل ساجد ومطيع طاعة تسخير فاذا كانت الأجسام خاضعة ساجدة تبعتها ظلالها فتراها ساجدة سجود التسخير تبع الأجسام وهى لاصقة بالأرض لصوق جبهة المصلى بها بل هى أكثر التصاقا وأطول سجودا وأدوم عملا ولذلك نص على الظلال وأكثر من ذكر سجودها فى القرآن وقد وضح ذلك فى سورة الرعد أيما ايضاح . ولما أن ذكر سجود الظلال أتبعها بذكر الدواب فى السموات والأرض . وقد بينا غير مرة أن الأراضى قد تبلغ ٣٠٠ مليون وقد تكون أكثر على مايظن فى العلم الحديث والنظام الالهى . ومن المظنون أن يكون فيها دواب فهذه الدواب وهى كل مايدب تشمل ما كان من العقلاء فيها كالانسان على الأرض . فكل هؤلاء ساجدون مطيعون لله تسخيرا كالجماد وعبادة أى من كان منها عاقلا كالانسان . ولاجرم أن الحيوانات قد اتجهت رؤسها الى الأمام فتراها ذاهبة آيبة ورؤسها ممتدة فهى أشبه بالراكعة والركوع يقرب من السجود بحسب شكله وهو خضوع بحسب معناه . فأما النبات فان رؤسه ساجدة لأنها مغروسة فرؤس النبات منها يستمد قوته وغذاءه وهى التى تجذبه الى الساق والورق والأغصان . ولاجرم أن الانسان نبات مقلوب فرأس النبات أسفل ورأس الانسان أعلى فالنبات ساجد بحسب جبلته كما أن الملائكة جميعا ساجدون مطيعون بجبلتهم . ولما كانت رؤس الانسان قد رفعت من الطين واستوت الى أعلى أمر بالسجود ليخضع كما خضع الحيوان والنبات وليتذكر أنه ليس مستغنيا ولامستقلا عن هذا النظام العام بل هو متصل به مستمد منه فيقول فى السجود ﴿ خشع لك سمعى و بصرى ومخى وعظامى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ﴾

وكما ذكر الدواب بعد الظلال ذكر الملائكة بعد الدواب ففيه ارتقاء من أدنى الى أعلى . هكذا الأجسام التى لها ظل فالظلال فالدواب فالملائكة أى ما لاروح له من الأجسام ثم ماله روح وجسم ثم ما كان روحا صرفة صافية خالية من أحوال المادة ثم أردف الملائكة بقوله ـ وهم لايستكبرون ـ أى ليس خلوصهم من المادة يعطيهم عظمة . كلا بل هم لقربهم من الله يعرفون جلاله وجماله فهم منه خائفون ومن قرب من الملك كان أخوف الناس منه ومن عشق الجمال خاف من صد وهجران بل ربما قتل نفسه اذا منع الجميل ابتسامه أوغض عنه الطرف فقد ذكرنا فى هذا التفسير فى سورة البقرة أن هناك جمالا قد استمد منه كل جمال كما أن تلك العظمة تستمد منها كل عظمة . الى هنا قد انتهى الترقى فى المعارج من أجسام وظلال الى دواب الى ملائكة . ثم جاء بعدها

﴿ ـ وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين ـ ﴾

هنالك استوى على العرش فهذا هو العرش والملك وأخذ يخاطب من تحته و يلقى الأوامر الى من هم

اسفل

أسفل من الثقلين وخضعت الأجسام وظلالها والدّواب فالملائكة واستوى الله على العرش وخاطب قائلا إيا كم أن تتخذوا إلهين . وكيف تكون الاثنينة وقد رأيتم التسخيرواحدا فالمسخر واحـد والنظام متكامل . واذا وجدتم الحيوان والجماد والنبات وكل ماترونه ساجدا خاضعا فكيف لاتسجدون واذا سجد الملائكة الذين لم تروهم وانما رأيتم سجود آثارهم على الأرض من المخلوقات التي هم عاملون فيها فكيف لا تسجدون فليرهبكم ذلك ولتكونوا وجلين خائفين كما خافوا هم

﴿ ـ وله مافى السموات والأرض ـ ﴾

ثم أخذ يذكر ملكه فأبان أن له مافى السموات والأرض والطاعة له دائمة . ولما كان وجود مافى السموات والأرض لا يكفى للدلالة على وصول الآثار لنا أعقبه بأن كل نعمة واصلة اليكم فهى منه فهو بعد أن ذكرالنعم العامّة أتبعها بالخاصة والخاصة ﴿ قسمان ﴾ قسم ايجابى وقسم سلبى . فالايجابى مايسدى الينا من الأقوات والملابس و بقية النعم . والسلبى مايسلب عنا من الضرّ والمرض والغم فذكرالأوّل قائلا ـ وما بكم من نعمة فمن الله ـ وذكر الثانى قائلا ـ ثم اذا مسكم الضرّ فاليه تجأرون ـ ثم أتبعه بالتوبيخ على نكران النعمة بعد حصولها كأنه يقول ﴿ دوام النعمة ينسيكم المنعم ﴾ فهاأنا ذا أعطيت المرض والشفاء والفقر والغنى والعزّ والذلّ والموت والحياة وكنت قادرا أن أجعلكم أغنياء أصحاء كاملين من أوّل خلقكم كما كانت الملائكة ولكن لم أفعل ذلك لأنى لو بسطت الرزق لكم لبغيتم فى الأرض ونسيتم نعمتى عليكم فلذلك أتبعت كل نعمة بنقمة وكل صحة بمرض . وهكذا جعلت جهلا وعلما وصغرا وكبرا . كل ذلك لتعرفوا ولتعلموا و بغير هذا مستحيل أن تدركوا شيأ لأن الطباع فى أرضكم هذه هكذاخلقت ومع ذلك أراكم اذا مسكم الضرّ ودعوتمونى وأجبتكم ترجعون بعد الصحة والغنى والقوّة تنكرون نعمتى عليكم وهذا قوله ـ ثم اذا مسكم ـ الى قوله ـ اذا فريق منكم بربهم يشركون ـ

وهذه الخصلة عامّة فى نوع الانسان لأن الانسان يرجع بعد الفقر و بعد المرض (وقد جاء الغنى والصحة) الى ماكان عليه من أخلاقه وأطواره فاذن يجب اصلاحه بطرق تهذيبية علمية . وهـذا وان كان واردا فى الكفار فان كل مايرد فيهم له نظير فى المؤمن . وهذا القول تبيان لطباع الناس والا فأىّ فائدة لقراءته اذا لم يكن هناك لنا به علاقة فالحق ان من الناس من هـم كالمجبولين على النسيان ونكران النعمة التى سبقها نقمة فليس نسيان النعمة خاصا بالكافر . كلا . أفلاترى أن المريض الذى حلّ به المرض بسبب تعاطى ﴿ التبغ ﴾ وهو يدخنه كل صباح وكل مساء اذا شفاه الله منه بدواء وقال له الطبيب احذر تعاطيه مرة أخرى فانه كثيرا مايرجع الى تعاطيه . أليس هذا كفرا بالنعمة أى نعمة الشفاء بعد المرض بل المرض نفسه نعمة

لقد أثبت الأطباء فى (ألمانيا) و (لنمسا) وهـم أكابر أطباء العصر الحاضر أن الرجـل الذى يتعاطى اللحم أوالبيض أواللبن وقد أكثر منها كلها أو بعضها يمتلئ جسمه قوّة ومتانة وهوأحمر الوجه قوىّ متين . فمثل هذا لكثرة التغذية يفاجئه أجله بغتة وهولا يشعر . وعللوا ذلك بأن هذه أغذية تامّة التركيب فالاكثار منها يملأ الأنسجة غذاء بحيث لا يكون لتلك الأنسجة راحة . أما الأطعمة المتخذة من النبات فانها تكون لينة على الأنسجة سهلة عليها لاترهقها بأغذية كثيرة فلاتمتلئ امتلاء قتالا يرهق الجسم فيخر صعقا فى يوم أو بعض يوم و يقولون إياك أن تقول إنى رأيت كثيرا من الناس يعيشون وهم أقوياء البنية كرجال الانجليز الذين يكثرون من هذا وهم أقوياء قالوا لأنك اذا رأيت هؤلاء فانما هم من بقايا أولئك الذين ذهبت أرواحهم سدى وأصبحوا ضحايا كثرة الأغذية فلاتحتج بالأحياء فان أضعافهم من أمثالهم أموات . وقالوا أيضا ان الذين لايمرضون هم الضعفاء والذين يمرضون هم الأقوياء لأن القوىّ الجسم الذى لايمرض جسمه لم يقدر أن يخرج مافيه من الزوائد الضارّة . أما الذى تعتريه الأمراض وهوضعيف البنية فهوأقوى من مفتول الساقين

أحرالخدين قوى اليدين فان الأخير يخر صعقا بغتة . أما الأول فجسمه الضعيف ظاهرا قوى باطنا لقدرته على اخراج الأمراض . فالقوى ظاهرا الذى لا يمرض وهو يأكل تلك المآكل أشبه بمن أصابه إمساك فهلاكه قريب . أما ذاك الضعيف ظاهرا فقد نجا من الامساك الضار . وان أردت الزيادة فعليك بكتاب صديقنا الفاضل محمد بك فريد وجدى المسمى ﴿ دستور التغذية ﴾ فلقد ترجم فيه آراء أولئك الأطباء

أفلست ترى أن المرض قد يكون نعمة باطنا نقمة ظاهرا فاذا كشفه الله أصبح الانسان فى نعمة ظاهرا وباطنا . فاذا لم يحفظ النعمتين ولم يرجع عما كان عليه من التخليط فى الطعام والشراب والتمادى فى الشهوات واللذات كتعاطى (التبغ) وقهوة البن والخمر والشاى وما أشبه ذلك فانه قد كفر النعمة لأن الله كشف عنه الضر ولم يفهم حكمة المرض ولم يعرف نعمة الله وأنكرها . ألا لا فرق بين كفر وكفر من حيث النتيجة فنتيجة كفر نعمة الشفاء فى الامور الجسمية ضارة بالأجسام . ونتيجة كفر النعمة فى الامور العلمية العقلية ضارة بالنفوس بعد الموت . وكأن الله جعل هذا داعيا أن نتذكر فى هذه الحياة بل هذه الحياة أقرب لنا ومن عجز عن فهم مانابه من الضراء فى الدنيا فلم يحترس مما يضره فى جسمه فهو عن فهم ما أصابه من الشر فى اعتقاده أعجز . واذا كان المسلمون اليوم قد أصيبوا باضطهاد أوروبا وظلمها لهم وقد مسنا الضر فاذا لم نفكر جميعا ونفهم الدرس الملقى علينا من ربنا فان الله يعذبنا فى الدنيا دائما جزاء كفرنا نعمته وهى التذكير لنا باحتلال الأمم الأجنبية بلادنا كما ذكر المريض أن تخليطه فى الطعام أضر به

واذا كنا أثبتنا أن بعض من يمرض قد اتجهت عناية الله له أكثر ممن لا يمرض وأن الأول غالبا تطول حياته أكثر من الثانى فلنقل هنا ان الأمم الاسلامية قد اتجهت عناية الله لهم لأن أوروبا قد كشرت لهم عن نابها وأذلتهم كما تمرض الأجسام . فهذه نعمة ولو أن أوروبا عاملتهم بالحسنى لكان ذلك أشبه بصحة اجسام الذين فى باطنهم داء دفين فأصبح اذلال أوروبا نعمة علينا لأنه يذكرنا فان لم يذكرنا تمت النقمة وحقت كلمة ربك . واياك أن تظن أن هذا خارج عن الآية فان الضر عام فى الأجساد وفى الأمم فلنقل هذا وليحترس الناس فى جميع أحوالهم . وليحترس المسلمون مما أحاط بهم من السوء ليكونوا ــ خير أمة أخرجت للناس ــ

ههنا قال الله تعالى ــ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ــ . يقول الله للكفار نسيتم الله وقد ذكرتكم بالبأساء وحبوتكم النعماء فلتأكلوا كما تأكل الأنعام تمتعون وتأكلون . هكذا أيها الصحيح الذى شفى من مرضه لا ترجع للتخليط والا فتمتع فهلاكك قريب . ويا أمة الاسلام التى أصابها احتلال بلادها هاهوذا القرآن يذكركم بجميع العلوم فادرسوها وقووا أجسامكم ومدنكم والا فتمتعوا بالحياة الحيوانية فسوف تعلمون مايحل بكم من تألب الأمم عليكم

﴿ فصل فى قوله تعالى ــ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ــ الى قوله ــ ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ــ ﴾

قد علمت أن الملائكة يفعلون مايؤمرون طوعا لا كرها لأنهم مطبوعون على النظام مجبولون على حب الخير . وبعد أن ذكر الملائكة شرع يصف أحوال الناس فذكرهم بالنعمة التى تصل اليهم منه ثم زجرهم على جهلهم بما يتوارد عليهم من الضراء والسراء فيرجعون الى ما كانوا عليه مع أن ذلك لم يقصد منه إلا تربيتهم فهى دروس طبيعية كالدروس العلمية فهى فى الحقيقة علم عملى . فههنا أخذ يكمل الدروس فذكر درس البنات وذلك من ﴿ وجهين * الأول ﴾ ان الناس نسبوا البنات لله ﴿والثانى﴾ انهم هم يكرهونهن وفى هذا المقام أدمج المجادلة بالتى هى أحسن فى الحكمة لأنك قد علمت أن المجادلة للمتوسطين والحكمة للعقلاء فههنا أدمج هذا وذاك وجعلهما فى هذا النمط وبيانه أنه تعالى يقول لهم اذا كنتم من الاناث تتبرمون ومن ولادتهن تجزعون وأنتم مخلوقون . أفما كان من حقكم ومن حسن رأيكم أن تروا أنى أعطى نفسى أفضل مما أعطى

غيرى

غيرى كما تفعلون أنتم إذ تفضلون أنفسكم على مواليكم ولاتتصدّقون إلا بما فضل عن حاجاتكم بل فى دينكم ﴿ إبدأ بنفسك ثم بمن تعول ﴾ واذا كان هـذا من أوامرى أفما كان من حق أن أعطى لنفسى الذكور التى أحبها على مقتضى جبلتكم فكيف عكستم القضية واختصصتم بالذكور استبشارا وخصصتمونى بالاناث ولادة ؟ هذه المجادلة مقبولة معقولة فى الاقناع وافحام الخصم وهذا هو قوله ـ وجادلهم بالتى هى أحسن ـ ثم ساق قصة اسوداد وجوههم اذا بشروا بالأنثى وهم مغتمون الخ

أما الحكمة فى هـذا النمط فاسمع وافرح بما أنعم الله من علم وما أنزل من حكمة بل اقول أعجب من الحكمة والبيان . لما ذكر الله تقصير الناس فى الاعتبار بالنعماء بعد الضراء أخذ يجادلهم بما تقدّم ويريهم أنه أحقّ بالذكران اذا كان الأمر دائرا بين الجنسين والحقيقة أنه منزّه عن ذلك كله فلا بنات ولا أبناء كما هو معلوم و ينطوى فى هذا المقام مسألة حكمية جليلة

﴿ الذكورة والانوثة ﴾

اذا كان الناس يأنفون من البنات ولم يحبوا إلا الذكور وجب أن يكون على مقتضى نظامهم الجاهلى ورأيهم الظاهرى وشهوتهم الحاضرة وهمتهم الفاترة ألايخلق من الناس إلا الذكور . ولما كان الله تعالى يقول ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ وجب أن يكون العالم كله على هذا النمط فيخلق النبات والحيوان الذكران دون الاناث ولوتمّ هذا النظام المعكوس لم يبق على وجـه الأرض من دابة لأن نظامهم متى جرى العمل عليه فسدت هذه الأرض كما قال تعالى ـ ولواتبع الحقّ أهواءهـم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ـ لذلك أعقب حـديث البنات والبنين بآية ـ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ـ بعد أن أبان مثل الذين لايؤمنون بالآخرة وجعله مثل السوء وذكر أن لله المثل الأعلى لأن الذين لايؤمنون بالآخرة يريدون عدم البنات فيفنى الانسان ومثله الحيوان والنبات ليبقى النظام واحدا ـ ولله المثل الأعلى ـ لأنه يريد النظام و بقاء الأنواع فلذلك أوضح هذا بعد ذلك بآية ـ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا الخ ـ

والمراد بالكسب هنا مايشمل الذنوب والجهالات . أما الذنوب فهى ما تقدّم من الكفر بعـد زوال النقمة ومن الرجوع الى العادات فى الطعام والشراب بعد زوال المرض فمن قال له الطبيب ان مرضـك بعدم مضغ الطعام جيدا يزول ففعل ثم لم يمضغ جيدا فعاوده المرض والذى زال فقره بالاقتصاد يرجع فيسرف فيقع فى الفقر كما يفعل الكافر بالله الذى ذهب عنه المرض فيقع فيه كما كان . و يشمل الكسب أيضا الاعتقاد فهؤلاء اعتقدوا أن تربية الولد هى المطلوبة وتبرّموا من الأنثى وهذا الاعتقاد تبعه العمل فوأدوا البنات وفهموا أنهنّ فضيحة فلو يؤاخذ الله الناس على أعمالهم الكفرية والصحية والاسرافية فى المال لأهلكهم بما فعلوه ولم ينعشهم بدواء ولم ينلهم شفاء ولم يرسـل هداة وأنبياء ولم يغنهم بالمال . ولو أنه عاملهم باعتقادهم فى البنات لعمم الأمر فى كل حيوان لأنه ليس هناك تفاوت فالنظام شامل فحينئذ لايخلق من العوالم الثلاثة إلا الذكور ولايمضى سنون معدودة حتى تعدم جميع الدوّاب بل جميع الحيوانات

هذا هو المعنى الحكمى من هذه الآية ـ ولو يؤاخذ الله الناس الخ ـ وهـذا هو الحكمة فى أنها جاءت عقب حديث البنات والتبرّم منهنّ . فهنا يقول الله ـ ولو يؤاخذ الله الناس ـ فذكر للمؤاخذة وفى آية أخرى يقول ـ ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ ـ

فاما هنا فيراد بالمؤاخذة بما يعم الأهواء وهى الغرام بتربية الذكور وحدهم فتعجب من القرآن وتأمّل فى تعبيره أيضا هناك بقوله ـ ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت الخ ـ فجعل الفساد شاملا للسموات والأرض جميعا متى اتبع الحق أهواءهم وكانت الآلهة متعدّدة لأن تعدّد الآلهة ليس الفساد منه قاصرا على الحيوان

والنبات والانسان بل يتعدّاهما الى السموات والأرض لأن الالوهية حاكة على كل شئ فالفساد فيها باختلاف الشركاء يفسدهما فسادا عاما . فأما هنا فانه قال ــ ماترك على ظهرها من دابة ــ فجعل الموت خاصا بالجنس الذى يلد وحده وهو الدواب وقد أتبعناه بالنبات كما هو معلوم . وعندى أن هــذا التعبير هنا والتعبير هناك واحكام الأمر فيهما معجزة وحده فما هــذا الرمز وحبس المعانى وادخالها فى تضاعيف الكلام ومنعها عن النوع البشرى حتى يقرأها قوم فيفهمونها . وما مثل هــذا القرآن فى أحكامه إلا كمثل ماخلقه الله وصنعه بحكمته فانك ترى فى العوالم عجائب أخفاها ثم تظهر للناس فى حينها

ولقد علمت أن الملائكة مطيعون فهم يفعلون مايؤمرون فأما بنو آدم فان شهواتهم تخالف النظام فكما قال فى الملائكة ــ ويفعلون مايؤمرون ــ قال هنا فى الناس ان آراءهم لواتبعت لهلك كل حى

﴿ فحوى الكلام من حيث العمل ﴾

وفحوى هذا القول من حيث العمل أنّ الكمال فى هذا الوجود انما يكون لمن كملت نفوسهم فألفوا النظام ولوأن الناس كانوا أرقى مما هم عليه لاطلعوا على الحقائق وساعدوا على حسن النظام ولفرحوا بالأنثى كما فرحوا بالذكر لأن الجنسين يتمان بعضهما وهذا العالم نظام واحد فلجهلهم النظام حوّلوه الى أغراضهم وهذه منقصة عظمى فى الانسانية . فليكن هذا الانسان أرقى عقلا من كل شئ فليفرح بالموت كما فرح بالحياة وبالمرض كما فرح بالصحة كما مرّ مع معالجة كل حالة بما يناسبها بحيث يكافح المرض ويدافع الفقر بالكسب وهكذا إذ لافرق بين كراهة البنات وكراهة غيرهنّ فان النظام يقتضى ذلك كله

واذا كان الملائكة يفعلون مايؤمرون طوعا فالانسان يفعل مايؤمر به طوعا وكرها فانه مأجور بحسب السنن الطبيعية أن يربى البنات فكرههنّ ومع ذلك سلط عليه الشفقة والقانون المسنون فى الحكومات ونظام البلدان والقضاء أن يحافظ عليهنّ ويربيهنّ ويختار لهنّ الأكفاء فهذا قهر من الله للناس فقد نفذ الأمر كرها كما نفذوه فى الأبناء طوعا وهذا نقص فى الانسانية بل يجب أن تكون القلوب تابعة ومشايعة للنظام العام . أما الشهوات الوقتية فيقال لصاحبها ــ فتمتعوا فسوف تعلمون ــ فيكون الملخص لآية ــ ولو يؤاخذ الله الناس ــ الخ

إن الله يقول أيها الناس انا لا أؤاخذكم بما تصنعون . فالكافر أبقيته الى أمد معلوم ثم أحاسبه بعد الموت ولا أعجل بهلاكه والمسرف فى صحته وماله أوأهمل العمل فانى أتحت له الفرص بالانذار بعد الانذار عسى أن يرجع الى الصواب . والذين يكرهون الاناث لم أجازهم على آرائهم لأنى لا أتبع الأهواء فى نظامى ولذلك قهرتهم فربوا البنات ولم أمنع ولادتهنّ . ومتى حلّ الأجل لأى واحد من هؤلاء لم يؤخر ساعة ولم يقدّم . إذن الله منزّه والملائكة مطيعون والناس يضلون والله حليم غفور . وأما آية ــ ويجعلون لله ما يكرهون ــ الى قوله ــ وانهم مفرطون ــ فواضحة . وقوله ــ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك ــ الى قوله ــ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ــ فانه يقول أرسلت الى الأمم السابقة أنبياءهم فزين الشيطان الى اتباعهم الباطل وتولى قوما اليوم كما تولى من قبلهم من الأمم فأصبح وليهم وانما أنزلنا عليك الكتاب لتبين لهم المواعظ والأحكام كالذى تقدّم وغيره

ولما كان القول السابق فيه الموعظة الحسنة وفيه الحكمة كما قدّمناه والحكمة تليق لأولى الألباب أخذ يصف عجائب السماء والأرض وهى الحكمة الحقيقية المرقية للعقول فقال ــ والله أنزل من السماء ماء ــ الى قوله ــ فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين ــ ولنفصل القول فى هذا المقام من وجوه

﴿ الوجه الاوّل ﴾ فى قوله تعالى ــ من بين فرث ودم لبنا خالصا ــ الخ

﴿ الوجه الثانى ﴾ فى وصف الحيوان

الوجه

﴿ الوجه الثالث ﴾ في اختلاف الحيوان في الحركات وغير ذلك

﴿ الوجه الرابع ﴾ في قوله تعالى — وانظر الى حمارك — ووجوب علم التشريح . وفي وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر

﴿ الوجه الخامس ﴾ في وصف أعضاء الحيوان وأن منها الخادم والمخدوم

﴿ الوجه السادس ﴾ في الطير

﴿ الوجه السابع ﴾ في أن الطير مختصر من حيوانات البرّ كالانعام وفي تربية الطيور لأولادها

﴿ الوجه الثامن ﴾ في تقسيم الحيوان الى ﴿ قسمين ﴾ مستقل وغير مستقل وان هذا كتاب كتبه الله بيده وانه حجبه عن أكثر الناس

﴿ الوجه التاسع ﴾ في الحشرات كالنحل والعنكبوت

﴿ الوجه العاشر ﴾ في الظلال وماعطف عليها

﴿ الوجه الأوّل في قوله تعالى — من بين فرث ودم لبنا خالصا — الخ وفي بعض الوجه السابع وهو أن الطيور مختصرة من الحيوانات البرّية كالأنعام ﴾

اعلم أن الحيوانات منها ماهي تامّة الخلقة ومنها مختصرة من التامّة ومنها ناقصة . فالأنعام والبهائم والسباع والوحوش أكمل بنية وأتمّ نظاما من الطيور والجوارح وكأن هذين قد جعلا مختصرين من الأربعة الاول ولوأنك نظرت الى الطير صافات في جوّ السماء خيل لك انها صورة مصغرة من البقر والجاموس اذا كنت من الناظرين في علم الطبيعة بعقولهم لامقتصرين على حواسهم . فاذا رأيت (أبا قردان) وهو يأكل الدود في الأرض المصرية أيام فيضان النيل والجاموس يرعى في مرعاه لرأيت للجاموس أسنانا وآذانا طاهرة ومعدة وكرشا ومثانة وخرزات ظهر وجلدا ثخينا وشعرا كما كان للغنم صوف وللابل وبر . وهو يتزوّج ويحمل ويلد ويرضع أولاده ويربيها . أما (أبوقردان) مثلا وسائر الطيور فانها مختصرة من الحيوان البرى المذكور فليس للطير أسنان ولا آذان بينة ولامعدة ولا كرش ولامثانة ولاخرزات ظهر ولاجلد ثخين ولا على أبدانها شعر ولاصوف ولاوبر

حيوان البرّ . المبدل منه	الطير البدل
(١) الأسنان	المنقار
(٢) المعدة	الحوصلة
(٣) الكرش	القانصة
(٤) الجلد الثخين والشعر وما أشبهه	الريش

فهذا الريش جعل لباسا لها ودثارا يقيها الحرّ والبرد وهو غطاء ووطاء ووقاية من الآفات العارضة وهو فوق ذلك يعينها على النهوض والطيران

(٥) الحمل والولادة والارضاع	البيض والحضن وتربية الأفراخ

فانظر كيف جعلت مناقيرها مدببة بخلاف حيوان البرّ عريض الوجه فيسهل على الطير اختراق الهواء في طيرانه كما يجعل مقدم السفينة حادا فتشق الماء بحيزومها شقا فلو كان مقدم الطيور عريضا لعارضها الهواء في سرعة طيرانها فعاقها عن سبلها . وجعل للطيور بدل الولادة والارضاع أن تبيض وتربي أفراخها في أعشاشها لأن الحمل يعوقها عن الطيران في سبيلها ولاتكلف فوق طاقتها من الارضاع الذي يوجب أن يحال الطعام في أجسامها الى دم فلبن وهذا مما يثقل عليها وهي في جوّها . فهذا معنى قول العلماء ان الطيور مختصرة من حيوان البرّ . فأنت ترى أن الجاموس الذي يأكل العشب له فم واسع به يتمكن من القبض على

الحشيش والكلأ فى المرعى وأسنانه الحادّة يقطع بها وأضراسه الصلاب يطحن بها ماصلب من العشب والحب والورق والقشر والنوى ولها مرىء واسع تزدرد به ماتمضغه وكروش واسعة تملؤها وتحمل فيها زادها كالزكائب والحقائب للانسان . فاذا رجع الى أماكنه استراح واجتر واسترجع مابلعه ثم طحنه ثانيا و بلعه وازدرده فى مواضع أخرى من كروشه فالكروش الأولى مهيئة للحمل والثانية مهيئة لطبخ الطعام بالحرارة الغريزية فتنضجه حتى تستمرئه الطبيعة وتميز ثقيله من خفيفه ثم يدفع الثقل الى الامعاء والمصارين ويخرج من المواضيع المعدّة للاخراج فأما اللطيف الصافى فانه يذهب للكبد فيطبخ ثانيا هناك و يصفى و يذهب عكره فى الطحال وتأخذ المرارة ماخف منه والكليتان الماء والعروق تجتذب الدم الصافى فتوصله الى أقاصى الجسم لتعطيه بدل ماتحلل منه فان أبدان الحيوان كلها دائما فى السيلان والذوبان من أسباب داخلة وأخرى خارجة

﴿ صورة أحشاء الطيور ﴾

هاك صورة أحشاء الطيور وأحشاء الحيوانات المجترّة كالغزال والبقر والجاموس والمعز وأحشاء الانسان فترى أمامك فى الصورة الأولى التى هى القناة الهضمية لأمثال الدجاج الجزء المشار له بحرف (ا) يصور لك المرىء الذى يمرّ فيه الطعام ثم ينزل منه الى الحوصلة . حرف (ب) و يمتزج الحب بماء مفرز فيعطن و يلين ثم ينتقل الى حرف (س) فى تجويف يفرز سائلا حامضا يؤثر فى المأكول . ثم يتجه الى كيس متين قوى غليظ له غشاء يشبه القرن فى قوامه وهو القانصة (د) فيؤثر فى الحب و يطحنه طحنا و يعينه على ذلك ماالتقطه الطير من الرمال والحصوات فيصير الطعام قطعة واحدة لزجة ثم ينتهى الى الامعاء وهى المصارين وهناك تقابله العصارة المعوية وهى التى تفرز الفضول وتعاون على امتصاص المواد المغذية (انظر شكل القناة الهضمية للطيور شكل ١٧)

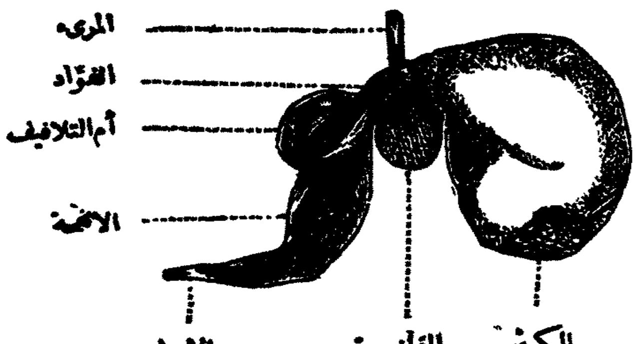


(شكل ١٧)

أما فى أمثال الجمال والغزلان والبقر والمعز فانها لها أربع معدات مسميات بالأسماء المختلفة وقد شرحناها فى سورة الأنعام ونعيد رسمها هنا تكميلا للمقام . فهذه المعدات الأربع التى تراها أمامك جعلت هكذا . منها واحدة لتخزن الطعام لأن الحيوان اذا أخذ يرعى فانه لامحالة إما أن يسابق غيره فى الرعى واما أن يخاف من السباع المفترسة فاذن يحتاج الى مخزن يخزن فيه حتى اذا استراح فى مربضه أخذ يجتره ثانيا و يمضغه جيدا بعد أن يكون قد عطن بالعصارة فى المخزن الأوّل . فاذا مضغه جيدا أنزله الى المعدة الثانية وهناك يقابل الماء الذى يشربه ثم يمرّ بالثالثة فالرابعة فتتلقاه عصارة قوية شديدة الفعل فتؤثر تأثيرا شديدا . ثم ينتقل الطعام الى الامعاء . ثم ان الغذاء تصطفى منه القوى النفسية العناصر المغذية فى المعدة والامعاء لتسير مع الدم لمنفعة الجسم ومابقى يفرز الى الخارج وهذه صورة أحشاء الحيوانات المجترة (شكل ١٨)

ان

ان طعام الانسان يمرّ فى المرىء (ا) وهو المتصل من الفم الى المعدة ثم المعدة حرف (ب) ثم المعى الدقاق حرف (ل) وهو ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ الاثنا عشرى والصائم واللفائفى والأوّل قصير جدّا والثانى نحو (٨) أقدام والثالث (١٢) قدما ثم المعى الغليظ حرف (م) وهو ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ الأعور والقولون والمستقيم والقولون المذكور صاعد ومستعرض ونازل والقولون بأقسامه الثلاثة هو أكبر أقسام المعى الغليظ



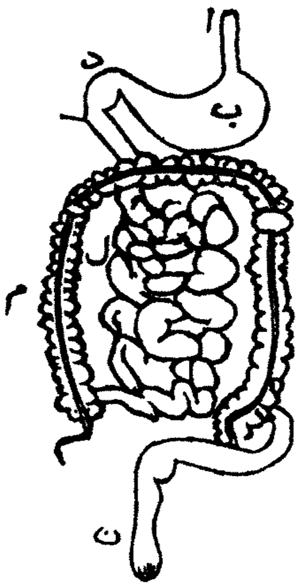
(شكل ١٨ – صورة أحشاء الحيوانات المجترة)

﴿ نظام الهضم فى المعدة والامعاء ﴾

يخيل للانسان أول وهلة أن هضم الطعام أمر عادى لاسرّ له ولامساعد وكأنه المطبوخ فى القدور تؤثر فيه الحرارة فينضج وليس كذلك . إن الطعام يمضغ أوّلا ثم يمرّ فى المرىء ثم المعدة ثم الامعاء فهناك يقابله عصارات تحلله تحليلا كيميائيا . فاذا رأينا الأسنان تمزقه وتطحنه فليس ذلك كافيا . كلا بل هناك عصارة فى الفم تتدخل فى أجزائه وعلى مقدار جودة المضغ يكون تدخل تلك العصارة ثم تقابله فى المعدة العصارة المعدية ثم الصفراء التى تصبّ فى رأس المعى ثم عصارة البنكرياس وهى تصب بقرب مصب الصفراء ثم العصارة المعوية وهى عصارة الامعاء . فهذه العصارات الخمس تؤثر فى الطعام تأثيرا قويا ويساعدها حركات المعدة والامعاء العضلية ومضغ الاسنان (انظر شكل ١٩ القناة الهضمية للانسان)

﴿ نظرة عامّة فى القنوات الهضمية وهى الدائرة الغذائية فى هذه الأنواع الثلاثة وفى سير أغذيتها ﴾

ألا تتعجب معى من التنوّع والحكمة والقدرة . غذاء يسير لتغذية الحيوان نراه يتنوّع تنوّعا بحكمة ويعطى كل حيوان بقدره . انظر الأسنان فى الانسان قد حرمها الطير . لا أسنان للطيور . إن للطير مناقير وهذه المناقير محدبة . لماذا . لتخترق الهواء الجوّى إذ لو كانت مناقير عريضة كوجه الانسان وذوات الأربع لعارضه الهواء فى طيرانه فعاقه عن المسير . إذن فم الطائر لايصلح للأسنان فكيف يهضم طعامه . فانظر ماذا جرى . جعل الله أسنانه فى القونصة ولكن أين الأسنان هناك . هناك حبوب الرمل والحصى هذه الحصوات القوية التى لودخلت معدة الانسان لأضرت بها . ههنا تكون أقوى مساعد على تمزيق الطعام . فانظر كيف أعطى الانسان أسنانا فى فمه وأعطيت دجاجته وضاعنها رملا تلتقطه فيساعد على الهضم وجعلت



(شكل ١٩)

القانصة قوية متينة لذلك . ثم تنظر فترى الحيوانات المجترة اعطيت (بدل الأسنان فى الانسان والحصوات فى قانصات الطير) أربع معدات تساعدها فى الهضم فالمعدات الكثيرة أعطيت لذوات الأربع لتؤدّى وظيفة الهضم لأن طعامها عسر الهضم فهذه المعدات قامت مقام الطحن والخبز والعجن وما أشبه ذلك . فالانسان يطحنه وخبزه وشيه وطهيه والمجترات بمعداتها الأربع كل أعطى ماهو أهل له . أنا أرى الآن أنك

وقفت على ماظهر من حكمة هـذه النظم المختلفة . أفلاترى أن النتيجة واحدة وانما اختلفت الطرق . النتيجة حياة الحيوان والطرق تنوّعت بتنوّع الحيوان . فهذا بحصاه ورمله . وهذا بطبخه وعجنه . وهذا بعداته المختلفة . عجب هذا الوجود تراه كله بقدر . ترى الوحدة ظاهرة فيه . اختـلاف فى المقدّمات واتفاق فى النتائج بل اتفاق أيضا فى المبدأ أيضافان الحيوانات كلهامن خلايامتجانسة ثم تنوّعت فى أشكالها حين تركبت . افلست ترى أن هذا هوعلم التوحيد . إن هذه المسألة لا تفارق غيرها من مسائل هذه الدنيا ففى الفلك وفى المعدن وفى النبات وفى الحيوان وفى الانسان ترى هذا النظام سائدا . اختلاف فاتفاق

أليس هذا هو علم التوحيد بعينه . هذا هودين الاسلام . دين الاسلام هومانبينه فى هذا التفسير . بمثل هذا فليدرس المسلمون علوم التوحيد . إن علوم التوحيد هى علوم النبات والحيوان والمعادن والفلك والعلوم الرياضية . هذه العلوم تدرس فى المدارس الاسلامية فتقوم بها المدنيـة و يرتقى الشعب وفى الوقت نفسه يكونون قـد درسوا علم معرفة الله تعالى . فبينماهم يقومون بنظام مدنهم اذاهـم قد عرفوا ربهـم وشكروه شكرا علميا كالذى ذكرناه وشكرا عمليا بما يستنبطون من الأعمـال النافعة فى الحياة و يخدمون نوع الانسان لا المسلمين وحدهم . إن المسلم جاء الى الأرض ليكون نورا يستضاء به لا أن يكون عالة على الفرنجة . المسلمون الآن عالة جدّا على الفرنجة . اللهم إنى أبرأ اليك من التقصير . اللهم إنى أعلم انك ستسألنى وستسأل كل قارئ لهذا الـكتاب . أما أنا فـاذا أفعـل . كتبت ما أقدرتنى عليه وسيقرؤه من يقدر أن ينوّع فى النشر والتعليم وهو مسؤل كما انى مسؤل . اللهم إنك أنت المعـين فأعن المجـدّين من المسلمين على العلم والعمل كما أعنتنى على نشر هذا الـكتاب ـ وأنّ الله لمع المحسنين ـ

﴿ التناسل ﴾

ثم ان تلك الموادّ التى فى أبدان الذكران والاناث اذا فضل منها شئ لم يترك عبثا كالم يترك الروث والفضلات عبثا . فالفضـلات تـكون سمادا للزرع فيأكل منه الانسان والحيوان وفضلات الدم الغريزى فى الحيوان ذكرانه واناثه جعلت لها أوعية ومجار فى أبدانهما فيجرى من الأصلاب الى الأرحام و ينضاف اليه ما ينفصل من أبدان الاناث من الرطوبات المشاكلة لها وتجتمع و يخلق منها مثل أحد الزوجين . وهكذا يتكوّن من الدم العظام والعضلات والأوتار والأعصاب . فـكل هذه تتغذى منه . ومن الدم أيضا تـكون السوائل التى تفرز كالريق فى الفم وكالبنكرياس فى المعـدة لهضم الغذاء هضما ثانيا فان هناك غددا فى الجسم تفرز هذه السوائل ومن أهمّ هذه السوائل

﴿ اللبن ﴾

وهوعما يتـكوّن بحال مخصوصة من الدم الجارى فى العروق و يرسل من محل تـكوّنه الى الضرع والثدى فيرضعه الولد . ولما كان اللبن بين الفخذين فى الأنعام وكان الدم فى سائر البدن جاريا فى الأوراد والشرايين وكان الفرث فى الامعاء قد دفعته المعدة اليها بعد جذب العروق لخلاصة الطعام فـكانت دما

جاء فى الآية ـ من بين فرث ودم لبنا خالصا ـ فالبينية باعتبار المـكان أما كون الدم محيطا به فظاهر وأما كون الفرث فى جانب منه فهذا مفهوم لأن الامعاء فى مؤخر الجسم والدم فى سائر البدن فهو بينهما من حيث المـكان وكل فى وعائه . فلا الفرث يختلط باللبن لأن لـكل مكانه الذى خلق فيه ولا الدم بداخل فى الضرع بدل اللبن لأن شرايينه وأوردته المحيطة بالضرع لا يفلت منها فهذا معنى آخر للآية وبهذا انتهى الـكلام على الحيوانات التامّة الخلقة والمختصرة منها فلنتـكلم على الحيوانات الناقصة الخلقة ومنها الدودة التى ذكرناها فى مثال الجاموسة وأبى قردان والدود وهو

الحشرات

﴿ الحشرات ونحوها ﴾

هذا القسم لايعيش سنة كاملة لأن الحرّ والبردالمفرطين يهلـكانه وأجسامه متخلخلة المسام وليس له جلد ثخين ولاصـدف ولاعظام ولاطحال ولامرارة ولا كلية ولامثانة ولا استنشاق الهواء لترويح الحرارة الغريزية لأنها غارقة فى النسيم يتخللها من خروق جسمها و يصل الى سائر بدنها لأن جثتها صغيرة ومسامها مفتحة . فاما الحيوانات الـكبيرة فى القسم الأوّل وما ألحق بها فان جلودها ولحومها وغشاواتها وعروقها وأعصابها وعظامها المصمتة والمجوّفة وأضلاعها ومصارينها وأمعاءها وطحلها وكروشها ومعدتها وقلوبها ورئاتها وكلاها ومثاناتها وجوف رؤسها وأشعارها وأوبارها وأصوافها وريشها وصـدفها . كل ذلك يمنع وصول الهواء الى عمق أبدانها وترويح الحرارة الغريزية فيها فجعل لبعضها رئة وحلقوم ومجار للنفس حتى يصل نسيم الهواء الى عمق أبدانها ومحابس قعر أبدانها ويروح الحرارة الغريزية فيها ويحفظ الحياة عليها . هـذا اذا كانت فى الهواء فأما اذا كانت فى الماء فانها ركبت أبدانها تركيبا بحيث يصل برد الماء ورطوبته الى قعر أبدانها هـذا ما قاله القدماء . وقال علماء العصرالحاضر . ان الهواء يتخلل الماء وهو الذى يتنفس منه السمك وعللوا ذلك بأن وضعوا السمك فى ماء مغلى ثم برد وقد تخلص من الهواء فمات السمك فيه لأنه فقد الهواء ولم يترك زمانا كافيا ليحركه النسيم و يتخلل أجزاءه وطبقاته فيعيش فيه السمك وجعل لـكل نوع منها أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لجثته وجعل على أبدانه من أنواع الصدف والفلوس لباس ودثارا ليقيه البرد وغطاء ووطاء ووقاية لها من الآفات العارضة وجعل لبعضه أجنحة وأذناب تسبح بها فى الماء مثـل الطيور فى الهواء اه . تمّ الكلام على الوجه الأوّل والسابع للتناسب بينهما

ولما كانت هذه الآيات السابقة شاملة الأنعام والطيور والحشرات وقد تكلمنا على كلّ بكلام موجز أتبعناه بما هو أوضح فى الثلاثة للدلالة على جمال الله وحسن تدبيره . واعلم أن الحكماء جعلوا معرفة الالهيات بعد علم الطبيعة والطبيعة بعد علم الرياضيات وهذا التبيين فى كتب الحكمة . هكذا أراد الله فى القرآن قراءة الطبيعة المسبوقة بعلم الرياضة وهذا هوالذى نطيل الكلام فيه فى هذا التفسير

﴿ الوجه الثانى فى وصف الحيوان ﴾

ولاسمعك كلاما كليا من كتابى ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وهاهوذا

اعلموا أيها المسلمون أن الله خلق لنا الأنعام والبهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وحيوان الماء والحشرات . كل ذلك ليتمّ خلقه وتربيته على أتمّ كمال وأحسن حال . فالأنعام كل ماله ظلف مشقوق كالبقر والجاموس والغنم والمعز . والبهائم ما كان لها حافر كالخيل والبغال . والسباع مالها أنياب ومخاليب . والوحوش ما كان مركبا من ذلك . والطيور ما كان لها أجنحة وريش ومنقار . والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوّس ومخاليب معقربة . وحيوان الماء مايقيم فيه ويعيش . والحشرات مايطير وليس له ريش . والهوام مايدبّ على رجلين أوأربع أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه . ولقد يعجب الناس من خلقة (الفيل) أكثر من خلقة (البقة) وهى أعجب خلقة وأظرف صورة فان الفيل مع كبر جسمه له أربعة أرجل وخرطوم ونابان خارجان والبقة مع صغرجسمها لها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وأمعاء وأعضاء أخرى لايدركها البصر ولايعرفها الفكر . وهى مع صغر جثتها مسلطة على الفيل بالأذية ولايقدرعليها ولايمتنع بالتحرز منها . ثم ان من الحيوان ماله حاسة واحـدة وهى اللمس كالأصـداف وأجناس الديدان التى تعيش فى الطين أوفى الماء أوفى الخل أوفى الثلج أوفى لبّ الثمر أوفى الحبّ أوفى لب النبات والشجر أوفى أجواف الحيوانات الـكبرى وليس له ذوق ولاشم ولاسمع ولا بصر وليس له إلا اللمس فيمتصّ المادّة بجميع بدنه بالقوّة الجاذبة ويحسّ باللمس لاغـيـر . ومنها ماله ذوق ولمس

وليس له سمع ولا بصر ولا شم وهى كل دودة تتكوّن وتدبّ على ورق الأشجار والنبات ونورها وزهرها . ومنها ماله لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهى الحيوانات التى تعيش فى قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة . ومنها ماله الحواس ماعدا البصر وهى الهوام والحشرات التى تدب فى المواضع المظلمة ولم يجعل له البصر لأنه يعيش فى المواضع المظلمة

﴿ الوجه الثالث فى اختلاف الحيوان فى الحركات ﴾

من الحيوانات مايتدحرج كدودة الثلج . ومنها مايزحف كدودة الصدف . ومنها ماينساب كالحية . ومنها ما يدبّ كالعقارب . ومنها مايعدو كالفار . ومنها مايطير كالذباب والبق . ومما يدبّ و يمشى ماله رجلان . ومنها ماله أربع أرجل . ومنها ماله ست أرجل . ومنها ماله أكثر . ومما يطير من الحشرات ماله جناحان . ومنها ماله أربعة أجنحة . ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخاليب وقرون كالجراد . ومنها ماله خرطوم كالبق والذباب . ومنها ماله مشفر وحمة (بضم الحاء وفتح الميم) كالزنابير . ومن الهوام والحشرات ماله فكر وروية وتمييز وتدبير وسياسة كما قدّمنا . والى هذا الاختلاف أشار الله فقال ـ والله كل دابة من ماء فنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء إنّ الله على كل شئ قدير ـ

واعلم أن هذه الغرائب لايتعجب منها الناس لأنهم ألفوها . أما العلماء فانفتحت أبصارهم وكشفت بصائرهم فرأوا هذه العجائب فأعظموها وأيقنوا أنهم مبصرون والناس حولهم غافلون فعليهم أن يفتحوا أبصار من حولهم قال تعالى ـ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ـ

فالعجائب تحيط بنا من كل جانب ونحن مغمضون الأعين عنها كأننا لم نخلق على هذه الكرة وكأن غيرنا هم المختصون بنعم الله وعجائبه و بدائعه ـ ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين ـ ولا يظلم ربك أحدا ـ ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ

ومن الحشرات مالها أعين . ومنها ما كل عين من عينيها مركبة من مائتى (٢٠٠) عين فيكون لها (٤٠٠) أربعمائة عين تبصر بها وكل عين مركبة من أعضاء وطبقات خاصة بها كما نقلناه عن علماء الألمان والنمساويين فى رسالتنا الموسومة ﴿ بعين النملة ﴾ ومنها ماله أكثر من ذلك كالذباب ومنها مالها (٢٧,٠٠٠) سبع وعشرون ألف عين وهى حشرة كبيرة أكبر من أبى دقيق تعيش على العليق وغيره . وهذه العجائب البديعة الحسنة لاتعرف إلا بالعلوم التى عرفها العالم الغربى اليوم . وعندهم مناظر معظمة تريك هذه العين والعيون التى تركبت منها كما رأيتها أنا بعينى رأسى تحت المنظار المعظم . هذه عجائب الحيوان الظاهرة وهناك عجائب باطنة أدقّ من هذه لايدركها إلا علماء التشريح الناظرون فى ملكوت السموات والأرض المبصرون المطلعون على خفايا البدائع وعجائب الحكمة ـ إنّ ربك حكيم عليم ـ

ولقد رأى العلماء قديما وحديثا أن للعين سبع طبقات وثلاث رطوبات لانطيل بذكرها واحدى طبقاتها وهى الشبكية التى لاتزيد عن ثخن ورقة تتألف من تسع طبقات مختلفة أبعدها تتألف من ثلاثة ملايين مخروط ونحو ثلاثين مليون اسطوانة وقد رأوا أن فى المادّة السنجابية التى فى الدماغ نحو ستمائة مليون خلية تتألف كل منها من آلاف من الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تتكوّن من ملايين الجواهر كما فى كتاب ﴿ مسرات الحياة ﴾ للورد (أفبرى) وذلك من مطالب قوله تعالى ـ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ وقوله ـ وفى خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون ـ وقوله ـ الذى أحسن كل شئ خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ـ وقوله ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ وقوله ـ هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ـ وقوله ـ وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ـ

يا عجبا

ياعجبا لهذه الدنيا ونظامها وياغفلة أكثر المسلمين . عجبا لهذه البنية الانسانية وكيف ركب الدماغ بأشكال منظمة بديعة وكيف جعل فى العين مادّة تشبه الزجاج وأخرى تشبه بياض البيض وكيف كانت الطبقة المقدّمة فيها المسماة بالقرنية أعنى التى تشبه القرن نراها شفافة والنور يأتى من الكواكب والنيران مارا بالهواء وهوشفاف وبالقرنية وهى شفافة وبالمواد الزجاجية والبيضية فى العين وهى شفافة ويرسم هناك على قطعة تسمى (الجليدية) وتسمى (العدسية والبلورية) أيضا فهى كالبلور وتنتقل الصورة منها الى المخ فيراها الانسان والعين لاترى وانما هى آلة الابصار

أيها المسلمون . عليكم أن تتغلغلوا فى العلوم كما أمركم الله وكيف يقول — وفى أنفسكم أفلاتبصرون —
أيها المسلمون . هذا كلام ربكم وهذا صنع ربكم فأين المفرّ ولامفرّ لهارب فاما أن تعلموا واما أن تتأهبوا للرحيل من العالم ولكن أبشركم قد جاء دوركم وأقبل يوم علمكم — وتلك الأيام نداولها بين الناس — ولعمرى لقد أقبلتم اليوم على العلوم اقبالا وأنا بتمام أمركم من المؤمنين

﴿ الوجه الرابع فى قوله تعالى — وانظر الى حمارك — ووجوب علم التشريح ﴾

أوليس ماذكرته فى عين الانسان من عجائب علم التشريح التى تدهش العقول وكيف حثّ الله عليه فى القرآن والمسلمون عنه نائمون . نعم قد يقرؤه الأطباء وأما بقية الأمّة فانها تجهله . يا أسفا على أمّة الاسلام الطبيب يقرأ علم التشريح ولا يعنيه إلا الأعمال الطبية وكثير منهم غافلون عن الحكمة والنظام والجمال

التشريح من عجائب العلم ومن مطالب القرآن كيف لا . انظروا أيها المسلمون . ألم يقل الله فى قصة العزير إذ مرّ على بيت المقدس الذى هو مسقط رأسه بعد أن خرّبه بختنصر وأخذ يقول — أنى يحيي هذه الله بعد موتها — أى كيف يحيي هذه القرية الله بعد خرابها — فأماته الله مائة عام — أى فأماته الله فلبث ميتا مائة عام — ثم بعثه — أحياه — قال — له الملك — كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال — الملك له — بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك — وهو التين — وشرابك — وهو العصير أو اللبن — لم يتسنه — لم يتغير — وانظر الى حمارك — كيف تفرقت عظامه — و— فعلنا ذلك — لنجعلك آية للناس وانظر الى العظام — أى عظام الحمار المفرّقة — كيف ننشزها — نحييها ونرفع بعضها الى بعض — ثم نكسوها لحما فلما تبين له — قدرة الله على هذه الأشياء وأنه حفظ الشراب والطعام وأحيا عظام الحمار فرفعها وركب بعضها على بعض وخلق عليها اللحم — قال أعلم أن الله على كل شئ قدير —

ياليت شعرى لم ذكر هذه القصة فى القرآن . أللنبى ﷺ وحده . كلا فهو ﷺ مرسل لنا . أهى اليوم تقرأ لآبائنا الذين ماتوا . كلا وانما تقرأ لأجلنا الآن . فقصة العزير يقصد بها تعليمنا نحن واذا طلب من العزير أن ينظر فى عظام الحمار فالنظر فى تشريح الانسان أولى بل هو أتمّ تركيبا من الحمار وانظروا ايها المسلمون كيف يقول بعد أن عرف التشريح — اعلم أن الله على كل شئ قدير — يعنى انه أصبح عالما ولم يكتف بالايمان . فليفكر المسلمون فى هذا القول ولينظروا يطلب الخليل من الله قائلا — كيف تحيي الموتى — فيقول الله له — أولم تؤمن — فيقول — بلى — أى آمنت — ولكن ليطمئن قلبى — فهنا يقول العزير — أعلم أنّ الله على كل شئ قدير — ويقول الخليل — ولكن ليطمئن قلبى — فياقوم كيف يكون هذا فى القرآن والناس ساهون . وكيف نجهل التشريح والكتاب يأمرنا به . يظنّ كثير من الغافلين فى الأمّة الاسلامية انهم متى ظنوا أنهم عرفوا الله ولوتقليدا فقد أتموا كل شئ ولكن الله يريد رقى عقولنا باتساع علومنا ومعارفنا فلذلك أكثر من هذه القصص وقال لنا إن الأنبياء يدرسون كل شئ ويقول لرسوله — وقل ربّ زدنى علما — فكان المسلم الغافل بجهله يظنّ انه أعلم من الأنبياء فيعيش غافلا ساهيا لاهيا . أولم يعيرالله اليهود بالغفلة عما فى التوراة فقال — مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا — أفلا يكون

المسلم الذى يقرأ مثل هذه القصة فى القرآن يكررها بلا عمل ولا علم ولا حكمة ولا تشريع كالحمار يحمل أسفارا المسلمون يكررون القرآن صباحا ومساء وهم لا يفكرون إلا قليلا

﴿ فصل فى وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر لتعرف أيها الذكى جمال علم التشريح ﴾

(١) لقد جعل الله الظهر خرزات كثيرة ولو كانت قطعة واحدة لم يمكن الانحناء بها

(٢) ولو كانت قطعا أصغر من هذه لكان الانحناء أسهل ولكن النخاع فى وسطها لا يكون مصونا لذلك جعلت على هذا الوضع ليتم ﴿ الأمران ﴾ امكان الانحناء وحفظ النخاع ليوصل الاحساس الى المخ

وقد جعل على كل فقرة أربعة أشياء (١) غشاء غضروفى يغشيها وشوكة (٢) نابتة من خلفها وجناحان (٣) و (٤) من يمينها ويسارها . أما الغشاء الغضروفى فلئلا تنكسر بسهولة عند مصادمتها . وأما الشوكة من خلفها فلتكون وقاية بارزة لها تتلقى الصدمات فلا تصل للفقرات ويقال لهذه الشوكات سناسن جمع سنسنة وهذه السناسن قد ربطت بعضها ببعض بر باطات عصبية عراض متينة فتصير كأنها قطعة واحدة فأما الأجنحة فانها مدخل لرؤس الأضلاع ووقاية للفقرات من جوانبها كما أن السناسن وقاية لها من ورائها

ولما كان الدماغ هو محل الاحساس والفكر . وكان لابد من ربط جميع أعضاء الجسم به ولم يمكن أن تغرز جميع الأعصاب فيه جعلت الفقرات مجوفة وفيها النخاع المتصل بالمخ لتتصل به الأعصاب الحساسة والأعصاب التى للحركة . فاذا أصاب الجسم حر أو برد أو ألم ظاهر وصله عصب الحس الى النخاع فاتصل بالمخ فيأمر الأعضاء الظاهرة بالدفاع بواسطة أعصاب الحركة فى أقل من لمح البصر ومن الصلب من أعلاه الى العصعص (٢٩) زوجا من أعصاب الحس وأعصاب الحركة عند كل خرزة زوجان أحدهما يمنة والآخر يسرة . فانظر كيف كان للفقرة الواحدة غشاء يحفظها وشوكة تحميها وجناحان يحفظانها من جانبيها وينفعان فى ربط الأضلاع وكيف كان باطنها أشبه بالبطارية الكهربائية ترسل الكهرباء من الأسلاك . وكيف كان عصب الحس يوصل اليها الأخبار من ظاهر الجسم . وكيف تقبلها وتوصل فى لمح البصر الى عصب الحركة الأوامر بالبطش باليد أو المشى بالرجل وما أشبه ذلك من أوامر الدماغ . أليس هنا أسلاك برقية (تلغرافية) . أليست الأوامر صادرة واردة غادية رائحة . أليس هذا كله يكون فى كل فقرة من الفقرات . فهل الذين خلقوا على هذا النظام الجميل البديع ويأمرهم الله بالنظر الى عجائب عظم الحمار أجدر أن ينظروا فى عظام جميع البهائم وعظامهم

أيها المسلمون قد آن أوان أن يظهر جيل جديد أعلم من السابقين وأحكم من الأولين بعد العصور الأولى التى كان نور النبوة يشرق عليها فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

﴿ الوجه الخامس ﴾

إنه ما من عضو من أعضاء الحيوان صغيرا كان أو كبيرا إلا وهو خادم لعضو آخر ومعين له إما فى بقائه وتتميمه أو فى أفعاله ومنافعه . مثال ذلك الدماغ فى بدن الانسان فان القلب خادم له ومعينه على أفعاله والقلب يخدمه ﴿ الثلاثة أعضاء ﴾ وهى الكبد والعروق الضوارب والرئة . وهكذا حكم الكبد يخدمه ﴿ خمسة أعضاء ﴾ وهى المعدة والأوردة والطحال والمرارة والكليتان . وهكذا أيضا حكم الرئة يخدمها ﴿ أربعة أعضاء ﴾ وهى الصدر والحلقوم والحجاب الحاجز والمنخران . وذلك أنه من المنخرين يدخل الهواء المستنشق الى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويصفى فيها ثم يدخل الى القلب فيجعل الدم الذى يتشبع بالكربون المنجذب من نواحى الجسم مصفى منه بما فيه من الاكسوجين ثم يخرج ذلك الهواء مع الكربون فى النفس ويترك الاكسوجين للدم منقيا له سائرا الى الجسم لتغذيته وهكذا . وذلك أن القلب فيه تجويفان علويان وتجويفان سفليان وهما البطينان والاذينان والدم يجرى بينهن بطريقة الآلة الماصة الكابسة ولذلك شرح يطول فى علم التشريح للذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ويقولون ـ ربنا ما خلقت هذا باطلا

سبحانك

سبحانك فقنا عذاب النار ــ التى تطلع على أفئدتنا يوم القيامة بجهلنا صنعك . و بعدنا عن رحمتك . وعدم شكرنا لك لما أنعمت به علينا إنك أنت الوهاب . وهكذا سائر الأعضاء فلانطيل به لئلانخرج عما شرطنا فى كتابنا أن يكون نموذجا سهلا يعرفه العامّة والمتوسطون ولا يشذ المفكرون عن سمعه

﴿ الوجه السادس فى الطير ﴾

قال تعالى ــ ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون * ولله ملك السموات والأرض والى الله المصير ــ واذا اعتبر الانسان الطيور والحشرات وجدها كلها متزنة الجانبين طولا وعرضا وخفة وثقلا يمنة و يسرة وخلفا وقدّاما . ومن أجل هذا اذا نتف من إحدى جناحيه طاقات ريش اضطرب فى طيرانه كرجل أعرج فى مشيته اذا كانت إحدى رجليه أطول والأخرى أقصر . ومن أجل ذلك أيضا متى نتف من ذنبه طاقات ريش اضطرب فى طيرانه مكبوبا على رأسه كمثال زورق فى الماء وسفينة فى ثقل صدرها وخفة مؤخرها . ومن أجل ذلك صار بعض الطيور اذا مدّ رقبته الى قدّام مدّ رجليه الى خلف ليتوازن ثقل رجليه بثقل رقبته كالكراكى . ومن الطير مايطوى رقبته الى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه فى طيرانه كمالك الحزين . وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات فى طيرانها . والكلام على الطيور يطول شرحه . انما الذى يدهش العقلاء و يحير المفكرين مسألة توازن الذنب والرقبة وتوازن الجناحين وأن ذلك بميزان عدل لانقص فيه ولاخطأ . وهذا أشبه بما ذكره العلماء فى الجمل ورقبته فان رأسه كرمانة (القبان) وعنقه كالذراع الطويل وظهره كالذراع القصير والحمل الذى يحمله كالذى يزنه الناس فيه فاذا حمل حملا وأراد القيام مدّ رقبته كما يجعل (القبان) الرمانة فى آخر الذراع الطويل لتعادل الحمل الثقيل فى الذراع القصير . ولذلك عند علماء الطبيعة حساب عجيب وهذا قوله تعالى ــ وكل شئ عنده بمقدار ــ وقوله ــ وما كنا عن الخلق غافلين ــ وقوله ــ والله سريع الحساب ــ فهذا من أعجب الحساب وأتقنه وأبدعه . فحساب جسم الطائر والحيوان وحساب الفلك فى دورانه حساب لاترى فيه عوجا ولاتفاوتا فالنظام عام فى كل شئ

﴿ الوجه السابع ﴾

قد تقدّم بعضه فلنذكر الباقى وهو الكلام على تربية الطيور لأولادها لمناسبة آية ــ أولم يروا الى الطير الخ ــ

(١) النعامة مركبة من طائر و بهيمة تبيض من ٣٠ بيضة الى ٤٠ وتجعلها ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تدفن قسما فى التراب وتترك قسما فى الشمس وتحضن قسما . فاذا خرجت أولادها أخذت هى تكسر ما كان فى الشمس وسقتها حتى اذا قويت تلك الذرّية أخرجت المدفون وثقبته ثقبا ليجتمع الذباب فيه والبق والحشرات والهوام فتأخذها وتطعمها لهنّ . فانظر كيف ألهمت النعامة أن تلك المخلوقات الضعيفة لاتقوى حواصلها أن تهضم إلا مارقّ من الطعام أولا وانها اذا اشتدت قليلا تستأهل لازدراد تلك الحشرات التى هى أمتن وأقسى فى الهضم وانها اذا كبرت انطلقت الى العشب وقويت واستقلت وذلك بغير تعليم الاستاذين ولاتدريب المعلمين ولامدارس البنات والبنين . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة وما أحسن هذا الصنع

أيها المسلمون . نعامة جاهلة موصوفة بالحمق حتى انها اذا فاجأها عدوّها عمدت الى صخرة فأخفت أعينها تحتها حتى لاترى الخطر الداهم والعدوّ الهاجم فيأخذها وهى ساكنة . تلك الحمقاء تعطى علوما بالفطرة يجهلها الأمّهات من نوع الانسان وليس يدركن أمثال هذه لأبنائهنّ إلا بالتعليم والتدريب

(٢) الدراج والدجاج وأمثالها والحمام وأمثالها

انظر الى فراريج الدجاج وكيف تكسر قشر البيض وتخرج وتلقط الحبّ . هكذا العنكبوت تخرج من بيضها تنسج كما تنسج أمّها . هكذا البط يخرج من البيض فيقوم كأنه درس ذلك فى أيام سابقة وذلك بلا

تعليم ولاتأديب . وليتعجب العاقل كيف نرى الحمام فى بيوتنا ونرى أن الذكور من الدجاج لاتساعد الأنثى فى تربيتها لأولادها ونرى الحمام بعكس ذلك . وهكذا العصافير فان الذكور من هذين النوعين تساعد الاناث فما الفرق بينهما مع ان الدجاجة أحوج الى المساعدة إن أبناءها كثيرة فاما ذرية الحمامة فهى قليلة فكان الأجدر بالمساعدة من كثرت أولادها . فاعلم أنه انما اختص الحمام بتعاون الزوجين لأن أفراخه تخرج ضعيفة لاريش لها ولاتقدر على الحركة كما يولد أبناء الانسان فلذلك ألهم الحمام والانسان مساعدة الذكر للأنثى فى التربية . أما الديك فلما علم الله أن الدجاجة لاتحتاج الى مشاركته فى التربية لقوة الفراخ على العدو ولما عليها من الريش حين ولادتها لم يلهم مساعدتها بل أبقاه معجبا بريشه فخورا بجماله موفرا كل قواه لدجاجاته الكثيرات عاطفا عليهن مساعدا لهن فى بعض أمورهن . وانما جعل الله هذا فى بيوتنا ليرينا أن المقصد من وجودنا انما هى الحكم والعلم . فكم من آكل حماما ودجاجا وهو غافل عن أسرار خلقهما . وكم من قوم عاشوا وماتوا وهم لم يمتازوا عن الحيوان . فكم تحت التراب من عظام نخرة كانت فوق الأرض لاتدرى ماذا يراد بها وتأكل الطير والأنعام وتهضمها فى أجوافها ولايعرفون تفصيل خلقها ولا عجائب صنعها كأنهم خلقوا ليأكلوا وماتوا وهم لم يتزودوا من هذه الأرض البديعة إلا الجهالة والندامة والحسرة والغفلة أوماعلموا أن لهم عقولا تطالبهم بتغذيتها بالصور الحكمية كما ان معداتهم تطالبهم بالقطع اللحمية فوفوا للمعدات بميثاقها ونقضوا ميثاق العقول . فليقرأ المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها نظام هذه العوالم وليتفكروا فى عجائب مايلبسون ويأكلون ويشربون فقد سبقهم الفرنجة وهم نائمون

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا * كاسفا باله قليل الرجاء

﴿ الوجه الثامن ﴾

(الحيوانات على (قسمين) قسم يعيش فى الخلوات مستقلا . وقسم داجن يعيش تحت ارادة الانسان) فالأول كالغزلان والحمار الوحشى والبقر الوحشى والفيلة والآساد . والثانى كالمعز والغنم والبقر والكلاب أفلست ترى أن القسم الأول أقوى بدنا وأذكى نفسا وأقدر على الحيلة والعمل والاستقلال كالغزال والبقر الوحشى أما الثانى فانه خاضع للانسان أسير ذليل قد ضاعت قواه الفكرية وذهبت مواهبه الادراكية . فبعيشك قل لى أيها أصفى لونا وأصح بدنا وأكثر ادراكا وأعظم استقلالا الغزال أم العنز . الغزالة تعيش فى الخلوات بالعيش الهنى وتدبر أمر معيشتها بنفسها . أما الثانية فانها قد فقدت قوة الادراك ذليلة الحال معرضة للأمراض الوبيلة . والحكمة فى ذلك أن كل ما أهمل استعماله من القوى يسلب من صاحبه ولايعطى إلا ماينفعه . الحيوانات الأهلية لما دبر أمرها الانسان وأطعمها خمدت قوتها الادراكية ونامت غريزتها الفطرية فسلبت ما أعطيه الغزلان وشرف به الآساد فى غاباتها والحيات فى أوكارها من التدبير العجيب . هكذا الانسان ﴿ قسمان ﴾ قسم خنع للغاصبين وخضع للظالمين فدبروا أعماله ونظموا أحواله فلاجرم تسلب من هؤلاء قواهم وتعطى لساداتهم المستعمرين ويسلبون عقولهم السامية كما سلبتها حيواناتهم الداجنة . فهل يعطى الله السيف لغير الضاربين أو يعطى العقل لغير المفكرين . كلا . ثم كلا والمسلمون اذا استناموا للفرنجة المستعمرين وأخذوا منسوجاتهم صاغرين وسلموا اليهم ثروتهم لمصنوعاتهم وهم لايصنعون حقت عليهم كلمة ربك لأنهم لايعقلون وأخذتهم صاعقة الطيارات وهم ينظرون وخسفت بهم الأرض وهم غافلون ـ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ـ وظلم المسلمين هنا اهمالهم لعقولهم وتركهم لشؤنهم ونومهم خاضعين خاشعين بجهلهم ـ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ـ

﴿هذا

﴿ هذا كتاب كتبه الله بحروف بارزة لايعقله إلا الحكماء والأصفياء ﴾

الكتاب ﴿كتابان﴾ كتاب بالحروف الصغيرة والآخر بالحروف الكبيرة . فأما الذى بالحروف الصغيرة فهو ما نكتبه نحن بأقلامنا ونسوّد به وجوه الطروس . وأما الذى بالحروف الكبيرة فهو الذى كتبه الله بيده وأبرزه بصور وأشباح وقال انظروا . ولعمرك إن أكثر الناس لايعقلون إلا الحروف الصغيرة . فأما الحروف الكبيرة التى كتبها الله بيده فهى محجوبة عن العقول مكشوفة للأنظار فاعجب لمبرقع مكشوف وظاهر مستور وجميلة زينت للناظرين وهم لايبصرون وبهجة المنظر ومن حولها لايشاهدون ماهى . هى تلك المشاهد التى نراها صباحا ومساء ونحن عنها غافلون . فهاك ماذكرته لك من الدجاج والحمام وأشباهها كيف برزت علومها وهى مستورة . ألم تر كيف سلب فراخ الدجاج عطف الديك وقد وهبن نعمة الريش والقوة والادراك كما ذكرناه . وهكذا سلب فراخ الحمام الريش وأعطيت عطف ذكر الحمام على أنثاه كما بيناه فالغنم بالغرم . أليس هذا معناه أن الله يخاطب المسلمين بالقول الفصيح المبين . أيها المسلمون ساعد ذكر الحمام أنثاه فى تربية صغارهما فسلبت فى الحال ريشها لأن كل شئ عندى بمقدار ولم أخلق شيأ عبثا وكل شئ عندى بميزان فوزنت أمر الحمام وهو ضعيف فرأيت أن أعدله عطف الآباء وعكست القضية فى الدجاج فنالت القوة وعدمت مساعدة الأب . هكذا أفعل فى سياسة الانسان . انكم أيها المسلمون لما غلبكم أعداؤكم وملكوا زمامكم صرتم كالحمام لا كالدجاج فألهمتهم أن ينزعوا سلاحكم كما نزعت سلاح الطيران من صغار الحمام . ومن جاهد لحفظ بلاده منكم واستقل أعطيته السلاح ومنعت عنه الغاصبين فأنا لا أسلط الأقوياء إلا على الأمة التى استكانت فاستحقت المساعدة ــ إنا كل شئ خلقناه بقدر ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزّله إلا بقدر معلوم ــ . فاذا قلت فى كتبى السماوية كالقرآن ــ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ــ ومعناه أن الاصلاح العام فى الأمة يورث بقاءها وان كانت كافرة . فاصلاح البلاد هو الذى يؤهلها للبقاء . فلقد أريت الأمثال للناس عيانا ومشاهدة وهم غافلون فطابق قولى فعلى فلا قولى سمعتموه ولا عملى تدبرتموه فأين المفرّ ولامفرّ لهارب بين . وقد مرّ بعض هذا المقال فى سورة (آل عمران)

﴿ كيف حجب الله هذا الجمال عن أكثر الناس ﴾

لعلك تقول كأن فى كل ماتراه جمالا وحكما والناس يرونه وكأنهم لاينظرون ويسيرون فى الأرض وكأنهم ميتون ويسمعون القول وكأنهم لايعقلون . فأىّ حكمة إذن فى هذا الجمال . وأىّ معنى لذلك الكمال واذا لم يكن للجمال مبصرون ولاللحكمة فاهمون فهل خلقت لغير من يعقلها ووجدت لمن لايفهمها . إن ذلك مما يورث الارتياب ويوقع الشك عند ذوى الألباب . أقول لاعجب فى ذلك . لقد خلق الله أمما اسلامية وغير اسلامية وبرقع عن بعضهم وجوه هذا الجمال لا لبخل فى العطية ولا لالحاقهم بأذية ولكنه يعطى من يستحقون ويمنع من لايستأهلون . أفلاتراه منع الأطفال أن يتصرّفوا فى أموالهم وصرف القردة والذؤبان عن الحكم العلمية لأن الحيوان والأطفال لاقدرة لهم على ادارة الشؤن ولا على ادراك الصناعات والعلوم فاذا رأيت الأمم الاسلامية القريبة العهد مشتتة الممالك واقعة فى المهالك فما ذلك من منع الحضرة العلية ولا بخل من الذات الربانية وانما كانوا عن المعالى قاصرين وعن ادراك المعانى غافلين فزقت دولهم وشتت شملهم ومنعهم الملوك والأمراء من درس العلوم وصرفهم علماء السوء عن فهم الكتاب بقشور فقهية وأحكام شرعية وقالوا لهم ﴿ليس فى الامكان ابدع مما كان﴾ وصرفوهم عن حبّ الأوطان والمدافعة عن الأهل والأموال مع انهم يقرؤن صباحا ومساء ــ ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ــ ويقرؤن أيضا ــ ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله و ــ فى سبيل ــ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ــ ومعنى ذلك أن

الله يقول للمسلمين قاطبــة أىّ عذر لكم فى ترك الجهاد لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدى الكفار وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والأذى وقد كانوا بمكة لا يقدرون على الهجرة وهم يدعون الله و يقولون ـ ربنا أخرجنا ـ وقد استجاب الله دعاءهم فتح المسلمون مكة والنبى ﷺ كان مبشرا بذلك . أما الأمم الاسلامية القريبة العهد و بعض الأمم الحاضرة فانهم ظالمون جاهلون قد حقت عليهم كلمة العــذاب . ألا ترى انهم فى شمال أفريقيا يلتجؤن تارة الى فرنسا وطورا الى اسبانيا . وهذه الأمم الفرنجية يغــيرون على مصر وتونس والجزائر ومراكش وكثير من عظماء تلك البلاد يهشون للفاتحين و يأنسون بالمفترسين ولقد قال لى احد أبناء مراكش إن الفرنجة لن يقدروا أن يبقوا يوما واحدا إلا بمساعدة المسلمين وهكذا كان المسلمون أيام الحروب الصليبية لا يعبأون باخوانهم ولا يبالون بأوطان غير أوطانهم وجرت الحال على هذا المنوال ولكن اليوم قد تنبه بعض المسلمين كأهل الأفغان والترك والفرس فقد طردوا الفاتحين . وهكذا قد تنبه أهل الهند وقاموا قومة الشجعان وقالوا للفرنجة دعوا الشرق للشرقيين . وهكذا أهل بلادى المصريون قد رفع الغطاء عن أعينهم فانتبهوا لأمرهم ونالوا بعض مطالبهم . أولم يقرأ بقية المسلمين فى الشرق والغرب القرآن . أولم يعلموا أن غزوة أحد كانت للدفاع عن المدينة وفتح مكة لاستخلاص الضعفاء بمكة من أيدى الكفار والعيب كل العيب على العلماء والملوك أولئك الذين على الاهمال يلامون وعلى اضرارهم بالمسلمين يعذّبون وكل عن ذنبه مسؤل ـ إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوأ فلا مردّ له وما لهــم من دونه من وال ـ

﴿ الوجه التاسع فى الحشرات ومنها النمل والعنكبوت ﴾

قال الله تعالى ـ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كلّ الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيــه شفاء للناس إنّ فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ـ فانظر كيف جعل النحل تبنى من الجبال بيوتا وفى الشجر وفى الخلايا التى يصنعها الناس لها وتجمع العسل من الزهر مما ذكرناه فى هــذا الكتاب وأوضحناه فى ﴿ كتاب الزهرة ﴾ وكتبنا الأخرى ثم جعل هذا الشراب مختلف الألوان و يشفى به الأمراض . عجب لهذه الدنيا ونظمها انها جنة للعقلاء ليتفكر المسلمون وليعقلوا كيف كانت النحلة الصغيرة التى لا قدر لها سببا فى القاح النبات ذكرانه لاناثه ثم هى جمعت من الأزهار ما لذّ وطاب فأحالته عسلا وكان العسل ألذ ما يأكل الناس وأشفى ما به يستشفون . فياليت شعرى كيف كان الزهر وعسله والقاح إناثه من ذكرانه ثم شفاء الناس بعسله . إنى لفى عجب من نظام هــذا الوجود المحكم البديع وكيف كانت النحلة وسطا بيننا و بين عسل الزهر وكيف طبخته وكيف كانت شفاءنا وهى لا علم لها بالالقاح فى الأزهار ولا بالعسل الذى عنها ورثناه ومن خلاياها و بيوتها الجبلية اشترناه . إن فى ذلك لعبرة للمسلمين

أما آن لهم أن ينظروا فى عجائب الدنيا وثمراتها وغرائبها وبدائعها و يتفكروا فيعلموا أن ألذ الطعوم من حشرة صــغيرة وهى النحلة وأرق الملبوسات وأشفها وأجلها ما كان من دودة وهو الحرير وأحسنها وأبهجها ما كان من صدفة فى البحر وهو الدّر . فياعجبا حشرة ودودة وصــدفة كانت أعمالها محل اعجابنا وزينتنا وشفائنا وتفاخرنا . بهذا العلم فليرق المسلمون . وبهذا العــلم فليفيقوا من غفلتهم . فاذا أضاعوا هذه العلوم فقد أضاعوا كل شئ وجهلوا ربهم وصنعه ولنسوا نعمته كما قال تعالى ـ نسوا الله فنسيهم إنّ المنافقين هم الفاسقون ـ نسوا نعــمه فلم يدركوها فنسيهم وأخرهم فى مصاف الأمم . العــذاب واقع على ذوى العقول الكبيرة من المسلمين . واقع على الأغنياء والامراء والعقلاء والعلماء . فعلى العالم أن يذكر الأغنياء وعلى الأغنياء أن يحضوا العلماء والا فانهم جميعا آثمون . هذا ما نقلته من كتابى ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾

تفصيل

﴿ تفصيل الكلام على النحل ﴾

ويحسن هنا أن أذكر ما كتبته فى كتابى ﴿ جواهر العلوم ﴾ وفى كتابى ﴿ جمال العالم ﴾ فأما الذى فى جواهر العلوم فهو على هيئة محاورة بين فتاة وفتى قالت له ما معنى العجب فقال اعلمى أن العجب حيرة تعرض للانسان لقصوره عن معرفة الشئ أوعن معرفة كيفية تأثيره فان الانسان اذا رأى خلية نحل ولم يكن شاهدها من قبل ورأى تلك الأشكال المسدّسة المنتظمة تحير لعدم معرفة فاعله فان قيل له إن فاعله هو النحل تحير أيضا من حيث ان ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدّسات المتساوية الأضلاع المعجزة لمهرة المهندسين مع مالديهم من العدد والآلات والادراك والتجارب وطول المدّة . وكيف اهتدت الى تغطية تلك البيوت بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطا بالعسل من جميع جوانبه فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الغبار ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب وكل مافى العالم بهذه المثابة إلا ان الانسان يدرسه فى زمن صباه عند فقد التجربة ثم يبدو فيه غريزة العقل شيأ فشيأ وهو مستغرق الهمّ فى قضاء حوائجه وتحصيل شهوته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط من نظره لطول الانس بها فاذا رأى حيوانا غريبا أوفعلا خارقا للعادة انطلق لسانه بالتسبيح فقال سبحان الله وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء ـ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ـ فسألته الفتاة قائلة ومن أين هذا الشمع ولم اختار الشكل المسدّس ومن أى شئ يجمع العسل . فقال لها أما الشمع فان النحل يجده على كثير من النباتات مادّة بيضاء كالدقيق ونشاهده بكثرة على قصب السكر وأما تلك الخلايا وتسديسها فانها اختارت من جملة الأشكال الشكل المسدّس وذلك أن أوسع الأشكال وأحواها المستديرة ومايقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيت فرج ضائعة فان الأشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل من الأشكال ذات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدّس فهذه خاصية هذا الشكل وما أشبه هذا النظام الصغير بالنظام الكبير نظام السموات والأرض فانه كله بحساب متقن . الى أن قال . وأما العسل فانه وضح فى آية ـ وأوحى ربك الى النحل ـ والخطاب للنبي ﷺ أولكل فرد ممن له عقل يستدل به على كمال الحكمة الالهية وتتسع به مداركه وتقوى همته فينظر كيف ألهم الله هذا الحيوان الضعيف أن جعل له ملكة مسلطة عليه وقد قسمت عليهن الأعمال فجعلت على نفسها وضع البيض فتبيض فى كل ثلاثة أسابيع من ستة آلاف الى اثنتى عشرة بيضة وجعلت على الشغالة التى عندها جميع الأشغال (والشغالة عندها خنائى النحل أى التى ليست إناثا ولا ذكورا) وعددها يكون من الخلية من عشرين ألفا الى ثلاثين ألفا فمنها البواب الذى لايسمح لأحد من غير أصحاب الخلية أن يدخلها ومنها ماهو منوط بخدمة البيض ومنها ماهو منوط بتربية صغار النحل ومنها مايبنى الخلايا ومنها مايجنى موادّ الشمع التى تبنى منها الخلايا ومنها مايجنى رحيق الأزهار التى يستحيل فى بطونها عسلا تخرجه من فمها لتتغذى به صغار النحل متى خرجت من البيض وينتفع به الناس . وكل من هذه الطوائف تؤدّى ماعهد اليها بنشاط وهمة على مقتضى أوامر الملكة المسماة (باليعسوب) أو (الخشرم) وتسميها العامة (أم النحل) وهى أعظمها جثة وأكبرها خلقة . ومن عجيب أمر تلك الملكة انها تقتل كل ماوقع على نجاسة من رعاياها . ومن سياستها انها اذا أرادت الحمل ارتفعت فى الهواء واختارت ذكرا من غير خليتها ترفعا عما تحت ادارتها فان عندها ذكورا لاشغل لها عددها من خمسمائة الى ألف فى الخلية وتبقى فيها الى أن تحمل الملكة وتحبل . ومتى ظهر حملها قتلت الخنائى هؤلاء الذكور لئلا يضيق المكان ويفنى العسل . فسبحان من ألهم تلك الحشرة الضعيفة فعل أعظم الملوك من قدماء المصريين الذين كانوا يحكمون على من لا صنعة لهم بالقتل وألهم تلك الملكة أن حفظ رياستها وشرف

ملكها لايتم إلا بالترفع على من تحت إمرتها ولم ترض لنفسها أن يعلوها أحد رعاياها

ولعمرى إن فى قتل خناثى النحل لذكورها عبرة وتبصرة تشير الى أنه لم يخلق فى هذا العالم مخلوق إلا لحكمة ــ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ــ فياليت شعرى كيف يرى الانسان هذه العجائب فى الحيوان الضعيف ثم يترك أعضاءه ومواهبه الشريفة هملا فضلا عن استعمالها فى أنواع المفاسد ثم ان النحل ﴿ قسمان ﴾ وحشية تسكن الجبال والأشجار والكهوف وأهلية تأوى الى البيوت فيبنى لها الناس أبنية . وهنا جاء فى الكتاب ذكر الالقاح وأن النبات له فيه ذكر وأنثى وانه مختلف الألوان . وهذا المقام تقدّم مشروحا فى سورة الحجر إذ اقتضى المقام هناك عند قوله تعالى ــ وأرسلنا الرياح لواقح ــ أن نبحث فى علاقة النحل والحشرات الأخرى بالنبات والقاحه وثمراته وما أشبه ذلك والكلام هناك مستوفى فليرجع اليه من أراد . هذا ما أردت نقله من كتابى ﴿ جواهر العلوم ﴾ وكأن الله ألهمنى تأليف هذه الكتب لتكون مرجعا الى هذا التفسير الآن . وجاء فى كتابى ﴿ جمال العالم ﴾ مايأتى

قد ذكرنا فى كتابنا ﴿ جواهر العلوم ﴾ النحل وعجائبه وأوسعنا المجال فيه وأوردنا شواهد وآيات ونحن الآن نذكر ماعثرنا عليه بعد من العجائب والحكم ليكون لكل كتاب مزية ليست فى الآخر

من النحل ما أوتى شعرا (يرى بالمكرسكوب) أسود أوأحمر أوأصفر اختلفت ألوانه كما اختلفت طرقه فى طلب الأزهار والنحل الكبير الذى يعيش فى الكلأ والحقول يموت فى الشتاء إلا قليلا يتوارى فى أماكن تدفئ جثته حتى اذا جاء فصل الربيع وانتشرت الحرارة نفخ الله فيه الأرواح وأيقظها من رقدتها بعد نومها و بعثها من مرقدها فى برزخها فما أشبهها إذ ذاك ببعث الانسان بعد موته و بعث جميع الحشرات من نومها العميق فى نسيجها المسمى (شرنقة) فى أوّل نشأتها وقيامها من سباتها العميق ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ

يظهر أن قدماء المصريين ظنوا أن بعثنا على هذا المنوال فحنطوا الأجسام مشاكلة لهذه الحيوانات كما تراه فى البرابى والاهرام والمقابر والحفائر القديمة وهيهات هيهات . وانما بعثنا أرفع وأجلّ من ذلك . فهذا يتسلى به العوام . وأما خواصهم فكانوا يعلمون أنهم يرتقون فى عالم الجمال والكمال . فاذا قامت النحل أخذت تطير فى الحقول لتبحث عن أماكن تبنى فيها أعشاشها . فمنها مايتخذ حشائش يصنعها مساكن ذات منافذ من أعلى ليدخل النور وتقفلها عند مسيس الحاجة اليها اذا أقبل الليل أونزل المطر أوالندى ثم تضع على حيطانها أقراصا وقاية من الرطوبة . ومنها مايبحث عن شقوق ومغاور فى الأرض أوفى الجبل فيضع أقراصه فيها . وهذان النوعان من البناء هما اللذان اتخذهما النحل فوق الأرض وتحتها و بعد ذلك تضع النحل بيوضها فى البيوت التى تتكوّن منها الأقراص وتسير سير كل حشرة فى القانون العام كما سنذكره فى سورة (النمل) فتكون دودة فتنام فى كرة نسيجها كما ينسج دود القز فى حريره وان كان هنا نسيجها ضعيفا لا قيمة له ثم تقوم وقد أكمل الله خلقها وخلق أجنحتها وخرجت من مهدها باحثة عن غذائها فتذهب الى الأزهار وتجنى منها العسل الذى فى أسافلها وتحمل تلك المادّة الصفراء فى سفط (المقطف) على أرجلها الخفيفة كوّن من شعر يحفظ تلك المادّة ثم يجعل جزأ منها (شمعا) يبنى منه الأقراص يملؤه عسلا مما شربه من أسفل الزهرة وجزأ آخر يصنعه خبزا لصغار النحل . فتأمّل كيف كانت الزهرة تحوى الشمع وخبز صغار النحل فى مادّتها الصفراء المعدّة للقاح وانظر كيف كان العسل فى أسفلها واهتدى النحل اليها . فما الشمع وما العسل إلا تلك الزهرة التى نشاهدها كل يوم ونحن غافلون عن حسن الصنع والاتقان الذى قام به النحل فيها . واذا كان النحل له قدرة على هذا فان للانسان قدرة لاتتناهى وقد ارتقى فى الصناعات الآن وأخذ من المادّة مالاحصر له من العجائب حتى استخدم الهواء فى اصطناع الموادّ الاوزوتية فنفعته فى حربه وفى تسميد

أرضه كما يعرفه من قرأ أخبار أهل ألمانيا وكان المسلمون أولى بذلك . ولنرجع الى ما فى كتاب (جمال العالم)

ومن العجيب أن النحلة قد تسير ميلا للبحث عن غذائها ولا تضل طريقها وترجع الى أماكنها وانها تعرف طرق الحيل والدهاء

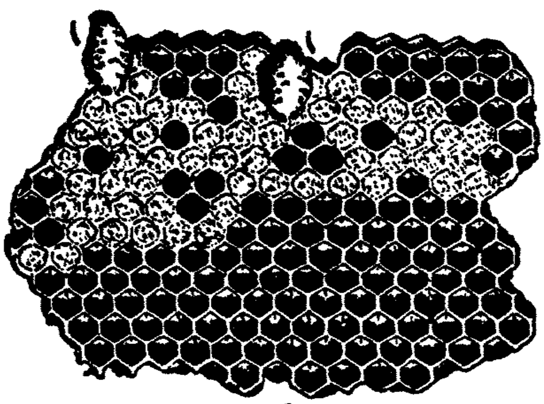
﴿ حكاية ﴾

ذكروا أن قوقة أخذت طريقها الى خلية نحل فلما رآها ازدحم عليها ولكن عرف أنه لاسبيل الى ارجاعها فتر بصها حتى اذا احتلت المكان وشربت من العسل تعاون الجميع على إلصاق رأسها فى الشمع ففارقت تلك المسكينة الحياة . هذا أكثره منقول من كتب الفرنجة مترجما . وهاك ماجاء فى ﴿ اخوان الصفاء ﴾ لتقف على مختصر بليغ من ثمرات العقول الناضجة فى النحل . جاء فى بيان فضيلة النحل وعجائب أموره وذلك من رسالة الحيوان مانصه

﴿ يعسوب النحل ﴾

أيها الملك . مما خص الله به وأنعم به على وعلى آبائى وأجدادى أن آتانا الملك والوحى إذ لم تكن من بعدنا لحيوانات أخر وجعلها وراثة من آبائنا وأجدادنا و يصير ذخيرة لأولادنا وذريّاتنا يتوارثونها خلفا عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان مغبون فيهما أغلب الخلائق . ومما خصنا به الله أنه علمنا دقة الصنائع الهندسية ومعرفة الأشكال الفلكية من اتخاذ المنازل و بناء البيوت وجمع الذخائر فيها . وماخصنا به أيضا من أنه حلل لنا الأكل من الثمرات من جميع أزهار النبات وجعل فى مكاسبنا مايخرج من بطوننا شرابا حلوا فيه شفاء للناس كما قال تعالى ـ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ـ

ومما خصنا به الله أن جعل خلقتنا خلقة لطيفة فجعل بنية جسدنا ثلاثة مفاصل محزوزة فوسط جسدنا مربع مكعب ومؤخر جسدنا مخروط ورأسنا مدوّر مبسوط وركب فى وسط أبداننا أربعة أرجل ويدين متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المسدس لنستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض ونقدر على أساس بناء منازلنا و بيوتنا مسدسات مكتنفات يعجز عن اتقانها المهندسون الذين يعجزون عن موضوعات أشكالنا وتسديسات منازلنا (رسم بيوت النحل . شكل ٢٠)



(شكل ٢٠)

والغرض من متساوية الأضلاع والزوايا المكشوفات كيلا يتداخلها الهواء فيضرّ بأولادنا و يفسد شرابنا الذى هو قوتنا وذخائرنا . و بهذه الأربعة الأرجل واليدين نجمع من ورق الأشجار وزهر الأثمار الرطوبات الدهنية التى نبنى بها منازلنا و بيوتنا وجعل الله على كتفىّ أربعة أجنحة حريرية النسج آلة لى فى الطيران فى جوّ الهواء مستقلا بها وجعل مؤخر بدننا مخروط الشكل مجوّفا مدرّجا مملوأ بالهواء ليكون موازنا لثقل

رأسنا فى الطيران وجعل لى حمة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحا لى أخوّف بها أعدائى وأزجر بها من يتعرض ليؤذينى وجعل رقبتى خفيفة ليسهل بها علىّ تحريك رأسى يمنة و يسرة وجعل رأسى مدوّرا عريضا وجعل فى جنبى عينين براقتين كأنهما مرآتان مجلوتان وجعلهما آلة لنا لادراك المرئيات المبصرات من الألوان والأشكال فى الأنوار والظلمات وأنبت على رأسنا شبه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لنا لاحساس الملموسات واللين من الخشونات والصلابة والرخاوة وفتح لنا منخرين لاحساس المشمومات الطيبة وجعل لنا فما مفتوحا فيه قوة ذائقة نتعرّف بها قوة الطعوم وخلق لنا مشفرين حادّين نجمع بهما من ثمرة الأشجار رطوبات لطيفة

ولقد عجز الطبيعيون والأطباء من اليونان أن يعرفوا طبائع النبات ومنافعه ونحن عرفنا هذا منه وخلق فى جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة وطابخة منضجة تصير تلك الرطوبات عسلا حلوا لذيذا شرابا صافيا غذاء لنا ولأولادنا وذخائر للشتاء كما جعل فى ضروع الأنعام قوة هاضمة تصير الدم لبنا خالصا سائغا للشاربين وجعل فضلاتنا وفضلات أولادنا سبباوشفاء لأخص خلق الله تعالى إذ فى تشكيلنا وتخطيطنا المسدّسات وترتيب الزوايا المتساويات جعل شفاء للأرواح الانسانية وفى فضلاتنا و بزاقنا ولعابنا جعل شفاء للجسد الانسانى وجعل فضالة فضلاتنا وهو الشمع سببا للضياء فى ظلم الليالى عوضا عن الضياء النورانى الحاصل من الشمس

فمن أجل هذه النعم والمواهب صرنا مجتهدين فى شكرها بالعمل ثم اننا نأوى فى رؤس الجبال والتلال و بين الأشجار والدحال ومنا من يجاور بنى آدم فى منازلهم فأما من بعد منا فانه يسلم من أذاهم فى الأكثر ولكن ربما يجيؤن الينا فى طلبنا و يتعرّضون لنا بالأذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا ولم يبالوا بأن يقتلوا اولادنا و يأخذوا مساكننا وذخائرنا و يتقاسموا عليها و يستأثروا بها دوننا ونحن نصبر صبر المضطر تارة مكرهين وتارة راضين مسلمين إن غضبنا وهربنا وتباعدنا من ديارهم جاؤا خلفنا يطلبوننا و يرضوننا بالهدايا من العطر وأنواع الحيل من أصوات الطبول والدفوف والمزامير والهدايا المزدوجة المزخرفة من الدبس والتمر و يأخذون منا عسلا صافيا لذيذا جعله الله سببا لشفائهم . فنحن من حسن أخلاقنا نصالحهم إذ الصلح خير والخصومة تؤدّى الى هلاك الحيوان وخراب البلاد فنحن نراجعهم ونصالحهم لما فى طباعنا من السلامة وقلة الحسد قلبنا صار موضع إلهام الله تعالى لايجوز أن يكون موضع الحقد والحسد إذ هما ضدان لايجتمعان . إنّ الله ألقى الوحى علينا فلايليق ان نكون فاسقين . ومع هذا كله لايرضى الانس منا إلا أن يدّعوا أننا لهم عبيد وهم لنا سادات وذلك زور وبهتان إذ نحن غير محتاجين اليهم كما يحتاج العبيد لمواليهم بل هم محتاجون الينا مثل مايحتاج الخدم الى السيد . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . انتهى (اخوان الصفا)

﴿ المملكتان المتشابهتان . مملكة النحل ومملكة الأرضة وهى دابة الأرض ﴾

أما مملكة النحل فقد أسهبت الكلام عليها وأريتك صورة بيوته المسدّسات . و بقى أن ترى صورة الذكر وصورة اليعسوب وصورة النحلة العاملة

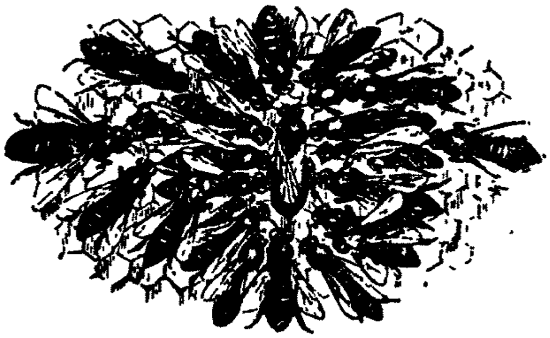
(شكل ٢١ ــ صورة ذكر النحل واليعسوب والعاملة)



العاملة اليعسوب الذكر

وهاك أوصافها . اليعسوب مؤخرها طويل يصلح لحفظ البيض أجنحتها قصيرة لأن حياتها لاتتعدّى الكوّارة و يقوم بخدمتها طائفة من النحل وهاك صورتها وهم حولها

(شكل ٢٢ صورة ملكة النحل وهو اليعسوب وحولها خدمها نحو ٢٠)



(شكل ٢٢)

﴿ النحلة وخدمها ﴾

الذكر . منظره ضخم ومتى حلت الملكة يقتله النحل لأنه أصبح لاعمل له

العمال . هى أصغرها جثة وكل له عمل (١) سقاء (٢) مربى الذرية (٣) راع (٤) بناء (٥) معمارى (٦) مهندس (٧) جندى (٨) زبال (٩) خدام

فالسقاء يمد الكوارة بالماء والمربى يربى الصغار والراعى يجمع غبار الأزهار وعسلها والبناء ومابعده لبناء بيوت العسل والأمر ظاهر فى البقية . فهذه الراعيات تمتص العسل بلسانها الطويل وتدخله كيس الشهد فيتحول الى عسل فتتغذى ببعضه وتخزن مابقى الى وقت الشتاء اهـ

واما مملكة (الأرضة) فان أمرها عجب وقد تقدم وصفها فى سورة هود فقد أبنت لك هناك انها على وزن بقرة وتسمى النمل الأعمى وليست بالبيضاء بل هو (أغبس) أى كلون الأرض التى يقيم فيها أى لابياض فيه . ولا أطيل فى وصفها فقد تقدم هناك وسيأتى زيادة شرح لها فى سورة (سبا) ولكن الذى يهم فى هذا المقام أن تطلع على صورتها وحولها العمال

(شكل ٢٣)



(شكل ٢٣)

(صورة الأرضة المالكة وأتباعها وهى الكتلة البيضاء الضخمة وهى الملكة والى جانبها الملك ومن حولها العمال يقبلونها ويلحسونها فالقائمون بتغذيتها يتألبون عند فمها ويبقى فى الطرف الآخر من وكل اليهم التقاط البيض ومن العمال جند من الشرطة صغير الجسم وفى الصف الأول فى شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها لمنع هجمات عدو مفاجئ . وهذه هى التى تسمى عندنا (السوسة) و (العثة) التى تلحس الصوف والثياب . وهذا الرسم للعالم الألمانى (ازريك) كما نظرها نقلته من كتاب ﴿ مملكة الظلام ﴾ المترجم حديثا للعلامة (موريس مترلنك) بلجيكى المنشأ فلمنكى الأصل مؤلف فى النحل وفى الارضة)

فهاتان مملكتان احداهما فى الهواء فوق الأرض وثانيتهما تحت الأرض فى الظلام والنظامان يرجعان لناموس واحد ملكة تبيض وتلد وعمال تقسم الأعمال عليهم . غير أن العجب أن تكون الأرضة تدبر ملكها وهى عمياء وتحكم عشرات الالوف من رعاياها المتفرقات اللاتى تبنى مبانى ضخمة عظيمة تعلو فوق الأرض بضعة أمتار وتمتد مسافات عظيمة . فكيف حكمت العمياء التى لاحركة لها هذه الجموع كلها وكيف كانت هذه كلها قائمات بالأعمال ولا أعين لها . أما النحل فأمره معلوم مما تقدم فاقرأ ـ ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ـ واقرأ ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ . والى هنا انتهى الكلام على النحل

أما النمل فقد أفرد له العلماء فى عصرنا التأليف ولقد رأوا عجائب ذكروها وآيات بينوها وغرائب صنفوها فمن ذلك أن فيها مايبنى مساكنه كما يبنى الناس ويهيئن قرى صغيرة وكبيرة ولها أظآر يربين أولادهن الصغار ولهن حجرات محفورات أومبنيات فوق الأرض لكل جيل من أجيال الذرية كأنها مدارس ذات فصول ولهن من نظام الجند وصفوف الحرب وتربية الماشية الخاصة بهن ما تخر له عقول العلماء سجدا ويقولون سبحان مبدعها الحكيم . ولايظنن القارئ أن فى ذكر الجند لهن مبالغة أوأن فى الحرب عجبا فان لها من أنفسها نملا كبيرا يشاهدونه محافظا عليها فى غدوها ورواحها ثم هى تحارب نملا آخر وتأتى بالأسرى وهؤلاء الأسرى يحضرن الطعام لساداتهن الآسرات لهن ولهن حيوان صغير يسمى (افد) سماه علماء هذا الفن جاموس النمل فانه يربيه ويسمنه ويمتص منه مادة يتغذى بها كلبن البقر والجاموس عندنا ورأوا له مزارع يحافظ عليها وهى نباتات صغيرة لها نظام هندسى وطرق نملية عجيبة بديعة متقنة قد اطلعت على رسمها ولها ملكة تقوم بأمرها وتحافظ على مجموعها واليها يولى النمل وجهه فى غدوه ورواحه ويستروح لرؤيتها ويهش لاقبالها ويفرح لطاعتها ويسعى لخدمة القرية النملية ارضاء لها ـ ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ـ وقدقص القرآن قصص النمل فقال ـ حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون * فتبسم ضاحكا من قولها ـ وسترى ان شاء الله فى سورة النمل مساكنها مصورة بالتصوير الشمسى منقولة من الكتب الفرنجية . وهناك تشاهد الحجرات والحيطان وأعمدة تتكئ عليها السقوف والطرق والدهاليز والمخارج والمخازن . وترى فوق ذلك مزارع الارز التى يزرعها النمل وطرقها الهندسية التى رسمها النمل ونظامها الجيل منقولا بالتصوير الشمسى من الطبيعة بحيث نقر بأن الفلاحين فى مصر لم يصلوا لهذا النظام . واذ ذاك تقرأ ـ وما من دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ـ وتقرأ أيضا ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ

﴿ العنكبوت . من كتابى (القرآن والعلوم العصرية) ﴾

ومن الحشرات العنكبوت ذات النسيج الجيل والغزل الرقيق والريق الذى اذا تعرض للهواء انقلب الى مادة أشبه بالقطن أوالحرير فيغزلها خيطا دقيقا وينسج تلك الخيوط نسيجا محكما متقنا حتى قال علماء الحشرات ان هندستها التى رسمتها فى نسيجها ونظامها البديع الذى توخته فى عملها أدق ماصنعه المهندسون وأبرع مانظمه البارعون حتى انها لم تخطئ يوما فى نظمها ولم تغلط يوما فى نسجها . وان أبرع المهندسين وأعظم المحنكين الذين درسوا فى المدارس العالية وتخرجوا على أعلم علماء الهندسة يخطؤن فى تقديرهم ويشذون فى عملهم ويحيدون عن سواء السبيل وهذه الحشرات لاتخطئ فى نظمها ولاتضل فى هندستها ولاتخيب فى أحكامها ذلك لأن معلم المهندسين من المخلوقين ومعلم العنكبوت خالق المهندسين فتلميذ الله لن يخطئ وتلميذ المخلوق قد يضل مع الضالين . ولقد شاهد الناس صغارها وصغار الحيوانات تخرج عالمة بفنونها محكمة لعملها

كأمهاتها بلا تعليم ولا تدريب ولا تهذيب ولا تدريس ولا مدارس ولا معلمين بل الغريزة الالهية والحكمة الصمدانية التى أبدعت المخلوقات ونظمت الكائنات ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ ولقد ذكر الله العنكبوت فقال ـ وانّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ـ فاذا كان أوهن البيوت على نظام أتمّ وحكمة أبهج فما بالك بأمتنها بناء وأحسنها نظاما ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ

﴿ لطيفة ﴾

إن العلماء بحثوا فى تجزئة المادّة حتى وصلوا الى مايدهش العقول و يحير الأفكار فقد رأوا بعض العناكب تنسج خيوطا رقيقة جدّا فانها تنسج بيتها من خيوط أدق منه وكل واحد من هذه الأربعة مؤلف من ألف خيط وكل واحد من الألف يخرج من قناة مخصوصة فى جسم العنكبوت . فانظر كيف كان الخيط الواحد مؤلفا من (٤) فى (١٠٠٠) يساوى (٤٠٠٠) ومن عجب أن بعض علماء الألمان قال انه اذا ضم أربعة ملايين خيط (٤٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) الى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته كما فى آل عمران

ولقد علمت أن كل خيط من تلك الخيوط مؤلف من أربعة آلاف خيط فكل خيط إذن من هذه الخيوط الدقيقة يساوى غلظه $\frac{١}{١٦،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠}$ واحدا من ستة عشر (ترليونا) ثم تعجب كيف كان كل واحد من الآلاف يخرج من قناة مخصوصة فى جسم العنكبوت . وكيف يسع جسم العنكبوت ألف ثقب فيها ألف خيط . أليس ذلك من العجب . أو ليس من أعجب الحكم أن العنكبوت فى هذا تمثل نظام العالم الجيل . يخرج الخيط الدقيق من ثقبه فيخيل للرائى أنه خرج بلا حكمة فاذا انضمت الخيوط الى بعضها كوّنت خيطا والخيوط الأربعة أنتجت خيطا أكبر . و باجتماع الخيوط أنشأت بيتا وكان مسكنا ومحل صيد للعنكبوت ومع ذلك تسمع القرآن يقول ـ وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ـ وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ثم أردفه بقوله ـ لو كانوا يعلمون ـ فانظر كيف ذكر العلم المقرون بلو بعد مسألة العنكبوت . أفليس هذا الوهن قد ظهر فى التحليل والتجزئة فقد جاوزت خيوط العنكبوت الحدّ المعروف فى الدقة وتناهت فى التجزئة فذكر الوهن هنا اشارة الى قبول التجزئة قبولا مطردا بحيث لايمتنع عنها وهو متماسك ذلك هو السرّ فى قوله ـ لو كانوا يعلمون ـ فليس يدرك الناس تلك التجزئة التى أشار لها الوهن مجرّد اشارة إلا بعلم الطبيعة ولايدرى المسلمون ما السرّ فى تسمية سورة باسم (العنكبوت) إلا بالتفرغ لدراسة الحشرات واذن يعرفون لماذا سميت سورة فى القرآن باسم العنكبوت وأخرى باسم النمل وأخرى باسم النحل وهى حشرات وسورة باسم البقرة وسورة باسم الأنعام وهذه من ذوات الأربع . والذى أراه أن الجيل الحاضر ومن كانوا قبله من المسلمين فى الأعصر المتأخرة انما خلقوا ليحفظوا القرآن والشريعة حتى يتفكر فيهما الأجيال المقبلة التى سيوقظها أمثال هذا الكتاب ويخرج جيل اسلامى لم تحلم به العصور ولم تلده سوالف الدهور وهم خلفاء الله والنبى ﷺ وهذا سيكون وأنا به من المؤمنين اهـ

وما مثل العنكبوت فى ذلك النظام البديع إلا كمثل النحل إذ نظم بيوتا مسدّسات ذات أضلاع متساوية متقنة . ومن العجب أن الأشكال المسدّسة كل ضلع يساوى القطر المارّ مابين ضلعين من أضلاعها كما قرّره علماء الهندسة . ولقد أبنا الحكمة فى اختيار المسدّس دون باقى الأشكال ولم يكن دائرة فيما كتبناه فى كتبنا السابقة وأوضحنا عجائب هذه الحشرات وغيرها إيضاحا أتمّ و بيانا أكمل فى كتابنا ﴿ جمال العالم ﴾ وكذا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وغيرها وهذا الكتاب انما جعلناه تذكرة عامّة للأمّة الاسلامية ليستيقظوا من غفلتهم وليفيقوا من سباتهم وليعلموا أن الله عزّ وجل ماوصف هذه الحشرات ولا ذكر هذه الآيات ولا أخذ يصف الأنهار والجبال والكواكب والشمس والقمر والنجوم إلا ليسوقنا اليها وليحثنا عليها فانظر مسألة النحل الذى

تقدّم الكلام عليها فانها فضلا عما فيها من بدائع الصنعة الالهية والحكمة الصمدانية دلالة على حكمة الخالق واتقانه ونظامه وعجيب صنعه فان لها أثرا عظيما فى الزراعة . إن تربية النحل فى البساتين النضرة موجب للثروة بالعسل الكثير الذى يربو اذا كانت الخلايا فى وسط الأزهار ويقلّ بل يموت النحل اذا كانت الأرض المحيطة به مقفرة ولها فوق ذلك شروط وأحوال خاصة يعرفها الدارسون لمستقرّها ومستودعها من علماء الزراعة الساهرين على مصالح الأمم . الناظرين فيما حدث به يد الخالق من العجائب والبدائع

ولما كانت هذه الحشرات الضعيفة ربما غفل الناس عن أمرها وصغروا من شأنها وجهلوا صنعها سمى الله عزّ وجل سورا من القرآن باسمها فسمى النمل والنحل والعنكبوت . أفليس ذلك نبراسا يهتدى به المسلمون فيرقون صناعاتهم ويبنون مجدهم ويدرسون كل مادبّ وكل ماطار وكل حيوان ونبات . إنّ فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار كما قرّرناه . انتهى من كتابى ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وسيأتى فى سورة (العنكبوت) زيادة على هذا

﴿ الوجه العاشر فى قوله تعالى ـ والله جعل لكم مما خلق ظلالا * وجعل لكم من الجبال أكنانا ـ الى قوله ـ لعلكم تسلمون ـ مع ملخص ماتقدّم ﴾

هاأنت ذا قد اطلعت على الطيور فى أوكارها والحشرات فى أعمالها والأنعام فى حقولها وعلمت درّها ونسلها ثم قرأت مافى آية ـ والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ـ

قرأت ذلك من قبل وهاأنت ذا تقرأ أن الظلال مسخرات لنا والجبال أكنان لنا وسرابيل من القطن والكتان والحرير والتيل لنا وختم ذلك بالسرابيل التى تقينا السلاح الذى يقذفه العدوّ لقتلنا . وههنا قد تمت النعمة فانه بعد تسخير الطيور والأنعام والحشرات لحياتنا وتسخير كل الثمرات والظلال والجبال ونبات القطن والكتان وأمثالها . بعد هذا كله لم يبق إلا الدروع السابغات فى الحرب لنتقى العدوّ بها وهنا تمت النعمة فقال ـ كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون ـ والاسلام هنا الانقياد والاخلاص وأن ننهج النهج الذى يرقى عقولنا ونستخدمها فيما خلقت له ونستفيد الامور العقلية والمادّية معا لأنه قال فى أثناء ذلك انه خلق السمع والأبصار والأفئدة لعلنا نشكره

﴿ ايضاح مقام الشكر ﴾

انظر أيها الذكى فى هذه السورة وتفكر فى نظم الآيات . لقد قرأت الآيات التى فى أوّل السورة وقد ابتدأ فيها بالانسان وختمها بالموادّ العنصرية أو ماهو أقرب اليها من الماء ونعمة الهواء الذى تجرى به السفن فابتدأ هناك من أعلى الى أدنى وقد ابتدأ فى سورة الحجر قبلها من أدنى الى أعلى وقد بينا سبب ذلك هناك فلانعيده . انما الأمر الغريب انه هنا لم يكن الأمر على نسق الاوّل ولا الثانى بل هو نسق يخالفهما فانه ابتدأ بانزال الماء ثم السماء فالأنعام والنحل ثم الانسان ثم الطير فجعل الانسان فى هذا فى وسط الجميع . فما حكمة هذا . إن الحكمة التى طويت فى هذا انه صرّح بأنه خلق السمع والبصر والأفئدة لنا وقال إنى خلقتها عسى أن تشكرونى ولامعنى للشكر إلا قبول النعمة والعمل بها وصرفها فيما خلقت له فهو هنا يقول أى عبادى أنتم مركز الدائرة فالأنعام على الأرض والحشرات والزرع والطير من فوقكم وأنتم بينهما ولكم السمع والابصار . واذا كان كذلك فلاحقّ لكم أن تناموا عن قراءة هذه . أنتم على الأرض والطير فوقكم والأنعام والحشرات على الأرض وأنتم بينهما أى بين الدواب والطير. هذا فى العالم الكونى الذى أنتم فيه فكما فعلت فى العالم فعلت هنا فلم أراع فى هذه الآيات السلسلة المنظمة لامن أعلاها كما فعلت فى أوّل هذه السورة ولا من أسفلها كما فعلت فى سورة الحجر بل راعيت ماتشاهدونه بأبصاركم فأنتم تشاهدون الأنعام والحشرات وهى أقرب اليكم

ثم تشاهدون الطير وقد قلت لكم إنى خلقت لكم السمع والأبصار والافئدة وأنتم بين هؤلاء وهؤلاء أى بين الانعام وماهو مختصر منها وهى الطيور فأنتم بحسب وضعكم فى الأرض بين هؤلاء وهؤلاء والعقول فيكم والحواس فكان عليكم أن تدرسوا وتعلموا وان لم ينزل لكم كتاب لأن العقل والحواس يوجبان ذلك فلما علمت ضعفكم وغفلتكم ونومة عقولكم نبهتكم الى ذلك بهذا القول وقلت لتكن عقولكم مسلطة على هذه العوالم فتدرسوها فأقسم بالطير وقدرتها والحشرات ونظامها والأنعام ونفعها إنى ماخلقتكم إلا لتعلموا وماوضعتكم فى الأرض إلا لتدرسوا

﴿ أعجب ماذكر فى هذه الآية و بعض رموزها ﴾

لقد تقدّم كيفية دراسة هذه العوالم . ولكن أذكر هنا ماهو أعجب . ذلك أن الحيوان ﴿ ثمانية أقسام ﴾ كما قدّمناه فنى هذه الآيات أربعة منها وأربعة لم تذكر فذكر الأنعام والحشرات وقد جاءت البهائم فى أوّل السورة وذكر الحشرات النافعة والطيور ولم يصرّح بذكر الوحوش ولا للسباع على الأرض ولا الهوام كالحيات وكذا لم يذكر الجوارح من الطير بنصها وان كانت داخلة فيها . فهذه أربعة غير مصرّح بها وهنا أربعة مذكورة وهى جلة الحيوانات . واعلم ان جميع هذه نعم علينا فالوحوش والسباع لازالة الرمم وازاحة الغمم وأن تكون أجوافها مقبرة للحيوانات البرّية . هكذا الهوام نافعة لنا كالحيات والعقارب كما قدّمنا فى سورة (آل عمران) لأنها تنظف لنا الارض من قاذوراتها فتحيلها الى أجسامها . وهكذا كواسر الطير ومثلها بعض حيوانات البحر الكاسرة القوية فانها تكون منظفة للماء من الحيوانات الميتة فيعفن الماء وانما لم يذكر الله ذلك صريحا لأن أكثر الناس جهال لايعقلون إلا مايمسّ شهواتهم كما تقدّم فى مسألة البنات وهى ظاهرة واضحة ولكن الانسان لجهله وغفلته المستحكمة لايعقل ذلك ولايفهم فحكم عليه حكما قاطعا أن يربى البنات شاء أم أبى . فاذا كان هذا فى نوع الانسان وهوجاهل به فما بالك بما هوأبعد عن فهمه من الحيات والسباع والوحوش والجوارح من الطير . إن أكثرالناس لايفهمون ذلك ولذلك ضرب عنها الذكر صفحا واكتفى بذكر العقل والسمع والبصر وقال اشكروا واذكروا . هذا هوالعجب فى هذه الآيات

﴿ جوهرتان ﴾

(الأولى) فى قوله تعالى ـ سرابيل تقيكم الحرّ ـ (والثانية) فى قوله تعالى ـ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون ـ

﴿ الجوهرة الأولى ﴾

اعلم أنه تقدّم فى سورة (الأعراف) على علم الصحة عند قوله ـ وكلوا واشربوا الخ ـ وفى سورة النساء عند قوله تعالى ـ مايفعل الله بعذابكم الخ ـ أقول تقدّم فى هذين المقامين الكلام على أن صوف الغنم ووبر الجمال وشعر المعز لها ﴿ خاصيتان * الأولى ﴾ انها تحفظ حرارة الجسم ﴿ والثانية ﴾ انها تنشف العرق . والحرير أقلّ والتيل والقطن أقلّ من سابقيهما وأن الموادّ كلها مختلفات فى توصيل الحرارة فجعلوا الفضة مائة (١٠٠) وغيرها أقلّ منها وهكذا الى الخارصين (١٩) والحديد (١١٫٩) والبزموت (١٫٨) فهذه المعادن موصلة جيدة للحرارة بهذه النسب . ومعنى هذا أنك لو وضعت ملاعق من الحديد والفضة والخارصين فى ماء حار وأمسكتها من الخارج وصبرت زمنا ما لم تقدر على أن تمسك ملعقة الفضة من خارج الماء لشدّة الحرارة ثم بعد ذلك تلحقها ملعقة الخارصين فالحديد

أما غير المعادن كالخشب والزجاج والفحم والصوف والحرير والوبر وجميع الاجسام العضوية فانها رديئة فى توصيل الحرارة . هذا بعض ماذكرته هناك فاقرأه إن شئت . وانما الذى أدهشنى اختصاص الدواب بالصوف والشعر والوبر . أريد أن أحدثك حديثا عن الانسان . إن المولود يخرج من بطن أمّه عارى

الجسد من الصوف والوبر والشعر والجلد المتين . عارى العقل من العلوم والمعارف . يدرج وينمو ويكبر فيرى طيورا فوقه ذات ريش لطيف و بقرا وجاموسا وغنما وابلا ذات شعر وصوف ووبر . ثم يرى أن الناس يتخذون من الصوف ومن الوبر ومن الشعر ملابس ومساكن يحملونها من مكان الى مكان و يراهم فوق ذلك يزرعون القطن والتيل والكتان و يستخرجون الحرير و يلبسون من ذلك كله ويراهم يجدّون لتحصيل ذلك كله فيتخذون الأنعام و يربونها ويكدّون فى جمع المال لما يأكلون من ذلك ويلبسون ثم يموتون ولاهم يذكرون . هذا تاريخ الانسان العادى الذى خرج من بطن أمّه لايعلم شيأ ثم لم يرتفع نظره الى ما فوق المآكل والمشارب والملابس . ولكن الله يقول له ـ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ـ ولاجرم أن مبدأ الشكر العلم ولاعلم إلا بالتعلم . ومتى أخذت البصائر تفتح بالعلم صارت أشبه بالزهرفى أشجاره والورد فى أكامه والكهرباء فى قناديلها والكواكب فى سمائها . هنالك تضىء له أركان هذه الطبيعة التى استعبدته . ينظر فماذا يرى . يرى أنه

(١) خلق عاريا والدّواب من حوله مكسوّة فيقول ما السبب فيجاب إنك منحت ومنعت وما منحت أفضل مما منعت . منعت شعرا وريشا ووبرا ومنحت عقلا وحكمة وبهذا العقل شاركت الدّواب فى أشعارها وأوبارها الخ وزرعت القطن والكتان الخ . فيقول ولماذا أعطيت فوق ما أتخذه من الدّواب قدرة على ما أتخذه من غيرها مع ان ماعدا الشعر والصوف والوبر أقلّ منها لحفظ الحرارة . فيجاب انك أعطيت عقلا والعقل حر فوجب أن يعطى الحرّية فيتخذ مايشاء و يختار قطنا أوتيلا أوصوفا على حسب الزمان والمكان فيلبس الجلود فى الأقطار الباردة و يلبس أخفّ الثياب فى الأقطار الحارّة . فيقال ولم لم يجعل على الحيوان قطن أوتيل ولم اختصّ بالصوف والوبر الخ . فيجاب أن الريش والوبر والصوف فيها ﴿ خاصتان * الاولى ﴾ انها تحفظ ماتحتها فلاتدخل عليه حرارة من الخارج كما فى (الثلج) المغلف باللبد فان ما أحاط به قد منع الحرارة الخارجية أن تصل اليه فيبقى ثلجا وهكذا الانسان يتقى الحرارة بالكساء وقت الظهيرة فى حمارة القيظ

﴿ الخاصة الثانية ﴾ أنها تحفظ حرارة ماتحيط به فلاتفلت الى الخارج . ألاترى الى الانسان كيف كان فى كثير من الأزمنة والأمكنة يحتاج الى حرارة أعلى من حرارة الجوّ المحيط به وهكذا الحيوان فلذلك أعطى الحيوان تلك الأشعار والأوبار لتحفظ حرارته الداخلة ولو كانت الأشعار وأخواتها موصلة جيدة للحرارة كما يوصل المعدن كالحديد والنحاس الخ لتسربت الحرارة الى الخارج ومات الحيوان فمن حكمة الله أنه لم يجعل طبع الأصواف والأوبار والأشعار كطبع الذهب والفضة والبلاتين وسائر المعادن بل جعلها موصلة رديئة للحرارة فحفظت للحيوان حرارته فعاش الى حين ولم تعط للحيوان الحرية فى اتخاذ ما يشاء كالانسان لأنه لاروية عنده مثله بل أعطى الكساء الحافظ له مرة واحدة فالمزية تعطى للأعلى وهو الانسان لأنه يستمدّ الحرية من الملأ الأعلى وقد قلد الانسان ربه . انظر الى ماذكرته فى سورة النساء عند الآية التى أشرت لها آنفا وهذا نصه

﴿ وترى الناس يغلفون أنابيب المياه الحارّة وأنابيب البخار وجميع الأجزاء التى قد تكون معرضة للهواء من مراجل بعض الآلات البخارية بغلف من الفلين أوخليط من طين بتبن أوطين بشعر أونوع من طوب قد صنع من فتات الفلين . كل ذلك لأن هذه موصلة رديئة للحرارة أى الطين المخلوط بالتبن والطين المخلوط بالشعر مثلا يمنعان ويحبسان الحرارة فى المراجل فلاتتبعثر فى الخارج . فهذه الأجسام الرديئة التوصيل للحرارة أشبه برعاة الغنم والامراء والحكام والوعاظ الذين يحافظون على الأمم ﴾ . انتهى

هذا هوالذى قلته هناك وأقول هنا نحن فى الارض اصطفينا هذه الاجسام التى لاتوصل الحرارة فجعلناها محيطة بآلاتنا . ولما نظرنا فى الحيوان وجدناه قد فعل به مافعلناه نحن فى أعمالنا . هنالك يأخذ الانسان كل العجب و يقول مابالنا نعيش ونموت ولاندرى هذه الظاهرة العجيبة . صوف ووبر وشعر تتحالف كلها

على

على حفظ الحرارة فى داخلها ثم لايحصل خطأ البتة . ولماذا لم نر هذه الخليقة أخطأت فى هذا التركيب ينظر الانسان فيراه يدرك جمال الوجوه وجمال النغمات ويعجبه حفيف الأوراق وتمايل الأغصان وتجاوب الرياح . الانسان يعرف هذا لأوّل وهلة ولكنه قط لايفطن لمثل هذه الظاهرة الشعرية والوبرية والصوفية

ولئن أدرك الجبر فى سقوطه بالتربيع المذكور فى أوّل سورة (آل عمران) وأشياء أخرى عجيبة فى سور غيرها كالرعد وذلك بالبراعة فى العلوم الرياضية إنه مع ذلك لا يشعر بالتعجب من هذه الظاهرة الحيوانية إلا بعد دراسة العلوم الطبيعية . تلك العلوم التى تفتح للعقول بابا كان مغلقا وترينا جمال الله وانه ليس خاصا بجمال الزهر والنهر والبحر والوجوه الجميلة بل الجمال الأوفى هو الذى اختفى عن أعين الجاهلين . هناك حساب دقيق فى خلق الحيوان . هناك ابداع واحسان وجمال ولكن ذلك الجمال لايراه العامة ولا أكثر المتعلمين . يعلمون ظاهرا من الفرح بتملك الأنعام وهم عن عجائبها معرضون . ثم يتأمل الانسان فى نفسه ويقول اذا كان كساء الحيوان قد بنى على علم وحكمة والناس يعيشون ولا يعقلون وقليل منهم الذين أدركوا هذا الجمال أى التناسب والتوافق . فعلام يدل هذا . فيقال له إن هذه الطائفة التى أدركت ذلك الجمال وفرحت به أرقى من بقية نوع الانسان وهؤلاء هم الذين يربون فى الأرض مع عامة الناس وتنمو قوتهم العاقلة ويزيدون جمالا فى نفوسهم ويشعرون بأن الناس حولهم عمى صم بكم عن ذلك الجمال وهذه الطائفة القليلة قد أعدت فى الأرض لعوالم أرقى . ومن جهة أخرى ذلك يدل أن هناك عوالم ونفوسا مشرقة فوق أهل الأرض غايتها فى حياتها ادراك هذا الوجود على ماهو عليه . فاذا كانت هذه الأرض أكثر أهلها من الناس غافلون عن عجائب الذرة والقمح مثلا المذكور بعضها فى تفسير الفاتحة وعجائب الأشعار والأوبار المذكورة هنا وفيهم أناس عرفوا وفرحوا فمعناه أن أكثر الناس مع الحيوان بعقولهم وأخلاقهم وأقلهم بل النادر فيهم هم القادة وهم السادة وهم الذين يشبهون نفوسا أعلى دأبها أن تفرح بهذه العلوم . ذلك لأن العقل يقتضى أن يكون الحىّ إما أن يكون صاحب شهوة وحدها واما صاحب عقل وحده واما جامعا بين الخصلتين . فالأوّل الحيوان والثانى الملك والثالث الانسان . ولكن هذا الانسان إن غلبت عليه الشهوات كأكثر الناس فى الأرض جهلاء ومتعلمين فهو الى الحيوان أقرب وان غلب عليه العقل فهو الى الملك أقرب . وقد وصلنا الى المطلوب الآن وهو أن أولئك الذين يشعرون بجمال هذه الخليقة ويدرسون سرّ وجودها هم أقرب الى الملائكة والناس حولهم جميعا كالحيوان . ذلك هو معنى قوله تعالى — والله أخرجكم من بطون أمهاتكم — وذكر الطير والمساكن والجبال والسرابيل وتمام النعمة . ولاجرم أن الطير قد تقدّم فى أوّل سورة المائدة عند قوله تعالى — فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض — والجبال ستأتى فى سورة (الغاشية) وتقدّمت اجمالا فى سورة (الرعد) عند ذكر القطع المتجاورات وفى سورة البقرة عند ضرب موسى الحجر بعصاه فتفجر الماء فان ذلك الصنع حاصل فى الجبل فاقرأه هناك وبقية الآية قد ذكرته هنا

إن لله كتابا قد كتبه بيده وهذا الكتاب هو سمواته وأرضه . هذا الكتاب أنزله قبل خلق الناس ولما خلقهم أعطاهم عقولا . فهذه العقول غشت عليها المادّة فجعلت بينها وبين جمال العالم الذى نحن فيه سدّا حصينا فأرسل الأنبياء فأخذوا يرشدون الناس الى دراسة هذا الكتاب الذى كتبه الله بيده الذى حروفه كبيرة فغفل أكثر قادة الديانات واكتفوا بحفظ أوفهم ألفاظ الدين وغرّهم فى دينهم ما حفظوه وما فهموه فرجعت الانسانية القهقرى . فماذا يفعل الله فى عوالم منحطة كهذه . يرسل عليهم البلاء ويخلق فى الأرض من يشعلون نار الحرب فتظهر علوم وصناعات تدهش أولئك المتدينين الغافلين فان ظهر فيهم مصلحون بعد ارسال العذاب عليهم ومحاربتهم وسمعوا لقولهم فازوا وان لم يقم مصلحون أوقاموا ولكن الأمم لم تسمع لقولهم أهلكت تلك الأمم ولات حين مناص

فياليت شعرى كيف نعرف قوله تعالى ـ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهنّ وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ إلا بمثل هذا المقال ولوسئل صوف الغنم وو بر الجمل وشعر العنز عن عمله وهى قادرة على النطق لقالت بلسان فصيح إن الله منحنى قوّة حفظ الحرارة لنفع هذا الحيوان فهو تعالى منزّه عن العبث مقدّس عن اللهو واللعب ووضع الشئ فى غير موضعه . هذا هو التسبيح العملى

وكيف نعرف معنى بسم الله الرحمن الرحيم أو ـ ورحمتى وسعت كل شئ ـ أو ـ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزّله إلا بقدر معلوم ـ إلا بمثل مابيناه . وكيف نعرف ـ ومايعقلها إلا العالمون ـ بكسر اللام إلا بنحو ذلك وهكذا ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ فى ذلك لآيات للعالمين ـ بكسر اللام . ثم كيف نفهم الأثر المشهور ﴿ مارأيت شيأ إلا وجدت الله قبله ﴾ وفى رواية (بعده) وفى رواية (معه) . كيف نعرف هـذا إلا بمثل هذه المباحث والعلوم . وهكذا قوله تعالى ـ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم الخ ـ

إن فهم عجائب الحيوان بالعلوم الطبيعية يجعل للانسان قوّة أن يفهم نفسه لأن السمع والأبصار والأفئدة التى أعدّت فيـه للشكر (ورأس الشكر المعرفة) تقوى بدراسة الطبيعة المحيطة بنا على فهم تركيب أجسامنا المذكور فى أوّل سورة (آل عمران)

هذا الهيكل المنصوب العجيب هو الذى سكن الملك وجنوده فى الطبقة العليا منه وهى العقل والحسّ المشترك والخيال والذاكرة والمفكرة ثم السمع والبصر و بقية الحواس . كل هؤلاء كانت سكناهم فى الغرفة العليا وهى الطبقة الثالثة فى الجسم فلم نر بين هؤلاء النوّاب ورئيس جمهوريتهم فى باطن الدماغ ولابينه و بين حكام الأقاليم الذين اختصوا بها كالسمع لاقليم المسموعات والبصر لاقليم المبصرات وهكذا . أقول لم نر بينهم أحدا من سكان الغرفة الوسطى كالقلب وكالرئة اللذين كان شأنهما اصلاح الدم وتوزيعه الى سائر الطبقات بعدل ونظام مبين فهذان تأدبا بآداب الله الذى حكم عليهـما ألا يجلسا فى مجلس نوّاب هذه المدينة الذين هم أولى أن يكونوا فى أعلى المكان ليشرفوا على الجسم كله وليحصلوا منافعـه من تلك الأقاليم . وهكذا لم نر فى الطبقة العليا ولافى الطبقة الوسطى أحدا من سكان الطبقة الدنيا فلم نر المعـدة المعدّة لهضم الطعام . وكذلك الامعاء الدقاق والغلاظ ولا الكبد المعدّ لمساعدة الدم فى تقويمه ولا الطحال ولا الكليتان اللاتى لهنّ عمل فى الدم إما بحفظ الكرات البيضاء واما بجذب الماء من الدم . أقول لم نر أحدا من هذه كلها خرج من الطبقة الدنيا فعاش مع القلب والرئة أوالى الطبقة العليا فجالس رئيس الجمهورية أوأعوانه الذين هم داخل القصر ولا أعوانه الذين يحكمون الأقاليم كاللمس وكالشم وكالذوق للملموسات والمشمومات والمأكولات . فهؤلاء جميعا مؤدبون فى أماكنهم قائمون بأعمالهم كالملائكة الموكلين بهذا العالم ـ ومامنا إلا له مقام معلوم ـ

هذا هو الذى يفهم هو ونظيره من قوله تعالى ـ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ـ ومن قوله ـ كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون ـ

اللهم لاشكر إلا بالعلم وأجلّ العلم مابه عرفنا أنفسنا . فاذا وجدنا سكان الطبقات السفلى لم يتكبروا فيجلسوا فى الطبقات العليا . فهكذا سكان الطبقات العليا لم يتنزّلوا الى سكنى الطبقات السفلى لئلا تتعطل أعمالهم فلم يكن العقل وهو الرئيس المذكور ولانائب من النوّاب معه كقوّة الذاكرة ولاحاكم من حكام الأقاليم كالبصر تنزّلن فجلسن فى الصدر أوأمامه ولافى المعدة والامعاء أوأمامهنّ ذلك لئلايحصل الاختلاط بالموادّ الغليظة فلايقمن بأعمالهنّ . كذلك لم نر القلب ولا الرئة تنزّلا الى وضعهما بجانب الكبد أوالمعـدة أوالطحال أو الامعاء لئلا يستضرّا بتلك الموادّ الغليظة فيتفسيرهما

ثم ان الانسان يرى أن هناك شرطين لايفتآن يلهبان هذا الانسان والجوف بسوطهما ﴿ أحدهما ﴾

هو

هو الجوع فكلما كان أحدّ سيفا وأقوى عصا كان الانسان أقدر على حفظ حياته بالطعام . وكلما ضعفت عصاه أوفلّ سيفه ضعف الغذاء فضعف الانسان ﴿ وثانيهما ﴾ الشبع الذى يأمره بالكفّ والا ضربه بسوط السآمة والكراهة للطعام . وهناك عضوان آخران ﴿ أحدهما ﴾ جالس أمام الرئيس والنوّاب قريبا من حكام الأقاليم والعضو الآخر جالس أسفل الطبقات كلها . فالأوّل هو سفير الدولة يبلغ الدول كلها مايريده نوّاب الأمّة أو يفعله حكام الأقاليم عند الاقتضاء . وهذا هو اللسان والثانى وهو الذى جلس فى أسفل الطبقات هو عضو التناسل لأنه انما جعل ليكون لهذا الانسان نظير له يبقى بعده وانما وضع هذا فى الأسفل لأن عمله فردى والأعمال الفردية قيمتها أرخص القيم . أما ترجمان الدولة وحامل علمها وسفيرها المعبر عن آراء عظمائها فهو أعلى مقاما وأكبر سلطانا ولذلك كان فى الطبقة العليا ونظير ذلك العلماء والحكماء فى نوع الانسان الذين هم ممدوحون فى كل كتاب وعلى كل لسان بخلاف الاعتكاف على اشباع البطن أو عضو التناسل امتثالا لسوق الشرطيين القويين الجوع والشبق . فالاعتكاف على ذلك تنزّل عن الانسانية الى درجة البهيمية

إن هذين الشرطيين قد وضعا فى أسفل الطبقات للاشارة الى أن هذه منزلتهما فهما مأموران لا آمران والمأمور اذا أصبح آمرا فسدت المدينة ولو كان المدار على حفظ الشخص وحده لكان الدود فى الفاكهة أعزّ وأسعد لأنه محفوظ لايحتاج الى شئ آخر . ولو كان المدار على التناسل لكانت الحيوانات النقيعية التى تتكاثر بطرق شتى كالانقسام وكالازرار التى تنبث على ظاهر جسم الحيوان وتصور بصورته تدريجا ثم تنفصل عنه وتكون حيوانا مثله . أقول لو كان المدار على التناسل لكانت هذه الحيوانات أشرف من الانسان ألف ألف مرة فان العلامة (ارنبرج) حسب أن الحيوان الواحد منها يصير ٢٦٨ ألف ألف حيوان فى مدة شهر واحد . إذن عملية التناسل أقلّ الأعمال الحيوانية ولذلك وضع عضوها أسفل من غيره . فأما الترجمان وسفير الدولة فقد جلس فى الطبقة العليا كما قدّمناه لشرف مكانته . ولاجرم أن سفراء الدولة يجب أن يكونوا على اتصال تام بالهيئة الحاكمة فلذلك لم ينزل اللسان الى الطبقتين الأخريين فلم يجلس مع القلب والرئتين ولا عند المعدة والامعاء لأن هؤلاء عمال ولاعلم عندهم وانما العلم عند الرئيس والنوّاب وحكام الأقاليم

ولما كانت الدولة لابدّ لها من صحافة وكتاب لدواوينها لتدوين أعمالها وجب أن يكون بجانب هذا الترجمان (الذى كثيرا مايعطى لقب سفير بل سفراء لعظم مقامه) كاتبا يكتب كل مايلزم فوقع الاختيار على اليد وقربت اليه جدّا بحيث كانت فى أعلى الطبقة الوسطى فهى قريبة من اللسان وهى التى تكتب آثاره وتسطر أعماله . ذلك هو الانسان . ذلك هو الكتاب المسطور الذى سطره الله لنقرأه ومتى قرأناه استعددنا للقاء الحضرة الربانية لأنه لايرى الله إلا من أحبه . وكيف يكون الحبّ لمجهول والعلم العام لا يعطى محبة

واعلم أن هذا القول ليس يذوقه كل من قرأه فان أحببته وفرحت به فاعلم انك رجل مفتوح عليك وان رأيت قلبك غير فرح به فادع الله واعبده فينشرح صدرك

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

﴿ جمال الجوهرة ﴾

أيها الذكى القارئ لهذا الكتاب اعلم أن هذا المتقدّم هو الذى فتح به الله علىّ فى هذه الليلة (١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧) فها أنا ذا أقول صباحا فى نفس التاريخ ماله انشرح الصدر فى المنام واليقظة معا وهما ﴿حكمتان﴾ موضحتان لهذا المقام

﴿ الحكمة الأولى ﴾

اننا قد فهمنا أن لهذا الانسان مايشبه الجمهورية ورئيسها وأن هناك نوّابا عن الأمّة كالذاكرة والمخيلة الخ

وأن هؤلاء النوّاب هم المعبرون عن حاجات مجموع الجسم وأن لهم ترجمانا ونفس هذا الترجمان هو السفير للخارج وأن هناك رجال الصحافة والمؤلفين لهذا السفير ولهذا المجلس من نوّاب ورئيس الخ وهذه الأعمال قد اجتمعت فى اليد فهى الكاتبة لهذا كله ، وأقول الآن فوق ماتقدم ان لكل دولة كأمّتنا المصرية مصالح من زراعة ومعارف ووزارة لداخل البلاد وأخرى لخارجها ووزارة للأشغال ووزارة للحربية ومصلحة المساحة ومصلحة المواصلات ، وهذه كلها موفرة فى الانسان ، فاليد تزرع كالأولى وتساعد العقل واللسان فى الثانية وتحافظ على الجسم من الدرن ومن الحشرات المؤذية كالبراغيث وذلك كوزارة الداخلية وأما وزارة الخارجية فهى اللسان واليد واليد تحفر الأنهار بالفأس وهذه هى الأشغال وتمسح الأرض وهذه هى المساحة والرجل تقوم بالسير فى الأرض بدل وزارة المواصلات واليد تدافع العدوّ تارة والرجل تهرب به أخرى وكلاهما بدل وزارة الحربية ، انتهت الحكمة الأولى

الحكمة الثانية

(محاورات بين الدودة والغزالة والانسان والملك فى السعادة والشقاوة)

كأنى الآن فى نفس صباح هذا اليوم فى عالم الخيال وكأنى أرى (١) دودة (٢) وغزالة (٣) وانسانا (٤) وملكا والثلاثة الأوّلون يتحاورون والملك يستمعهم

قالت الغزالة للدودة فى بطن التفاحة إذ عثرت عليها وهى تعالج أكل التفاحة ، أيتها الدودة لقد عشت هنا فى حصن حصين ونعيم ، إن الله أعدّ الجنة للمتقين فها أنت ذه فى جنة عرضها التفاحة وماؤها حلو لذيذ وسماؤها وأرضها روح وريحان وجنة نعيم لاتعب ولانصب وأنت فى عزّ مقيم أما أنا ففى نصب وتعب أفرّ من الآساد والذئاب ومن هو أظلم منهما وهو الانسان كلهم يطاردوننى فأنت فى نعيم وأنا فى جحيم فأنا لا أدرى أين العدل فى هذا التقسيم ، نعيم لقوم وجحيم لآخرين ولافضل لك ولاذنب علىّ ، فقالت الدودة قد أخطأت يا أختى المرى وجهلت قدر النعمة ، كيف تكفرين بنعمة الادراك والجلد والشعر والحواس والقوّة ، منعك الأدنى وأعطاك الأعلى وأنا فهمت نعمتى ورضيت سعادتى وأنت لم تفهمى ، منعك الراحة ولكنه أعطاك القوّة وهذه الأعضاء والحواس وسهل لك سبل المعاش فزرع لك الأرض وملأها بالكلأ وقال كلوا واشربوا وما السعى إلا ترقية لكم وذلك فتح لباب الحرّية والاستقلال وأنت اليوم فتح لك بابهما بهذا السعى فأنا فى سجن مع تمام اللذات وأنت فى شبه حرّية مع السعى ، ــ فأىّ الفريقين أحقّ بالامن إن كنتم تعلمون ــ

فجاء دور الانسان فقال ، لئن شكوت أيتها الغزالة لأنا أحقّ بالشكوى منك ، قد أظلمت الدنيا فى وجهى وفتحت لك أبواب السماء وأكناف الأرض فأنت موفاة الغذاء والماء تأوين كل مكان وتشربين من كل نهر والكلأ قد ملأ السهل والوعر وقد أعطيت كساء دافئا من ولادتك الى موتك ، أما أنا فانى قد حكم علىّ أن لا آكل إلا ماصعب الحصول عليه من حبّ وفاكهة ولحم ، كل ذلك لاأناله إلا بمشقة عظيمة وعرق جبين وأعمال ونصب وتعب وحكومات وعداوات مما يطول شرحه ولامطمع فى استقصائه ، فقالت الغزالة انما مثلى ومثلك كمثل الدودة معى ، لقد أعطيت أنت العقل واليدين فأما أنا فلى أربعة أرجل ولايدلى أقلب بها الأرض فأستخرج زرعها وأحصل الشعر والوبر والصوف من غيرى لذلك وفر الغذاء لى وأمرنى بالسعى اليه برجلى وأنت لما أعطاك اليدين والعقل وغيرهما أمرك أن تعمل بهما فتستخرج الغذاء والكساء اللذين أكثرهما عندى ولو أنه منحك الغذاء والكساء موفرين لأصبح عقلك ويداك بلاعمل فتصرفهما فى الشرّ وهذا قوله تعالى ــ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ــ والمطالب لانهاية لها ومنافع المادّة لاتفنى ووراء كل كشف سرّ ــ وفوق كل ذى علم عليم ــ ، انما فعل ذلك معى ومعك لأنه عدل فأعطاك حيث منعك ومنعنى حيث أعطانى ، فهناك غنم وغرم وأنت أعلى منى لأن هذا النصب فتح لباب اتمام الحرّية

والله

والله ليس بخيلا وانما هو حكيم والحكيم يفعل على قدر المصلحة فلو أمرنى أن آكل كما تأكل أنت وألبس كما تلبس أنت بحيث لا آكل إلا البرّ واللحم ولا ألبس إلا الخزّ والديباج لكان ظالما . ولو سهل لك الملابس والمآكل مثل ما سهل لى لكان ظالما لأنه أقعدك عن المعالى وهى الحرية والعلم فكل حركة من حركاتك العقلية والجسمية مفتاح من مفاتيح أبواب الجنة والخروج من أسر هذه المادّة والقرب من ربك الذى تنزه وتقدّس عن المادّة . فهذا كله جهاد علم الانسان أم جهل شاء أم أبى — إنّ ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم — . — إنّ الله عليم قدير — وكل من منحه علما وقدرة من مخلوقاته كان أقرب اليه وبازدياد العلم يزداد القرب والعلم بالسعى والاكتساب قال تعالى — وزاده بسطة فى العلم والجسم — الخ وان لك لعبرة بالجنين منكم فانه لما منع القوّة العقلية والجسمية أعطى غذاء من أمه فمثله كمثل الدودة ولما ولد وأخذت أمه ترضعه فانه يكون أشبه بى موفر الرزق ولكن عنده بعض السعى إذ يبكى لأمه ويضحك ويمسك الثدى ويمتص اللبن وكل ذلك عمل أشبه بعملنا نحن الغزلان فى طلب القوت الموفر فى الأقطار فاذا كبر هذا الطفل واستغنى عن لبن أمه سعى بنفسه وجدّ فى طلب الرزق فارتقى عن هاتين الحالين فهل تقولون ان حال الطفولة أفضل من حال الرضاعة أم تقولون إنّ هاتين أفضل من حال البالغ فى السنّ . هذا معنى قوله تعالى — قتل الانسان ما أكفره — فهذا هو الكفر المذكور فى هذه الآية من القرآن . فلما سمع ذلك الملك قال (وأنا أسمع) أن هذا القول هو تفسير قوله تعالى — وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا — الى قوله — فلله الحجة البالغة — فهذه الحجج من حجج الله البالغة فحجج الدودة وحجج الغزالة فتح باب لفهمكم حجة الله البالغة

واعلموا أيها الناس انكم مادمتم لم تقفوا على الحقائق بحيث تفهمونها كما فهمتم أمر الدودة والغزالة والانسان فانكم لا تصلون لرؤية ربكم . وكيف يجالس الملوك من هو مملوك ذليل وضيع . إن هذه الآراء تعطى الناس رضا بما يمرّ عليهم من عزّ وذل وغنى وفقر . ومتى ارتقت عقول الناس أدركوا أن الذليل منهم والعزيز والفقير والغنى الخ لم يكن هذا لهم إلا لحكم مخفية على الناس كهذه الحكم التى ظهرت فى الدودة والغزالة والانسان فالحكم فى تفاضل الأنواع كالحكم فى تفاضل الأفراد والأوّل قد فهمتموه والثانى يجب عليكم أن تصبروا عليه حتى تفهموه وهذا أيضا معنى قول نبيكم ﷺ ﴿ وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه من الله ﴾ فلا شرّ إلا مثل ما ادّعته الغزالة بالنسبة للدودة وما ادّعاه الانسان بالنسبة للغزالة . كلاهما ظنّ أن نصبه شرّ وماهو بشرّ بل هو خير . فاذن لا شرّ وانما تلك مراتب وضع الله المخلوقات فيها فلم يفهموا وهذا معنى حمد الله على السراء والضراء لأن الحمد لا يكون إلا على نعمة فاذا كان قول المسلم ﴿ فلك الحمد على ماقضيت ﴾ يشمل القضاء بالخير وبالشر فان لم يكن الشرّ المذكور خيرا فى الواقع كان الحمد رياء فيحمد المؤمن ربه على الشرّ والخير وسيأتى يوم يفهم فيه أن الشرّ خير فى الواقع كما فهمت الغزالة فى هذا المثال

وهذا فى دين الاسلام هو نفس المحاورة التى بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام . فالسفينة التى لمساكين يعملون فى البحر قد عابها الخضر خوفا من الملك أن يأخذها . فهل هذا شرّ . وهل موت الغلام الذى كان شرّا على والديه شرّ . وهل اقامة الجدار الذى يحفظه يحفظ مال الأيتام شرّ إلا اذا قال الانسان ان كدحه لولده الذى سيموت وتأليفه العلم شرّ ونفعه الناس شرّ وانفاقه على المساكين شرّ لأنه لم يأخذ عوضا كلا بل اقامة الجدار وما بعده كلها خير كبير لأنها وان لم تقابل بفائدة معجلة فان النفس ارتقت بهذا العمل ولا علم لها به وهذا المقام يعرفكم السرّ فى الأمر بالرضا بالقضاء والقدر . فهذا الصبر الذى أمرتم به على مثل ما تصبر الغزالة وما يصبر الانسان بالنسبة للغزالة يكون اليوم تكلفا فاذا ارتقيتم الى عوالم أعلى بعد الموت وقفتم على سرّ ما جهلتم الآن وأدركتم سرّ كل ما صبرتم عليه وعلمتم حكمته كما علمت الغزالة وعلم الانسان كل

منهما سرّ نصبه وتعبه بالنسبة للآخر

فما من عزّ أوذلّ أواستعباد أوحرية أوفقر أوغنى أوجهل أوعلم أوايمان أوكفر إلا الحكم استترت على الناس والناس مأمورون أن يصبروا وحرم عليهم أن يعلموا الحقائق وسيأتى يوم يعلم الناس أن حقائق الديانات هى نفسها علوم هذه الطبيعيات فى الأرض والسموات . فلما سمعت ذلك انتبهت من الخيال وكتبت هذا المقال . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى ـ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون ـ ﴾

قد جعل الله خاتمة النعم السرابيل وهى الدروع التى تقينا بأسنا تقينا الحرب والضرب والقتال . ياعجبا لهذا الانسان وحياته

﴿ عجائب الانسان وحربه وقتاله ﴾

هل يدور بخلد الناس أنهم لاسعادة لهم إلا بالقتال . هل يعلمون أن الحرب نعمة عليهم . ياعجبا إن السباع والوحوش نعمة كما ذكر والحيات والعقارب آية باهرة كما ذكرناه وجوارح الطير خير من عند الله وقد أصبح الانسان يرى بعقله أن كل ماهوموجود نعمة من عند الله . هذا هوالذى قضاه العقل الذى ذكر فى الآية وانه انما خلق لشكر الله ولكن هل يعلم الانسان أن حروب الدول والممالك كالحرب الكبرى العامّة التى ابتدئت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ هل يعلم أنها هى وأمثالها نعمة كنعمة تلك الحيوانات واصطياد كبارها لصغارها واجتياح أقواها أضعفها فان لم يعلم الناس ذلك فليقرؤا ـ سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم ـ وجعل هذه خاتمة النعمة . جعل الله الحماية من الحرب نعمة . وياليت شعرى أىّ فرق بين الغازات المعمية والخانقة والطيارات الجوّية والقنابل اليدوية والديناميت . أى فرق بين هذه وبين الدروع . لافرق بل هذه أبعد منالا وأشرف وأرقى مثالا . يجعل الله ذلك نعمة علينا ويأمرنا بشكرها ويقول هذه العقول خلقتها لتشكرونى بالتفكر وبالعمل . وأىّ نعمة فى هذه . إن فى ذلك نعما عظيمة يجدّد نشاط الأمم ويحيى قوتها ويرقى آمالها ويبعث فيها فكرة التجديد وتموت الأمم الخاملة وتحيا العاملة لأن هذا العالم عالم نشاط والله خلاق فلايحب إلا العاملين لاسيما فى مستقبل الزمان إذ تكون أمم ودول قويات عاملات نشطات . فأما زمن الكسل والتواكل والاستعمار فقد مات وفات وفطن الناس وسيرتقون

ولقد أوحى الله لكل أمّة وحيا إلهاميا أن تحافظ على كيانها وتلم شعثها وتسابق جيرانها فجعل الأمم أشبه بأنواع الحيوان تهجم فرقة على فرقة وبثّ فى قلوبهم الحمية سواء أكانت جاهلية أم دينية أم وطنية أم جنسية أم غير ذلك وجعلهم يقتتلون . وهذا الاقتتال هوالذى يبعث اليهم النشاط ويقوّى الآمال . فأما الموت الذى تكون الحرب سببه فانه مقصود من مقاصد هذا الوجود فهوأشبه بموت الوباء أوقلة الغذاء أومنع المطر أوغير ذلك . هذا بعض من قوله تعالى ـ وسرابيل تقيكم بأسكم ـ فهو يأمر المسلمين والناس أجمعين بشكره على هذه السرابيل الحربية والأدوات القاتلة للأمم لأنه هكذا خلقت وهكذا يريد ترقيتنا فاذا لم نفكر فى ذلك ولم نعمل به أرسل أعمالنا الينا فقتلتنا بهذه الآلات والمدمرات . تمّ الكلام على القسم الثانى من السورة

(القِسْمُ الثَّالِثُ)

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ
أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ *
وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا
السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ
اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ
صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً
مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * إِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ * مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ
أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ
* لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (العدل) فى اللغة المساواة فى كل شئ من غير زيادة فى شئ ولا غلوّ ولا نقصان فيه ولا تقصير فاذن هو المساواة فى المكافأة إن خيرا فخير وان شرا فشرّ (والاحسان) أن تقابل الخير بأكثر منه والشرّ بأن تعفو عنه (وإيتاء ذى القربى) اعطاء الأقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للعناية بهم (والفحشاء) الافراط فى متابعة القوّة الشهوية كالزنا وشرب الخمر والحرص والطمع والسرقة (والمنكر) هو ماتنكره العقول من دواعى القوّة الغضبية كالضرب الشنيع والقتل والتطاول على الناس (والبغى) هوما كان من مجموع القسمين السابقين كأن يسرق و يقتل معا وكأن يرتشى و يحكم بالباطل فالبغى يجمع الفحشاء والمنكر معا وهو صفة الشياطين (يعظكم) أى أمركم بثلاثة ونهاكم عن ثلاثة لكى تتعظوا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى (لعلكم تذكرون) تتعظون (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هو كل ما يلتزمه الانسان باختياره و يدخل فيه الوعد أيضا لأن الوعد من العهد (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ولا تنقضوا الأيمان فتحنثوا فيها

ومنها

ومنها أيمان البيعة بعد توثيقها وتشديدها (كفيلا) شهيدا بالوفاء بالعهد (إنّ الله يعلم ماتفعلون) من وفاء بالعهد ونقضه . ثم أخذ هنا يضرب مثلا لنقض العهد بأن امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو من بني تيم كانت حمقاء بها وسوسة تغزل هي وجواريها غزلا ثم تأمر بنقضه (من بعد قوة) ابرام وإحكام (أنكاثا) طاقات جمع نكث وهوماينكث فتله مفعول ثان لنقضت أى صيرت والمراد تشبيه ناقض العهد بهذه المرأة الحمقاء أومن هذا شأنه من كل من يغزل و ينقض غزله حماقة اى ولاتكونوا متشبهين بهذه المرأة حال كونكم (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) والدخل مايدخل الشئ وليس منه فيكون ذلك دغلا وخيانة وخديعة فيظهر الرجل الوفاء بالعهد و يبطن نقضه (أن تكون أمّة هى أربى من أمّة) لأن تكون جماعة أوفر عددا من جماعة . وقد كانوا يحالفون فاذا وجدوا قوما أكثر عددا منهم نقضوا حلف الأوّلين وحالفوا الآخرين (إنما يبلوكم الله به) أى إنما يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أتمسكون بعهد رسول الله ﷺ مع قلة المؤمنين وفقرهم وكثرة قريش وثروتهم (وليبيننّ لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون) حين يجازيكم على أعمالكم ثوابا وعقابا (ولوشاء الله لجعلكم أمّة واحدة) متفقة فى الاسلام ولكنه لم يشأ ذلك لاختلاف الأمزجة والأخلاق والقابليات كما اختلف كل شئ فى العالم (ولكن يضلّ من يشاء) بالخذلان على مقتضى استعداده (ويهدى من يشاء) بما استعدّ للهداية وقوله (ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرر للتأكيد (فتزلّ قدم بعد ثبوتها) فتزلّ أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها ووحدت القدم ونكرت للدلالة على أن زلل أى قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة (السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بسبب صدودكم عن الوفاء وخروجكم عن الدين أو بصدّكم غيركم لأنهم لونقضوا أيمان البيعة وارتدّوا لاتخذ غيرهم نقضهم سنة يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولاتشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أى ولاتطلبوا بنقض عهودكم عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (إنّ ماعند الله) من الثواب (هوخيرلكم) من عاجل الدنيا (إن كنتم تعلمون) أفضل العوضين ثم بينه فقال (ماعندكم ينفد وماعند الله باق) وهوثواب الآخرة (ولنجزين الذين صبروا) على الوفاء بالعهد على السراء والضراء وعلى جميع الامور العظيمة كالبأساء والضراء وحين البأس (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) بجزاء أحسن من أعمالهم (فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا يعيش عيشا طيبا سواء أكان موسرا أومعسرا فالموسر يصرف عنه الطمع المؤدّى الى الفقر الحقيق والمعسر يتصف بالقناعة والرضا وتوقع الأجر العظيم . فأما الكافر فالحرص وخوف الفوات يكدّران عيشه معسرا كان أو موسرا لأن النفس لاتكون مطمئنة البتة (بأحسن ماكانوا يعملون) فهم سعداء فى الدنيا بما تقدّم وفى الآخرة بالثواب كقوله ـ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ـ (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءته (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوس لك فى القراءة وذلك للاستحباب وصورة الاستعاذة ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾

ولما كان أولياء الله المتوكلون ليس له عليهم سلطان واستعاذتهم انما هى لما يباغتهم به فى أوقات غفلاتهم أفاد ذلك بقوله تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) كما تقدّم فى قوله تعالى ـ إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان ـ (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه كميلهم الى الشهوات واتباع الأهواء (والذين هم به مشركون) أى بسببه . ثم أتى بذنب من ذنوب هؤلاء الذين يتولون الشيطان فقال (واذا بدّلنا آية مكان آية) أى بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أوحكما (والله أعلم بما ينزل) فهو أعلم بالمصلحة فما كان مصلحة فى زمن سيكون مفسدة فى آخر فيثبت ما كان مصلحة و ينسخ مالا يكون كذلك (قالوا) باملاء الشيطان عليهم واطاعتهم له (إنما أنت مفتر) متقوّل على الله تأمر بشئ اليوم وتنهى عنه غدا وجملة ـ قالوا ـ جواب الشرط وجملة ـ والله أعلم بما ينزل ـ اعتراضية لتوبيخ المعترضين بأنهم

لايعلمون المصلحة والمفسدة فتكلموا بما لايعلمون ولذلك أوضحه بقوله (بل أكثرهم لايعلمون) تلك المصالح والمفاسد فلايميزون الخطا والصواب (قل) يامحمد (نزّله روح القدس) هوجبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهوالطهر أى الروح المقدّس أى المطهرمن المآثم (من ربك) من عنده حال كونه ملتبسا (بالحق) بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان متى عرفوا المصلحة فى الناسخ وبذلك يرسخ الايمان (وهدى و بشرى للمسلمين) معطوفان على ـ ليثبت ـ أى للتثبيت وللهدى والبشرى للمنقادين لحكمه تعالى . ثم انه ﷺ كان يجلس مع سلمان الفارسى ومع عبد لحويطب بن عبد العزّى وكان نصرانيا أعجميا قد أسلم وحسن اسلامه يسمى عائشا أو يعيش فقال مشركو مكة إنما يعلمه هذان الأعجميان وهذا قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كعائش وسلمان فردّ عليهم الله قائلا (لسان الذى يلحدون اليه) يميلون و يشيرون اليه (أعجمى) أى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه أعجمى اللغة (وهذا) أى القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة وهل الأعجمى الذى لايبين يعلم الفصيح البليغ فى البيان وهل مايسمعه من غلام سوقى فى بعض أوقات مروره من كلمات أعجمية يصعب فهمها تكون سببا لهذه العلوم الكثيرة فى القرآن الذى أعجزكم (إنّ الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله) الى الحقّ (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لأنهم لايخافون عقابا يردعهم عنه (وأولئك) أى الذين كفروا (هم الكاذبون) الكاملون فى الكذب ثم استأنف فقال (من كفر بالله من بعد ايمانه) فعليه غضب الله (إلامن أكره) على الافتراء وكلمة الكفر (وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به كعمار بن ياسر إذ أخذه المشركون هو وأباه ياسرا وأمّه سمية وصهيبا و بلالا وخبابا وسالما فعذّبوهم ليرجعوا عن الاسلام فهؤلاء السبعة ليس لهم عشيرة كأبى بكر إذ منعه قومه ورسول الله ﷺ منعه عمه أبوطالب . فهؤلاء لما كانوا أوّل من أظهر الاسلام ألبسوهم أدرع الحديد وعذبوهم إذ أجلسوهم فى حرّ الشمس بمكة . فبلال كان يقول أحد أحد فاشتراه أبو بكر فأعتقه و ياسر قتل وسمية كذلك وهما أوّل قتيلين فى الاسلام وخباب أوقدوا له نارا فأطفأها ودك أى دهن ظهره وأما عمار فان بنى المغيرة غطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد ﷺ فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله ﷺ أن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملىء ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكى فقال رسول الله ﷺ ماوراءك قال شر يارسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل ﷺ يمسح عينيه و يقول إن عاودوا لك فعد لهم بماقلت فنزلت هذه الآية . وحكم هذه الآية ماقاله العلماء ﴿ ان من عذب عذابا شديدا لايطاق كالتخويف بالقتل والضرب الشديد أوالاحراق جاز له التلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ ويقولون ﴿ إن الأفضل الصبر حتى يموت كما فعلت سمية أم عمار و ياسرأبوه وصبر بلال على العذاب ولم يلم على ذلك ولايقع طلاق باكراه خلافا لأبى حنيفة ﴾

ثم أتى بما يقابل المكره فقال (ولكن من شرح بالكفرصدرا) أى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره هو ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) فى الآخرة (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أى ذلك الوعيد بسبب استحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة أى إيثارهم إياها عليها (وان الله لايهدى القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة (لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) إذ ضيعوا ثمار أعمارهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا) أى عذبوا كعمار (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد (إن ربك من بعدها) أى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) متجاوزعن ذنوبهم (رحيم) بهم (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) الظرف متعلق برحيم أى تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها فكل امرىء يقول نفسى و يفرّ

المرء

المرء من أخيه وأمه وأبيه الخ (وتوفى كل نفس ماعملت) جزاء ماعملت (وهم لايظلمون) لاينقصون أجرهم (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) كان أهلها آمنين من العدوّ والقتال والجوع والسبى (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أى أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أى فعاقب الله أهلها بالجوع والخوف من العدوّ بما كانوا يقترفون من الذنوب قولا وفعلا . والقرية المضروبة مثلا غير معينة وتعيينها ليس ضروريا للمعنى . يقول بين الله صفة ثم أبدل منها قرية أى صفة قرية وتلك القرية لها ﴿ صفتان * الأولى ﴾ الامن والاطمئنان من الأعداء ﴿ والثانية ﴾ سعة الرزق آتيا من سائر البلدان فكفروا فعمهم الجوع والخوف وذاقوا مرارتهما بعد سعة العيش والأمن والطمأنينة . فهذا المثل ضربه الله لكل قوم أنعم عليهم فبطروا النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته . وهذا المثل مضروب لأهل مكة ولنا ولكل انسان فى الأرض * وقد قيل ان أهل مكة أصابهم ما أصاب أصحاب هذه القرية فجاعوا سبع سنين بقطع المطر عنهم فأكلوا العظام المحرقة وجيف الكلاب والميتة . وأما الخوف فهو من سرايا النبى ﷺ و بعوثه التى كانت تغير على من حولهم من العرب وذلك يخيفهم

﴿ تنبيه ﴾

إن فى هذا المقام ﴿ استعارتين ﴾ فى الاذاقة والالباس ومؤلف التفسير لاينبغى له أن يصرف العقول عما أنزل له القرآن الى أمور صناعية بعد ما استبان المعنى وفهمه العقلاء فان ذلك للمبتدئين . ثم أخذ يبين ماهى النعمة التى كفر بها أهل مكة ليكونوا كأصحاب تلك القرية المضروب بها المثل فقال (ولقد جاءهم رسول منهم) وهو محمد ﷺ (فكذبوه فأخذهم العذاب) وهو الجدب الشديد (وهم ظالمون * فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله) لأنكم إن كفرتموها كنتم كأصحاب تلك القرية وضرب المثل انما يراد ليعتبر به فلتكن النعمة مشكورة (إن كنتم إياه تعبدون) إن كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والأنعام فاستحلوا فان عبادة الله فى تحليلها . ثم أخذ يبين المحرّم ومتى علموه علموا الحلال المذكور فقال (إنما حرّم عليكم الميتة) التى أمر بذبحها (والدم) المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وما ذبح بغير اسم الله عمدا أوالأصنام (فمن اضطرّ) أجهد الى ماحرم الله عليه (غير باغ) على المسلمين أوغير مستحل لأكل الميتة (ولاعاد) متعمد للأكل بغير ضرورة أو ولاقاطع طريق (فانّ الله غفور) متجاوز بأكل الميتة عند الضرورة (رحيم) إذ رخص له أكل الميتة . هذا هو تحريم الله فكيف تقولون هذا حلال وهذا حرام من عند أنفسكم (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أى ولاتقولوا الكذب لأجل الذى تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول ولما تصف متعلق بتقولوا ــ وهذا حلال الخ ــ مقول قول محذوف تقولون ذلك (لتفتروا على الله الكذب) لتختلقوا والمفترى الكذب يقصد به تحصيل مطلوب وهؤلاء ليسوا كذلك (إنّ الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) منفعتهم (متاع قليل) ينقطع عن قريب (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرّمنا ماقصصنا عليك من قبل) فى سورة الأنعام فى قوله تعالى ــ وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر ــ (وماظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ فعلوا ماعوقبوا عليه (ثم إنّ ربك للذين عملوا السوء بجهالة) متلبسين بجهالة كالجهل بالله وعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والافتراء على الله وغير ذلك من كل سوء (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إنّ ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة . ولما كان هؤلاء أشبه بمن كفروا بابراهيم الخليل من نمروذ وقومه وقام فيهم يوبخهم ويكسر أصنامهم فقد فارق دين قومه وحده وعلم الناس الخير وجميع الناس يقتدون به ثم أخذ يذكر ابراهيم ثم أتبعه بأن نبينا محمدا ﷺ قد أوحى الله اليه أن يتبعه وهذا قوله تعالى (إن ابراهيم كان أمة) مستجمعا فضائل لاتوجد إلا فى أشخاص

كثيرة فهو رئيس الموحدين كسر الأصنام وجادل الكفار ونظر فى النجوم ودرس الطبيعة ليطمئن قلبه بالاسلام وهكذا من الصفات الأربعين المتقدمة فى سورة البقرة فى هذا التفسير (قانتا لله) مطيعا له (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يكن من المشركين) كما تزعم قريش أنهم على ملة ابراهيم (شاكرا لأنعمه) بخلاف قريش إذ كفروا بنعمة ارسال محمد ﷺ منهم كما تقدم فى قوله ــ ولقد جاءهم رسول منهم ــ وقد حرموا ما أحل الله فحل بهم العذاب (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) ملة الاسلام (وآتيناه فى الدنيا حسنة) فأحبه الناس وأثنوا عليه من جميع الملل ورزقه ذرية طيبة وعمرا طويلا فى سعة وطاعة وليس كهؤلاء الذين يدعون اتباعه من أهل مكة فهم يعادون المؤمنين فلاثناء عليهم منهم وليسوا مهتدين الى الاسلام (وانه فى الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فأنت متبع له وعلى قدمه وهم ليسوا كذلك لأنهم يحللون و يحرمون من عند أنفسهم فسيكون وبال ذلك عليهم كما أن وبال الاختلاف فى السبت على الذين اختلفوا فيه بالحيلة فان بعض اليهود استعملوا الحيلة بأن وضعوا السد على المكان الذى فيه السمك يوم السبت ثم اصطادوه فى يوم آخر بفتوى أفتى بها شيوخهم كما يفتى شيوخ المسلمين فتاوى متناقضة لجلب الدرهم والدينار . فهذا الاختلاف وبال على أولئك اليهود كما ان وبال الاختلاف فى التحريم والتحليل على هؤلاء المشركين وهذا قوله تعالى (إنما جعل السبت) أى وباله (على الذين اختلفوا فيه) فمسخوا (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) كما حكم فى الدنيا بمسخهم . كذلك أهل مكة يامحمد أحكم عليهم أيضا فى الدنيا بالجوع و بالقتل على يديك وفى الآخرة بجهنم فاما أنت فستنال مزايا جدك الخليل فتكسر الأصنام وتكون لك الغلبة عليهم . ولما كانت هذه السورة قد ظهر فيها أنواع الحكمة والمجادلة والموعظة الحسنة أشار الى ذلك فقال (ادع الى سبيل ربك) الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل لشبهة الخواص (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة للعوام (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن مثال الاول ــ خلق الانسان من نطفة ــ الى آخر الآيات وآيات الأنعام والنحل والطير كما قدمناه فى وسط السورة . ومثال الثانى ــ للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ــ . ومثال الثالث الآيات الواردة فى البنات وكراهة العرب لولادتهن وما أشبه ذلك (إن ربك هوأعلم بمن ضل عن سبيله وهوأعلم بالمهتدين) انما عليك البلاغ والدعوة . أما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فذلك الينا . ولما كان ماتقدم هوطرق الدعوة بأنواعها وكان لابد من أعداء لهم يخاصمونهم و يجادلونهم فى دينهم أشار عليهم كيف يعاملونهم و بين لهم ذلك بحالين ﴿ الأولى ﴾ أن يكون العقاب على مقدار الذنب ﴿ الثانية ﴾ أن يتجاوز الانسان و يصفح وهذا الثانى مفضل على الأول * ومن ذلك أنه ﷺ لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن أظفرنى الله بهم لأقتلن سبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وهذه هى الآية (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو) أى الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين (واصبر) فأنت قدوة لتقتدى بك أمتك لأنك أمة كابراهيم الخليل الذى أمرتك أن تتبع ملته (وماصبرك إلا بالله) بتوفيقه وتثبيته (ولاتحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين ومافعل بهم الكفار (ولاتك فى ضيق) ولايضيقن صدرك يامحمد (مما يمكرون) بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم (إن الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى أعمالهم ومحسنون للناس فهم فى أنفسهم مهذبون وللناس نافعون وهذا تخلق بأخلاق الله والله يساعد من تخلق بخلقه والتجربة تثبت ذلك بشرط استعداد الانسان له . فمن هذب نفسه ونصبها لنفع الناس فهو خليفة الله فى الأرض ملحق بالأنبياء تابع لهم والله معه كما هو معهم . انتهى التفسير اللفظى

جاء

جاء فى آخر القسم الثانى من السورة ـ ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة و بشرى للسلمين ـ فهذه الأوصاف الأر بعة للقرآن جاءت بعد ما أفاض فى هذه السورة افاضة تامّة . فلقد تبين فيها من العجائب الحكمية والنظم الطبيعية ماتخرّ له العقول سجدا من بدائع النبات ونظام الحيوان والطير والنحل ولم يتفق ذلك فى سورة غيرها فانه قرّر ذلك فيها كرّتين وأعاد التعليم مرّتين فهو هـدى للسائلين ورحمة للتعلمين و بيان لهم و بشرى دنيو ية وأخروية فان الاطلاع على هذه العجائب يدعو الى الهداية الناشئة من البيان والهداية للعلم تتبعها الرحمة بافاضة الخير فى الدنيا من العزّة والنصر وحوز العلوم وذلك بشرى أن المسلم ينال فى الآخرة السعادة ـ وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ـ و بهذا المقال انتهى الكلام على باب الحكمة فى السورة ومعها غيرها ثم شرع يفيض القول فى الموعظة الحسنة فقال

﴿ ـ إنّ الله يأمر بالعدل الخ ـ ﴾

أما العدل فأنت تعلم من هذا التفسير وغيره أن هذا العالم لا نظام له إلا بالعدل فلا كوكب ولاشمس ولاقمر ولانبات ولاحيوان ولاشئ مما تراه أوتسمعه من نغمات الموسيقى وجمال الوجوه وحسنها . كل ذلك مستحيل وجوده إلا بالحساب البديع والنظام التام . وفى هذا التفسير وفى كتابنا فى الفلسفة العربية وغيرها شرح هذه الامور . ومتى زال العدل زال هذا الوجود وتحطمت الكواكب والأقمار والارضون وتبدّد هذا العالم بل متى ذهب العدل ذهب العالم . لذلك ابتدأ الله به والعدل هو المذكور فى آية الرحمن ـ ووضع الميزان ألاتطغوا فى الميزان ـ أى ان الله وزن العالم فسبه بدقة لأجل أن تتعلموا نظامه فتسيروا على نهجه وتنظموا كما نظم وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى . فاذا كان هذا شأن العدل فى نظام العالم فليكن هذا شأنه فى حياة الأمم والأفراد فو يل لأمّة لاتقيم العدل فى المناصب والأحكام والقوانين والأعمال فلاحكومات باقية مالم يكن العدل عمادها . ولقد ضرب أفلاطون لذلك مثلا فى جهوريته بجماعة اللصوص اذا سرقوا مالا فانهم لاتقوم لهم قائمة مالم يقم العدل بينهم . فاذا كان اللصوص لاجامعة لهم إلا بالعدل فى قسمة ماسرقوه فما تكون حال الأمم . إنها لاحياة لها بغير العدل . ولقد ردّ عليه بعض تلاميذه بأن الانسان الظالم كثيرا مانراه كثير الحظ وله أعوان يدافعون عنه كلما كذب أوظلم فأجابهم قائلا اذا لم تعش جماعة اللصوص بمثل هذا الفاجر فكيف تعيش أمّة طو يلا بأمثاله . إن الظالم الذى ادّخر أموالا كثيرة يحسّ بألم فى نفسه اذا رأى الناس حوله فى عذاب وشقاء فالنفس الانسانية تحسّ بما أجرمت فيعذبها ذلك الاحساس فى الدنيا مهما تظاهر بالنعمة . وقدأوجب (أفلاطون) على لسان أستاذه (سقراط) أن يفتح لحكام المدينة باب العلم وعشق الحكمة والغرام بعلوم الطبيعة والأدب والفلك وجمال هذه الدنيا لتنفتح بصائرهم فان لم تفعل ذلك الحكومات بموظفيها أصبحوا شهوانيين يشاركون الناس فى أموالهم وأعراضهم بالرشوة والهدايا والفجور والجرى وراء الغانيات فى الأمّة . وهذا هوالذى كان حاصلا فى بلاد مصر وفى بلاد الشرق فتدخلت أورو با فى شؤنهم . إن القرآن الذى هوكتاب دينى أشار الى ذلك بذكر العدل بعد قصة هذه الكائنات فكأنه يقول لاعدل عند حكامكم إلا اذا أغرموا بما تقدّم من العلوم فدرسوا هذا الوجود وعشقوا حكمه حتى يقوموا فى الأرض بالعدل لأنهم يكونون خلفائى قد نظروا فى أعمالى فعرفوا نظامى فقلدوه وهم لايشعرون ويكون العدل إذ ذاك كالغريزة

﴿ العدل بين الناس ﴾

ومن العدل بين الناس ماذكره الله فى سورة النساء من شهادة الانسان على نفسه وعلى والديه وعلى الأقربين وعلى الفقراء وعلى الأغنياء لايبالى بنفس ولا بأهل ولا بفقر ولابغنى بل يكون الحق هو مقصوده

وفيما جاء فى قصة سيدنا عمر رضى الله عنه مع الجمار (بتشديد الميم) الذى سارمعه من المدينة الى الشام فكانا يتراوحان على الحمار هذا يمشى مرحلة وذاك مرحلة مع أن الحمار له أجرة

﴿ جمهورية أفلاطون والعدل ﴾

ان جمهورية (أفلاطون) كلها قد بنيت على هذه الكلمة . وذلك كان قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون والكتاب من الكتب القيمة وليس العدل من الامورالهينة بل هوأمر عظيم فقد جعل هذا الكتاب عشرة أبواب و بين العدل وكيف يكون وهل نعطى المجنون ماله ونعطى السيف لمن به يقتل الصبيان وان كان ذلك ملكهم وهكذا من المباحث وقد انتهى فى آخرها الى أن العدل انما يكون بما تقرّه الجماعةالمجتمعة وهومايسمى بالاجماع عندنا فى شريعتنا الاسلامية لأن الرجل كان فى الأعصر الأولى وشرط فى القائمين به شروطا كثيرة وأوجب على رجال الجيش أن يكونوا مرتاضين رياضة جسمية ورياضة علمية فى الحساب والهندسة سنين عديدة . فأما الحكام فعليهم أن يزيدوا فى ذلك وأن يعرفوا صانع‌هذا العالم و يتوغلوا فى المعرفة حتى‌يصلوا الى منتهى ماتصل اليه الأفهام

﴿ ايضاح لهذا المقام فى نظام الدولة ﴾

إن العدل فى الجمهورية لايتمّ إلا ﴿ بثلاثة أمور ﴾ تتقدّمه وهى

﴿ أوّلا ﴾ أن يكون العامّة مطيعين للجند المسيطرين عليهم وللحكام القائمين بأمر الدولة فهؤلاء العامّة من التجار ومن المزارعين ورجال الصناعة ليس لهم على رأيه إلا الطاعة لرؤسائهم والقيام بما يؤمرون به فيدفعون الضرائب و يتركون المفاسد و يتباعدون عن الأعمال‌الضارّة وهناك يحاكمون و يقضى بينهم‌بالقضاة العادلين وهؤلاء هم القائمون بأمر القوّة الشهوية للأمّة لأن شهوة الطعام والملابس والزينة لاتتمّ إلا بهؤلاء فهم عمال أشبه بالمعدة والامعاء فى جسم الانسان . فكما كان الزراع يعملون فى الدولة هكذا المعدة والامعاء يعملان فيما يماثل أولئك أى فى أعمال جثمانية

﴿ ثانيا ﴾ الجند الذين تربوا ومرنوا للحرب والضرب والدفاع عن الدولة فهؤلاء يقومون مقام القوّة الغضبية فى الانسان ويحافظون على الثغور ويقومون بطرد العدوّ منها ودفعه عنها . فعلى هؤلاء أن ينقادوا لرجال السياسة كما تنقاد قوّاتنا الشهوية لقوّاتنا العقلية فان لم يكبح المرء جماح غضبه بالقوّة العاقلة أصبح أضحوكة ومثلا يضربه الناس للذين هم لاثبات لهم . فهكذا الدولة اذا استبدّ العسكر بالأمر ولم يراجعوا أولياء الامور فسدت أمور الدولة واحتلها الأجانب و بئس المصير

﴿ ثالثا ﴾ رجال السياسة وهؤلاء يجب أن يكونوا على بصيرة وعلم كما هو مسطر فى هذا المقام على وجه الاختصار وهؤلاء هم الذين يدبرون الملك

فاذن تكون الدولة مركبة من هذه الثلاثة سوّاس وعسكر وعامّة فى مقابلة العقل والغضب والشهوة . ثم ان انتظام هؤلاء وقيام كل بما عهد اليه يسمى عدلا فهذا هو العدل المذكور فى الآية . واياك أن تظنّ أن انتخاب الأمم للنوّاب ينافى هذا فان هؤلاء النوّاب هم الذين ينظمون أمرالحكومة فالحكومة لهم والحكومة تسيطرعلى الأمّة كلها فلابدّ من طاعتها للجند عند الاقتضاء والجند يكون تحت أمرة الحكومة التى انتخبها الشعب

﴿ العدل فى الأخلاق الشخصية ﴾

لقد قاس هذا الحكيم أخلاق الانسان على أخلاق الأمّة فجعل قوّة الشهوة خاضعة للقوّة الغضبية فان الانسان إن لم يكن عنده حمية وشهامة لم يحافظ على عرض ولم يترك نقيصة وودّ لو يأكل أموال اليتامى فان‌لم يقهرنفسه بالقوّة الغضبية و بالتوبيخ فى سرّه افتضح أمره كما تخرب الأمّة إن لم يقم‌الجند بكبح جماح الثائرين

وحبس

وحبس المعتدين وما أشبه ذلك . ثم إن القوّة الغضبية يجب أن تخضع للعقل فلا يفعل إلا على مقتضى المصلحة اقداما واحجاما كما لايفعل الجند فى الدولة شيأ إلا بأمر رجال السياسة والا هلكت البلاد وتشتت أمرها

ثم إن القوّة العقلية يجب أن تتحلى بالعلوم كما أوضحناه فى هذا المقام فان لم تتحل بالعلوم كانت كرجال السياسة الذين لاعلم عندهم ولارأى لهم وهم غافلون . ثم ان اجتماع هذه الامور الثلاثة وانتظامها هو المسمى بالعدل كما ان اجتماعها فى المدينة يسمى عدلا . فانظر كيف كان العدل نظام كل شئ . وكيف كان هذا القول فى الآية جامعا لهذه العلوم ولذلك سلبت هذه الآية ألباب العرب لما سمعوها كالمغيرة بن شعبة حتى ان أباجهل أعجب بها كما ستراه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

ثم إن أفلاطون يقول (١) إن الأمّة متى كانت على هذا المنوال فأحكامها عادلة وهى المدينة الفاضلة وقد تمت فيها الامور الأربعة وهى العفة للعامّة والشجاعة للجند والحكمة للسوّاس والعدل بين الجيع . وهكذا الانسان يكون عفيفا فى قوّته الشهوية شجاعا فى قوّته الغضبية حكيما فى قوّته العقلية عادلا اذا انتظمت الثلاثة (٢) ثم ان الدولة متى زال منها السوّاس من الحكماء المذكورين ترجع الى حكومة عسكرية فيتولى الجند سياسة الأمّة و يستبدّون بها وهذه الحكومة أنقص درجة مما قبلها فان العقل أرقى من القوّة الغضبية التى لايعرف الجند سواها (٣) فاذا تمادت هذه وطال عليها الأمد خرج أبناء هؤلاء ولاهمّ لهم إلا جمع المال فتغلب القوّة الشهوية وهذه أدنى مما قبلها لأن الشهوة البهيمية هى التى تسلطت فيها كبلادنا المصرية أيام الغز والاقطاعات فلذلك كانت البلاد فى حالة محزنة (٤) وهؤلاء الأغنياء متى جمعوا المال أصبحت الأمّة كلها فقراء فحسدوهم فيثورون عليهم فيهلكونهم . وهذه هى الفوضى لارئيس ولامرؤس وقد تمّ هذا فى بلاد الروسيا فقتلوا القيصر . وهكذا فى (الدولة العثمانية) فقد استبدّوا فخلعوا وهذه هى حكومة الشعب (ديموقراطية) (٥) ثم ياتى بعد ذلك رجل واحد يحكمهم بالقهر وهذه أنقص الحكومات وكل حكومة أقلّ مما قبلها وخير مما بعدها . ومثال ذلك (ماسولينى) فى ايطاليا ومصطفى كمال فى تركيا ولكن هذان حكما بمعونة الشعب

ثم ان رجال السياسة فى (المدينة الفاضلة) لايتولون الحكم إلا اذا كانوا عقلا وسنا وقرؤا علوما شتى من طبيعية ورياضية والهية

وهنا ﴿ ثلاث نظرات ﴾ ﴿ النظرة الأولى ﴾ فى موازنة نظام المدينة الفاضلة عند أفلاطون بنظام هذا العالم الذى نعيش فيه ﴿ النظرة الثانية ﴾ فيما لاحظته على الانسانية العامّة فى أيامنا هذه فى القرن العشرين ﴿ النظرة الثالثة ﴾ فى نقل ماترجم من آراء أفلاطون المتقدّمة بتوسع فى المقالة الأولى والثانيـة لأنه شفى مافى صدرى من جهة الأخلاق العامّة لهذا الانسان وقد شرحها شرحا كأنه كان فى زماننا فلأشرع فى النظرة الأولى فاقول

﴿ النظرة الأولى ﴾

لقد رأيت تلخيص جمهورية أفلاطون ووجدت أن قوّة الانسان الشهوية والغضبية والعقلية وانتظامها موافق لطبقات العمال والزراع ثم الجند ثم الحكماء الذين يدبرون الدولة . فههنا شهوة يردعها غضب يسيطر عليهما عقل . وهذه الثلاث تظهر أولاها فى البهائم والثانية فى الآساد والثالثة فى الانسان . فالجند كالآساد و بقية الشعب كسائر الدوّاب على الأرض وحكام الشعب أشبه بالانسان . فياعجبا قلت القوى العاقلة فى هذا النظام الأرضى . انما مثل القوى العاقلة فى هذه الكرة كمثل الحواس الخمس الظاهرة والباطنة والمخ وأعصاب الحسّ والحركة . فهذه كلها بالنسبة للعظام والعضلات وسائر أجزاء الجسم شئ قليل كقلة الانسانية بالنسبة لسائر النبات والحيوان وقلة الحكماء بالنسبة لنوع الانسان وقلة حكام المدينة بالنسبة لسائر أفرادها

﴿ نظرتى اليوم فى شارع زين العابدين ﴾

فى هذا اليوم (الخميس) الثانى من شهر فبراير سنة ١٩٢٨ وقفت وقت العصر موجها وجهى جهة الغرب

ورأيت الناس غادين رائحين وفكرت فى الهواء الجوى والبخار السابح فيه والسحاب الذى فى الجو والكواكب والشموس والأقمار وقلت هذه العوالم كلها تخدم هذا الانسان . فهذه الشمس وسياراتها وقمر الأرض والهواء والسحاب كل أولئك نافعات لهذا الانسان ونفس جسم الانسان منظم تنظيما مدهشا إذ فيه (٢٤٨) عضوا كل منها ضرورى لحياتنا وكلها موزونات منظمات . مثلا أصابع اليدين لو كانت كل أصبع منها عظما واحدا لم يكن للناس عمل فى الأرض بل كانوا يعيشون كالبهائم فلولا مفاصل الأصابع ماحرثنا الأرض ولاعملنا صناعة ولاحفرنا نهرا ولاعملنا فى الأرض عملا ما . فلا كتابة ولاصناعة ولاعلم ولاعمل . فهذه مسألة واحدة من آلاف الآلاف وهؤلاء الناس كلهم عنها غافلون إلا قليلا . فياليت شعرى أيضىء النور للعميان . أم يغنى الموسيقار للصم . أم تتزين الغادات لمن لايبصرون . فلم إذن هذا الجمال . فما كان الجواب على هذا إلا كما بيناه آنفا . فكما أن المدينة يقل فيها حكامها وعالم النبات والحيوان يقل فيهما الانسان وحواس الانسان قليلة بالنسبة الى جسمه . فهكذا الأنفس العالية التى أرسلت لهذه الأرض وقد زينت لها هذه الدنيا بهذا النظام العجيب فنسبتها الى الأنفس الأرضية كنسبة نوع الانسان الى الحيوان والنبات ونسبة حواس الانسان الى سائر جسمه . واذن يكون فى كل أمة من أمم الأرض فى كل زمان أناس عددهم قليل هم الذين يدركون نظام هذا الوجود ويفرحون به وهؤلاء هم الذين قصدتهم العناية الالهية فى تزيين هذه الأرض وترقيتها فما مثلهم فى هذه الأرض إلا كمثل الملوك تقام لهم الزينات فى المدن و بقية الرعية تابعون لامقصودون بل هم كالشموس والكواكب المشرقات على الناس . هم المقصودون من هذا الوجود

ولعل بقية أفراد الشعوب وان كانوا لايدركون الجمال قد أخذوا يستعدون لهذا فى الأرض بحياتهم هذه فهى أشبه بمدرسة صغرى لتعليم الصبيان الذين سيرتقون فى عالم بعد عالم فأما الحكماء والمفكرون فهم حشروا معهم فى الأرض لتعليمهم وتنظيمهم . هذا ماخطرلى اليوم . وهذا شرح لناحية من نواحى ماقاله أفلاطون من تقسيم رجال المدينة كما تقسم أصناف النحل فى القفير بأمر اليعسوب وهى ملكة النحل من العمال والذكور الذين لاعمل لهم والحراس والمربيات للذرية والجامعات للعسل والصانعات للشمع الخ

فأما النظر للنظام العام والعدل التام فى المدينة بتعادل القوى الذى ذكره فهوأشبه بهذا النظام العام . ومن تتبع هذا التفسير رأى فى كل سورة من السور مسائل مستوفاة من نظام العوالم وأدرك يقينا أن سير الكواكب منظم بعدل ومثلها كل حيوان وكل نبات فلانطيل به . وكل هذا يشابه ماقاله أفلاطون ولكن لابد من ذكر مسألة واحدة هنا لتكون أنسا للمفكرين وهدى وذكرى للعاقلين

انظر الى بنى آدم يغدون ويروحون ويظنون انهم فى الخلاء أوفى الفراغ وهم ليسوا فى خلاء ولافى فراغ بل مكبلون محبوسون فى محبس عظيم وهوالهواء و بخار الماء الذائب فيه فنحن غرقى فى بحر لجى من الهواء و بخار الماء ونحن نشاهد النور يتخللهما و ينقل صور الأجسام وألوانها وأشكالها وأحجامها فنتصرف ونعيش ولاعلم لنا بالهواء ولا ببخار الماء إلا بعد التعليم ولوكان هذان الجسمان ليسا شفافين لحجباعنا ضوء الكواكب لجهلنا ماعلى الأرض من كل قائم وحصيد . ثم اننا لما عرفنا وجود الهواء واننا غرقى فيه ظننا أنه خفيف لاثقل فيه وهذا خطأ فالهواء ثقيل يضغط علينا من جميع جوانبنا وكل منا يحمل ثقلا يزن (٦١) قنطارا والدليل على ذلك أن مساحة جسد الانسان المتوسط القامة (١٦) قدما مربعة أى (٢٣٠٤) قراريط مربعة وضغط الهواء (١٥) ليبرا على القيراط المربع . والانسان فى العادة لايعقل مانقوله الآن ولايفقه أن للهواء ضغطا ولكن الذين يقرؤن العلوم الطبيعية يدرسون ذلك عملا . مثلا اذا طاروا فى الطيارات الى أعلى فأعلى قابلوا هناك هواء لطيفا جدا فينزل الدم من مسام أجسامهم وهكذا اذا ارتفعوا فى الجبال العالية فانهم يرون الدم يرشح من مسامهم والموت يكون منهم قاب قوسين أوأدنى وانما ظهر الدم لأنه محفوظ فى أجسامنا

بالعدل

بالعدل الذى وضعه الله فى الأرض . فهذا الهواء بضغطه على أجسامنا من جميع الجهات قد منع الدم من الخروج فالضاغط على الدم هو ثقل الهواء ومتى خفّ خرج الدم فمات الانسان . ولقد انتهز هذه الفرصة الانسان ففرغ الهواء من المحجم بحيث يمصّ الحجام ذلك الهواء فيخفّ فترى الدم ينبع حالا . وهذا مشاهد معروف فاذا ارتفع الناس فوق أعلى الجبال صار الهواء أشبه بما فى المحجم من الهواء الخفيف فنزل الدم من سائر الجسم . أليس هذا هو العدل عدل الله فى نظام الأجسام بحمل الهواء من سائر الجهات فاتزن الجسم وذلك كالعدل فى المدن بانتظام القوى فيها من الجندية ورجال الحكومة والعامّة بحيث يطيع الجند أوامر الرؤساء ويخضع العامّة لمن فوقهم

فالوزن والنظام فى المدينة هو عين الوزن والنظام فى نظام الهواء وضغطه على سطح أجسامنا لحفظها كما تحفظ المدينة بنظام أصنافها . ولاجرم أن فى الجسم عظاما وعضلات وموادّ سائلة وأخرى غازية كالهواء وضغط الهواء من الخارج على الجسم يوازنه من الداخل الهواء هناك . والموادّ السائلة لاتقبل الضغط إلايسيرا جدّا . والمواد الجامدة تحمل أثقالا أعظم جدّا والغازية تقبل الضغط كثيرا ولكنها تزداد مرونة كلما ضغطت فتقاوم الهواء الخارج وضغطه . ولذلك اذا خرج الهواء من الصدر بالتنفس يشعر الانسان بضيق فى صدره من ثقل الهواء الخارج عليه . وللعلماء فى مسألة ضغط الهواء تجارب مثل مافعله (اطوفن كرك المكديرجى) الذى صنع كأسين سماهما الناس باسم بلدته فقيل (كأسا مكديرج) وهما نصفا كرتين أشبه بشكل (القبعتين) اللتين يلبسهما الفرنجة . فاذا ركبت احدى الكأسين على الأخرى و بقى الهواء فيهما يفكان بسهولة . فأما اذا فرغ الهواء منهما بحنفية موضوعة فى احداهما ثم سدّت الحنفية فاذن لايدخلهما هواء فلايفكهما إلاعصبة أولوا قوّة من الرجال يشدّون معا من ضغط الهواء الخارجى لهما . ويقال ان (اطوفن كرك) المذكور صنع كأسين كل منهما قطره قدمان ثم ركبهما وفرغ الهواء منهما فلم تفك الواحدة عن الأخرى حتى ر بط الى كل منهما ستا من الخيل وجعلها تشدّ الى جهتين متضادّتين . ولسنا الآن أيها الذكى فى مقام علم الطبيعة بحيث نشرح الهواء والماء والضوء والكهرباء والحرارة والمغناطيس وماتفرّع عنها ولكن شرحنا هذه المسألة لنفسر بها العدل . فههنا عدل قام بين الموادّ الغازية فى جسم الانسان وفى خارجه كالعدل الذى يحصل بين قوى الانسان من شهوة وغضب وعقل وكالعدل بين رجال المدينة من عامّة وحكام وجند وهكذا

أفلاترى من ذلك أن العالم نظام واحد . أولاترى أن الناس على الأرض أشبه بجسم واحد فلاجرم أن كل الأمم كأمّة واحدة والأمّة الواحدة كشخص واحد والكرة الأرضية يحيط بها الهواء والناس فيه يعيشون فلهم وحدة الهواء والنور والماء والأرض فهذه وحدة عامة . إن نظام أجسامهم كنظام مدنياتهم كنظامهم مع النبات والحيوان الخ . إذن النظام عام فى هذا الوجود وكأن هذه العقول فى الأرض انما اختلفت ليعول هذا الاختلاف فى عوالم أخرى الى ائتلاف كما نرى اختلاف أعضائنا سببا لسعادتنا فى الحياة . ولوكان جسم الانسان عظما واحدا متصلا لكان أشبه بالحجر لاعمل له . فلعلّ أهل الأرض سيكونون بعد عالمنا هذا أشبه بنفس واحدة كبيرة كل نفس من النفوس الصغار أشبه بعضو من أعضائها مع استقلال كل نفس جزئية كما نرى فى نظام النحل والنمل فهناك نظام تام وكل واحد له حرّية وتصرف على قدر طاقته

(١) وهذا قوله تعالى ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ وقوله ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ

(٢) واذا قال الله لنا ـ إنّ الله يأمر بالعدل ـ فانه ما أمر إلا بما فعل هو وعرفه الحكماء والأنبياء

(٣) إنّ الله فى عدله انما يعمد الى نظام العموم ويجعل الأفراد على مقتضى المصلحة ولايجعل الحكم للعواطف التى خلقت لأعمال جزئية بل الحكم للعقل . انتهى الكلام على النظرة الأولى

﴿ النظرة الثانية مالاحظته على الانسانية العامّة فى هذا القرن العشرين ﴾

اعلم أنى ولدت فى قرية من قرى الفلاحين بالشرقية بالبلاد المصرية وهى (كفرعوض الله حجازى) وكنت ألاحظ انهم يحقرون الصادق و يعظمون الرجل الخبيث الماكر فلما خالطت أهل العلم كنت أظن انهم يخالفون هذه الطبقة فرأيت الآخرة كالأولى ثم لما صرت معلما فى المدارس صرت ألاحظ بعض ما كنت أراه فى القرى حتى ان أحد المدرّسين معى بالمدرسة (الخديوية) كذب علىّ كذبة لاتضرّنى ولاتنفعه فعجبت كل العجب كيف يكون الذين معهم شهادات عالية يكذبون كذبا لاينفع حبيبا ولايضرّ عدوّا . ثم وليت وجهى شطر الاوروبيين لاسيا الطبقة الراقيــة منهم فوجدتهم أشبه بمن عندنا . ولما حضر (روزفلت) رئيس الممالك المتحدة الى مصر بعد أن انقضت أيام حكمه وتوجه الى بلاد (السودان المصرى) ليصطاد الاسود والنمور هناك بحماية الانجليز ورجع الى مصر التى تحت حماية الانجليز هى والسودان . أقول لما حصــل ذلك كله وقف خطيبا وقال . أيها الانجليز ﴿ إما أن تحكموا واما أن تخرجوا يريد بذلك انكم مهملون فى حكم المصريين) امسكوا البلاد ولاتعطوا حكمها للمصريين لأنهم ليسوا أهلا لذلك ﴾ فهذا القول دلنى على أن أعظم المتعلمين فى أوروبا وأمريكا يحكمون بالهوى لا بالعدل لذلك ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ لأنى رأيت هذا الانسان المنظم جسمه الذى قد اتزن بضغط الهواء من جوانبه ومن داخله وانتظمت حركات الكواكب المحيطة به وانتظم له كل شئ من نبات وحيوان خرج هو على النظام فهو اذن طفل وليس فيه إلا قليــل من المفكرين العظماء مغلوبون على أمرهم والباقى همج سذج رعاع أتباع كل ناعق . ثم انى رأيت أن كثيرا من المخلصين مغلوبون على أمرهم ورأيت كثيرا من الذين تصدّروا لقيادة الشعوب ليسوا مخلصين فيضلون الأفراد بالكذب والبهتان و بموالاة الجرائد وامدادها بالمال فيمدحونهم . كل ذلك معلوم ظاهر مكشوف فى زماننا . أفلا تعجب اذا حدّثتك عما قاله (أفلاطون) فى جمهوريته أى اننى أذكر لك ما ذكره فى المقالة الأولى والثانية بأوضح مما تقدّم لتعجب كما عجبت أنا من العقول الانسانيــة وأن هــذا العقل الكبير الذى مضى له نحو أكثر من ٢٣٠٠ سنة كأنه فى زماننا ويقرأ أحوالنا و يعبر عنها و يصف الدواء لسقامها فيشفى القلوب بالعلم ويحفظ الأمم بالحكام الحكماء . ولما أتممت هــذا المقام ابتــدرنى صاحبى . فقال هــذا نظام الله فى العوالم المادّية من الهواء وأجسام الحيوان ولكنى الآن أريد أن توازن ما بين نظام الحيوان فى هذه الدنيا ونظام قدماء المصريين وجمهورية (أفلاطون) المتقدّمة وما ألفه (الفارابى) من علماء الاسلام فى كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) وما ألفته أنت فى كتاب (أين الانسان) وماذا يقول الله تعالى فى تلك النظم أو أيها أفضل وفوق ذلك كله نريد أن نعرف نظام الجنة والنار من نظام الدنيا أى نعرف عدل الله فى الآخرة كما عرفناه فى الدنيا فهذه ﴿ ثمانية فصول ﴾ أرجو ايضاحها وذلك قبل ما تذكره من كلام أفلاطون فقلت

﴿ الفصل الأوّل نظام الحيوان فى هذا العالم ﴾

اللهم إنك أنت المحمود على نعمة العلم والحكمة . أنت كتبت بيدك كتابا مفتوحا مجسما وجعلتنا نحن كلمات من ذلك الكتاب أوحروفا . أنا الآن أكتب وأنا نفسى كلمة من كتابك المفتوح . خلقت بيدك هذه الدنيا التى نعيش فيها وهى نفسها كتاب يقرأ واصعب شئ على الحىّ أن يقرأ نفسه . لهذا قلّ من يفقه هذه المخلوقات التى عاش معها . وقلّ من يقرأ جسمه ونظامه . وأندر من ذلك من يفقــه علم روحه الذى هو بحر لجىّ يغشاه موج الطبيعة من فوقه موج الشهوات من فوقه سحاب الهموم والنظم الأرضية وتكاليف الحياة وأنا الآن أحمدك إذ شرحت صدرى لأذكر ما ألهمتنى من بركاتك الحكمية والهامك الجيــل لى على مقدار استعدادى وأنا فى هــذا العالم الأرضى المتأخر فى درجات النظام . فما أرضنا وما شمسنا وما سياراتها وتوابعها وأقمارها وذوات أذنابها التى لاحصر لعددها إلا قطرة من بحر الوجود فما أعرفه وأكتبه الآن بنسبته الى بواطن الامور والحقائق الصادقة كنسبة قطرة الى بحر لجىّ ولاتكلف نفس إلا وسعها لذلك أقول

اللهم

اللهم إنك جعلت هذه العوالم المذكورة فيما تقدّم من سمك فى البحار وهوام فى التراب وحشرات وطيور فى الهواء وذوات اللبن والدم فى الفلوات كتابا يقرؤه العقلاء . وضعت فى كل طبقة من طبقات هـذه العوالم سكانا . ومن عجب إنك خصصت كلا بوظائف وطبائع وهى جميعها فرحة مسرورة فالطير يزق أولاده و يربيها وهوفرح فخور معجب مغن فى نسمات الهواء والحشرات اللاتى حرمت الجلد والاحشاء الباطنة والعظام مغنيات راقصات فرحات مهنآت وذوات الأربع راتعة فى خلواتها سارحة غادية رائحة فلا طير السماء يحاسـد حيوان الفلاة ولا الحشرات ولا سمك البحار يزدريات مقامهنّ فى تلك الأقطار فكلهنّ راضيات فرحات منعمات

هذه جمهورية الله . فجمهورية الله هذه التى نراها بأعيننا فكل أمّة أمكنها أن تجعل نظامها يقرب من هذا النظام فهى التى أعطيت مقاليد السياسة ونظام المدينة وهى من المفلحين الفائزين

﴿ الفصل الثانى فى قدماء المصريين ﴾

إن قدماء المصريين جعلوا نظامهم أشبه بهذا النظام الالهى من بعض الوجوه فانهم جعلوا للكهنة وللملوك وللعامّة درجات لايجوز تخطيها وأحوال يحرم تعدّيها . فابن النجار والحدّاد والزارع والكاهن والملك لا بدّ أن يحذو حذو أبيه ويجرى على وتيرته فى نظام معاشه وصناعته وسيره فى الحياة . هذا هو النظام الذى ارتضوه ولذلك دامت الأمّة المصرية آلافا وآلافا من السنين . ولكن هذا النظام جاف قاس ليس يناسب الانسانية من كل الوجوه . ألم ترانهم جعلوا نظام الانسان كنظام الحيوان أى انهم قلدوا فعل الله فى هذا الوجود . فكما كان الطير فى الهواء والهوام فى التراب وحيوان البرّ فى الفلوات والسمك فى البحار . هكذا جعلوا الملوك والعلماء والصناع كل فى مرتبته كما ان ذرّية الطير طير وذرية الحشرات حشرات وهكذا فأين امتياز الانسان والحق أن هذه الانسانية أمرها مشكل . ألم ترأن أصحاب العقول الراجحة والأميال العالية وأرباب النفوس الغبية . كل هؤلاء يخلقون فى الأمم بلا قيد ولا شرط فليس لهم قانون خاص ولا طبقة معروفة فهؤلاء يكونون فى ابن الزارع وابن التاجر وابن الفقير والغنى والملك والصعلوك . فهذا النظام المصرى القديم حسن من وجه وناقص من وجه

﴿ الفصل الثالث فى جمهورية أفلاطون المتقدّم ﴾

وهذا النظام هو الذى قرأه (أفلاطون) . فماذا فعل . رجع الى الحقيقة فقرّر أن يكون حراس المدينة والقوّامون مصطفين من الشبان اصطفاء بطريق الامتحان والاختبار كما تقدّم فليس ذلك بالنسب بل بالاستعداد الى آخر ماتقدّم . فهذا تعديل فى نظام قدماء المصريين الذى اتحد مع نظام البراهمة فى الهند الذين جعلوا الأمّة أشبه بجسم واحد له رأس هم علماء البراهمة وقلب وأحشاء ورجلان تشابه درجات الشعب وكلّ له مقام معلوم . كل ذلك بالنسب فهذه الجهورية قد أخرجت الانسانيـة من ذلك النظام العتيق نظام النسب الذى فتح باب الاستبداد فأحسن من وجه وأساء من وجه ويشبه نظام الأمّة الانجليزية لنظام قدماء الهند والمصريين من وجه . نعم يعلمون جميع الأمّة تعليما ابتدائيا ولكن التعليم العالى والوظائف الكبيرة خاصة باللوردات وأصحاب الثروة الطائلة لارتفاع قيم التعليم فى المدارس . والنظام الأوفى أن يكون التعليم كله عاما و يصطفى طلاب المدارس العالية بالاستعداد لا بالمال

﴿ الفصل الرابع ﴾

فيما قاله الفارابى فى كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ الذى لخصته فى كتابى ﴿ نهضة الأمّة وحياتها ﴾ ونشر فى أوائل القرن العشرين الذى نحن فيه إذ لخصت الكتاب تلخيصا وجعلته على مقتضى مايناسب عصرنا وذلك فى مبدأ نهضة بلادنا المصرية إذ كانوا يطلبون الاستقلال أوالدستور . وملخص رأيه أن الأمم كلها أشبه بنفس واحدة وكل أمّة على الأرض لها استعداد كاستعداد عضو من أعضاء الجسم فيجب أن تأخذ قسطها

من الحياة وأعمالها لتساعد المجموع . وهكذا أفراد الأمة الواحدة لكل منهم مقام معلوم وكأنه يقول ماتقول الملائكة ـ ومامنا إلا له مقام معلوم ـ فأعضاء القلب والرئتين والكبد والمعدة والامعاء والكليتين والحالبين والدماغ والحواس الخمس فى جسم الانسان يقابلها أفراد فى الأمة فليس الصالح لرئاسة الجمهور المشبه للعقل فى الدماغ بمفيد اذا وضع موضع المعدة لهضم الطعام ولا القلب الذى يوزع الدم على الجسم بمحسن تصريف الامور كما يصرفها العقل بل لكل عضو عمله اذا تركه اختل . هكذا لكل فرد من أفراد الشعب استعداد اذا تخطاه ضاع من الأمة من المنافع على نسبته . فهذه هى المدينة الفاضلة وسواها مدينة فاسقة . إذن جميع النظم الأرضية اليوم فاسقة عند تطبيقها على آراء الفارابى . ولقد بينت فى كتابى ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ أن النواب ينتخبون من هيئات الأمة بحسب أعمالها لابحسب أماكنها فيؤخذ من كل طائفة نائب أو أكثر ليعبر عن شعورها ومطالبها فللصناع وللزراع وللعلماء ولكل ذى حرفة نوّاب يعبرون عنهم كما ان لكل عضو من أعضاء الجسم أعصابا توصل الى المخ . ولما نشر هذا قبيل استقلال بلادنا الجزئى الذى نالوه أخبرنى بعضهم أن هذا النظام لم يوجد إلا فى أمة واحدة من أوروبا لا أذكرها الآن ولعلها (بلجيكا)

﴿ الفصل الخامس . كتابى أين الانسان ﴾

هذا الكتاب ذكرته فى هذا التفسير مرارا لمناسبات وهو يبحث فى نظام الأمم الحاضرة ومجالسها وحكوماتها ونسبة أهل الأرض الى استعداد الأرض نفسه فلاأطيل به وهو يرجع الى أن تستخرج جميع القوى والقدر فى الناس كما تستخرج جميع المنافع من الماء والأرض والهواء والأمم كلها متعاونات والا فهنّ جميعا فاسقات

﴿ الفصل السادس فى نظام القرآن ﴾

أما نظام القرآن فانه هو الذى كتبته فى كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ يقول الله ـ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ـ ويقول ـ لاتكلف نفس إلا وسعها ـ ويقول ـ لانكلف نفسا إلا وسعها ـ فتارة يقول ـ لايكلف الله ـ فذكر الاسم الظاهر وتارة يذكر بضمير المتكلم مع العظمة والجلال . وتارة يطوى الفاعل ويذكر الفعل مبنيا للمجهول فهو يشير بالأوّلين الى أنه هو وضع كل شئ موضعه وأحكم الوجود . فكما جعل طير الهواء وأنعام الفلوات وسمك البحار كلا فى مقرّه . هكذا أوجب على الأمم أن تضع كلا فى مقامه بحسب استعداده لأنه قال ـ إلا وسعها ـ ولم يقل لاتكلف نفس إلا بحسب نسبها . كلا بل ذكر الوسع وهذا عينه هو الذى شرحته فى كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ . حينئذ يكون الناس جارين على النظم الالهى والحكمة الطبيعية التى سنها مبدعها . فاذا جعل المسلمون كل امرئ فيما خلق له من الاستعداد أصبح أبناء الأمة جميعا فى رغد من العيش والسعادة ويكونون فى أعمالهم فرحين كما نرى الطير فرحات والحشرات مغردات والسمك جاريات والأنعام راتعات مهنآت كلّ فى نعمة ربه جار على سننه لم يتعدّ طوره ولم يشارك غيره فى نظامه فلم نر الفيلة تشارك الطير فى الهواء ولا السمك جرى فى الفلوات مع الأنعام . تقسيم عادل ونظام شامل وحكمة نسجت بيد حكمت وابتهج بها المبتهجون

هذا هو نظام الله وهذا نظام القرآن . رجع القرآن الذى قاله الله الى نظام الوجود الذى خلقه الله فكلامه وافق فعله ـ ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ـ والأمم المسلمة وغير المسلمة كلها متعدّيات حدود له لأنهم لم يدرسوا نظام الطبيعة دراسة تامة بحيث يقيسون عليها نظام الانسان بل درسوها للمنافع المادّية وهم عن آياتها العلمية معرضون

أيتها الأمم الاسلامية . اسمعى اسمعى . أيتها الأمم الاسلامية . اقلبوا نظم بلادكم رأسا على عقب ولن يكون هذا إلا أن تبتدئوا بالتعليم العام ابتدائيا وثانويا وعاليا وصناعيا وتجاريا وسياسيا وتصطفوا التلاميذ لما خلقوا له بحسب أميالهم وأميالهم تعرف، بدرجات العلوم فى الامتحان فمن كان فى الابتدائى يميل الى الصناعة

أوالتجارة أونحوهما حوّل الى ما مال اليه . ومن كان أميل الى علم من العلوم خص به وهكذا فيوضع التجار والمزارعون وأهل الصناعة والسياسة كل فيما استعدّ له ثم يوزع هؤلاء الأفراد على الأعمال ومن أهمها استخراج مافى الأرض من كنوزها ومعادنها وآثارها . هنالك يخرج جيل جديد . هذا الجيل هوالذى يعرف معنى — لا تكلف نفسا إلا وسعها — وهذا الجيل هوالذى يعيش على مقتضى نظام الطبيعة الذى جعله الله كتابا لنا هذا الكتاب الذى أنزله الله للناس قبل أن يرسل الرسل . ولما علم الله قبل أن يخلق الناس انهم ناسون للنصائح مهملون لعقولهم أرسل الأنبياء ليذكروهم

﴿ الفصل السابع فى ديانات الأمم ﴾

سيأتى فى سورة الأنبياء عند قصة ابراهيم عليه السلام إذ يقول لأبيه وقومه — ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون — وعند قوله تعالى قبل هذه القصة — وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه الخ — ذكر ملخص ديانات الأمم السابقة كديانة قدماء المصريين وكتاب الفيدا فى الهند والبراهمة وأتباع (خريستا) وأتباع (بوذا) وهكذا ديانات أهل الصين وآخرها دين (كونفشيوس) وهكذا دين المجوس ودين (زردشت) الذى قال انه مرسل للايرانيين وكيف اختلط هذان الدينان فى آخر الأمر بدين البابليين والآشوريين

سأذكر تلك الديانات هناك فما كان مذكورا من قبل أشرنا اليه ومالم يكن مذكورا من قبل وضحناه أيما ايضاح . والغرض من ذكرهذا هنا أن تلك الديانات كلها مذكرات بنظام هذا الوجود فى أوّل أمرها وذات خرافات فى آخر أمرها ثم يكون الانقراض من الوجود . وانما الذى يهم الآن أن الفطرة الانسانية كلها معترفة بالدين والذى عرف الأمم الآن هذه الآثار التى كشفوها فقد تطابقت الآثار فى القارات كلها وفى الجزائر النائية أن جميع الأمم لها اتجاه دينى وكلها تؤمن باليوم الآخر . وهذا الاجماع من تلك الأمم برهان قاطع على وجود مدبر للعالم و بقاء الأرواح بعد الموت لأننا لم نر هذه النفوس الحيوانية أجمعت على ضلال

هاهى ذه غريزة الطعام والشراب والاستكنان من الحرّ والبرد والسعى على الرزق وحبّ الحياة والذرية وتقابل الذكر والأنثى . كل ذلك فطرة صادقة ومسألة الدين إحدى تلك الفطر وليس ينافى هذه الفطرة أن يخرج عن الدين و ينكره بعض المتعلمين فى المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين الخ

أقول ان هذا الخروج من هؤلاء لاينافى أن الدين فطرة كفطرة الغذاء كما لاينافى غريزة تحاب الذكر والأنثى شذوذ الرهبان ولاغريزة التغذية انقطاع بعض العباد عن الأكل تعبدا فالفطرة غالبة — والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لايعلمون —

﴿ الفصل الثامن عدل الله بين الناس فى اليوم الآخر ﴾

انك أيها الذكى حين قرأت الفصول الست الأولى وجدتها متناسقة ولكن الفصل السابع يظهر بادئ بدء أنه أجنبي عنها غريب بعيد فأين الديانات ودرسها وأين مسألة النظام وتوزيع الأعمال . أقول ان الفصل السابع مقدّمة لابدّ منها لنذكر العدل فى اليوم الآخر . لقد علمت أيها الأخ نظام الله فى الحيوان وعلمت نظام الهند ومصر قديما وعلمت آراء أفلاطون والفارابى وماكتبته أنا وما أريد من المسلمين فى نظامهم فى أنفسهم وفيهم هم مع الأمم التى يعيشون معها . فهاأناذا الساعة أحدّثك فى أمر عظيم كما قال تعالى — عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم * الذى هم فيه مختلفون — فنبأ الحياة بعد الموت ونبأ الجنة والنارهوالأمر الذى حير العقول . فجميع العقلاء فى الأرض يسألون هذا السؤال ﴿ اذا كان الله هوالذى خلقنا فلماذا هذا العذاب المؤبد وأىّ رحمة فيه . واذا خلق الله بعض الناس للعذاب فخلقهم إذن لتعذيبهم فعدم خلقهم يكون أوفق للرحمة ﴾

أقول إن الجواب على هذا السؤال عسير وصعب . ذلك لأننا خلقنا فى هذه الأرض وهى عالم متأخر كما

قدّمنا فليس من المعقول أن تكون عقولنا كعقول سكان كوكب أكبر من شمسنا كالسماك الرامح الذى يبعد عن شمسنا مائتى سنة بسير النور فعلينا أن تقرّ فى الأرض بأن هذه العقول الانسانية بالنسبة لعوالم أخرى كنسبة عقل الناموسة الى عقل الانسان كما تقدّم فى هذا التفسير نظيره عن العلامة (أوليفرلودج) الانجليزى فثلنا اذا تكلم عن عدل الله ليس له الا أن يذكر مايقنع عقله الذى يناسب أرضه . أما الحقائق الجلية فنحن بعيدون عنها فى هذه الأرض ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ فتارة أقول لك اقرأ ماكتبنا فى آخر سورة هود فهناك نقلنا عن أكابر الحكماء الاسلاميين ولكن لم نتقيد برأيهم كبعض الصحابة وكابن تيمية أن النار ستفنى وتارة نقول لك اقرأ كتاب ﴿ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ﴾ للغزالى فهناك تراه يجعل أكثر الناس ناجين لأن الدعوة الصحيحة للدين لم تبلغهم وبرهن على ذلك وأطال . ولكن نحن لم نتقيد به وتركنا المسألة لمن بعدنا يفكرون فيها . فأما هنا فأقول . إن الله وضع نظاما فى أرضنا وأراه لنا وألهم العلماء فألفوا فهم مابين مقترب من نظام ربه ومبتعد عنه وأقربهم الى نظام الله من يفعل ماذكرناه ونظام الله أن يضع كلا فى مقامه الخاص به فهو رحيم وحكيم . ومامثل أهل الجنة وأهل النار المذكورين فى الديانات إلا كمثل نظام الحيوان على الأرض . اللهم إنا نحمدك على الفهم وعلى العلم وعلى السعادة الفكرية العقلية بالنور البهى والحكمة التى رأينا بصيصها فى هذا الوجود . أنت قلت للطير اخترق الجوّ وللأنعام سيرى فى الأرض وللسمك كن فى البحر ولم نر حيوانا من هذه تحسر على مافاته عند سواه فلم يتحسر الطير على أنه لم يستقرّ فى قرار مكين كالأنعام ولم تتحسر الأنعام على أنها لم تطر فى جوّ السماء . فقال صاحبى . هذا منك عجب من أين جاء لك هذا . فقلت سل الرجال من نوع الانسان وسل النساء وقل للرجل هل تحب أن تكون امرأة فانه يرى هذه منك سبة واهانة وسل المرأة وقل لها هل تحبين أن تكونى رجلا فانها تقول لك لا لا وكيف تزيل بهجة وجهى بشعر خشن وتقبح وجها نضرالله خلقه وحسنه ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ إذن بالقياس على الرجل والمرأة يكون كل حيوان راضيا بقسمته مسرورا بمقامه . فالسؤال المشهور الذى يوجهه الجمهور فى كل حين هو ﴿ لم كان هذا فاضلا وهذا مفضولا يصبح لاقيمة له ﴾ أن النظر لهذه العوالم التى حولنا يرينا أننا نرى الأمر ليس قاصرا على ماذكرناه من الحيوان فى الوضع بل هناك هوام لاتعيش إلا فى التراب وهناك الحيوانات الذّرية وهى لاتظهر للناس . فاذا قلنا الطير فى السماء نقول الحيوانات الذّرية فى ظلمات الطبيعة بأرضنا . ماذا فعل بها الله . وضعها فى مستقرّها الذى يوافقها . إذن كل حيوان وضع فيما يوافق مزاجه . ومامثل هذا النظام إلا كمثل النظام فى ممالك أهل الأرض إذ يجعلون من لايصلحون لخدمة المجموع من القتلة والسراق وقطاع الطرق فى سجون فهم أشبه بالحيات والعقارب تعيش فى ظلمات التراب والشقوق والجحور . ولكن الفرق أن فعل الله جار على سنن الطبيعة وفعل الناس جار بطريق القانون المدنى أفلا يقال إن أهل النار أشبه بالحيات والعقارب بالنسبة للصالحين . هانحن أولاء نشاهد حيوانا مختفيا لايظهر محتقرا منبوذا كالعقارب وحيوانا يطير مغردا فى جوّنا ولم نر فى هذا خروجا عن النظام بل رأيناه عدلا لأن لكل من الحيوانين وظيفة يقوم بها واذن نظام الجنة والنار يشبه بعض المشابهة عالمنا . وكما قلنا هنا حيات وعقارب وطير نقول هناك أهل نار وأهل جنة . فقال صاحبى هل هذا مجرّد رأى طرأ لك أم لك دليل عقلى أونقلى . فقلت ألم أقدّم لك اننا هنا على الأرض فى مثل هذا نكتفى بنور ضئيل من العلم وانا لم نؤت من العلم إلا قليلا . وهذه المسائل أعجزت أكابر الحكماء والعلماء ولكن يظهر لى أن زماننا ومابعده ستظهر فيه هذه الحقائق بقدر ماتتحمله عقولنا على هذه الأرض . فقال كيف هذا . فقلت هاهوذا علم الأرواح قد جرى فى هذه المسألة شوطا بعيدا . فقال هذا العلم غير موثوق به . قلت نعم ولكن اذا رأيناه ينحو نحو الدين ذكرناه على سبيل أنه يكون موضع بحث وتنقيب لمن بعدنا . فقال هات ماوقفت عليه . فقلت يقولون

ان

ان هذه الحياة الدنيا لا تتم إلا بنظام أدبى ومدنى مع الناس وجميع الناس متساوون فى الظاهر صالحهم وطالحهم فهم جميعا يتعاملون ببشاشة ومودّة . ولكن تختلف قلوبهم فمن كان عنده قوّة روحانية أى انه يصنع المعروف من أجل الله الذى خلق السموات والأرض ولأجل حبّ الناس كما يفعل الأبوان مع الأبناء . فهذا من أهل الجنة ومن يكون صالحا ظاهرا ولولا القانون أوالصيت والذكر الحسن ومراعاتهما لاستحوذ على مال غيره أوزنا أوسرق الخ فهذا من أهل جهنم وهم درجات بعضها فوق بعض . ويقولون انهم شاهدوا أن الذين زهدوا فى الدنيا وانقطعوا عن الناس درجاتهم فى عالم الأرواح منحطة متأخرة لأنهم لم ينفعوا الناس ولم يظهروا ما كمن فى نفوسهم من القوى والقدر والعواطف التى جعلت الدنيا لاظهارها وهى أجنحة يطير بها الناس فى عالم الأرواح فللأرواح هناك أعمال وادارات فى نظام ثابت ولكل امرئ من العمل على مقدار مااستعدّ له فى الدنيا فهم يقومون بأمر ربهم فى ادارة عوالم يجهلها أهل الأرض ولن يكون هناك أحد فى عمل إلا ما استعدّ له فى الدنيا وعلى مقدار العلم وحبّ الخير والصدق والاخلاص يكون الارتقاء . وليس المعنى أن ذلك أعمال تكليف . كلا وانما هى أعمال تكون سليقة فى النفس لذيذة كما فى الحديث ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أنتم النفس ﴾ ولذلك تكون النفوس المنحطة فى الدنيا التى لا عمل لها إلا الغيبة والنميمة أوالسرقة أوايذاء الناس فى أعمال أشبه بما كانت عليه فى الدنيا وذلك فى جهنم فهم دائما فى تشاجر ومقاتلة وعذاب واصب و بعضهم يلحق بالجنّ فيلقى الوساوس فى صدور من استعدّوا لذلك من الناس فى الأرض . فهم هناك أشبه بالحيوانات الذرّية فى أرضنا لهم وظائف إذ لامعطل فى الوجود حتى قال بعض علماء الأرواح وهو الاستاذ (سودنبرج) فى صفحة (١٥٨) ماملخصه

﴿ إن الغمّ والكدر الذى يحسّ به الانسان انما يحصل غالبا من أرواح شريرة كانت فى الدنيا وصارت بعد الموت ملحقة بالجنّ فهذه الأرواح مغرمة بالقاء الغمّ فى النفس عند استعدادها لذلك بفساد الطعام فى المعدة وفساد الطعام فيها وعدم هضمه عند تلك الأرواح أشبه بقذارة العين عند الذباب فكما يقع الذباب على العين لقذارتها تقع هذه الأرواح الشريرة على النفوس التى لم يهضم طعامها فتلقى الغم فيها ﴾ انتهى ملخصا

وهكذا قال فى موضع آخر من الكتاب ﴿ إنّ تلك الأرواح تشم روائح الشرّ والاستعداد له كما تشمّ الكلاب رائحة الرمم فى الأرض ﴾

وأيضا قال ﴿ إن بعضها يجلس فى مؤخر الرأس و يوسوس للانسان ﴾

أقول ومن عجب انه ورد فى بعض الأحاديث مايفيد أن الشيطان هوالذى يغرى الانسان بعدم الاستيقاظ من النوم وذلك مذكور فى كتب الشافعية فى كتاب الطهارة فراجعه ان شئت .وفيه أن الشيطان يقعد على رأس أحدكم الخ

ويقولون انهم شاهدوا أرواحا لما ماتت طلبت من الملائكة وهم استأذنوا من الله أن يدخلهم الجنة فأجيبت تلك الأرواح ان الله لايمنع أحدا من دخول الجنة لاطائعا ولاعاصيا والمانع هو الاستعداد فانطلقت الى باب الجنة فضاقت صدورها ولم تقدر أن تتنفس فى ذلك الجوّ اللطيف فرجعت حالا

فقال صاحبى إنك بما قدّمت من أن كلام الأرواح المذكور يكون محل بحث قد خرجت من عهدته ووكلت الأمر الى النظر العام ولكن أسألك سؤالا واحدا . هل ماذكرته عنهم من أن الانقطاع عن العمل الى العبادة مؤخر للناس بعد الموت حقّ . أنا أسأل هذا السؤال لأن الناس حينما يقرؤن هذا القول يؤثر فى نفوسهم بعض الأثر فيظنون أن الانقطاع للعبادة محرّم وهذا لايقول به أحد من المسلمين . إن المنقطعين للعبادة هم أوكلهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . فقلت اعلم أن الأمم الاسلامية المتأخرة كثير منها قد حجب عن حقيقة الدين الاسلامى الذى كان عليه الصحابة والتابعون فاقرأ كتاب (بداية الهداية)

للامام الغزالى فانه يقول فى أوّله ماملخصه

﴿ على الطالب أن يجدّ فى العبادة فى أوّل أمره حتى تصير له سجية سهلة وملكة راسخة وحينئذ يطلب العلم وليقتصر من العبادة على ماهو المعتاد المعروف فيها فان عجز عن العلم فليساعد الناس بالأعمال العامّة والخاصة كالأهل والأقارب والوطن فان عجز عن هذا وذاك فليلزم العبادة فما تقوله تلك الأرواح هو ماسمعته عنه لأنهم يقولون ان ارتقاء الروح بوجدانها لايتمّ فى محراب الصلاة إلا بانضمام عمل الخير وفهم الحقائق الى العبادة فأما ارادة الخير للناس بلاعمل فلانتيجة له فحبّ الخير للناس والعمل له ومعرفة الحقائق الالهية كل ذلك هو المعراج بعد الموت ويوم القيامة ﴾ انتهى

قال قد اكتفيت بهذا فأرجو أن تتمّ ماتقوله عن الأرواح . فقلت إن تلك الأرواح كما قلت لك التى لم تقدر على دخول الجنة هوت حالا الى جهنم ورجلاها أعلاها ورؤسها أسفل . فقال وهل ورد فى ديننا هذا . فقلت قال تعالى ــ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا ــ وقال ــ فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود ابليس أجمعون ــ وآيات كثيرة فى ذلك . ثم قلت ويقولون طلبت أرواح أخرى من الأشرار أن تدخل الجنة فلم تقدر فسألت عن المانع لها فقيل هو استعدادك وأخلاقك وعوائدك وأحوالك فقالت انتزعوها منى فانتزعوها فأصبحت تلك الأرواح كالمغشى عليه من الموت فهى فى الجنة ولا تحسّ ولاتعى فاضطرت الملائكة باذن ربها أن ترجع لها أخلاقها فاستيقظت وطرحت نفسها حالا فى جهنم بدون اعتراض منها لأنها علمت أن هذا فى حيز الذى لايمكن

يقولون أيضا كم من أرواح جاءت الى الجنة ودخلت وضاق نفسها فرجعت أسرع من البرق الى جهنم مع أمثالها وفرحت بلقاء الأشرار تقاتلهم ويقاتلونها كما كانوا فى الدنيا وكل منهم عذاب للآخر. وهم فى عذاب واصب . وليس هناك لهؤلاء قدرة على حياة غير هذه . قالوا وهذه النفوس لاتقدر أن تتحوّل عن أخلاقها بعد الموت فأما حياتنا الدنيا فهى الفرصة الوحيدة لتهذيب الأخلاق وتقوية المدارك الروحية والعلم بالله وبعوالمه . فقال صاحبى هل رأيت أحدا فى الاسلام قال ذلك . قلت الفارابى فى كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ . قال ان كلا من أهل المدينة الفاضلة يعيش فى وظيفته الخاصة به فرحا بها وبعد الموت يكونون متحابين على نظام جميل . أما الأشرار فهم جميعهم فى عذاب واصب يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا . ويقرب منه الامام الغزالى فى الاحياء فلقد ذكر أن العبادة والأعمال الصالحة اذا كانت لأجل الثواب فى الآخرة لاغير وليست معها معارف قلبية وحبّ لله تعالى فان صاحبها بعد الموت يدخل الجنة الحسية ذات الأكل والشرب ونحوهما . أما أعلى الجنة ومسكنها النفوس العالية التى تكون قريبة من ربها فذلك خاص بنفوس عارفة أمر ربها مستغرقة فى جماله وكماله فاقرأ مانقلته عنه فى أوائل سورة (البقرة) عند ذكر الجنة والنار وأن العارفين هم الذين يفرحون هناك بالعجائب الالهية . وأما سواهم من العامّة وعلماء الدين الذين هم أقرب الى العامّة فهم اذا صلحوا يكونون فى تلك الدرجة المذكورة . فقال صاحبى ماملخص هذا المقال . فقلت ملخصه أن نظام الله فى الدنيا وفى الآخرة نظام واحد وعدله عدل منظم لاتفاوت فيه فأهل النار لايقدرون أن يعيشوا فى الجنة كما ان الحيات لاتعيش مع الناس فى الدنيا . إذن العدل ظاهر واضح على مقدار عقولنا نحن فى الأرض الآن . فالعدل فى الجمهورية اقتضى وضع الزراع والصناع تحت أمر الجند وحراس المدينة ووضع الجند تحت أمر الحراس وبغير ذلك لا يكون عدل . وهكذا الطير والحيات والسمك فى هذه الطبيعة وضع كل منها فى موضعه وهكذا أهل الجنة والنار نفوس تربت فى الأرض على حب نفسها وحظوظها لاتقدر أن تعيش فى الجنة واذا فقدت صفاتها صارت كالميتة . ونفوس عاشت محبة لله وللناس فهذه تكون مشاهدة لربها تعيش مع ملائكته فهذه لاتقدر أن تعيش فى النار وانما تعيش بجوار ربها

هذا

هذا قصارى الأمر وحماداه فرجع أمر الدنيا والآخرة الى العدل ووضع كل شئ فى موضعه . إذن قوله تعالى — إنّ الله يأمر بالعدل الخ — موافق لما تقدّم فى هذا المقام من ذكر النحل وذوات الابن والطير فقد ذكرها أوّلا لنقرأها فنعرف عدله فى وضعها ونقيس عليه العدل فى مدننا كما ذكره (أفلاطون) وهكذا عدله فى جنته وناره فرجع الأمر الى الامكان وعدم الامكان وقدرة الله لاتعلق لها إلا بالممكن فالله لايخلق المستحيل وعلماء الأرواح يقولون إن رجوع الروح الشريرة عن أخلاقها مستحيل بعد الموت كما يستحيل أن تتغير أخلاق الحيات والعقارب والحيوانات الذّرية ولا تغيير لها إلا باعدامها من الوجود . هذا ما فتح الله به فى مسألة العدل فى قوله تعالى — إنّ الله يأمر بالعدل الخ — والحمد لله ربّ العالمين

﴿ النظرة الثالثة ﴾

(وهى الكلام على تلخيص المقالة الأولى والثانية من كتاب السياسة المدنية أوضح مما تقدّم)

انه افتتح المحاورة بكلام جرى بين (سقراط) و (سيفالوس) فى الشيخوخة وحذر الموت فأدّاهم سياق الحادثة الى ذكر العدالة وماهى فقال بعض الحاضرين انها الصدق فى القول وأن تردّ لكل أحد ماهوله فعارضه (سقراط) بأنه لايسوغ أن تردّ السلاح لمالكه اذا جنّ الليل ولا أن تصدق مع من أشرف على الموت بأن تقول له ماهو عليه من خطر الهلاك . ثم قال بعض الحاضرين إن العدل إنما هو مصلحة القوى القادر فمن كان أكثر قدرة كان أكثر حقا وتمثل لذلك بما يقع فى المدينة فان الأحكام فيها انما هى عبارة عن رأى الاكثر أومن بيده زمام الامور فما يفعله فهو عن عدل ويؤيده رأى الجمهور فى ذلك . فقد نشاهد القوىّ الجائر سعيدا مغبوطا والعدل الضعيف شقيا محتقرا . وبالجلة فلاسعادة ولاعدل إلا فى القدرة والقوّة ولا اعتبار فيه بالحقوق فعارضه (سقراط) بأن القصد لمن له الرئاسة فى المدينة انما هو مصلحة الرعية كما ان قصد الراعى انما هو مصلحة القطيع الموكول لحراسته وقصد الطبيب مصلحة المريض وقصد الملاح مصلحة السفينة وعلى ذلك فمن له ولاية على غيره لايقصد مصلحته الخصوصية من حيث هو مولى على غيره بل منفعة من تولى عليه وذلك عبارة عن مصلحة الضعيف المفتقر الى الولاية لا مصلحة من تولى عليه فان تعدّى وجار لم يكن بوال حقا كما لا يكون الطبيب طبيبا ولا الراعى راعيا اذا كان له مقاصد غير مصلحة المريض والقطيع فلا يطلق عليه حينئذ اسم الطبيب والراعى وعلى فرض امكانه فان مثل ذلك الوالى لاينال غرضه من السعادة والراحة إذ يكون حاله أسخف بكثير ممن لازم الحقّ وأوفى بما يجب عليه وبيانه أنه لا يمكن لشركة ولا لاجتماع انسانى كائنا ما كان أن يستقيم ويدوم إلا باقامة العدل فاللصوص وقطاع الطريق اذا اشتركوا جعلوا فيما بينهم نوعا مّا من العدل والا فلاتدوم شركتهم ولاساعة واحدة . واذا سلمنا قول القائل ﴿ أن الجور هو عين الحق والسعادة ﴾ وأخذ جميع الناس بهذا القول فاعتادوا التعدّى بعضهم على بعض فقد يصير الاجتماع الانسانى الى الفتنة الدائمة والحرب المستمر فأىّ سعادة فى مثل هذه الهيئة . واذا فرضنا أن يتغلب الواحد على الباقين ويتسلط عليهم بقوّته فانه لاينال من السعادة ما كان يقصده إذ لكل حيوان ولكل شئ فى الوجود غاية يقصدها وهو قد تهيأ لها بطبيعته فالعين معدّة للابصار والسكين للقطع والفرس للسبق والغاية التى أعدّ له الشئ هى قدرته التى فيها خيره فنفس الانسانية قد أعدّت للفكر والتدبير والمعرفة فهذه قدرتها التى فيها خيرها وسعادتها بخلاف ما اذا جارت وفسدت فانها قد تخرج عن وظيفتها واستعدادها الذاتى فلاتعيش سعيدة . وبهذا ختم سقراط قوله فى المقالة الأولى فأنشأ اثنان من الحاضرين فى معارضة (سقراط) فى صدر المقالة الثانية فقالا إن العدل ليس بشئ طبيعى للانسان وانما هو أمر وضعى قد تواطأ عليه الناس طلبا للراحة من شرّ بعضهم وخوفا من العقوبة . ومصداقه انه لوتيقن أحدهم الأمن من العقوبة كلوكان بيده خاتم يغيب به عن رؤية الحاضرين لارتكب كل فاحشة بلاتوقف . ثم مانشاهده فى الحالة الراهنة . ألم نر الغنى الظالم محسودا متسلطا على غيره

قادرا على الخير والشر . ألم تر الرجل العدل القويم فى سيرته متروكا فى زاوية الخمول ،مضغوطا اذا كان فقيرا وضعيفا . فهذا يدل على مايعتقده الجمهور فى خصوص العدل وخلافه . واذا رأى الصبى الحديث السن مثل ذلك كيف يختار العدل ومايتبعه من المذلة والمتاعب والعجز عن الخير وهو يشاهد ميل الناس الى خلافه فاذا كان ذكيا فطنا اكتفى من الاستقامة بظاهرها وسعى فى أن يرى رجلا خيرا واتبع هواه فى الباقى فكان عاقلا سعيدا ومن سواه فهو إما عاجز واما مجنون . فأجاب (سقراط) ان مثل هذه الاشكالات لاتنحل إلا بعد استقصاء البحث عن العدل وجوهره بدون التفات لما تراه العامة فى خصوصه أوالى كونه نافعا أومضرا فانا اذا ظفرنا بتعيين ماهية العدل ونسبته الى نفس الانسان فقد يمكن معرفة ماينفع ومايضر حقيقة . وهل ينبغى اختيار الجور عليه . وعلى ذلك يكون مدار البحث على ﴿ أمرين * أولهما ﴾ ماهية العدل ﴿ ثانيهما ﴾ هل سعادة الانسان موقوفة على العدل أم على غيره قال لما كان الانسان والمدنية طبيعة واحدة فقد يسهل علينا معرفة العدل الانسانى اذا تأملناه فى المدنية كما يسهل قراءة الكتاب اذا كان مكتوبا بحروف كبيرة غليظة . فاذا وجدنا ماهو العدل فى المدينة لايصعب معرفة ماهو فى الأفراد فابتدأ قوله فى البحث عن منشأ الاجتماع الانسانى وأن الأصل فيه انما هوافتقار البشر بعضهم الى بعض لسد حاجة كل منهم من مأكل وملبس ومسكن فأداهم ذلك الى الاجتماع للتعاون والتمانع وتوزعت بينهم الأشغال فمنه نشأ اختلاف الصنائع ثم المقايضة والمعاوضة والتجارة وصورة العدل فى مثل هذه الدرجة من الاجتماع انما هى حفظ المساواة والمعادلة فيما يتقارضونه من نتائج أشغالهم . ثم نما التمدن وكثرت أسباب الثروة فدعت الحاجةالى اقامةحكام محافظةعلى العدل واقامة حراس لدفع العدوان والظلم وحراسة المدينة عن أعدائها .فهذه أول المسائل التى تعرض لنا فى تأسيس المدينة وهى مسألة ترشيح أهل هذين الصنفين أى الحكام والحراس انتهى . هذا ماأردت نقله من كلام أفلاطون . والمطلع على قوله يرى انهم يصلون الى درجة القرب من الحق تعالى . وهذا عجيب فى أمم جاءت قبل الاسلام بتسعة قرون مما يدلنا أن الله عز وجل تجلى على أمم قبلنا وأنار البصائر لكثير من الناس فهو الأول والآخر . ولكن أفلاطون كان غرامه فى العلم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك و بعلم الأخلاق . أما علوم الطبيعة فلم تكن له بها عناية . وهنا فى القرآن جاء ذكرعلوم الطبيعة قبل هذه الآية والتعليم العصرى فى أوروبا يفوق ماعند اليونان ببزوغ شمس الطبيعة فى أفق المدنيـة الحاضرة . فانظر وتعجب كيف سبق القرآن كل أمة . وكيف شرح علم الطبيعة ثم أتبعه بالعدل والاحسان . فما أعجب العلم والدين . و ياليت شعرى هل يعلم المسلمون بعد اليوم هذه العلوم . وهل يفتشون على علوم الأمم فيأخذون بالأحسن منها وهل يعرفون أن القرآن فى هذا الأسلوب تخطى حكماء اليونان وجاوزهم وأتى بآخرأسلوب للتعليم فهو يجمع بين الرياضى والطبيعى . فأماأفلاطون فغرامه بالرياضى . أفلاترى هذه السورة وكيف جمع فيها الطبيعيات مع الرياضيات وذلك فى قوله تعالى ــ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ــ وفى قوله ــ وبالنجم هم يهتدون ــ فهاهوذا مزج الطبيعى بالرياضى . إن المسلمين والله لغافلون عن هذا القرآن وعن علوم العالم كاليونان وكأوروبا وأمريكا . ان هذه التعاليم عندهم ونحن ساهون لاهون فانظر كيف كانت هذه الكلمة قد ألفت عليها كتب ونشرت لها علوم . نعم ان الأمة الاسلامية عندها علم الفقه وقد تبحروا فيه ولكن نريد أن نزيد المباحث وأن يكون القرآن مرجع هذه الحكم

ومما بحثه أفلاطون فى كتابه انه يجب على القائمين بالعدل فى الدولة أن يمنعوا الناس من كثرة الضحك لأنه يضعف قلوبهم . وأيضا لايخوفونهم من الموت لئلا يجبنوا عن لقاء العدو بل ينشرون مايزيل ذلك الخوف * وجاء فى الحديث الشريف النهى عن كثرة الضحك . وجاء فى القرآن بشارات للمجاهدين وللذين قتلوا فى سبيل الله . انتهى الكلام على العدل مختصرا

الاحسان

﴿ الاحسان ﴾

أما الاحسان فهو على مناح شتى كالاحسان فى الصناعات والأعمال ونظيره قوله تعالى ــ الذى أحسن كل شئ خلقه ــ والاحسان فى الطاعات وهذا على ﴿ قسمين * الأول ﴾ الزيادة فيها بالنوافل ويدخل فيه الاحسان للناس ﴿ والثانى ﴾ اتمامها كحضور القلب فى الصلاة والاخلاص فى الصدقات ٠ وأما إيتاء ذى القربى فهو معلوم مما تقدم

(١) اذا علمت هذا وسمعت قول ابن عباس ﴿ العدل شهادة أن لا إله إلا الله والاحسان أداء الفرائض ﴾ فاعلم أن ذلك داخل فيما ذكرناه لأن هذه شهادة حق وهى من العدل ٠ وأداء الفرائض عمل والعمل أحق بالاحسان

(٢) واذا سمعته يقول ﴿ العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ فالأول ظاهر والثانى كذلك لأن العابد اذا غفل فى الصلاة عن المعبود وغاب عنه قلبه فذلك لم يحسن ولم يتقن عمله فليس عمله حسنا والله تعالى يقول ــ الذى أحسن كل شئ خلقه ــ فالاحسان فى الصنعة أن تكون نضرة بهجة متقنة فهكذا فى الصلاة ٠ ولعمرى أى حسن فى صلاة غفل صاحبها عن مخاطبة محبوبه الجيل وهذه المخاطبة جيلة ومحبوبة ولها لذة وبهجة ولكن لا يعقل ذلك الناس بل لا يصدقونه إلا اذا مرنوا زمنا طويلا وتكلفوا ذلك التوجه فى الفاتحة وفى أركان الصلاة وفى الدعوات بحيث يخاطبون ربهم كأنه أمامهم ٠ وهناك يعرفون كيف أحسنوا أعمالهم ويفهمون قوله ﷺ ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ وهذا خير احسان

﴿ أقسام الاحسان ﴾

واعلم أن أعمال الدين بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى من الطريق وهذه البضع والستون قد ذكرها كلها صاحب النقاية وشرحها شرحا وافيا ٠ وليس المقام مقام نقل كتب ولكن لا بد من فهم الغرض منها كما فعلنا فى جمهورية (أفلاطون) لئلا يشذ عنك شئ ينبغى الاطلاع عليه ولتقف على عجائب العلم فى هذا القرآن ٠ فانظر كيف يقول الحديث ان الاسلام بضع وستون شعبة ٠ وكيف جعل لها أعلى وأسفل وجعل الأسفل إماطة الأذى من الطريق والأعلى لا إله إلا الله ٠ أفلست ترى أن جميع أعمال الحياة دخلت فى هذا القول وأن النبى ﷺ اذا قال ﴿ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ فانه ذكر لنا شعبة واحدة من شعب الدين ليمثل لنا الاحسان والاحسان يشمل الشعب كلها من اماطة الأذى من الطريق الى عبادة الله كأننا نراه ٠ إن عبادة الله كأننا نراه يستحيل أن تتم ولا تنتظم إلا ببقية شعب الايمان فلا بد من نظام الأمة كله فالطرق منظمة والجنود مكملة والحكومة قائمة والثغور عامرة وكل شئ تام ٠ وما مثل الدين وشعبه إلا كمثل الجسم الانسانى لا يتم له تفكير إلا بعد أن تكون له معدة وامعاء وحواس ويدان ورجلان فهذه كلها آلات للحياة ولا فكر للانسان إلا اذا وجدت هذه كلها فالدين كذلك فالعبادة واحسانها أشبه بعقل الانسان وبقية الشعب كبقية الجسم ٠ وكما لا يتم التعقل إلا بتمام الجسم ولوازمه هكذا لا تستقيم لنا عبادة وحضور قلب مع ربنا إلا باحساننا كل شئ فى أمتنا والا فبالله كيف يستقر لنا قرار فى مساجدنا وفى مصلانا والفرنجة كالانجليز يريدون تحويل ماء النيل عن بلادنا فاذا حولت فأين المصلون وأين العبادات فضلا عن اتجاه القلوب للمعبود ٠ هناك لا عبادة ولا صلاة ولا دين ولا متدين بل تزهق النفوس ويهلك الحرث والنسل فليحسن المسلمون جميع أعمالهم وصناعاتهم والا فليرحلوا من هذا العالم وليخلق الله أمما أخرى يقرؤن هذا القرآن ويفهمون كما نكتب الآن وفوق ما نكتب من علوم مخزونة عند الله تعالى

(٣) واذا سمعت ابن عباس أيضا يقول ﴿ والاحسان أن تحب للناس ما تحب لنفسك ﴾ فهو ظاهر لأن هذا من شعب الايمان وكلها يجب فيها الاحسان

إن الشارع الذى أمر بنظافة أهمّ الأعضاء فى الوضوء عمم جميعها فى الغسل لأنه يريد نظافة عامّة هكذا فى الأعمال . فاذا قال أحسن فى عبادة ربك وتوجهك اليه فانه يقول أحسن فى معاملتك مع الناس بل أحسن فى جميع أمور الحياة . فاذا لم يحسن المسلمون جميع الصناعات كما أحسنه الفرنجة أو أكبر فقد خالفوا ديننا ولافرق فى الاحسان بين الاحسان للناس والاحسان فى مخاطبة الله واحسان الأعمال الصناعية والتجارية والكيمائية وغيرها غاية الأمر أن العلم أرقى ومخاطبة الله والتوجه اليه والقرب منه هو المقصود الأعظم . وقد قلنا ان الاحسان فيه يستحيل إلا بدولة تحافظ على الناس حتى يقيموها ونرى أصحاب الديانات القديمة المنسوخة آمنين مطمئنين يؤدّون عباداتهم فى مصر ونحن فى شغل شاغل لأننا لم نحسن سائر الأعمال حتى نحسن العبادات

(٤) واذا سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول ﴿ الاحسان أن تحبّ أن يزداد المؤمن إيمانا وأن تحب أن يكون الكافر مؤمنا ليكون أخاك ﴾ تكميلا لكلامه السابق . فهذا داخل فيما ذكرناه فيحب الانسان الناس قاطبة

(٥) واذا سمعته فى رواية أخرى يقول ﴿ العدل التوحيد والاحسان الاخلاص ﴾ فهو فيما تقدّم

(٦) واذا سمعت بعضهم يقول ﴿ العدل المكافأة خيرا وشرا . والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشرّ بأن تعفو عنه ﴾

(٧) أوسمعت من يقول ﴿ العدل الانصاف باعترافك بالنعمة للمنعم والاحسان أن تحسن لمن أساء اليك ﴾

(٨) واذاسمعت قول ابن عيينة ﴿ العدل استواء السرّ والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيتك أحسن من سريرتك ﴾

وهكذا من الأقوال المختلفة . فاعلم أن هذا وعشرات أمثاله داخل فيما قرّرناه . فكل عالم فكر فى مسألة جزئية والقرآن أعمّ . فأما النبوّة لجلالة قدرها فورد فى الحديث عن النبى ﷺ ذكر عبادته كأننا نراه فذكر الأعلى وذكر بعض الشعب كأن تحبّ لأخيك ماتحبّ لنفسك

وبالاجمال الاحسان فى كل شئ العبادة والصناعة والتجارة والزراعة وكل هذا دين الاسلام . وهذه كلها فروض كفايات فلابدّ من اتقانها والا فلاحياة . فهذا هوالدين وهذا هو العقل . فليحسن المسلمون جميع الصناعات والا فليرحلوا من هذه الأرض الجميلة التى خلقها الله لأهل الجمال . فأماالغافلون نقدم لعباده أهل الكمال والجمال والعلم والأخلاق . فبذلك فليفرح المسلمون بما آتاهم الله فى كتابه من العلوم النافعة ــ ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ــ

﴿ مزايا هذه الآية ﴾

قال ابن مسعود إن أجمع آية فى القرآن لخير وشرّ هذه الآية . وقال أهل المعانى لما قال الله تعالى فى الآية الأولى ــ ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ــ بين فى هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال . فما من شئ يحتاج اليه الناس فى أمر دينهم مما يجب أن يترك أو يؤتى إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية * وروى عكرمة أن النبى ﷺ قرأ على الوليد بن المغيرة ــ إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان ــ الى آخر الآية فقال يا ابن أخى أعد علىّ فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وماهو بقول البشر . وهذه الآية كانت سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ماكنت أسلمت إلا حياء منه عليه الصلاة والسلام لكثرة ماكان يعرض علىّ الاسلام ولم يستقر الايمان فى قلبى حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقرّ الايمان فى قلبى . وقال أبوجهل إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهى أجمع آية فى القران للخير والشرّ . ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة لانها جامعة . هذا ماجاء فى كتب التفسير اهـ

ثم أتبع هذه الآية بفروع تتفرّع عليها وهى ﴿ أوّلا ﴾ نقض العهد وهو ضد العدل وقرين المنكر والبغى ﴿ وثانيا ﴾ العمل الصالح وهومن الاحسان ونتيجته الحياة الطيبة فى الدنيا والثواب فى الآخرة والعمل الصالح هوالذى تمّ فيه الاحسان وهو يعم جميع ماقررناه فى الاحسان وهوجميع أعمال الدولة وأعمال الانسان نظافة وأدبا وأعمالا عامّة وهامّة ﴿ وثالثا ﴾ أن العمل الصالح كما ينفع فى الامور المعيشية ينفع فى دفع الوساوس الشيطانية فان الشيطان لايجد وسيلة يدخل بها على الذى رتب أوقاته ونظمها وأحسن أعماله لأن الحسن والجمال فى الأعمال يعوّد النفس الجميل فلاتقبل القبيح . إن الشيطان لاسلطان له إلاعلى الجهلاء والفسقة والبطالين لأنهم معه لأن أفئدتهم هواء ومتى كان الهواء فى الاناء دلّ على أنه ليس فيه ماء واذا أدخلنا الماء خرج الهواء . هكذا العقول متى أدخلنا فيها العلم والارادة وكانت الأعمال وصحت العزائم لم يبق مجال لابليس ولا الهوى فالعمل هو السعادة والنوم والكسل بلادة ﴿ ورابعا ﴾ قولهم للنبىّ ﷺ ـ إنما أنت مفتر ـ لجهلهم بحكمة التشريع فى الآيات الناسخة والمنسوخة وهذا من نوع المنكروالبغى والفحشاء أيضا لأنهم نطقوا بالقبيح وهوفحشاء وظلموا بانكار الحقّ وأضلوا غيرهم فقد جمع هذه المنكرات ﴿ وخامسا ﴾ ان هذا القرآن نزّله روح القدس وهذا من نوع الاحسان ﴿ وسادسا ﴾ ان قوما لايؤمنون بآيات الله اتهموا النبىّ ﷺ الذى نزل عليه القرآن بواسطة روح القدس انه ماعلمه روح القدس وانما علمه أعجميان هما سلمان الفارسى وعمار وهذا غاية البغى ﴿ وسابعا ﴾ بيان أن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يخرج عن العدل ولم يدخل فى باب المنكر والبغى كأنه لما بين الأقسام المتقدّمة ذكر ماالتشبه أمره ومن أىّ الأقسام هو فبينه هنا ﴿ وثامنا ﴾ من شرح الصدور بالكفر وذلك من البغاة الظالمين ﴿ وتاسعا ﴾ مجادلة النفس أمام الخالق يوم القيامة عن نفسها . وهذا من العدل المنصوب بين الله وخلقه ﴿ عاشرا ﴾ القرية التى كانت آمنة مطمئنة ثم طغت و بغت فأهلكها الله . فهذا من البغى ﴿ الحادى عشر ﴾ عدم العدل فى الدين بتحريم الحلال فى الأنعام والحرث . وهذا افتراء وكذب و بغى ﴿ الثانى عشر ﴾ قصص ابراهيم الخليل عليه السلام ومزاياه الشريفة واتباع سيدنا محمد ﷺ له فى طريقه . وهذا من الاحسان

﴿ ختام السورة ﴾

ثم ختم السورة بما يجمع سائر مافيها فان الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة تجمع كل ماتقدّم كما أوضحناه سابقا وأما قوله ـ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ـ الخ ففيه تطبيق على آية ـ إن الله يأمر بالعدل ـ فقوله ـ فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ـ هوالعدل وقوله ـ ولئن صبرتم لهوخير للصابرين ـ راجع للاحسان ويتبعه قوله ـ واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم الخ ـ

ثم ختم السورة كلها بما يفيد ماتقدّم جميعه وما أطلنا به من نقل كلام العلماء والحكماء فقال ـ إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ـ وقدعرفت الاحسان فيما قدّمناه فالله يكون مع المحسنين فى أقوالهم وفى أفعالهم وفى صناعاتهم . فليتقن المسلمون صناعاتهم وليحسنوها وليزيدوا فى اكمال كل شئ فقد تقدّم أن الاحسان يشمل جميع وجوه الحياة كما أوضحناه

﴿ تنبيه ﴾

وقد فاتنى أن أنبه على العهد واخلافه وقد أوضحناه فى سورة (التوبة) ولقد شدّد الله فى أمر العهد ونام المسلمون عن العهود . وهذا هوالذى أوقعهم فى نحس الطالع وسوء النكال . فترى بعضهم يكذبون فى معاملاتهم ولايصدقون فى بيعهم وشرائهم . والأمم حولنا قد أدركت ذلك السرّ فعلموا أبناءهم صدق الوعد وعدم اخلاف العهود . فترى أمم أوروبا كاذبة فى عهودها مع المسلمين لضعفهم صادقة مع دول أوروبا لقوّتها ومنفعتها . وترى تجارهم قد ضللوا الشرقيين حتى إنك ترى التاجر الاوروبى يشترى البضاعة من الصانع

المصرى و يبيعها ذلك الأوروبى على المصريين لأنه عندهم أصدق من المصرى وان كان خادعا لهم وقد كسب فى البضاعة مثلى ثمنها كما أخبرنى بذلك صانع أحذية مصرى . وذلك لأن الفرنجى يجعل الثمن واحدا وقد علاه كثيرا . فأما المسلم فانه يحب أن يغالب فى الممارسة ويكثر من المشاكسة والمساومة . فالبيع انما هومغالبة وذلك يورث عدم الثقة وأيضا يخلف الوعد ولا يصدق فى معاملته . واخلاف الوعد اليوم هو الداء الوحيد فى هذه الأمم الشرقية فاذا اخلفوا وعودهم لم يأمن بعضهم بعضا فى المعاملات لأنهم لايثقون بموعد فيهرعون الى الفرنج والفرنج هم الآكلون لأهل الشرق . هذه هى الأحوال العامّة . ولكن الحمد لله فى هذه الأيام قد ظهر فى مصر وفى غيرها تجار عظام يفوقون الفرنجة فى الموعد والنظافة والترتيب واتقان العمل وسيكون لهذه الأمّة شأن إن شاء الله تعالى . وليس هذا الموضوع وما قبله بخارج عن قوله تعالى فى آخر السورة ـ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ـ فالتقوى ترجع الى الاحتراس من الفساد فى العقائد والأقوال والأفعال والاحسان راجع الى الأعمال الجيلة فالتقوى تخلية والاحسان تحلية . فليس يكفى فى هذه الحياة الدنيا أن يكون المرء تاركا للشر فان الحجر كذلك . ولكن الرجل إنما هو النافع لغيره بعد نفع نفسه واحسان أخلاقها . فالتقوى فى هذه الآيات شملت كل ماجاء فى السورة من أعمال السوء والاحتراس منها ومن جميع المنهيات والاحسان شمل نظام كل شئ من عبادة ومعاملة مع الناس وعلوم وأخلاق . فالله مع من أحسنوا علومهم الرياضية وعلومهم الطبيعية وصناعاتهم المدنية وعباداتهم الالهية وصلواتهم الدينية وأحسنوا فى طهاراتهم ونظافة ثيابهم ومعاشرة أهلهم فكيف لا يكون الله معهم وهو يتولى الصالحين الذين صلحت نفوسهم وصلحت أعمالهم فكانوا للناس نورا به يهتدون وغيثا به يستبشرون . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ مذكرة عامّة لسورة النحل وايضاح لما سبق فى السورة ﴾

لقد سميت هذه السورة باسم النحل كما سميت أخرى بالنمل وأخرى بالعنكبوت وأخرى بالبقرة وأخرى بالأنعام وأخرى بالفيل وأخرى ذكر فيها العاديات وهى الخيل . فياليت شعرى كيف نام المسلمون قرونا وقرونا عن درس هذه المخلوقات درسا دينيا . وكيف نرى الفرنجة يعلمونها لأطفالهم فى مدارسهم وبهذه الملاحظات ارتقت عقولهم . اللهم إنك أنزلت القرآن وأظهرت هذه الحكم للمسلمين فعرفوها فى القرون الأولى وأخذ الملوك فى أوائل الدولة العباسية يهرعون الى ترجمة الحكمة عن اليونانية كالمنصور والمأمون ثم فى أواخر القرن الرابع كما هو واضح فى سورة الأنعام سابقا اعترى هذه الأمّة مرض الجشع والشهوات والكسل واكتفوا من العلوم بالشعر والغزل إلا قليلا فأزحت العلم من الشرق الى الغرب لما حقر أهل بغداد وأهل قرطبة أى الشرقيون والغربيون من المسلمين العلم والحكمة وحرق بعضهم كتب الغزالى والآخرون حقروا علم ابن رشد هنالك أخذت علومك منهم وأعطيتها للفرنجة فنبغوا فيها وعرفوا سرّ النحل والنمل والعنكبوت وغيرها من الحيوانات التى سميت بها السور ايقاظا للناس . ولما عرفوها وعرفوا سائر العلوم ارتقت عقولهم فصاروا أعلم منا ونحن نائمون ثم انك سلطتهم علينا كأنك تقول هاهم أولاء تلاميذ آبائكم صاروا أسبق منكم للعلم والحكمة وارتقاؤهم إنما كان بفضل القرآن . وليس معنى هذا انهم قرؤا الحيوانات لأجل القرآن بل ان القرآن كان سببا فى ايقاظ العرب وايقاظ العرب ايقظ أوروبا تبعا . ولما استيقظت أوروبا بعقولها لابدينها أرسلتها اليكم لتذلكم فتستيقظون لهذه الدنيا وتعرفون مقصود كلامى ولم سميت سور كتابكم بأسماء الحيوانات وأن هذه عناية منى بذلك . وكيف غفلتم عن حكمتى فى التسمية . أنا لم أسم سورة باسم الصلاة ولا الزكاة ولا الوضوء ولا البيع ولا الميراث ولا القضاء بل كان جل عنايتى بالتسمية راجعة الى الحيوان والى عجائب خلق كل ذلك لأريكم أنى لطيف بالعباد لا أفرق فى العناية بين الفيل والبقة فى نظام أعضائها ولتعرفوا حكمتى فتصبونى

وتحبوا

وتحبوا لقائى وتنظموا مدنكم وترقوا شعوبكم • فلما طغيتم و بغيتم أمتكم قرونا وقرونا • وها أناذا الآن أسلط عليكم عبادى لترجعوا الى القرآن والدين فتدرسوا هذه الدنيا وعلومها دراسة أعلى

يقول مؤلف هذا التفسير ان كل من اطلع على هذا القول مسؤل عن أمّته وعن دينه أمام الله فلينشر كل من أهل العلم والجاه هذه الفكرة وليعلم أن الطفل فى بلاد أوروبا يعرف من هذا الجمال والحكم مايجهله الكبار فى بلاد الاسلام و يعرف ذلك من درس كتبهم واطلع على علومهم • فليقرن المسلمون العلم بالعمل ولتؤلف كتب للصغار وأخرى للكبار • فأما للصغار فليكتب شذرات من عجائب هذا العالم • وأما للكبار فليدرس نفس علم الحيوان والنبات وغيرها • إن كتابى لهذا أصبحت فرض عين علىّ لاملمى بها وقراءته إما فرض كفاية أى لمن يقرؤن العلوم للمنافع الدنيوية وفرض عين على كل من أمكنه الازدياد من العلم ولا مانع يمنعه ليكون زيادة فى توحيده وشكرا لربه فهذا من أعظم الشكر كما هوموضح فى كتاب الشكر من الاحياء للامام الغزالى اه

﴿ نظرة عامّة فى هذه السورة ﴾

اعلم أن هـذه السورة قد ملئت بالعلوم و بالمعارف والحكمة فقد جاء بها خلق الأنعام والبهائم والانسان والزروع والبحار ومافيها من الحلى الجيلة وكذا الحشرات والطير تذكيرا للمسلمين وتعليما للجاهلين وذكر الرأفة والرحمة عند ذكر الأنعام اللاتى فيها الدفء والمنافع والأكل وأتمّ تعداد النعم بذكر دروع الحرب وأعقبها بأنه يتمّ النعمة علينا • فهنا ﴿ أمران ﴾ رأفة ورحمة فى أوّل السورة وتذكير بالنعم قبيل آخرها

هاهوذا سبحانه لم يذكر إتمام النعمة علينا إلا عقب ذكر الدروع فى الحرب • وهاهوذا يقول فى أوّل السورة ـ إنّ ربكم لرؤف رحيم ـ مؤكدا بان واللام • ظهرت رأفة الله ورحمته فى خلق الأنعام إذ نأكل ونشرب ألبانها ونتجمل بها وهكذا • إن هذه الرحمة واضحة للجاهل والعالم ولكن صناعة الحرب والوقاية منها أمرها مزدوج يعسرفهم الرحمة فيه فلذلك عبر بالنعمة والنعمة قد تكون بمكروه وقد تكون بمحبوب فالطبيب نعمة على المريض وان كان الدواء مرّا والمعلم على المتعلم نعـمة وان منعه الراحة • إذن النعم التى فى هذه الدنيا إما ظاهرة الرحـمة فيها واما أن تكون خفية فما ظهرت الرحـمة فيها يعرفها الناس ومالم تظهر فيها الرأفة والرحـمة لاتعرف إلا بالبحث والتنقيب فالنعمة تكون بما تألفه النفس ومالا تألفه والرحمة أكثر ظهورها فيما تألفه النفس وهذا نفس ماجاء فى الفاتحة فالله ربى العالمين ﴿ بأمرين ﴾ الرحمة والقهر وللأوّل ـ الرحمن الرحيم ـ وللثانى ـ مالك يوم الدين ـ • هكذا الوالدان الأم للرحمة والرأفة والأب للتربية العملية فيوجهه للمطالب النافعة له مراعيا المصلحة لا الرأفة به • الله والعوالم والأب والأم

وكما ان الأم للشفقة المتناهية التى ترجع أكثرها الى مصلحته وتغذيته وتميته والأب لاصلاح عقله وترقيته ناظرا لمستقبله • هكذا بعد أن يستقل فى أمورالحياة يتخذ له أمّا أعظم من أمّه و يقوم الرب بالعناية بارتقائه بدل أبيه • و بيانه أن ماذكر فى هذه السورة من الأنعام والبهائم واللبن والعسل والشعر والصوف كل ذلك أعدّ للإنسان بعد فراقه لبن أمّه فبعـد أن كان يعيش على لبن أمه أصبح يعيش بأغذية الأم الكبرى وهى الأرض ففيها النبات والحيوان وأنواع الأغذية أعدّها الله له فى أمّه الكبرى • فكما أمدّته أمّه باللبن أمدّته الأرض بهذه الأغذية • وكما ان أمه الصغرى لم تذره بلاعمل بل كانت تكلفه أمه أن يقدّم فه الى ثديها ليرضع وهذه كلها أعمال تناسب الأطفال • هكذا أمه الكبرى كلفته أعمالا مناسـبة لقوّته وللفائدة التى سيجنيها من الأغذية التى عليها • وكما رأينا أباه وجهه الى العمل والدرس والصناعة وأتعبه فى ذلك وشـغله • هكذا نرى الله الذى قام برعايته أكثرمن أبيه قدفتح له مدارس الحوادث الجوّية والحرّ والبردوالصواعق والحيوانات

المفترسة والقاتلة كالتى تحدث الطاعون والتيفوس والكوليرا وهكذا فان هذه سلطها الله على هـذا الانسان ليجدّ وينصب فى اتقاء شرّها ودفع أذاها فيتقى الحرّ والبرد بالملابس والاسود والنمور باتخاذ المساكن وحفظ البلاد والاستعداد للطوارئ . ويتقى الحيوانات الذرية المحدثة للطاعون بأدوية قاتلة لتلك الحيوانات الداخلة فى جسمه المهلكة للجموع الكبيرة من نوع الانسان . ويتقى الأعداء من نوع الانسان بالحصون والدروع الخ وذلك ليدرّبه على التعقل والتفكر والأعمال الصناعية والعلمية فلولا اتقاء الحرّ والبرد وحب التجمل والزينة لم تكن تلك المعامل التى تصنع فيهاالأنسجة . ولولا أنواع الأوبئة والطاعون التى تحصدالناس حصدا مانبغ النابغون فى علم الطب وظهرت فى الانسان قوى انتفعت بها الانسانية . ولولا الحرب بين الدول والممالك ما ظهرت تلك الصناعات العظيمة فى بناء السفن فى البحار والحصون فى البلاد والأسلحة العظيمة . وكل ذلك استخراج لأسرار المادّة والعقول . أفلست ترى أن ذلك من الله استخراج للقوى والقدر فى نوع الانسان وفى الأرض . وكما ان الأرض فى اعدادها الأغذية والمنافع المذكورة فى هذه السورة باذن الله أبر بالانسان من أمه وأرحم . هكذا الله عزّ وجل فى ارسال الصواعق والحوادث الجوّية على الانسان فى الأرض وايقاد نيران الحرب بين الأمم وحصد أرواحهم بأنواع الطاعون والوباء قد علم الانسان وفتح له أبواب التبصرة والتذكرة أكثر من تعليم أبيه له وتدريبه على زراعة أوصناعة . فاذا كان نظر الأب قد أدرك العاقبة فحسب حساب مستقبله فحمله على العمل فالله لم يذره فى راحة وطمأنينة تورثه الخيبة والذل والهوان بل جعل له فى مقابل كل نعمة نقمة . فاذا خلق له الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير فقد خلق له نظيرها أسودا ونمورا وذئابا ووحوشا أخرى . واذا خلق له النحل ليشرب عسله ويتعجب من هندسة بيوته وهكذاحشرات أخرى كثيرة لتلقح زرعه وحيوانات ذرّية (المكروبات) تنفع فى تحليل المادّة فى الأرض لتستعدّ لتغذية الزرع بها والكرات الحمراء فى دمه لحياته وصحته هكذا خلق له فى مقابل ذلك كله الحيات والعقارب والحيوانات الذرية التى تحدث الطاعون والتيفوس والجدرى والحصباء . واذا جعل الله الأمم ينفع بعضهم بعضا وهكذا رجال الأمّة الواحدة يتعاونون والأهل والأقارب والأرحام كل لكل مساعد . فهاهوذا سبحانه قابل كل نعمة من هذه بنقمة من جنسها . فالدول تقع بينها الحروب والأصحاب معرضون للخلاف والشقاق والعداوة والقضايا . أما الأقارب فحدّث عن الحسد ولاحرج . أقول . أنا أعتقد أيها الأخ الذكى أنك الآن أمامك صورة واضحة مشاهدة معلومة من هذا الوجود تستبين بها أن الله جعل نقمة فى مقابلة نعمة وأن هذه النقم مدارس يربى فيها الناس وهذه التربية التى ليست بحرف ولاصوت بل هى تربية صامتة أرقى من تربية الأب الذى لايفكر إلا فى أن يعلمه كيف يحصل قوته ويحفظ أسرته بعد موته فثبت بهذا أن الأرض وضعهاالله بدل الأم وهى أرحم بالانسان من أمه وأشار لذلك بقوله فى أوّل السورة ــ إنّ ربكم لرؤف رحيم ــ وأن الله بما خلق من أصناف المؤذيات المهلكات فى مقابلة النعم بحيث لم يذر نعمة إلاقابلها بنقمة قدأعدّ له بذلك مدارس منظمات مفتوحات لاتذره ينام لحظة فان سار فى الأرض بلا احتراس افترسته السباع وان جلس فى مكان وهوساه لدغته الحيات وان نام فى فراشه أوجلس فى بيته وهوغيرمستيقظ لنظافة بدنه أوثوبه أومكانه تلقته تلك الجموع من القمل والبراغيث والبق . وان نامت الأمّة وادعة ساهية لاهية تألبت عليها جيرانها من الدول وأقبلت اليها يقتسمونها فيصبحون عبيدا بعد أن كانوا سادة مكرمين . وان تركوا علم الطب وناموا على وساد الراحة الوثير تحالفت عليهم جيوش الحيوانات الذرّية ففتكوا بهم فتكا ذريعا فأفنوا أكثرهم وهم ساهون لاهون . فهذه مدارس الله التى أزعجت الناس فارتقوا فى الطب والصناعات وفتحت بصائرهم

أليس هذا هومعنى ــ الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ــ فالرحمة المذكورة فى الفاتحة والمذكورة فى أوائل سورة النحل هى التى قامت بهاالأم وقامت بهاالأرض مما ذكرفىهذه السورة وغيرها والشدّة المأخوذة

من

من قوله ـ مالك يوم الدين ـ ومن قوله ـ وسرابيل تقيكم بأسكم ـ فى هذه السورة نعمة فالوقاية بالدروع من الحرب نعمة والسلاح والكراع نعمة . ولاجرم أن لابس الدرع محارب فتكون القدرة على الحرب نعمة وهكذا كل ما أحدث لنا جدّا وعملا لنحترس منه . كل ذلك نعمة كنعمة اتقاء الهلاك بالدروع

فانظر وتعجب . رحمة وشدّة فى الفاتحة مرتبتان ذكرا كما رتبتا وضعا . هكذا هما فى النحل رحمة ثم نعمة مقرونة بالحرب . وهكذا أم الولد أوّلا ثم أبوه يتلقاه لترقية قواه . تشابه الوضع الطبيعى والوضع العلمى الدينى . رحمة فشدّة فى الفاتحة . وهكذا فى سورة النحل وفى سير حياة الانسان . فلما سمع صاحبى ذلك قال هذا المقال حسن ولكن ليس ببليغ . ان البلاغة أن يطابق الكلام مقتضى الحال وليس مقتضى الحال أن تشرح النعمة والنقمة واللين والشدّة وتطابق الامور وتترك القول سبهللا . جعلت النقم والحوادث والمصائب فى الطبيعة أشبه بشدّة الأب على ابنه . وجعلت نعم النبات والحيوان والأغذية أشبه بالرأفة المتناهية والرحمة . هذا كل ماقلته ولكن مقتضى الحال أن تثبت ماتقول ان كثيرا من المؤلفين يحلو كلامهم وتجود عباراتهم ولكن القارئ يخرج من ذلك ولاعلم عنده وانما هى صور فى الخيال لاتحقيق ومن ذا الذى يقول ان الحيوانات الفاتكات بالانسان نعمة . وأىّ عاقل وأى حكيم يحكم بأن من أعطاك ثوبا ثم أردفه بضرب السياط والشتم يكون محسنا كريما والله يقول ـ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ـ فهل فى اعطائنا الابل والبقر والغنم . ثم فى مقابلتها تكون السباع المفترسات نعمة تامّة أم ذلك صدقة تبعها أذى . إن الله عزّوجل حكيم والحكيم يوافق قوله فعله وأنا لا أفهم الموافقة هنا . فقلت له ليس كل مايؤذى الانسان نقمة فمن الايذاء ما يكون نعمة كما تقدّم . وليس منع الأب ابنه عن الراحة ووضعه فى عمل إيذاء وهكذا تاديبه بالتوبيخ والضرب ليس إيذاء بل هو نعمة عليه . فقال هذا كلام اقناعى فائتنى ببرهان يشرح صدرى ويقنعنى . قلت إذن أسمعك

﴿ رسالة منسوبة الى (أرسطاطاليس) للاسكندر فى السياسة ﴾

هذه الرسالة نقلت من النسخة الخطية فى الفاتيكان بايطاليا فى زماننا هذا ونشرت فى بعض المجلات العلمية فى (برلين) وفى مجلة الشرق . ويرجح العلماء انها مترجمة بقلم حنين بن اسحاق فلأذكر نبذا منها بالحرف لمناسبة المقام

(١) قال . وقد انتهى الينا انك بعد الواقعة الكائنة لك ببابل وظفرك بدارا ومن لحق به وما ركبت من أهوال الحروب وكابدت من شدائدها استأنفت أشغالا أخر بامور سموت لها وتطلعت اليها فقد ينبغى لك قبل ذلك أن تفرغ نفسك للنظر فى مصلحة أمور المدن وتقويم سننها فان هذا أمر كبير يجب عليك النظر فيه ويذهب لك الصوت والذكر الجميل فقد تعلم ما نال من ذلك (لوقرغس) بتقويمه سنن مدينته وعلى حسب سعة ملكك وعدد مدائنك سيكون فضلك على من أصلح مدينة واحدة بقاء الذكر والثناء لك لأن اقامة السنن صلاح العامّة ودوام السلامة والهدوء فى الرعية

(٢) وقد ظنّ كثير من الناس أنه انما يحتاج الى المدبر القائم بالسنة فى الحرب . فاذا انقضت الحروب واستفاض الامن والسكون استغنى عنه والذى صيرهم الى ذلك ظنهم بأن الاستمتاع بالخيرات سهل ممكن لافناء الناس وأن معاناة الشدائد الصعبة لايقوى عليها كل أحد . ولست أرى هذا صوابا بل الصواب عندى خلافه وذلك أن الناس اذا مستهم الشدائد تحنكوا وتيقظوا لما فيه مصلحتهم فاذا أظلتهم الأهوال تحركوا فيما يدفع ذلك عنهم . واذا صاروا الى الامن مالوا الى الشره والفساد وخلعوا عذار التحفظ وما أعسر أن تكون مع رخاء البال صيانة العقول بل يذهب ذلك بالعقل كثيرا ويذهله فأحوج ما يكون الناس الى السنن اذا صاروا الى الخفض والدعة فانه ان كانت الحروب قد تحدث فيها الأحداث فان ذلك يحدث والناس متحفظون حذرون

فى حال الخفض فتحدث أحداث كثيرة والناس قارون مهملون لأمرهم . عندذلك يحتاج العامة الى الأدب والسنة . والسنة انما تكون سنة اذا عمل بها . وانما يعمل الناس بالسنة اذا كان لهم مدبر يحملهم عليها وانما يقوى على ذلك من كانت رئاسته سنة اجماعية ولم تكن رئاسته فتنة واغتصابا فليس الاستمتاع بالهدوء والخفض مما يحتمله كل أحد كما ظنّ هؤلاء ولوانه كان ذلك كذلك لوجب على الآباء أن يملكوا أبناءهم أموالهم من أوّل نشئهم . فكما انه لاينبغى أن تفوّض الأموال الى الصبيان كذلك لاينبغى أن تفوّض الامور الى العامة فان أخلاق العوام شبيهة بأخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج الى الرقباء والمدبرين

والعبرة فى ذلك أيضا قد ترى من تصرّف الأحوال وتنقل الدول فمابال الرئاسات لاتثبت ولاتدوم لصنف واحد وفى مدينة واحدة كالذى رأينا من نقلها فى بلاد (آسيا) وفى بلاد (أوروبا) وفى غيرها من المدن فقد ملك (أشور) حينا لأهل الشام وسورية ثم خلف بعدهم أهل (ماه) ثم خلف بعدهم أهل فارس وكذلك تجده فى سائر الأمم . فالقلعة فى هذا كله واحدة هى التى ذكرنا من أن التقلب فى الخيرات أصعب من مقاساة الشرور وكذلك تجد الذين نالوا الرئاسة بنصب ومشقة ثم زيدوا فيها شيأ بعد شئ قدحنكتهم وثقفتهم التجارب أكثر ذلك ماتطول مدّتهم ويؤول الى السعادة وحسن العاقبة أمرهم وتجد الذين نشؤا فى الخفض ووافقتهم الامور عفوا فلم تصبهم شدّة ولم يمسهم خوف يصيرون الى ضد ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتعظم بالمشقة والنصب وتصيرالى الخراب والبوار بالرفاهية والخفض داعية الى البطالة والناس فى أكثرذلك مائلون الى البطالة مستلذون بها . وذلك انهم يكرهون الأدب والسيرة الحسنة هربا من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلبا للتودّع ويفنون أعمارهم فى طلب اللعب الى الشقوة . وليس يكون مع البطالة وتعطيل الأدب بقاء ملك ولاذبّ عن حريم ولاصلاح عامّة . فالأمر على ماوصفت أوّلا من الحاجة الى سنة مقومة ومدبر يقوم بها فيحمل العوام على حسن السيرة والصلاح . أما أهل الدناءة ولؤم الطباع فبالخوف

وأما الأشراف فبالحياء . وكيف تكون سنة عامّة إلا بمدبر عام . ومن الذى يجمع الناس على الألفة والاستقامة وينصر السنة ويقيمها إلا رجل له قدركبير وقدرة ظاهرة تكون فى مصر عظيم فيكون ظهيرا للسنة رباطا للألفة . فبمثل هذا الرجل يقدر على استدامة حسن السيرة فى المدن ونفى الفواحش عنها . وليس تصلح المدن إلا بصلاح الرؤساء والمدبرين . وينبغى أن يكون هذا الرجل جزلا كاملا ليس فى الشجاعة والعدل وأصناف الفضائل فقط . ولكن فى القوّة والعدّة أيضا ليقوى على ضبط العامة وحملهم على السنة فان كثيرا من العوام لايذعن للعدل ولاينقاد للحقّ . فاذا لم يكن عليهم خوف مالوا الى البطالة وتعطيل السنة فلابدّ من مدبر عام يجمع أمر العائلة كهؤلاء سيما (اليادة ومدائنها) فانها اتصلت كلها مدينة واحدة . وليس يؤتى صلاح المدائن إلا من صلاح الرؤساء والمدبرين كالذين رأينا فى مدائن (لقديمونه) و (اثيناس) فانه كان فى بعضها سلاطين جبابرة وضعوا سننا وفى بعضها قوّام عدول فبنيت لذلك هذه المدائن وبعدصوتها وكذلك المدائن التى دخلها الخلل والفساد والانتشار انما أتيت من سوء أثرالرؤساء والمدبرين فصرفوا همتهم الى اللذات الزمنية فأهملوا التدبير الباق أثره وذكره على وجه الأرض الى الدهر فقد ينبغى للمدبر أن لايتخذ الرعية مالا ولاأكلا ولاقنية ولكن يتخذهم أهلا واخوانا وأن لايرغب فى الكرامة التى من العامّة كرها ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير . انتهى المقصود منها

وبقية الرسالة نصائح للملوك ومدبرى المدن مثل إنك يا اسكندر تريد أن تغزو غزوات أخرى فأذكرك بأن للبشر آفات تعرض لهم فى أحوالهم . ومثل ان السلطان اذا كان رئيسا لأحرار خيرا من أن يكون رئيسا لعبيد أذلاء واذا أذلهم وكرهوه لاتدوم رئاسته . وأن الرئيس اذا أذلّ رعيته فقد اختار أن يرأس البهائم لا أن يسود الرجال . ومثل غاصب الملك كشكل المولى وأما الملك فيكون فى شكل الأب . وأن ملك فارس

كان

كان يسمى كل واحد عبدا حتى ولده وهـذا يصغر قدر الرئاسة فرئاسة قليل من الأحرار خير من التسلط على كثير من العبيد . ويقول إن صغير الهمة من الرؤساء يكرمه العامة للخوف منه وعالى الهمة يكرمونه لحسن أثره . والكرامة الأولى مضمحلة والثانية باقية ثم نصحه بأمرين هما ﴿ العـدل ولين الجانب ﴾ وبهما دوام الرئاسة والفضلاء يخضعون بالحياء والمحبة والسفهاء بالخوف والسلطان اذا لم يكن عدلا فهو يسمى غاصبا لاسلطانا ونصحه بأنه اذا حارب قوما وانتصر عليهم أن يجعل الرحمة حالة محل الغضب . وأن لايحقد على الأشراف . ويقول ان ضيمهم فى مراتبهم أشد من ضيمهم فى مالهم وأبدانهم ونصحه بأن لا يكون شديد الغضب كالسباع ولاضعيفا كالصبيان . وأن يكون مستشاره مائلا لفعل الخير وحذره من استشارة المموّهين الخادعين

وختم المقال ﴿ بثلاث نصائح ﴾ تكسب السلطان حسن الذكر وهى حسن السيرة . والبلاء فى الحروب وعمران المدائن اهـ

هاأناذا أيها الذكى ذكرت لك المقصود من هذه الرسالة بالحرف . ولخصت الباقى ليفرح بها الأذكياء .

﴿وملخص المقصود منها﴾ مارأيت من أن البطالة والرفاهية والكسل واهمال الأجسام والعقول مضيعة للأمم . وبالاجمال أن مايظنه الناس من أن الراحة سعادة والنصب والتعب شقاء قضية فاسدة . فالحكمة عكست آراء العامّة وذلك بالبراهين المعلومة فى التاريخ وأن المدن التى مالت الى الراحة يقهرها الغاصبون والرجل الذى جاءت اليه المناصب أوالأموال عفوا تذهب بمنصبه وبماله عواصف الحوادث ومصائب الأيام

فهاأناذا أسمعتك حكمة الحكماء فى هذه الأرض فى سياستها ونظامها . أفلست ترى أن هذه السياسة بنصها وفصها مأخوذة من سياسة الله فى الأرض . فاذا قلت لك إن الله خلق الناموس والحشرات المؤذية والحيوانات الذرّية المهلكة بالطاعون وبالتيفوس الخ ليرقى عقول الناس ويستخرج مواهبهم فهى هى بعينها سياسة الأمم فى الأرض

الله أكبر . طابق نظام السياسة العالية فى الأرض نظام الله فى الحيوان . إذن تكون هذه الرسالة وأمثالها تفسيرا لقوله تعالى فى هـذه السورة ــ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم ــ أى ان سياسة أهـل الأرض الصادقة أفهمتنا لماذاجىء بذكر اتمام النعمة فى الآية بعد ذكر الحرب وسرابيله مع أن السورة كلها نعم فى البرّ والبحر . إذن الله تعالى يقول لنا ها أناذا ياعبادى أغدقت عليكم النعم من الأنعام والحرث وأصناف الكرامات ولكن اذا تركتكم بلا موقظ يوقظكم صرتم أذلاء فجعلت فى مقابل كل نعمة نقمة لأتمّ النعمة عليكم فليس انعامى بالحيوان والنبات كل شئ بل الاقتصار عليه اضعاف لهممكم وتنزيل لها الى مراتب الحيوانية . هذا هو المعنى الذى يؤخذ من وضع هذه الجمل . فاذا جعل الله الشدّة بعد الرحمة فى الفاتحة . وجعل الحرب والانعام بها فى أواخر النعم فى سورة النحل بعد ذكر الرأفة والرحمة فى أوائلها . واذا جعل الأب فى تربية الولد بعد حضانة أمّه له فقد اتضح سرّ هذا كله هنا واتفقت النظم وهذا قوله تعالى فى سورة الأنبياء ــ ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ــ وقوله تعالى ــ فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ــ

فتعجب من هذه الآية كيف كانت ملخص الرسالة المتقدّمة . يجعل الله ترادف النعم ليس نعما ويقول كلا ثم أردفها بأن الناس مقصرون فى عمل الخيرات كاكرام اليتيم والحضّ على طعام المسكين . وهذا ملخص الرسالة المذكورة لأنها ﴿ قسمان ﴾ قسم يذم التنعم وقسم يأمر بالعمل فأوّل الآية للأوّل وآخرها للآخر

ياسبحان الله وياسعدانه . أهذا هو القرآن الذى نقرؤه وحفظناه عن ظهر قلب ونحن أطفال لانعقل شيأ . هل هذا هو كتابنا المقدّس . وهل هذه السياسة التى حفظها التاريخ وبقيت فى خزائن الأمم العلمية توافق نص الآية . اللهم إن هذه الآيات يقرؤها جميع أطفال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فصارت

أشبه بالشئ المعتاد فهى كالأجسام الانسانية يعيش فيها أكثر الناس وهم لايعلمون عنها شيأ

هذا القرآن يستحيل أن ينتفع به المسلمون إلا اذا قرؤا جيع العلوم ومن أين يعرفون معنى هذه الآيات التى تعرض على العامّة والأطفال لأنها فى السور الصغيرة المعروفة لكل قارئ إلا بالعلوم والمعارف وأرجو أن يتمّ ذلك بعد انتشار هذا التفسير

فلما سمع صاحبى ذلك قال لقد شفيت مافى صدرى وعرفت أن النعم المذكورة فى هذه السورة ان لم تصاحبها هذه الموقظات فى عالم الطبيعة كالحرب والحيوانات المؤذية كانت الحياة و بالا وأدركت بعض سرّ قولنا فى الصلاة ﴿فلك الحمد على ماقضيت﴾ وعرفت أن القضاء بالشرّ نعمة مخفية وأن حمدنا عليه باللفظ لايفيد وانما هذه الألفاظ جاءت فى الدين لتذكيرنا بأن نعرف أمثال ماتذكره أنت الآن وأن ماجاء فى الصحاح من أنه ﷺ كان يأخذ البيعة على المسلمين باقام الصلاة وايتاء الزكاة الخ ويختمه بقوله ﴿وأن تؤمن بالقدرخيره وشرّه من الله﴾ انما جاء أمثال هذا الايمان ليفتح لنا أبواب العلم الذى اطلعنا على بعضه الآن وهذا ذكرنى بما ذكرته أنت فيما تقدّم من ﴿لغز قابس﴾ المذكور تارة مختصرا وتارة مطوّلا لأغراض مختلفة فى هذا التفسير وهكذا ما أشرت أنت اليه من كتاب ﴿الكوخ الهندى﴾ فهذان الكتابان نتيجتهما واحدة . إن السعادة لاوجود لها إلا بالصبر على ما يؤلم . وهكذا كتاب (أبكتاتوس) المذكور فى آخر سورة الحجر ثم قال ولكن أريد أن أعرف معرفة أتمّ اقتران النقم بالنعم . لقد اتضح فيما ذكرته وجود الحيوان الضار بازاء النافع وهكذا ولكنى أريد ماهو فوق ذلك . أريد أن أعرف الخير والشرّ يكونان متكافئين معا فى حيوان واحد . فقلت نعم هذا موجود موضح للعدل العام . قال فأوضحه أيما إيضاح . قلت اعلم أن العقارب والحيات والحيوانات الذّرية الجالبة للطاعون وللتيفوس وللوباء العام المسمى (كوليرا) هذه كلها جعل خيرها مكافئا لشرّها وضرّها مكافئا لنفعها . وانما جعلها الله كذلك لتكون درسا مجسما أمام الحكماء فى أمّة الاسلام فى مستقبل الزمان لتدلهم على أن العدل فى نظام المدينة وفى أخلاق الانسان وملوكه وهكذا نظام هذا العالم كله يرجع الى هذا الدرس الصغير المجسم الذى كافأ خيره شرّه ونفعه ضرّه . فقال هذا القول يحتاج الى برهان . فقلت اعلم انى قرأت فى كتب الطب القديمة قاعدة أن لحم كل حيوان سام ترياق لسمه وفرعوا على هذه القاعدة أن جسم الحية ترياق لسمها باللدغ وجسم العقرب كذلك و بعد سنين قابلى ضابط من الجند المصريين كان مقيما بالسودان فذكرلى أنه لدغته عقرب بمقدار كف الانسان فى ظهره قال فضربت بيدى بقوّة على موضع الألم فتهرأت العقرب من الضربة فسكن الألم حالا . فقال صاحبى هذا لا يقنعنى . فقلت هاك اسمع ماجاء فى كتاب ﴿عيون الأنباء فى طبقات الأطباء﴾ تأليف العلامة موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ بصرخد من بلاد الشام الذى ألف كتابه المذكور سنة ٦٤٣ فى مدينة دمشق . قال ان (أندروماخس الثانى) وضع لحوم الأفاعى فى الترياق . قال والذى نشطه لذلك وأفرد ذهنه لتأليفه ﴿ثلاثة أسباب﴾ جرت على غير قصد وهذا كلامه . قال ﴿التجربة الأولى﴾ إنه كان يعمل عندى فى بعض ضياعى فى الموضع المعروف (ببورنوس) حراثون يحرثون الأرض للزرع وكان بينى و بين الموضع نحو فرسخين وكنت أبكر اليهم لأنظر ماذا يعملون . وذكر أن غلامه كان يحمل لهم زادا وشرابا فأحضر لهم يوما خمرا طيبا فى إناء طين لم يفتح فلما فتحوها وجدوا فيها أفعى قد تهرأت فقالوا إن ههنا رجلا مجذوما يريد أن يموت فاذا سقيناه أرحناه من الحياة ولنا ثواب عند الله فمضوا اليه فأعطوه زادا وسقوه الخمر موقنين أنه لايعيش يومه فلما قرب الليل انتفخ جسمه نفخا عظيما . فلما كانت الغداة سقط جلده الخارجى وظهر الجلد الداخلى الأحمر ولم يزل حتى صلب جلده و برأ وعاش دهرا طويلا من غير أن يشكو علته حتى مات الموت الطبيعى . قال فهذا دليل قاطع على

ان

أن لحوم الأفاعى تنفع من الأوصاب الشديدة والأمراض العتيقة فى الأبدان . وأما ﴿ التجربة الثانية ﴾ فان (أندروماخس) كان له أخ يسمى (ابولنيوس) وكان مساحامن قبل الملك على الضياع فصادفه يوما فى حمارة القيظ أنه نام فنهشته أفعى فى يده وكان قد ألقى يده على الأرض من شدة تعبه فانتبه بفزع وعلم أن الآفة قد لحقته ولم يكن به على القيام طاقة ليقتل الافعى وأخذه الكرب والغشى فكتب وصية وضمنها اسمه ونسبه وموضع منزله وصفته وعلق ذلك على الشجرة كى اذا مات واجتاز به انسان ورأى الرقعة يأخذها و يقرؤها و يعلم أهله ثم استسلم للموت وكان قد غلبه العطش فشرب من ذلك الماء شرابا كثيرا فلم يلبث الماء فى جوفه حتى سكن ألمه وما كان يجده من ضربة الافعى ثم برأ فبقى متعجبا ولم يعلم ما كان فى الماء فقطع عودا من الشجرة وأقبل يفتش به الماء لأنه كره أن يفتشه بيده لئلا يكون فيه أيضا شئ يؤذيه فوجد فيه أفعيين قد اقتتلا ووقعا جيعا فى الماء وتهرآ فأقبل أخى الى منزلنا صحيحا مسلما أيام حياته وترك ذلك العمل الذى كان فيه واقتصرعلى ملازمتى وكان هذا دليلا على أن لحوم الأفاعى تنفع من نهش الأفاعى والحيات والسباع الضارية قال . وأما ﴿ التجربة الثالثة ﴾ فانه كان للملك (بيولوس) غلام وكان شريرا غمازا خانا فيه كل بلاء وكان كبيرا عند الملك يحبه لذلك . وكان قد آذى كثيرا أكثر الناس فاجتمع الوزراء والقوّاد على قتله فلم يتهيأ لهم ذلك فصمموا أن يضعوا السم فى شرابه حتى اذا مات جاوه الى الملك ليس به جراح فلما وضعوه فى الشراب لم يلبث إلا قليلا حتى مات فتركوه فى بعض البيوت وختموا عليه ووضعوا الحراس عليه وتوجهوا للملك . فلما ساروا بأجمعهم الى الملك رأى الفعلة أفعى قد دخل الى البيت الذى فيه الغلام فلم يتهيأ لهم أن يدخلوا خلفه و يقتلوه لأن الباب كان مختوما فلم يلبثوا إلا ساعة والغلام يصيح بهم لم أقفلتم علىّ الباب أغيثونى قد لسعنى أفعى فكسروا الباب وخرج ليس به مرض . قال وكان هذا دليلا على أن لحوم الأفاعى تنفع من شرب الأدوية القتالة المهلكة . هذا جملة ماذكره (أندروماخس) انتهى

وقوله لحوم الأفاعى لعله جعل اللحوم كالسموم كلاهما ينفعان من شرب الأدوية القتالة . أما علماء العصر الحاضر فانهم وجدوا أن الحيوانات الذرية الميتة اذا حقنوا بها من أصيبوا بسموم تلك الحيوانات أبرأتهم ﴿ وكيفية ذلك ﴾ أن الأطباء فى أوروبا لاسيما فى ألمانيا فى زماننا الحاضر قديربون الحيوانات الذّرية المحدثة للطاعون ولحى التيفوس وللكوليرا فتنمو وتكثر فى أقرب زمن ثم يضعونها على النار بحيث تكون درجة الحرارة (٥٦) لا أنقص ولا أكثر وتبقى تلك الحيوانات على النار (٤) ساعات ثم يرفعونها عن النار فاذا أصيبت أمة بمرض من هذه الأمراض الثلاثة أتوا بأجسام الذرّات الميتة التى من نفس نوع الاصابة وحقنوا المرضى بها فيبرؤن . فاذن أصبح جرم الذرات المحدثة للطاعون ومامعها مانعا من اضرار سم الأحياء منها فى جسم الانسان . إذن القاعدة واحدة تكافأ الخير والشرّ فى الحيات والعقارب والحيوانات الذّرية أى (المكروبات) وهذا كله معنى العدل . فالعدل هنا تكافؤ السمّ والترياق وفى الناس تكافؤ القوى الشهوية والغضبية والعقلية بحيث لاتطغى احداها على الأخرى وفى الملوك تكافؤ اللين والشدّة وفى المدن انتظام العمال والجند ورجال الحكومة وقيام كل بما استعدّ له وخضوع الأدنى للأعلى . وكل ذلك تفسير لنعمة السرابيل فى الحرب وجعلها خواتم النعم ولقوله تعالى ـ إن ربكم لرؤف رحيم ـ

فقال صاحبى هذا حسن ولكنى أريد أن تذكر لى مسألة واحدة تختم بها النظام فى عالم المادّة . فقلت وماهى . فقال إن هذه المقالة دخلت فيها علوم كثيرة ومن تلك العلوم مسألة الحرب كيف جعلت الحرب التى دخلت ضمن ذكر السرابيل فى الآية نعمة مع انك قلت مرات كثيرة فى هذا التفسير ﴿ أيها المسلمون اقرؤا العلوم وعمموا التعليم ثم قودوا الأمم الى السلم العام ﴾ فاذن ماقلته الآن ينافى ماقدّمته فى هذا التفسير . فقلت إن الأمر سهل يسير . الحرب موقظة مرقية للشعوب كما أوضحناه . ولكن اذا ارتقت أمم الأرض

واتحدوا على المنافع العامة وأبطلوا الحرب فليس معنى هذا أن الأمم تصبح فارغة من الهم . كلا فستجد لهم أعمال وأعمال تكون أكثر عملا من الحرب . ألاترى أن الناس كانوا يمشون على أقدامهم فى الطرقات و يمتطون الدواب فلما كثرت القطرات فى الطرق وعربات النقل ورخصت قيم النقل لم تمنع تلك الراحة الناس من الأعمال التى شغلت جميع أوقاتهم وسائر أيامهم . فهانحن أولاء نركب القطار فى راحة ونعيم ولكن عندنا أعمال لاحدّ لها لم يعرفها آباؤنا . فاذا فرضنا أن الحرب زالت فكم فى استعداد الناس من أعمال لاتدعهم يهدؤن ولاهم يسكنون كالمبارات فى استخراج الخيرات من ضوء الشمس ومن الهواء ومن باطن الأرض ومن الماء ومن كل شئ . فقال ألاحيا الله العلم والحكمة التى أنعم الله بها علينا فى تفسير هذا القرآن . ألا بارك الله فى أقوام أنصبوا أنفسهم واستخرجوا لنا هذه الكنوز العلمية والمصابيح الفنية والنجوم اللامعة والشموس المشرقة والجواهر المكنونة والعلوم المخزونة . فكم من أناس يعيشون و يموتون وهم يرون بأعينهم الحيات والعقارب وتعم الأمراض وأنواع الطاعون بلادهم و يرون هذه الدنيا وقد ملأتها الخيرات والشرور فيكونون فيها أشبه بقطيع من الغنم يسوقه الرعاة وهم لايذكرون . فقلت نعم إن هذا الانسان أكثره مسوق بعاداته موثق فى شهواته تمرّ بهم الحوادث وتنهشهم الأفاعى وهم لايعلمون عجائبها . أولايعلمون أن الله لم يذر الانسان يأكل الطعام و يشرب الشراب من تلقاء نفسه بل سلط عليه جند الجوع والعطش وجند الشبع وكراهة الماء فلايأكل ولايشرب إلا اذا أحسّ بسياط يسوقه بها جند العطش والجوع ولايذر الطعام والشراب إلااذا أحسّ بسياط جند كراهة الطعام والشراب فكان من حق هذا الانسان أن لايدع ألما إلاعرف سرّه ولامسرة إلا أدرك كنهها . ولعمرى لم يرسل الله الحيات على الناس إلا ليتذكروا ولا الطاعون إلا ليعلموا بعض سرّ هذا الوجود ولكنك ترى أن نفس الأطباء الذين يعرفون ماتقدّم يجهل أكثرهم نظام العدل وحكمة الوجود فى تكافؤ الداء والدواء فى جسم الحيات وفى الحيوانات الذّرية ولايعنيهم إلا مداواة الأجسام وشفاء العلل والأسقام فاما البهجة بالحكمة وشفاء القلوب بالعلم فأكثر الناس ومنهم الأطباء عن آياتها معرضون ولاهم يذكرون

﴿ عموم نظام العدل فى عالم المادّة وعالم الأرواح ﴾

فقال صاحبى . قد رأينا العدل والنظام فى جسم الانسان وفى قواه وفى مدنه وفى أنواع الحيوان لاسيما الحيوانات السامّة والقاتلة . فاذا كان هذا حقا فى عالم المادّة أفلاتكون هكذا عالم الأرواح . واذا رأينا تكافؤ الدواء والداء فى الحيوانات الذّرية للطاعون كما وجدناه فى الحيات فاننا بهذا وصلنا الى أدقّ وألطف مافى المادّة فلم يبق بعد ذلك إلا عالم الأرواح . فقلت له عالم الأرواح لايمكننا الحكم عليه لأنا فى عالم الأجسام وليس لنا سبيل اليه إلا من طريق الديانات قديما ومن علماء الأرواح حديثا . فقال نعم واذا تطابق العلماء فى اثبات مايشابه الذى رأيناه فى المادّة كان ذلك صوابا لأن علماء الأرواح لاعلاقة لهم بعلماء الدين فاذا تلاقى الحزبان كان ذلك دليل الحق واليقين . فقلت قد ثبت فى دين الاسلام أن لكل امرئ ملائكة يلهمونه وشياطين يضلونه . فقال نعم هذا مشهور فى الحديث وفى القرآن ولكنى أريد أن أسمع مقالا لأكابر العلماء فى ذلك . فقلت قد تقدّم فى مواضع من هذا التفسير ولعلك ستقرأ ذلك قريبا فى قوله تعالى — ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم ازا — فى سورة مريم . قال أريد قبل ختام تفسير هذه السورة أن تذكر علاقتها بما قبلها ومابعدها . فقلت أما علاقتها بما قبلها فأذكر الآن منها ﴿ أمرين * الاوّل ﴾ منهما أن سورة الحجر جاء فى آخرها الزهد فى الدنيا وانه ﷺ يجب عليه أن لايجعل الدنيا محط آماله ولايعجب بما فيها إذ قال تعالى — ولاتمدّنّ عينيك — الخ وأمته تبع له وهذا الاعراض يفتح للانسان باب العلم إمابالوحى للأنبياء واما بالالهام للحكماء والأولياء والعلماء و يرقيه يوم القيامة الصغرى وهى الموت و يوم القيامة الكبرى

لذلك

لذلك ذكر فى أوّل سورة النحل أن القيامة اقتربت وأن الله ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن سورة (الحجر) ختمت بقوله تعالى ــ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ــ واليقين أخصّ من العلم لأنه العلم الذى لايتطرّق اليه الشك . ولاجرم أن الموت يوقن به الناس جميعا لذلك اعتاد المفسرون أن يفسروا به هذه الآية . ومعلوم أن اليقين يزيد إذ مامن كامل إلا وعند الله أكمل منه والعلم اليقينى لانهاية له إذ العلم لانهاية له . والدليل على ذلك ﴿ أمران * الأوّل ﴾ انه جاء فى حديث الرجل الذى مدحه الصحابة فى إحدى الغزوات وقالوا إنه أبلى بلاء حسنا انه ﷺ قال انه فى النار فلازمه رجل أمدا طويلا وهو يقاتل ويميت من الكفار عددا كبيرا حتى اذا جرح رآه قتل نفسه بسلاحه فرجع اليه ﷺ وقال له يارسول الله لايزال الله يزيد نابك يقينا وقصّ ما تقدّم فقتضى هذا أن اليقين يزيد ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن اليقين كالغنى فكما ان الغنى لاحدّ له هكذا العلم واليقين لا حدّ لهما . ولاجرم أن كل غنى يطلب مطلبا أوسع من ماله فاذا ناله طلب ماوراءه وهكذا . هكذا طالب العلم لايزال يطلب مطلبا فاذا وصله طلب ماوراءه . وهذا ظاهر فى قوله تعالى ــ وفوق كل ذى علم عليم ــ فهذه قضية كلية لاتذر علما إلا وجدنا وراءه آخر وقوله تعالى أيضا ــ وقل ربّ زدنى علما ــ وقوله تعالى ــ وللآخرة خير لك من الأولى ــ * يقول العلماء انه يترقى فى كل لحظة عما قبلها فى الحياة وبعد الموت لأن علم الله لانهاية له * ويقول الامام الغزالى ان قرب التلميذ من أستاذه انما يكون بالعلم ولكنه قد يرتقى عن أستاذه وقرب العبد من الله بالعلم ولكنه لن يصل لنهاية علم الله الى الأبد . إذن يكون اليقين هنا هو العلم وكلما زادالانسان عبادة ازداد يقينا فيجدّدالعبادة لازدياداليقين فيكون اليقين مراحل كل مرحلة تحتاج لاجتهاد جديد . ولاجرم أن هذا يناسب قوله تعالى فى أوّل سورة النحل من ذكر يوم القيامة لأن ظهورالحقائق العلمية فيها أتمّ وذكر الوحى للأنبياء . ذلك لأن الوحى انما يكون على مقدار قبول نفس الموحى اليه فلن ينزل الوحى على غير من يستعدّ له ويقبله والا لكان الناس كلهم أنبياء فازدياد اليقين بالعبادة يعدّ نفوس الأنبياء لعلوم أوسع مما عرفوه ونفوس تابعيهم الى مالم يعلموه من قبل . وهذا معنى ماورد ﴿ من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ﴾ وذلك لأن العلم لا يكون إلا بالاستعداد له كما ذكرنا . وأما مناسبتها لما بعدها فستراه فى غضون تفسير سورة الاسراء موضحا والحمد لله ربّ العالمين . انتهى تفسير سورة النحل

(تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن من كتاب ﴿ الجواهر ﴾ فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء التاسع وأوّله تفسير سورة الاسراء)

﴿ الخطأ والصواب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢	٣	تسعة	تسع
١١	٢٢	من خلب	خلب
١٢	١١	وعلى	على
١٢	٢١	الاولى	الاول
١٧	٨	من السنديان أو	
١٨	٣٢	ان	أفّ
٢٠	١	البلوط	الصنوبر
٤٦	٨	شئ	شر
٤٧	٧	السبعة	السبع
٤٩	٢٦	وضرر	ضرر
٥٦	١١	استفىء	ستفىء
٦٩	٦	والأبيض والمتوسط	الأبيض المتوسط
٧٠	٥	الظلم	عقابكم
٧٤	١١	وكما	كما
٧٥	٢	واذا	وإذ
٧٥	٣٤	التي	والأطلال التي
٩٣	١٨	الفاتحة	الفاتحة وستراه فى سورة الرحمن
٩٣	٢١	نقبض	تقبض
٩٤	١٦	هلاسية	هلاميه
١٠٦	٢٦	فيزداد	فنزداد
١١٠	٣	المتنى	أعطيتنى
١٢٣	٣٣	مما	ما
١٢٤	١٦	مأجور	مأمور
١٢٦	٩	الطيور	الطيور وغيرها
١٢٧	٢٣	محدبة	محدّدة
١٣٧	٢٤	بيضه	ألف بيضة
١٣٧	٢٨	التى	الذى
١٣٩	٥	قوقة	قوقعة
١٤٣	١٠	ملايين	بلايين
١٤٨	٢٢	المعد	المعدة
١٥٣	٥	عظيم	عذاب عظيم
١٦٠	٧	ملكهم	ملكهما
١٦٠	٢٢	الشهوية	الغضبية
١٧١	٣٤	كلوكان	كمالوكان

فهرست الجزء الثامن من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

١٩ بيان أن أهل هذه الارض ناقصو العلم ولو كلت نفوسهم لعلموا أن بينهم نسبة كنسبة الاوراق لبعضها وانهم قد حسبت قواهم وجعلت على مقتضى احتياجهم كما حسب ورق النبات على مقتضى نظامه وأن العقول الانسانية وقواها الى الآن لم تدرس كما درس ورق النبات من حيث نظامه وحسابه وهذا مقصود كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

٢٠ رسم صورتين صورة زهر الصنوبر وهو مخروط ورسم الخرشوف والدورات الحلزونية فيهما خمس فى كل دائرة والاوراق ١٣ وهنا بدائع الحساب المدهشة للمفكرين و بيان ثلاث جداول لأوراق النبات الدالة على أن الانسان متى عرف أوراق نباتين اثنين أمكنه أن يذكر باقى النبات بدون مذكرات أمامه فكأن جميع النبات جسم واحد

٢١ هذا من معنى قوله تعالى ــ الله نور السموات والأرض ــ . أوراق الأشجار أصبحت ذات نظام به يعرف مجهولها من معلومها وغائبها من حاضرها . ما معنى الأعراس فى الحدائق والاشجار . و بيان أن الناس فى مأتم والكون فى عرس وتشبيه النوع الانسانى مع ربه ومخلوقاته بقوم سجنوا فى قصر ملك وآخرين فى ضيافته . وفى القصر قناديل مشرقة بهيئة منظمة . ايضاح معنى هذا فى الجداول الحسابية وأن الانسان متى عرف نظام الأوراق تخيل انها قناديل معلقة فى عرس الكون وهى مضيئة على أبعاد متساوية فهى من جهة دوائر ومن جهة أخرى خطوط رأسية منظمة ومن جهة ثالثة أشكال حلزونية . كل ذلك تراه مرسوما . و بيان أن الناس لايعقلون من العلم إلا ظواهره فمثل هذا النظام فى الاوراق لايهم عالم الزراعة إلا من جهة نفس الزراعة أما أنه يفكر فى اسعاد الناس باظهار هذا الجمال فهذا لا يكون . إذن أكثرهم محبوسون والمفكرون هم الذين فى ضيافة ربهم يشرح صدورهم بهذا الجمال و بيان أن السعادة العامة للانسان أن ينشر الجمال والحب العام فى مدارس الأرض كلها حتى يصبح الناس متناسبين تناسب أوراق النبات كله ودين الاسلام يساعد ذلك فى قوله تعالى ــ حتى تضع الحرب أوزارها ــ . و بيان أن الشرائع انما يكون سلطانها على المتنافرين

٢٣ بيان أنواع النظام فى النبات فى أجزائه وتوزيعه على المناطق وعلى حاجات الحيوان ومن جهة نظام أوراقه وتوزيع الانسان على الارض يناظر هذا التوزيع فأفراده خلقوا على هذا النظام ولكن لم يكشف الناس هذا الرأى الآن . و بيان أن دين الاسلام ﴿ قسمان ﴾ هيكل عظمى ولحم وشحم الخ . أما الهيكل فهى الاركان الخمس المعروفة . وأما اللحم والشحم والحواس الخ فهو المتمم للقسم الأول وهو جميع العلوم والصناعات فاذا لم يضم الثانى الى الأول ذل المسلمون كما هو الحاصل الآن

٢٤ ذكر المثلين المذكورين فى آخر سورة الفتح و بيان أن ضرب المثل للمسلمين فى التوراة بأنهم أشداء على الكفار الخ يرجع الى فتح البلدان وقد تم انتشاره بذلك وأن ضرب المثل لهم فى الانجيل بزرع نما وترعرع واستغلظ راجع لارتقاء العلم وهذا سيحصل من الآن ان شاء الله تعالى بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله . والاسلام ﴿ قسمان ﴾ ظواهر العبادات وحقائق الموجودات . والأول قد انتهى دوره الآن والثانى قد أقبل زمانه

٢٥ الملك اذا زار قرية استعدت له ثم زارها . هكذا دين الاسلام انتشر ثم ظهرت معانيه فى علوم أوروبا وغيرها ثم تظهر للمسلمين فى زماننا هذا ومابعده . ويكفى المسلمين (٢٠) سنة لتعلم ماأقوله لهم وفتح البلدان مقدمة وفتح العلوم مقصود . كل ذلك يناسب قوله تعالى ــ والله أنبتكم من الأرض نباتا ــ وفتح البلدان خاف منه ﷺ فى حديث ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زهرة الدنيا ﴾

صحيفة

والخوف منه قد تحقق فعلا بذهاب دول الاسلام قديما . و بعد نشر هذا التفسير وأمثاله يستعد المسلمون لجنى ثمار العلم ثم ان سورة ــ اذا جاء نصر الله ــ فيها الأمر بالتسبيح والتحميد بعد فتح البلدان والحمد لايتم إلا بعلم بالمحمود . إذن علينا نحن قراءة جميع العلوم اليوم بعد أن تم فتح البلدان الاسلامية ووقف الآن و بغير العلم بالمخلوقات يكون الحمد رياء منا نحن بخلاف صاحب الشرع ﷺ لأنه أفرغت عليه العلوم

٢٧ لانسبة بين فضيلة العبادة وفضيلة العلم فثانيهما أرفعهما مقاما . ازدياد المسلمين علما دنيويا فى الطبيعة والرياضة الخ يزيدهم قربا من ربهم كما اننا لم نعرف نظام أوراق النبات فيما تقدم تفسيرا للآية إلا بعد نبوغ الأمم الاوروبية فى علم النبات فمعرفة الله ثمرة علوم الدنيا . إذن لا آخرة إلا بدنيا منظمة . علم النبات مثلا فرض كفاية لأجل المعاش وفرض عين على القادر لزيادة الشكر وللتوحيد ولاقرب لله إلا بالعلم . العبادات فى الدين الاسلامى خاصة بالمسلم والعلوم التى هى المقصودة يشارك فيها أوروبا وأمريكا واليابان الخ وستكون هذه الأمة خليفة لربها قريبا . ذكر ملخص ماتقدم وهو أربعة أمور (١) رقى العلوم النباتية بأوروبا (٢) وبها عرف نظام الأوراق (٣) وأن الآية فيها أن الناس كالنبات على الأرض (٤) وأن الفتح ﴿ فتحان ﴾ فتح البلاد مضى وفتح العلم الآن أقبل موسمه والأول خاف منه نبينا ﷺ والثانى مأمون العواقب ونحن أمرنا بالزيادة فيه والاستعداد التام له فى زماننا لاقبله . كتاب الفتوحات المكية وأمثاله عويص على المسلمين وغزير المادة أغرق كثيرا من الأذكياء فى لججه وهذا التفسير فتح لباب الحركة الفكرية والاجتهاد فهو لحفظ التوازن مع تلك . مثل ذلك. قوله تعالى ــ وجعلنا لكم فيها معايش الخ ــ وذكر أنواع الرياح وتفاوت سرعتها من (٥) أقدام الى (٣٠٠) قدم فى الثانية . وذكر سرعة قلة المدفع وهكذا وأن هذه الحركات خزائن الله . والكلام على خزائن الهواء كالرياح الدائمة المنظمة والرياح الدورية والرياح المختلفة

٣٠ الحركات الهوائية وحلول الرياح الباردة فى خط الاستواء مثلا محل الرياح التى ارتفعت بالحرارة وهكذا الحركات المائية . كل هذا يشبه حلول الأحياء محل الأموات فى أرضنا . كيف كانت الشهوة فينا قائمة مقام صانع الفخار من طين والغضب فينا قائما مقام النار الموقدة عليه

٣١ النبات مؤذ ونافع وكذا الحيوان . هكذا هناك جن ثبتت بالعلم الحديث وملائكة لاحداث شر وخير . بيان أن قيام الحيوان بطاعتنا أثر من آثار سجود الملائكة والعلماء منا أشبه بالملائكة والمغرمون بالشهوة والغضب أشبه بالشياطين وطرد ابليس كقلع الشوك والتباعد عن الآساد

٣٢ زيادة ايضاح لهذا المقام و بيان أن فهم ذلك يحتاج الى العلوم كلها وأن الجنة والنار يرجعان الى الاستعداد لاغير أى على مقتضى الطباع فالقوة العلمية والقوة التهذيبية لاحداهما وغيرهما للثانية

٣٣ بماذا وصف النار و بماذا وصف الجنة . فانظر كيف ابتدأ بذكر المعايش فى الأرض الخ . وههنا لطائف (الأولى) فى قوله تعالى ــ والأرض مددناها ــ الخ . ذكر السمك الصغير الذى كثر حتى أوقف السفينة

٣٤ خزنت يا الله فى الفحم منافع الضوء والصبغ الخ كما خزنت فى القرآن علوما تظهر الآن وهاهى ذه فتحت خزائنه الآن (اللطيفة الثانية) فى الرياح والقاحها . ذكر ما كتبته فى كتاب ﴿ الزهرة ﴾ جمال النبات وبهجته فى الأزهار ونظامها . خرافات قدماء أوروبا وأن الأرواح تهدى الى من تحبهم الأزهار الخ . نظم فى الزهر . ثم نظم صفى الدين الحلى ﴿ ورد الربيع الخ ﴾ . تعجب المستر (جون لبك) من جمال الزهر وان فهم الزهرة وسر الطبيعة يحتاج لصرف العمر . شجر السنط ونحوه لاجمال

صحيفة

لزهره والرياح تلقحه والأزهار الجميلة فى أشجارها أعدّت للحشرات لأجل الالقاح ثم ايضاح هذا المقام وبيان الكأس والتويج وبقية أجزاء الزهرة . غبار طلع النبات يظهر فى (اسكوتلانده) كسحاب فى الجوّ يصيب إناث النبات . نبات فيه أوراق التويج كأنبوبة لهاو بر تمنع غير النحل من الدخول

٣٧ شعر ﴿ أوماترى الأزهار الخ ﴾ وشعر ابن زنباع ﴿ أبدت لنا الأيام الخ ﴾ فى الزهر أيضا الكلام على الزهرذى الأقفال والمفاتيح والزهرذى الحراس والزهرذى الجند والزهرذى السياسة الحقيقية والوهمية وغير ذلك من عجائب النبات

٣٨ عجيبة عن الحشرات والنحل وانها كالدول فى السياسة فالذبابة تخدعها زهرة الأشراف دخلت للاستدفاء بها فألقحتها والنحلة لاتغترّ بذلك لأنها أذكى فؤادا . الزهر المنظم كالجند

٣٩ زهر عجيب محكم الترتيب . نوم الزهر . ينام الزهر ويستيقظ فى أوقات معلومة كالحيوان على مقتضى نوم الحشرات المخصصة له فكل حشرة تستيقظ فى الوقت الذى تستيقظ فيه زهراتها مثل زهرة اسمها (حنا ذهب لينام) تستيقظ فى الهجيرة حتى ان أولاد الفلاحين يجعلون ذلك موعد التناول طعام الظهر شعر ﴿ وعلى سماء الياسمين الخ ﴾ . الزهر الأحمر والأزرق خاصان بالنحل . أما الأصفر والأبيض فيكونان لغير النحل من الحشرات . شعر ﴿ زار الربيع الخ ﴾ وغيره أيضا ﴿ تأمّل رياض الارض الخ ﴾ يقول (أرسطاطاليس) ان النحلة تشرب من الأزهار التى من نوع واحد ليحصل اللقح ويقلّ نصبها الخ

٤١ هذه العلوم أصل الاسلام فلم عكس الأمر . فائدة فى الحلم وهى رؤيا رآها المؤلف وهى أضغاث أحلام وقد استيقظ بسببها من النوم لحفظته من البرد وكان ايقاظها له بنظام عجيب . فهذه عجائب فى النفس فوق عجائب الزهر لمنفعة الجسم . وكأن هذا خطاب من الله لنا أن ندرس نفوسنا فوق دراسة علوم الأرض . فهذا ليس تعذيبا بل هو تهذيب

٤٢ جوهرة فى قوله تعالى ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه الخ ــ مع قوله ــ ونزعنا مافى صدورهم ــ الى ــ متقابلين ــ . ابتهاج المؤلف أثناء كتابة هذا الموضوع . الكلام على الأجسام المتبلورة (١) كنقطة من الزيت فوق ماء ممزوج بالكؤول (٢) قطرات الندى والمطر (٣) الصودا الكاوية مع الماء الحار اذا بردت تكون على هيئة هرمين تامّين (٤) الشبّ الأبيض بدل الصودا يكون كذلك (٥) الشب الازرق بدل الشب الابيض فى العملية السابقة يكون شكل مكعب فهذه ثلاثة أشكال مصوّرة بالتصوير الشمسى (٦) هكذا قطع الثلج والصقيع وسطح الماء اذا جد بعد البحث يعرف تبلوره (٧) وأكثر تراب الأرض مؤلف من متبلورات محللة . تعجب المؤلف من هذه المناظر

٤٤ استمداد هذا من اسمه (الحفيظ) ويعبر عنه فى الطبيعة بكلمة (جاذبية الملاصقة) قوّة الجذب وقوّة الدفع وقوّة الملاصقة لولاهنّ لتبدّدت هذه العوالم لأن الفضاء لانهاية له وهذه الجاذبيات فى المادّة تشبه امتياز المجرمين من الصالحين فى عالم الأرواح . وهكذا نزع الغلّ من القلوب يوجب الاتحاد كنظام جاذبية الملاصقة فنظام العالم أوّلا وآخرا واحد . أكثر الناس عمى عن هذا الجمال

جوهرة فى قوله تعالى ــ واذ قال ربك للملائكة ــ الى قوله ــ من الغاوين ــ وموازنته بلغز قابس فى أن جهل الخير والشرّ هو سبب شقاء الناس . قصة آدم كررت فى القرآن ونصف النوع الانسانى يؤمن بأكل آدم من الشجرة والشجرة هى معرفة الخير والشرّ فمعرفة الخير والشرّ السطحية وهى الشهوات الحاضرة أوقعت الناس فى المرض بتعاطى الطعام الضارّ مثلا ونفس هذا العمل هو المسمى فى لغز قابس عدم معرفة الخير والشرّ . إذن عمم الله العلم ونشره فعند المتدينين بذكر الشجرة والأكل منها وعند

صحيفة

الفلاسفة جهل الخير والشر . إن الناس ﴿ قسمان ﴾ حكماء سعداء وجهلاء أشقياء

ذكر ﴿ ثلاثة أمثلة ﴾ للضرر الناجم من تعاطى شجرة معرفة الخير والشر فى الناس (١) ان قوى الانسان كشمعة ذات أربع فتائل الخ (٢) فى القمح (١٦) مادة يتكون منها الدم ولما نخلوه أذهبوا أكثر المواد منه ولو أكلوه برمته منع الامساك وقوى أجسام الفقراء وسعدوا بأكل القمح كله والأغنياء أضرهم الافراط فى نخله

٤٨ نتيجة هذا المبحث . الناس أكثرهم فى غفلة وهم مقلدون والعالم والطبيب لايمتازان عن الجهال فى التقليد . الانسان الأول أكل الثمر والحب فصح جسمه . والانسان الحالى اتبع اللذة فمرض جسمه . والانسان فى المستقبل يعرف بعلمه الضار والنافع بالعلوم فيصح جسمه لأن العلم اليوم لايزال ناقصا ﴿ المثال الثالث ﴾ مايزاوله الناس من أكل السكر الصناعى والغش فى الدقيق واللبن والاكثار من اللحم وتعاطى الخمر والتبغ والشاى وهكذا . كل ذلك يرجع لمعنى الأكل من الشجرة وجهل الخير والشر

٥٠ كيف كانت حال المؤلف عند قراءة هذا الموضوع . وأن ثنية من ثناياه كادت تقلع . ولما ترك السكر والقهوة الخ ثبتت الى الآن مع انه لم يعلم أن السكر ضار باللثة . ذكر ما قاله ابن خلدون من أن أهل البادية أصحاء وأهل المدن اتبعوا اللذات فأضرتهم . عقاب الله للناس أكثره على الجهل . الناس فى قلوبهم مرض الجهل فزادهم الله مرض الاجسام وذل الحياة

٥١ غش اللبن بالآجر أى الطوب المحرق و بالرماد واللبن الأخضر يصنع من نشارة الخشب والرمل وحجر تصنع منه أقلام الرصاص . الزبدة كلها مغشوشة إذ بحثها البارودى الكيماوى والملح والخل واللبن والمشروبات الغازية فيها زرنيخ ومواد سامة وماؤها قذر ومحال صنع الخبز مظلمة وماء العجين قذر وفى الدقيق نوع من الأحجار وهو الطلق . خطابى للأمم الاسلامية وأن الله لايغفر لنا جهلنا فيعاقبنا فى الدنيا على جهلنا بنظامها كما حصل لى أنا ولكل انسان . وجوب التفتيش على كل صغيرة وكبيرة وعقاب كل غاش . واذا صلى المسلمون جماعة فالجماعة فى أمور الحياة أولى لأن مالايتم الواجب إلا به فهو واجب والناس مشتركون جماعات فى دينهم ودنياهم

٥٣ عموم الغش فى المدنية الحاضرة وفى هذا معنى حمل الأمانة فى الآية أى غشها كما فى القاموس خطاب لقارئ التفسير أنه اذا كان فى المدن فليخبز فى بيته لأن أغلب الخبز ضار

﴿ القسم الثانى ﴾ يذكر الله هنا ﴿ قصتين ﴾ كالدليل التاريخى على ماتقدم قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وقصة أصحاب الحجر

٥٤ فاذا كان أمر الدنيا والآخرة متقنا كما تقدم فالنتيجة أن خلق السموات والارض بالحق الخ جوهرة فى قوله تعالى — إن فى ذلك لآيات للمتوسمين — ليس التوسم فى قوم لوط كافيا اليوم فليتفرس العلماء فى أحوال المسلمين . موازنة بين أمم الاسلام اليوم وأمم الفرنجة بطريق الفراسة الخاصة بالمتوسمين أما أمم الفرنجة فهم (١) جعلوا الكهرباء اليوم تذيع الخطب والأنباء والقصص والأغانى والموسيقى (٢) فيسمع المصرى اليوم مغانى برلين وأمريكا وهو فى داره (٣) ويفكر القوم اليوم فى اذاعة الكهرباء من محطات خاصة بذلك كما يقوله (فيليبس توماس) وقد جرب ذلك . الطرق التى يبحثها القوم اليوم لنقل الكهرباء وهى إما أن يبنى برجان قريبا من القطبين والكهرباء تذاع منهما وإما أن تبنى أبراج على الجبال العالية لهذه الغاية . تجرى الطيارة ألف ميل فى الساعة بطريق فكروا فيه ولم يتم . وهو أن ترتفع الى أعلى الجو ولا تأثير للجاذبية عليها وتنزل متى حاذت الموضع الذى تريده (٤) وهكذا التلفون

صحيفة

الأثيرى به رؤيت الأشباح وسمعت الأصوات يوم ١٤ ينايرسنة ١٩٢٨ فرأوا شابة وسمعوا صوت الآلة التى تعزف عليها . أما أمم الاسلام فانهم اذا رأوا جميع الرجال والنساء فى أوروبا وأمريكا تعلموا فعليهم جميعا أن يتعلموا مثلهم وتزداد الثروة بازدياد العلم و بسبب الاسلام ترقى القوم كما تقدم عن (سديو) الفرنسى . سياحة أمان الله خان ملك الأفغان وزيارته لمصر أيام طبع هذه السورة . وهو يريد رقى بلاده والدين يطلبه وعلماء الاسلام اذا أدركوا ما نكتبه الآن فى هذا التفسير وأمثاله ساعدوا فينبغ فى المسلمين نابغون لم يكن لهم نظير لأنه ينضم الى العلوم العقيدة فيكونون أرقى من هذه الأمم وان خذل علماء الاسلام هؤلاء الداعين كأمان الله خان هلكت هذه الأمة الاسلامية (لاقدّر الله) إن المعادن فى الارض بأكثر بلاد الاسلام لم تستخرج والله لايعطل المنافع لأجل جهل المسلمين فان فهموا ما نقوله ارتقوا وان تقاعسوا فليس الله معطلا ملكه لأجلهم

٥٩ خطاب المؤلف لأمم الاسلام وذكر أبى قردان والدود فجعل الله الدود آكلا لنباتنا لأن الحيوان أرقى ولكن أبوقردان أرقى بسمعه و بصره الخ فأكل الدودة التى لاسمع لها ولا بصر ولاتنتفع بالشمس . فليحذر المسلمون أن يكونوا كدود والأمم كأبى قردان . جوهرة فى قوله تعالى ـ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ـ الى قوله ـ للمؤمنين ـ وذكر حديث ﴿ انظروا الى من هو أسفل منكم الخ ﴾ عجائب الفلسفة اليونانية والرومانية وكيف أتى بها وبخير منها القرآن وهذه معجزة للقرآن . موازنة بين هذه الآية الآمرة بترك زينة الدنيا و بين حكم (أبكتاتوس) وكان عبدا بروما وملخص حكمته ﴿أمران﴾ الصبر على مايؤذينا وعما فاتنا . وهنا ذكر (٢٦) حكمة من حكمه مثل ان مافى قدرتنا هو عواطفنا وكل ماهو خارج لانملكه كالأهل والصيت والمال والولد فلنجعل كل ذلك وديعة عندنا فاذا أخذ منا وجب ألا نعبأ به وأن نصبر وبهذا تكون الحرية . فأما الاتكال على الامور الخارجة عن طاعتنا فهذا هو الاستعباد . ومثل ان الناس أشبه بداخل الحمام . فكما أن من فى الحمام يوطن نفسه على كل نازلة تنزل به هناك هكذا من فى هذه الدنيا كلهم معرضون لما لايملكون . الحوادث لاتحزن والحزن هو مانحس به فى نفوسنا من الحوادث وليكن الانسان مستعدّا لنزول البرّ من سفينة الحياة فى كل لحظة لاسيما كبير السنّ وهكذا

٦٣ ان الخير المحض هى الحكمة والشرّ المحض هو الجهل . هذه الحكم تناسب آيات كثيرة مثل ـ فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه ـ الخ ومثل ـ أيحسبون أنما نمدّهم ـ الخ

٦٤ ذكر أن العرب فى الجاهلية كانوا لايعرفون هذه الحكم . وأفضل ما أثر عنهم حكم زهير بن أبى سلمى مثل ﴿ ومن يصانع الخ ﴾ وحكمة (أبيكتاتوس) كانت مخبوءة لأن الفلسفة حرمت بسبب الشريعة النصرانية . إذن هذه معجزة للقرآن جاءت حديثا مصداقا لقوله تعالى ـ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ الخ

٦٥ سورة النحل وهى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ آيات القسم الأوّل مشكلة الى قوله ـ مايؤمرون ـ التفسير اللفظى لهذا القسم الى قوله ـ أفمن يخلق كمن لايخلق ـ الى قوله ـ إنّ الله لغفور رحيم ـ

٦٩ كلام عام بقلم المؤلف ملخصا لمعنى هذه الآيات كقوله خلقتكم من نطفة وأودعتكم فى الأرحام وجعلت أعضاءكم مفصلة الخ . و بيان أن أكثر المرجان فى البحار والسفن فى يد الفرنجة

ايضاح آية ـ وهو الذى سخر البحر ـ الى قوله ـ لعلكم تشكرون ـ

وذكر أن شواطئ بلاد الجزائر مقسمة عشرة أقسام يحصد قسم من المرجان فيها فى كل سنة ولا يصطاده

صحيفة

إلا الاورو بيون ور بحهم عظيم الخ . صورة المرجان شكل (٨) وله ثغور باسمة . تفسير بقية الآيات من قوله ـ والله غفور رحيم ـ الى قوله ـ و يفعلون مايؤمرون ـ

٧٥ البلاغة . موازنة مابين معلقة طرفة بن العبد ﴿ لخولة أطلال الخ ﴾ وأول هذه السورة . فهنا ابتدأ السورة بخلق الانسان والحيوان والنبات الخ وهناك يقول ﴿ إن محبو بتى أطلالها ببرقة الخ ﴾ وهكذا مبدأ قصيدة زهير بن أبي سلمى الذى لايتعدى بيت أم أوفى والدمنة التى لاتتكلم والأرض الغليظة و بقر الوحش والظباء الخ

٧٧ هذه السورة تشبه ماقبلها وهى مقسمة الى حكمة وموعظة ومجادلة . تعريف هذه الثلاثة . فالحكمة ترجع لنظام هذه الدنيا من أسفلها الى أعلاها وهى تسمى النشوء والارتقاء اليوم وعند آبائنا دائرة الوجود . وشرح دائرة الوجود المشتملة على مملكة المعدن والنبات والحيوان . حث المسلمين وتو بيخهم على ترك هذه العلوم . رسم دائرة منظمة عليها نظام العوالم فهى دائرة أولها آخرها ﴿ ملك . عنصر معدن . نبات . حيوان . انسان . أنبياء . ملك ﴾ وهكذا

٧٩ رسم دائرة أخرى كبيرة أعظم وأكبر . بيان تقصير الأمة فى هذه العلوم وانهم قديما حار بوا العلماء كابن رشد فسلبهم الله ملكهم وعلمهم . ايضاح بعض كلمات الدائرة مثل خضراء الدمن الخ

٨٠ ذكر النحل والحلزون والقرد وهى من تلك الدائرة . تعريف الأنعام والبهائم والسباع والوحوش والطير والجوارح والحشرات . تبيان أن آية ـ و يخلق مالا تعلمون ـ بعد ذكر الأنعام والبهائم ليدلنا أن الكهر باء تقوم مقام الأنعام تارة من الابل والبقر الخ ومقام الحمير والبغال الخ تارة أخرى . إن الكهر باء تقوم مقام الابل والخيل والبغال والحير فى توصيل الأخبار وأيضا أصبح الانسان بذلك يتكلم بالتلفون و يرى المتكلمان كل منهما صورة الآخر . والكلام على العالم (فلطا) الكهر بائى و بطار يته والعمود الفلطائى . اشراق النفس الانسانية تمثله الكهر باء والمغناطيس . تاريخ الكهر باء من مبدأ طاليس اليونانى فى القرن السادس قبل الميلاد ثم (ثيوفواستس) اليونانى ثم (بلينيوس) الايطالى سنة ٢٣ (ب م) ثم الشاعر الرومانى (لقريتيوس) ثم الصوفى وهوجابر بن حيان العربى وهكذا علماء الصين منذ سنه ٢٦٣٤ ق م عرفوا الابرة المغناطيسية ثم اهتدوا بها فى البحر سنة ٣٠٠ ب م والعالم غلبرت الانجليزى ثم كولون الفرنسى ثم كافانى الايطالى ورسم (رصيف فلطا)
موازنة بين كهر بائية المادة واشراق نفوسنا . جمال اللطيفة الثانيـة . وذكرست فرائد (الأولى) استخدام الكهر باء فى الزراعة . المستر (مائيور) إذ استعملها (٦٧) استعمالا فى مزرعته مثل حلب البقر ودرس القمح وعمل الدريس والزبدة وتربية النحل والتدفئة والطبخ . وهكذا الكهر باء تزيد بيض الدجاج وأسرعت فى ظهور الأزهار . عجائب الأنوار الربانية . وصف هذه العوالم الدنيا بأنها جبلة بل الأرض كلها كهر باء متجمدة . المرقب الذى لا سلك له . أدهش اختراعات العصر واختراع مرقب لاسلك له يرينا الأشباح عن بعد وهو (التليفر يون) الذى ينقل الأشباح المتحركة بجميع دقائقها وهذا الاختراع قارب الانتهاء

٨٧ (الفريدة الثالثة) غرائب التلغراف والتلفون الذى لاسلك له وستنقل الرسائل كما هى قريبا طبق الأصل (الفريدة الرابعة) الفلاحة والكهر باء . الفلاح عندنا وعندهم . الفلاح فى أوروبا فاق أجداده أربع مرات وصناعة الحديد تضاعفت عشر مرات وصناعة الورق أضعافا مضاعفة . تقسيم أعمال الحقل الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أعمال ثابتة ٣٠ فى المائة من العمل وأعمال نقل ولها ٢٠ فى المائة من العمل

تذكير

سادسا

صحيفة

(سادسا) نظام القرآن وهو نفس نظام كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ أى أن تكون الأمم كلها قائمات بما استعدّت له طوعا أوكرها

١٦٧ (الفصل السابع) ديانات الأمم مثل دين (خريستا) و (زردشت) و (بوذا) الخ وأن الكشف الحديث أظهر أن الدين وجد فى جميع الآثار . إذن هو سجية فى البشر كغريزة الطعام والفطرة صادقة بخروج أناس عليها لاينافيها الخ

(الفصل الثامن) عدل الله فى اليوم الآخر . و بيان السؤال المشهور ﴿ أن الله خلقنا فلماذا يعذّبنا ﴾ وأن الاجابة على هذا السؤال صعبة فى عالمنا هذا . ولكن نقول ارجع الى ماذكرته فى آخر هود أولفيصل التفرقة للغزالى والذى فتح الله به أن نقول لك ان نظام أهل الجنة والنار كنظام الانسان والحيوان . فالعقارب والحيات أشبه بأهل النار ولا أحد يقول أن اختلاف الحيوان ظلم ولا الحيوان نفسه كالعقارب معترض على هذا النظام . فهكذا أهل الجنة والنار

١٦٩ بيان ماجاء فى علم الأرواح أن الغم الذى يحسّ به الانسان انما يحصل غالبا من أرواح شريرة ملحقة بالجن عند فساد هضم الطعام وأن إيذاء أمثال هذه ورد فيها الحديث . و بيان أن أرواحا عاصية طلبت دخول الجنة فقبل منها ولكن منعها استعدادها ونقصه وأن المنقطعين للعبادة مع قدرتهم على النفع العام معذّبون باتفاق الأرواح وكلام علماء الاسلام . روح نزعت شرورها لتدخل الجنة فأغشى عليها فأرجعوا لها قوّتها الشريرة ثانيا

١٧١ الكلام على المقالة الأولى والثانية من كتاب السياسة لأفلاطون وشرح مقالة العدل وأن الجور ليس سعادة والسعادة فى العدل . بيان قياس أخلاق الشخص على نظام المدينة

١٧٥ أنواع الاحسان وانه يعم سائر الأعمال الدنيوية والأخروية . مزايا هذه الآية . ختام السورة بالحكمة والموعظة الخ والكلام على العهد

١٧٦ تذكرة عامّة لسورة النحل وايضاح لما سبق

١٧٧ نظرة عامّة فى هذه السورة . إن الله خلق الأم وجعلها للرأفة والأب وجعله للتربية العقلية والعملية هكذا الأرض أمّه الكبرى والله أوسع علما من الأب فأنزل له الموقظات من الحوادث وجعل فى مقابل كل نعمة نقمة . ففى مقابل الأنعام الآساد وفى مقابل النحل والحيوانات الذرّية النافعة لجسمه وللنبات الحيوانات الذرّية (المكروبات) القاتلة وهكذا وذلك ليستخرج قواه وملكته فاذا كانت الأمم يساعد بعضها بعضا فالحروب تقع بينها . واذا كان أهل المدن يتعاونون فكم قضايا ومشاكل تقع بينهم وهكذا مودّة الأقارب يتخللها الحسد . كل ذلك لايقاظ الانسان

رسالة منسوبة لأرسطاطاليس أرسلها للاسكندر فى السياسة تبين ماتقدّم وملخصها أن الأمم اذا كانت تعيش فى راحة وترف ونعيم ضعفت أجسامها وعقولها فتحصدها الأمم حصدا وتذلّ والأبناء الذين نالوا المال عفوا بلاتعب يذهب منهم سدى ولايحفظونه و بعكس ذلك الذين حصلوه بتعب وهكذا الممالك المأخوذة بنصب والمناصب تدوم رئاستها والعكس بالعكس . وعلى رئيس المدينة أن يقوم الأشراف بالحياء وأهل الدناءة بالخوف ثم نصح الملوك بنصائح بها يدوم ملكهم وهى ثلاثة

١٩٢ من هنا تبين أن النعم لابدّ معها من الموقظات من الحوادث وهى أيضا نعم . وهذا سرّ قول المسلم فى الصلاة ﴿ فلك الحمد على ماقضيت ﴾

بيان أن النعمة والنقمة مقرونتان بحكمة فى سم الحيات ولحمها وكذا العقارب والحيوانات الذرّية المحدثة

(تمت)